مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد:

فهذا الكتاب الذي معنا هو كتابٌ يبيّن فيه صاحبه عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم الذي كانوا عليه من عهد النبي ﷺ وأصحابه الكرام إلى زمن المؤلف.

و(شرح السنة): بمعنى بيانها وإيضاحها، وأما السنة فترد في كلام أهل العلم على عدة معانٍ، منها:

المعنى العام أي: الشريعة، ومِن ذلك قول النبي ﷺ: "من رغب عن سنتي فليس مني"(١)، أي: من زَهِد في شريعتي.

والمعنى الثاني: ما يقابل القرآن، أي: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية، على ما يعرّفها به أهل الحديث.

والمعنى الثالث: ضد البدعة؛ ومنها: كتب السنة، وهذا المعنى هو المراد عندنا هاهنا، فكان السلف رضي الله عنهم يؤلفون الكتب في السنة، ويَعْنون بها: المسائل العقائدية، والمسائل التي خالف فيها المبتدعةُ أهلَ السنة والجماعة، فيسمون هذه الكتب بالسنة ويسمونها (الإيمان) و(الشريعة) و(أصول السنة) وما شابه.

والمعنى الأخير الرابع وهو معنى اصطلاحي: بمعنى النافلة، وهو معنى اصطلح عليه بعض الأصوليين والفقهاء.

هذا معنى كلمة: (شرح السنة) الذي هو اسم هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) عن أنس رضي الله عنه.

المؤلف:

وأما مؤلف الكتاب فهو: الإمام البربهاريّ، كان يلقَّبُ بشيخ الحنابلة في زمنه، هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، و(بربهار) هي أدوية كانت تُجلَب من الهند، توفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة (٣٢٩)، وهو من تلاميذ تلاميذ الإمام أحمد، فهو أحد طلبة أبي بكر المَرُّوذي، وأبو بكر المروذي هذا من تلاميذ الإمام أحمد ومشهور بالرواية عنه، ومن تلاميذه أحد أحفاد الإمام أحمد من أبناء صالح ابن الإمام أحمد، وكان رحمه الله على السنة ومتَّبِعاً لمنهج أهل السنة، مدافعاً عنها، محارباً لأهل البدع والضلال حتى أوذي- رحمه الله- من قِبَلهم ووُشِيَ به إلى الحكام وكادوا يبطشون به لولا أن الله سبحانه وتعالى رحمه(١).

والمؤلف كما ذكرنا سيوضح لنا المنهج الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ ومن اتبعهم بإحسان، فإن الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه وبعث نبيه ﷺ كي نتبعهما، ولم يَكِلْ أمر إيضاح ما فيهما إلينا؛ بل وكّل نبيّه ﷺ ببيان كتاب الله فبيَّنه ﷺ، وأخذ أصحابه عنه، وفهموا مراده فيما قال، وفيما بيّن؛ فهم أدرى وأعلم من غيرهم بمراد رسولنا ﷺ وببيان الحق الذي أراده ربنا تبارك وتعالى على لسان نبيّه ﷺ وبيّنه، فهم أعلم وأقدر من غيرهم في أمور الشريعة؛ فقد كانوا يعيشون في الزمن الذي كان فيه النبي ﷺ، وشاهدوا التنزيل وعاينوا أفعال النبي ﷺ، وسمعوا أقواله مباشرة وعرفوا كيف خرج الكلام منه، وما هي مناسبته، وبناءً عليه صدرت أحكامه عليه الصلاة والسلام.

(١) انظر ترجمته في "طبقات الحنابلة" (١٨/٢) لابن أبي يعلى، و"سير أعلام النبلاء" (٣٩٥/١١) للذهبي.

وهم أهل سَليقةٍ أيضاً في اللغة العربية فلم يتكلَّفوها تكلفاً، واللغة العربية هي التي جاء بها القرآن وجاءت بها السنة، فكانوا لأجل هذا كله أقدر من غيرهم ممن جاء بعدهم على فهم كتاب الله وسنة رسول ﷺ وعلى معرفة الطريق التي أرادها ربنا تبارك وتعالى.

لهذا السبب ولهذه الأسباب كلها أمر الله تبارك وتعالى باتباعهم، وحذّر من الخروج عن نهجهم فقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}(١)، كان بالإمكان أن يقول: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى} ويسكت، ولا يتم الباقي؛ لكنه عز وجل أراد هذه التتمة:{وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ}.

من هم المؤمنون الذين كانوا على عهد النبي ﷺ ؟

هم أصحاب النبي ﷺ، إذاً من يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين؛ قد حذره الله تبارك وتعالى وأعَدَّ له العقاب المذكور في الآية، فنحن مأمورون باتِّباع السبيل الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ.

من هذه الآية ومن غيرها من الآيات نعلم أن المنهج الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ هو المطلوب منا اتباعه.

وأنتم تعلمون أن طريق الحق الموصل إلى الله سبحانه وتعالى واحد، نأخذ هذا من قول الله تبارك وتعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}(٢)، في هذه الآية بيّن لنا ربنا تبارك وتعالى أن طريق الحق واحد وليس متعدّداً، وأمَرنا باتباع هذا الطريق، وحذّرنا من مخالفته والمشي في غيره من الطرق؛ فإن النبي ﷺ

---

(١) [النساء:١١٥].

(٢) [الأنعام:١٥٣].

لما ذكر هذه الآية خطّ خطّاً مستقيماً ثم خَطَّ حوله خطوطاً ثم قال: "هذا سبيل الله وهذه سُبُلٌ، على كل سبيل شيطان يدعو إليه"[١]، على كل سبيل شيطان يدعو إلى تلك السَّبيل؛ إذاً طرق الضلال كثيرة وطريق الحق واحد؛ لذلك قال ﷺ: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة"، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال :"ما أنا عليه وأصحابي"[٢]، في إشارة واضحة إلى أن المنهج الحق هو الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فالمنهج الذي يريده منا ربنا تبارك وتعالى هو: اتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واتباع المنهج الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ.

وفي رواية أخرى قال:" الجماعة"[٣] ﷺ، وهذه الرواية تفسر الأخرى؛ فمعنى الجماعة: هو ما اجتمع عليه أصحاب النبي ﷺ.

إذن طريق الحق واحد، وقد تبيَّن لنا مما تقدّم ما هو هذا الطريق، ويتَّضح أيضاً من قول الله تبارك وتعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ}[٤]، بيّن لنا ربنا تبارك وتعالى في هذه الآية أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار قد وصلوا إلى رضا الله ووصلوا إلى أن أعَدَّ الله تبارك وتعالى لهم جنات تجري تحتها الأنهار؛ فقد سلكوا طريقاً يصل بهم إلى برّ الأمان وإلى رضا الله سبحانه وتعالى وإلى الجنة، فهذا الطريق الذي كانوا عليه هو الطريق الوحيد الذي يوصل إلى ما وصلوا إليه، وأما غيره من الطرق فطرق ضلال؛ هذا واضح.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٤٣٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (١٢٤٧٩)، ابن ماجه (٣٩٩٣) عن أنس رضي الله عنه.

(٤) [التوبة:١٠٠].

وفي الآية نفسها أمرٌ من الله باتباع هذا الطريق: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ}؛ اتبعوا من؟ اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ففي الآية أمر باتباع منهج الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فإنك إذا أردت النجاة تسير على ما كانوا عليه؛ لذلك لمّا وعظ النبي ﷺ الصحابة، قال رجل: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»(١) ؛ فلم يكتفِ ﷺ بقوله :" عليكم بسنتي"؛ بل أضاف إليها قوله: "وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ ".

هذه كلها نصوص تبيّن لنا أن من أراد النجاة وأراد المنهج الحق؛ فعليه باتباع ما كان عليه النبي ﷺ، وما كان عليه صحبه الكرام، وأن ديننا دين اتباع وليس دين ابتداع؛ هذه المسألة مهمة جداً، وهي من المسائل التي اضطرب فيها الكثيرون، وحصلت بسببها الانحرافات التي نراها حتى من بعض من ينتسب إلى السنة.

((ديننا دين اتباع لا دين ابتداع))؛ يجب أن تحفظوا هذا الأصل جيّداً.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في وصيته النفيسة: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)(٢)، أي: كفاكم من قبلكم تكلف الاجتهاد وتحمل أوزار الأخطاء والضلالات؛ فربما تميل نفسك ويميل هواك مع اجتهاد من الاجتهادات فتزيغ؛ لذلك قد كفاك مَن قَبلك هذا الحِمل فاتبع تسلم؛ فقد كُفيت.

---

(١) أخرجه أحمد(١٧١٤٢)، الترمذي(٢٦٧٦)، وأبو داود(٤٦٠٧)، وابن ماجه(٤٢، ٤٣) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الدارمي (٢١١).

نتبع من؟

الأقدم فالأقدم: أصحاب النبي ﷺ هم الأقدم، فإذا وجدت في المسألة قولاً لأحدٍ منهم فتمسك به، فإن لم تجد؛ فانظر إلى من بعدهم؛ فهم الذين قال فيهم النبي ﷺ: "خير الناس قرني"(١) أي: هو وأصحابه، "ثم الذين يلونهم" يعني: ثم الذين بعدهم وهم التابعون الذين أخذوا عن أصحاب النبي ﷺ، "ثم الذين يلونهم"، الذين بعدهم وهم الذين أخذوا عمن أخذوا عن أصحاب النبي ﷺ؛ ثلاثة قرون مفضلة، ثم ذم النبي ﷺ القرون التي بعدهم، فيبقى الحق منتشراً ظاهراً واضحاً، وتظل البدع وأهلها أذلة؛ في هذه القرون الثلاثة، ثم بعد هذه القرون الثلاثة بدأت تظهر البدع ويظهر أصحابها، فإن لم تجد قولاً عن التابعين فانتقل إلى أتباع التابعين، فإن لم تجد عن أتباع التابعين؛ فانظر إلى إمام السنة في زمنه واتبعه.

وجدنا مسائل في زماننا هذا حدثت بعد أن لم تكن في الأزمنة الماضية؛ انظر إلى أئمة الزمن واجعلهم أئمة لك وامضِ على ما هم عليه؛ فهذا الطريق هو الذي يكون أماناً لك من الزلل والانحراف، ولا تحسن الظن بنفسك وتسيء الظن بالعلماء الأئمة الذين عُرفوا بالثبات على الحق، عُرفوا بحمل راية السنة والدفاع عنها، عُرفوا بحربهم لأهل البدع والضلال، ودفاعهم عن دين الله تبارك وتعالى، والنُّصح للإسلام والمسلمين، وكثُرَت الثناءات عليهم بذلك ممن هم أهل للثناء وعندهم علم ومعرفة بمن هم أهل لأن يُثنى عليهم بذلك، فارجع إليهم فيما جدّ من مسائل في عصرك؛ فهم أئمة الزمن.

أذكر كلمة لابن جرير الطبري - ولعلكم تعرفون من هو الطبري وإمامته في التفسير- كان يتحدث عن مسائل الاعتقاد فيذكر المسائل ويذكر من السلف من قال بقوله في المسألة، حتى جاء إلى مسألة اللفظ- وهي قول لفظي بالقرآن مخلوق؟ مسألة حدثت في زمن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الإمام أحمد ولم تكن قبل ذلك-؛ فقال : (لم أجد فيها من قال في هذه المسألة ممن سبق، وما وجدت إلا قولاً للإمام أحمد وهو إمام يقتدى به)[١] فقال بقول الإمام أحمد، وهو قريب العصر منه، لكن ما أراد أن يقول قولاً ليس له فيه إمام كما قال الإمام أحمد: (لا تقل بقول ليس لك فيه إمام)[٢]، فهذا زِمامٌ تربط به نفسك لئلا تزيغ وتضل، ابقَ مع أئمة الزمن؛ كي تبقى على جادة الصواب، أما إذا فتحت المجال لنفسك وأعطيتها هواها وأرخيت الزمام لعقلك؛ فعندئذ ستشطح شطحات يمنة ويسرة كما حصل من أصحاب العقول الذين قال فيهم عمر :(قد أعيتهم الآثار أن يحفظوها فمالوا إلى الرأي فضلوا وأضلوا)[٣] ، ما استطاعوا أن يحفظوا سنة النبي ﷺ ولا استطاعوا أن يحفظوا آثار الصحابة والتابعين؛ فتركوا كل ذلك ومالوا إلى الرأي فضلوا وأضلوا.

هذا هو المنهج السلفي، ومما سيأتي معنا من كلام البربهاري رحمه الله ستتضح لنا الأمور أكثر إن شاء الله.

---

(١) قال في صريح السنة (ص ٢٥): وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن، فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا تابعي قضى، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء رحمة الله عليه ورضوانه، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: " اللفظية جهمية؛ لقول الله جل اسمه: {حتى يسمع كلام الله} [التوبة: ٦]، فممن يسمع؟!". ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه أنه كان يقول: " من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال: هو غير مخلوق، فهو مبتدع ". ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله، إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمنع، وهو الإمام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه. انتهى

(٢) أخرجه ابن الجوزي في مناقب أحمد (ص٢٤٥)، قال: الميموني، قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن، إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام.

(٣) أخرجه الدارقطني في سننه (٤٢٨٠)، وابن أبي زمنين في" أصول السن" (٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٠١)، وغيرهم، ولفظ الدارقطني: «إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ السُّنَنِ أَعْيَتْهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا بِالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٤٢) من طرق عنه.

قال البربهاري رحمه الله :(**الحَمْدُ لله الذي هدانا للإسْلامِ**).

(الحمد): هو وصف المحمود بالكمال محبة وتعظيماً، المحمود: هو الله

فالحمد هو وصفه بالكمال محبة له وتعظيماً؛ هكذا عرّفه ابن القيم رحمه الله، وكثير من أهل العلم يقولون: هو الثناء على الله تبارك وتعالى.

والحمد المطلق الكامل الشامل، هذا لله وحده، يختص به سبحانه وتعالى، أما الحمد المقيد؛ تحمد شخصاً على شيء معين؛ فهذا يجوز لله ولغيره.

فهذا الحمد هو الشامل لجميع المحامد، فالألف واللام فيه للاستغراق، فقال المؤلف هنا: (الحمد لله الذي هدانا للإسلام)، فيحمد الله سبحانه وتعالى على نعمة تفضل الله سبحانه وتعالى عليه وعلينا بها، وهي نعمة الإسلام، وهي من أفضل النعم {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي}[(١)]، فالإسلام نعمة من الله تبارك وتعالى يُحمَد عليها أن منّ علينا بها.

وقد بدأ المؤلف بالحمد اقتداءً بالنبي ﷺ، فقد كان ﷺ في خطبه ومحاضراته يبدأ بالحمد، وأما في رسائله فكان يبدأ بالبسملة، هذا الثابت عنه ﷺ في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما.

قال: (**ومَنَّ علينا به، وأَخْرَجَنا في خيرِ أُمَّةٍ**)

{كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر}[(٢)]، فهذه الأمة التي هي أمة محمد ﷺ هي آخر الأمم وخير الأمم.

قال: (**فنَسْأَلُهُ التَّوفيقَ لما يُحِبُّ ويرضى، والحِفْظَ مِمَّا يَكْرَهُ ويَسْخَطُ**)

---

(١) [المائدة:٣].

(٢) [آل عمران:١١٠].

هذا دعاء من المؤلف، فنسأله تبارك وتعالى كما سأله.

والدعاء من أسباب الثبات؛ لقول النبي ﷺ في الدعاء الذي كان يكثر منه: "يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك"[1]، فالإكثار من الدعاء بالثبات، هو من أسباب الثبات على الجادة، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم.

قال المؤلف رحمه الله: (**[١] اعلموا أنَّ الإسلامَ هو السُّنَّةُ، والسُّنَّةُ هي الإسلامُ، ولا يقومُ أَحَدُهُما إلا بالآخَرِ**)

الإسلام: هو الاستسلام لله والانقياد له بما شرع، وأما السنة فهي: هدي النبي ﷺ.

قال المؤلف: (الإسلام هو السنة)، فلا يمكن أن ينفصل الإسلام عن هدي النبي ﷺ وما جاء به.

قال: (والسنة هي الإسلام) كذلك، فهذا هو ذاك، وذاك هو هذا، لا فرق بينها أبداً، (ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر)، فمن ادعى الإسلام ولا يعمل بهدي النبي ﷺ فليس بمسلم حقيقة، ومن ادعى اتباع هدي النبي ﷺ ولم يدخل في الإسلام؛ فليس بمسلم، فلا بد أن يُوجِد الأمران.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٢] فَمِنَ السُّنَّة لُزومُ الجَماعَةِ، فَمَنْ رَغِبَ غَيْرَ الجماعَةِ، وفارقها؛ فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ مِنْ عُنُقِهِ، وكانَ ضالًّا مُضِلًّا**).

فمن السنة وهدي النبي ﷺ لزوم الجماعة، يعني: الثبات عليها والتمسك بها وعدم الانحراف عنها.

---

(١) أخرجه أحمد (١٩/ ١٦٠) والترمذي(٢١٤٠)، وابن ماجه(٣٨٣٤)، من حديث أنس، وأخرجه مسلم (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو بلفظ: "اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ".

والجماعة كما جاء في رواية من الحديث الذي ذكرناه: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة"، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "الجماعة" وفي رواية أخرى قال: "ما أنا عليه وأصحابي"، فهذه تفسر لنا معنى (الجماعة)، فمعنى الجماعة هو المنهج الذي كان عليه النبي ﷺ وكان عليه أصحابه الكرام.

وجاء عن بعض السلف أنه فسر (الجماعة): بالحق وإن كنت وحدك.

وهذه يفهمها البعض فهماً سقيماً مقلوباً، فيظن نفسه أنه إن أتى بمنهج جديد أو قولٍ شاذّ أنه هو الذي على الحق والباقي كلهم على ضلال، فيتمسك بهذا ويقول لك: أنا الجماعة والباقي كلهم منحرفون.

ليست هذه الجماعة؛ إنما الجماعة ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، وما كان عليه النبي ﷺ؛ ما كان عليه السلف الصالح؛ هذا معنى الجماعة.

وقول المؤلف: (فمن رغب غير الجماعة وفارقها)؛ كيف يفارق الجماعة؟

يفارق الجماعة بترك السنة واتباع البدع.

وهنا أمْر مهم:

أمر الله تبارك وتعالى بالاجتماع ونهى عن الافتراق؛ أمرٌ مسلَّم، قال الله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}، هذا أمر بالاجتماع على الكتاب والسنة ونهي عن الافتراق والاختلاف: {ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً}، {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء}، إذاً تفريق الدين والفرقة والاختلاف من سبيل المشركين وليس من سبيل المؤمنين، ونحن مأمورون بالاجتماع، ولكن أي اجتماع هذا الذي أُمِرنا به؟ كثير من الناس اليوم يقول لك: حافظوا على الاجتماع نريد الاجتماع، لا أحد يتكلم بكلام يثير الفرقة والاختلاف؛ من هذه الدندنة

التي نسمعها، ومِن ذلك قولهم:" نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه "؛ تحقيقاً للاجتماع، هذه القاعدة لذلك، لكن هل هذه القاعدة وهذا المنهج هو الذي أمر الله به؟

لا؛ الله سبحانه وتعالى قيّدَ فقال في كتابه الكريم:{واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا}، ولم يقلْ: اجتمعوا ولا تفرقوا، وفرقٌ بين الأمرين؛ فإن: اجتمعوا ولا تفرقوا تعني: اجتمعوا على أي شيء ولا تفرقوا؛ لكنه قال:{واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا}، فالاجتماع على حبل الله، وحبل الله هو الذي يصلنا بالله تبارك وتعالى وهو الكتاب والسنة، هذا هو الذي جاء من عند الله تبارك وتعالى، فحبل الله هو شرعه ودينه الذي جاء به النبي ﷺ والذي عليه أصحابه الكرام رضي الله عنهم؛ فالاجتماع يكون على ذلك، فمن تمسك بهذا مع إخوانه؛ فهو مجتمِع، ومن ابتدع في دين الله بدعة خالف فيها ما أمر الله به ورسولُه؛ فقد فارق الجماعة، إذاً التفريق يكون ممن ابتدع لا ممن حذر ممن ابتدع.

الأمور اليوم مقلوبة؛ مَن بيّن حال المبتدع وأظهره للناس ليحذروه وليتبين لهم الحق من الباطل ويبقى الحق متميزاً عن الباطل؛ يقولون: أنت تفرق الكلمة.

انظر كيف انقلبت الأمور في زمن الجهل طبعاً؟! عندما تنقلب الأمور وينقلب العلم إلى جهل يصير هذا الحال؛ فيقولون للذي ينصح ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبين الحق من الباطل ويفصلهما عن بعضهما كي يبقى هذا واضحاً جليّاً ويبقى ذاك واضحاً للجميع أيضاً: أنت تفرق الأمة.

هذا تفريق واجب، إذا كان هو الذي يفرق الأمة بهذا فهذا تفريق واجب، لا بد عليه أن يفعله؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالنصيحة وأمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا تركنا هذا؛ عُذّبنا عليه، وما نعيش فيه من اضطرابات ومن بلاءات ومن عذاب وعقاب كله بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك النصيحة التي أمر الله

تبارك وتعالى بها، قال النبي ﷺ: "الدين النصيحة"، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال :" لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم"، فمن النصح للناس أن تبين لهم من يدعوهم إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله، من يدعوهم إلى الصراط المستقيم ومن يدعوهم إلى طرق الانحراف والضلال؛ هكذا يكون الاجتماع المأمور به، والذي يُفرِّق هو الذي يبتدع، متى وجدت المبتدع فاعلم أنه هو المفرّق لا الذي حذّر منه، الذي حذّر منه قد نصحك وبين لك وأمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر ونهى ذاك عن منكره الذي هو فيه؛ نصحاً له ولغيره من الناس.

وهؤلاء المبتدعة موجودون في كل زمان بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وكلما ابتعد الزمن عن زمن النبوة كلما كثروا أكثر، وقد أخبر النبي ﷺ بأنه سيظهر في آخر الزمان الجهل ويُرفع العلم؛ فقال: "من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويظهر الجهل"(١)، ظهور الجهل ظهورٌ للبدع والضلالات؛ بل إن أحد أئمة السلف فسر الجهل هنا بالبدع، وهذا موجود، وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ...) وفي الحديث أن حذيفة قال: (فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا"(٢)، فأراد حذيفة أن يعرف هؤلاء الدعاة؛ فأخبره النبي ﷺ أنهم بشرٌ ولكنهم دعاة على أبواب جهنم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٧٧)، ومسلم (٢٦٧١)، واللفظ لمسلم، ولفظ البخاري: "أن يظهر الجهل، ويقلَّ العلم"، وفي رواية لمسلم: "ويثبت الجهل".

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

هؤلاء هم الذين يفرقون الكلمة ويشتتون المسلمين ويلبّسون عليهم أمر دينهم، ولو لم يأت العالم السني الرباني ويبيّن أحوال هؤلاء الناس؛ من أين للعامي أن يعرف داعية الضلالة من داعية الهداية؟ لا يمكن له أن يعرف هذه الأمور؛ فداعية الضلال هذا يأتيه بلسان حلو معسول، ويتكلم معه بأجمل العبارات ويقول له: قال الله وقال رسول الله، ويدسُّ له السم في العسل، والجاهل جاهلٌ ما يدريه؟ سيقول: هذا يقول: قال الله وقال رسول الله.

ونحن نسمع من الناس هذا كثيراً، تأتي وتقول لهم: احذروا فلاناً؛ فالرجل مفسد لدين الله؛ فيقولون: ما نسمع منه إلا قال الله قال رسول الله... وأنت ما أدراك؟

هذه هي الحقائق التي نعيشها اليوم، أمثال هؤلاء هم الذين يفرقون كلمة المسلمين فيشتتون جمعهم، وفي زمننا هذا هم كُثُرٌ؛ بل هم أكثر من دعاة الهدى والدعاة على الصراط المستقيم، قال النبي ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ صدور الرجال وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ فإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بغير علم فضلوا وأضلوا" يُسألون بجهل ويفتون بجهل، ماذا سيأتي منهم؟ لن يأتي إلا البدع والضلالات والانحرافات والفجور؛ كله من هؤلاء القوم، وهم كُثُرٌ، وكما ذُكر في الحديث: أنه "إذا لم يبق عالماً"، حتى العلماء يقلّون جداً، ولكن هذا الحديث يُفسَّر على معنى الحديث الآخر الذي قال فيه النبي ﷺ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ومن خذلهم حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ"، فهذا الحديث الثاني يدلُّ على أن العلماء سيبقون إلى آخر الزمان؛ لأن الطائفة المنصورة هذه رجالها هم العلماء فالعامة لا تستطيع أن تحمل شريعة وديناً وتحفظه إلى آخر الزمان؛ لذلك جاء تفسيره عن الإمام البخاري رحمه الله؛ قال: (هم العلماء) وقال في موطن آخر عندما ذكر أهلَ الحديث: وقال الإمام أحمد: إذا لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، ذكر البخاري أهل الحديث وأئمة أهل الحديث، فكانوا هم العلماء عنده، فلا يعني العلماء: علماء السنة وعلماء البدعة؛ وإنما يعني

علماء السنة خاصة، وسمّى في كتابه أئمة الحديث، سمّى عبدالرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد القطان، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة ... إلى آخره من أئمة الحديث، فهذا الحديث يبين لنا أن هذه الطائفة باقية إلى آخر الزمان ولكنهم قِلَّة، ومع كونهم قلة يبقى صوتهم عالياً مرتفعاً وتبقى كلمة الحق ظاهرة منتشرة كي يقيم الله سبحانه وتعالى الحجة على العباد بهم، وهذا الحاصل اليوم؛ لو جئت تعُدُّ علماء السنة؛ تجدهم قليلين جداً، والمنتشرون في الأرض بكثرة من علماء الضلال والبدع كما أخبر النبي ﷺ تماماً.

وقوله: (فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه).

الرِّبْقَةُ في الأصل: عروة يعني حلقة تكون مربوطة بحبل، كانوا يضعونها في رقبة البهيمة أو في يدها كي يحبسوها بها، فاستعارها للإسلام، فكأن العبد مقيَّدٌ بأحكام الله وشرعه وحدوده، فإذا فارق الجماعة، فارق السنة وركب البدعة؛ فقد فَكَّ هذه الحلقة من رقبته، (فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه)، ترك دين الله وشرعه وارتكب البدع، إما أن يكون تركه تركاً كُلِّياً أو أن يكون تركه تركاً جزئياً، فإما أن يكفر ببدعته وضلاله وانحرافه، أو أنه لا يكفر ولكنه يبقى في دائرة الضلال والانحراف.

قال: (وكان ضالّاً مُضلاً)

كان ضالاً: أي: هذا الذي فارق الجماعة؛ كان ضالاً في نفسه، فالضلال: هو الانحراف عن الطريق المستقيم، ضَلَّ الطريق: يعني انحرف عن الطريق المستقيم وركب طريقاً منحرفاً عن جادة الصواب، فهو ضال في نفسه، و(مضلٌ) لغيره، (وكان ضالاً مضلاً)، أي: مضلاً لغيره عن طريق الحق؛ فكل طريق وله دعاته.

وقد عرفنا الطريق الذي رسمه النبي ﷺ ورسم حوله طرقاً، فكل طريق من هذه الطرق لها دعاتها؛ طريق الحق له دعاته، وطُرقُ الباطل لها دعاتها، فإذا كان الداعية هذا يدعوك

إلى طريق الضلال، فهو ضال في نفسه مضل أيضاً لغيره، والذي يدعوك إلى الطريق الحق؛ فهو مهتد في نفسه ويدعوك إلى الهداية.

قال المؤلف رحمه الله: **([٣] والأساسُ الذي تُبْنى عليهِ الجَماعَةُ، وهُمْ أصحابُ محمدٍ ﷺ ورحِمَهم أجمعين، وهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، فمن لَمْ يَأْخُذْ عنهم فقدْ ضَلَّ وابْتَدَعَ، وكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالةٌ، والضَّلالةُ وأهْلُها في النَّارِ).**

رجعنا إلى تأسيس المنهج السلفي، الأساس الذي تبنى عليه الجماعة، جماعة المسلمين الذين هم على الحق، الأساس الذي يُقعَّد ويؤصَّل بناءً عليه هم أصحاب النبي ﷺ للأدلة التي سقناها سابقاً.

متى جاءت تسمية أهل السنة والجماعة؟

جاءت هذه التسمية بعد أن انتحل أهل الباطل اسم الإسلام وصاروا يدّعون أنهم على الإسلام الحق، فلما اختلطت الأمور ببعضها؛ احتاج أهل السنة أن يسموا أنفسهم باسم يفترقون به عن أهل الباطل؛ فتسموا بأهل السنة والجماعة.

هم أهل السنة؛ لأنهم الذين يتمسكون بهدي النبي ﷺ وسنته، وهم أهل الجماعة؛ لأنهم هم الذين يجتمعون على ذلك، فالذي يستحق هذا الاسم بحق هو من اتبع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واجتمع عليها، هؤلاء هم أهل السنة والجماعة.

ثم صار لهذا الاسم قوّته، وصار الناس يعرفون أن الذين يتبعون هذا المنهج هم أهل الحق وغيرهم أهل ضلال؛ انتحل أهل الباطل والبدع هذا الاسم؛ حتى يلبِّسوا على الناس- وما زالت هذه طريقتهم- فلذلك تَسَمَّى أهل السنة بالسلفيين؛ للمفارقة بين من يدعي أنه من أهل السنة ومن هو على السنة بحق.

الآن وفي المدة الأخيرة صار هذا الاسم عَلَماً معروفاً بأن من يتَّبعه فهو على الحق؛ متبع لكتاب الله ولسنة الرسول ﷺ ولمنهج السلف الصالح رضي الله عنهم؛ فدخل فيه أهل الباطل أيضاً، كما حصل مع اسم أهل السنة والجماعة تماماً، فصار ينتحِلُه من أهل البدع والضلال الكثير والفِرق المختلفة، فليس كل من ادّعى أنه من أهل السنة والجماعة فهو من أهل السنة والجماعة؛ الأشاعرة يقولون نحن من أهل السنة والجماعة، طيب تعالوا نتحاكم إلى السنة؛ لا يقبلون، يقولون: لا؛ إنما نتحاكم إلى العقل في الأسماء والصفات، لا يثبتون، لماذا لا تثبتون؟ قالوا: العقل لا يثبت الصفات التي تثبتونها أنتم التي ثبتت بالكتاب والسنة، ويلزم منها التشبيه.

فنقول لهم: إذاً أنتم لستم أهل سنة، أنتم عقلانيون ولستم سنّيّين، وفرقٌ بين الأمرين، والإنسان يُنسَب إلى أصوله، فما هي أصولك؟ كتابٌ وسنة فأنت تنسب إلى الكتاب والسنة، أصولك العقل فتنسب إلى العقل ولست إلى السنة، أصولك البدعة والضلالة فأنت من المبتدعين الضلّال ولست من أهل السنة والجماعة؛ هكذا يُنسَب الشخص.

كذلك السلفيون اليوم؛ ليس كل من ادعى السلفية فهو سلفي- نفس الصورة، ونفس القضية-، الخارجي يدعي أنه سلفي اليوم، المرجئ يدعي أنه سلفي، كثير من هؤلاء موجودون ويدعون أنهم سلفيون، فليس كل من ادعى السلفية فهو سلفي، رؤوس من رؤوس الخوارج اليوم يفتون بسفك الدماء دماء المسلمين ليلاً نهاراً، ويقول لك: أنا سلفي، المرجئ يصرح بإرجائه ويقول لك : أنا سلفي، السلفي يُرجَع فيه إلى أصوله، فإذا كنت على أصول السلف؛ عندئذٍ قل : أنا سلفي، أما أن تخالف أصول السلف وتدعي أنك على نفس الأصول؛ فهذا كذب.

وأصحاب النبي ﷺ هم أصل أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم وترك طريقهم؛ فقد ضل عن طريق الحق وابتدع في دين الله ما ليس منه.

ما هي البدعة؟

البدعة: أيُّ عبادة؛ سواء كانت عقائدية أو من أعمال القلوب أو من عبادات الأقوال أو من عبادات الأعمال، أيُّ عبادة من العبادات تتقرب بها إلى الله ولا أَصْلَ لها في شرع الله.

وقوله: (فقد ضَلَّ وابتدع): أي: من لم يمشِ على طريق أصحاب النبي ﷺ؛ فلا يمكن له إلا أن يَقَعَ في البدعة.

(وكل بدعة ضلالة)، (كل) لفظ من ألفاظ العموم عند الأصوليين، مأخوذ من لغة العرب، فعند العرب (كل) تستعمل للعموم، فعندما يقول النبي ﷺ: "كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار" فهذا تعميم، لا تأتي أنت بعد ذلك وتقول: يوجد بدعة حسنة وبدعة سيئة، من أين أتيت بهذا؟ النبي ﷺ أتى بلفظ عام يشمل كل شيء، إن كان عندك تفصيل فأتِ بدليل، سيقول: نعم عندي دليل، ما هو دليلك؟ يقول: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إلى قيام الساعة"، نقول له: هذه سنة وليست بدعة؛ وفرقٌ بين اللفظين، قال عليه السلام: "من سن في الإسلام سنة حسنة" ولم قل: بدعة حسنة، وسبب هذا الحديث نفسه الذي تستَدِلُّ به يُفسر السنة الحسنة.

ما سببه؟ نرجع إلى الحديث كي نعرف سببه.

عن جرير بن عبد الله قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمِ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ

سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"(١)

أي لما رأى النبي ﷺ حالة القوم- لباسهم وهيئتهم-كلها تدل على الفقر والحاجة، أمر أصحابه بالصدقة، فلم يقم أحد، ثم قام رجل ومعه صرة ووضعها بين يدي النبي ﷺ، تصدق بها، فتتابع الناس بالصدقة لما رأوا هذا الرجل، هذا الرجل ماذا فعل الآن عندما أتى بالصرة هذه وتصدق بها؟ امتثل لأمر النبي ﷺ، هل هذه تسمى بدعة؟ لا تسمى بدعة؛ ولكنه عمل بأمر النبي ﷺ، فهذه سنة، فمن أحيا سنة أميتت بين الناس وتتابع الناس على العمل بها؛ فله أجرها وأجر من عمل بها إلى قيام الساعة، هذا معنى الحديث، فليست هذه من البدعة في شيء حتى تأتي وتفصل بدعة حسنة وبدعة سيئة؛ فالبدع كلها سيئة.

عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي "(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

عبادات عظيمة يريدون بها المبالغة في التعبد لله تبارك وتعالى والتقرب إليه؛ هل فرح النبي ﷺ عندما سمع بهذا؟

في رواية مسلم، قال ﷺ: " ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا؟"، وعند البخاري: "أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له" يعني تريدون تقوى الله بعملكم هذا؟ أنا أكثر منكم تقوى، تريدون خشية الله؟ أنا أكثر منكم خشية لله سبحانه وتعالى: "فمن رغب عن سنتي فليس مني"؛ هذا ما أجابهم به النبي ﷺ؛ لماذا؟ لأنه خروج عن هدي النبي ﷺ، فالله سبحانه وتعالى أراد منا أن نعبده، وأن نعبده وحده لا شريك له، وأن نعبده كما يحب ويرضى لا بأهوائنا، لا كما نستحسن نحن، ورحم الله الإمام الشافعي؛ قال: (من استحسن فقد شرع)، إذا استحسنت عبادة من عقلك وأتيت بها من عندك؛ فقد جعلت نفسك مشرّعاً مع الله.

وقال مالك: (من ابتدع في دين الله بدعة فقد ادعى أن محمداً خان الرسالة)

فالمبتدع له أحد حالين لا ثالث لهما: إما أنه جعل نفسه مشرعاً مع الله سبحانه وتعالى وأتى بالدين والشرع الذي هو يحبه ويرتضيه، أو يكون مدَّعياً أن محمداً ﷺ قد خان الرسالة ولم يبلِّغ ما أراده الله؛ فأراد هو أن يتمّم، وكلا هذين الأمرين أشار إليهما الشافعي ومالك رحمهما الله، فالمبتدع دائر بين هذين الأمرين؛ هذا أو هذا، لم يعجبك شرع الله ودينه فأردت أن تأتي بشيء من عندك أو أنك تدعي أن شرع الله ما كَمُل وأنت تريد أن تكمّله؛ هذه هي البدعة.

قوله: (فقد ضل وابتدع) يعني ضل طريق الحق، انحرف عنه، وجاء بأمر جديد؛ إما عقائدي أو عملي، (وكل بدعة ضلالة) ليس عندنا تفصيل؛ أي بدعة فهي ضلالة، انحراف عن الجادة.

(والضلالة وأهلها في النار) كما قال النبي ﷺ: "كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار".

الأسئلة:

السائل: شيخنا - الله يبارك فيكم - ذكرتم العلماء وأكثرتم من هذا، من تقصدون بالعلماء في هذا الزمن؟

الشيخ : العلماء الربّانيّون الذين اجتمعت كلمة أهل السنة عليهم، في الزمن الماضي وقبل أن يموتوا هم : الإمام ابن باز رحمه الله، وابن عثيمين، والإمام الوادعي، والإمام الألباني؛ هؤلاء الأربعة لا يشك أي منصفٍ بأن هؤلاء أئمة قد جعل الله سبحانه وتعالى لهم قبولاً في الأرض ولهم من الثمرات والحسنات ما لا يستطيع أحد أن ينكره، فلهم من الخير ونشر السنة ونشر العقيدة - عقيدة التوحيد وعقيدة أهل السنة - ما لا تستطيع دُوَل أن تنشره، فهؤلاء قد استقرت كلمة أهل السنة وكلمة العلماء على الثناء عليهم حتى إن بعض أهل البدع والضلال يثني عليهم ويعرف لهم قدرهم.

ومن خلال أعمالهم وما جعل الله لهم من قبول في الأرض ومحبة بين الناس وثناء من العلماء عليهم عرفنا هذا، وكذلك من خلال دعوتهم أيضاً التي كانوا يدعون إليها؛ كانوا يدعون إلى السنة والتوحيد وإلى عقيدة السلف رضي الله عنهم.

ومِن هؤلاء تستطيع أن تعرف من بعدهم، فمِمَّن أُثنِيَ عليه من قِبل هؤلاء الأئمة:

الشيخ صالح الفوزان وما زال حيّاً والحمد لله، كذلك الشيخ ربيع بن هادي المدخلي وما زال حياً والحمد لله، والشيخ أحمد النجمي مات رحمه الله، وكذلك ممن يُثنى عليه وهو معروف بالخير: كالشيخ عبيد الجابري، والشيخ صالح اللحيدان، والشيخ عبد المحسن العباد؛ مثل هؤلاء كلهم أئمة، ومن خلالهم بإمكانك أن تعرف البقية.

طبعاً أنا ذكرت البعض، ذكرت الكبار، هؤلاء كبار علماء الإسلام، وهم الذين يعتبرون أئمة في زمانهم هذا، أما البقية غيرهم فكثير والحمد لله.

ومن خلال سؤال هؤلاء الكبار يُعرفُ البقية.

السائل: شيخنا: كثير من الناس اليوم يشبّهون على العوام، أي: يلقون الشبهات عليهم؛ فيقولون: الإمام البخاري كان يروي في "صحيحه" عن المرجئة وعن المبتدعة أمثال القدرية وغيرهم، فنحن لا حرج أن نأخذ عن هؤلاء إلا إن التزمنا بدعهم.

الشيخ: يقول النبي ﷺ عند التحذير من الدجال: "من سمع به منكم فلينأً عنه" يعني يهرب منه، يفر بجلده؛ لماذا؟ قال: "فإن الرجل يأتيه وهو مؤمن" ويظن أنه قادر عليه "فينغمس معه مما معه من الشبهات" أو كما قال عليه الصلاة والسلام، هذا الحديث أصلٌ في الفرار من صاحب الشبهات ومن أهل البدع والضلال، أنت تأتي لصاحب البدعة، هل تأمن على نفسك ألا تأخذ من بدعته؟ ألّا تتشرب منه؟ إن أمنت على نفسك فأنت جاهل؛ فالنبي ﷺ يقول: "قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء"، فكيف تأمن على نفسك بعد ذلك؟! إذا كان أئمة الإسلام في زمانهم لم يأمنوا على أنفسهم؛ فكيف تأمن أنت على نفسك؟ هذا أيوب بن أبي تميمة السختياني - وهو إمام من أئمة أتباع التابعين - جاءه رجل فقال له: أريد أن أُكلمك فقال له: ولا كلمة، وفَرَّ منه.

وجاء رجل من أهل البدع إلى عبد الله بن طاووس، وأراد أن يكلمه وكان ابنه موجوداً فقال عبد الله لابنه: (يا بني! ضع أصبعيك في أذنيك واشدد) يقول معمر الذي يروي هذا الأثر عن عبد الله؛ قال: (فإن القلوب ضعيفة والشبه خطافة)، ما أدراك أن تسمع شبهة فيتلقّفها قلبك ويتشرّبها فتضلّ بها، هل الدين يحتمل المقامرة؟ لا يحتمل؛ جنة أو

نار، المسألة ليست لعباً، هذا أصل سلفي عام، من خالفه رأينا نتائجه؛ وهي الانحراف مع أهل البدع.

أبو قلابة الجرمي أخذ عن سبعين من أصحاب النبي ﷺ- هو من التابعين- يقول: (لا تجالسوا أهل البدع ولا تجادلوهم فإني أخاف عليكم أن يغمسوكم في بدعهم أو يلبّسوا عليكم بعض ما تعرفون).

هذا كلامهم، هذا منهجهم.

محمد بن سيرين إمامٌ كبيرٌ مشهورٌ من التابعين، جاءه رجل وأراد أن يكلمه - وهو من أهل البدع - فقال: ولا كلمة، قال: أقرأ عليك آية، قال: ولا آية، قالوا: ما يمنعك يا إمام أن تسمح له بذلك؟ قال: (والله لو كنت أعلم أن قلبي سيرجع كما هو لأذِنتُ له)، ما أدراك؟ ما نستطيع أن نأمن على أنفسنا، وهذا منهجٌ عامٌّ، ليس لواحدٍ من السلف ولا اثنين ولا ثلاثة ولا عشرة ولا عشرين؛ آثار كثيرة تدلّك على هذا المنهج، وليس كما يدَّعي البعض بأنه قولٌ لأحدهم أو انفراد لشخص، هذا كذب، هذه بعض الآثار التي سقناها لكم وهي كثيرة، اقرؤوا كتب السنة، كتب السلف، لماذا عزفنا عن كتب السلف؟ أين أنتم من "شرح السنة" للالكائي، "الشريعة" للآجري، "الإبانة" لابن بطة، "السنة" للخلال، "السنة" لعبد الله بن الإمام أحمد؛ كتب كثيرة، قراءتها تجعلك ثابتاً راسخاً في منهج السلف، اقرؤوا كتب ردود السلف على أهل البدع والضلال؛ كنقض عثمان بن سعيد الدارمي على المِرّيسي، كتب عظيمة، رد الإمام أحمد على الجهمية، كتب نفيسة والله تثبّت الشخص على المنهج.

نرجع إلى الشبهة التي ذكرها هذا الذاكر، وهي مسألة أخذ أهل الحديث عن بعض أهل البدع؛ هذه الشبهة يبيّنها لنا عليّ بن المدينيّ رضي الله عنه، وهو من أتباع التابعين، كان إماماً في الحديث حتى لُقّب بحية الوادي لإمامته في علم العلل بالذات، وعلم

الحديث منه علم العلل، ما يأتيني شخص يقول: والله فلان يعرف كلمتين، يعرف اسم عشرة رواة أو عشرين راوياً، يفتح "التقريب": ثقة، ضعيف، ثم يقول: والله يعرف في الحديث؛ لا؛ خلاصة علم الحديث هو علم العلل، لا يأتيني شخص يحكم لي على ظواهر الأسانيد يقول: ما شاء الله عنده علم في الحديث، هذا لا ينفع؛ المحدث هو الذي عنده غوص في علم العلل، ويعرف كيف يستخرج علل الأحاديث، ويعرف الحديث الصافي من العلل؛ هذا هو المحدث، هذا العالم.

علي بن المديني قال كلمة تبيّن لنا لماذا كان أهل الحديث يروون عن أهل البدع مع أن الكثير من أهل الحديث تركوا أهل البدع كلهم وما كانوا يقبلون الرواية عنهم مع وجود المفسدة التي ذكرها علي بن المديني رضي الله عنه؛ قال علي بن المديني: (لو تركت أهل الكوفة للتشيّع وتركت أهل البصرة للقدَر؛ خربت الكتب) فإذاً كانت عندنا مفسدة كبيرة في ترك الرواية عن أهل البدع؛ وهي ضياع الكثير من أحاديث النبي ﷺ؛ لذلك اضطر السلف لأن يأخذوا عن هؤلاء بعد أن علموا أنهم ثقات وأنهم لا يكذبون على النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك وضعوا شرطاً: وهو أنه إذا روى الراوي المبتدع حديثاً يشد من بدعته يتركونه له، فكانت عندنا مفسدة كبيرة متوقَّعة فاحتاجوا أن يدفعوا هذه المفسدة الكبيرة بارتكاب المفسدة الأصغر منها وهي الرواية عن أهل البدع.

أما اليوم؛ فما حاجتك أن تجلس مع المبتدع وتأخذ عنه العلم ؟

أولئك جلسوا مع المبتدع ليأخذوا عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما أنت فستجلس لتأخذ عنه بدعته؛ هذا الذي أجلسك مع المبتدع.

لو جلست تدرس عند المبتدع تجويد القرآن أو اللغة العربية؛ مستعد أن يدخل عليك بدعته- وهذا ملاحظ وموجود- يدخلها عليك من خلال أي درس، فالمشكلة ليست فقط في مادة الكتاب التي تُدرَّس كما كانت بعض الدول تركز على مادة الكتاب الذي

يدرَّس من أجل أن يقضوا على المناهج التي تخالفه، الكتاب ليس عبرة؛ أعطني كتاب كيمياء أدخل لك فيها العقيدة السلفية، فيزياء، رياضيات؛ أي مادة؛ ما عندي مشكلة؛ المشكلة في المدرّس وليس في المادة؛ المدرّس هو الذي يُعطي وليست المادة.

هذه هي شبهتهم، فالذي يريد أن يجلس مع أهل البدع ويريد أن يميّع دين الله وشرعه ويفتح المجال لنفسه ويخالط من شاء؛ يأتي بهذه الخرافات، أما منهج السلف فواضح وصريح، لا خفاء فيه والحمد لله.

السائل: شيخنا! إنسان إذا ما صلى الفجر، فدخل التشاؤم في قلبه في هذا اليوم؛ هل هذا التشاؤم يدخل في باب الطيرة؟

الشيخ: نعم؛ هو طيرة، والطيرة شرك، وهذا من الطيرة، ولا يجوز التشاؤم نهائياً لا بهذا ولا بغيره.

السائل: شيخنا - حفظك الله - هل البخاري فعلاً روى عن مرجئ أو قدري؟

الشيخ: نعم صحيح أخرج البخاري لبعض المبتدعة، وهذا موجود.

السائل: أخرج له وهو يعرف بأنه مرجئ أم لم يظهر له؟

الشيخ: لا؛ بل أخرج له وهو يعلم بأنه مرجئ، وهذا من مذهب البخاري؛ هو الذي ذكرناه أنهم يخرجون لأمثال هؤلاء من أجل دفع المفسدة الكبرى بارتكاب المفسدة الصغرى.

السائل: شيخنا! الأثر عن الأوزاعي؛ لما جاء رجل، قال: أجالس أهل السنة وأهل البدع؛ قال له الأوزاعي: هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل.

الشيخ: نعم صحيح.

السائل: بهذا المثال شيخنا - الله يحفظك - نضرب على الذين يميعون الدين؟

الشيخ: لا شك؛ أصلاً هذا الأثر من الآثار التي تهدم أصول المميّعة؛ لأن المميعة يقولون لك: أجالس هؤلاء وأجالس هؤلاء وفي كلٍّ خير.

المشكلة أن الكلمة التي تجعلك تتعجب من هؤلاء الخلق؛ أنهم يقولون: (أنا أنظر إلى الخير الذي عنده وآخذه وأترك الشر الذي عنده)، أنت طالب، أنت جلست عنده لتستفيد منه، فتريد أن تتعلم منه الخير والشر فكيف ستفرّق؟ تريد أن تتعلم منه الحق والباطل؛ كيف ستعرف أن الذي أعطاكه حق أم باطل؟

فإذا كنت عالماً وتفرّق بين الحق والباطل؛ لماذا ذهبت تجلس عنده؟ ماذا تريد منه؟

وإذا كنت جاهلاً كيف ستفرّق بين الحق والباطل؟

الذي تدّعيه جهل عجيب في الكلام، سبحان الله!

هذا منهج السلف رضي الله عنهم؛ كلمة الأوزاعي هذه تهدم أصول المميّعة الذين هم موجودون اليوم، يريدون أن يميّعوا المنهج ويشتتوا دين الله سبحانه وتعالى ويخلطوا الحق بالباطل حتى إنك الآن تجد بعض الشباب الذي يدعي أنه سلفي؛ تجده مخلَّطاً، تجلس معه فتجد عنده أفكاراً عجيبة غريبة، حتى تكاد تجد فيه عشر فِرَق، في رجل واحد- إي والله-، يعني ربما تتعجب عندما تسمع عشر فرق؛ لكن عندما تسمع: تجده خارجياً ومرجئاً في نفس الوقت؛ هذا أشد عجباً، هذه مصيبة القوم، فكلمة الأوزاعي هذه تبين لنا الفارق في هذا الأمر، قالوا له: رجل يريد أن يجالس أهل السنة ويجالس

أهل البدع؛ قال: (هذا رجل أراد أن يساوي الحق بالباطل)، الحق والباطل لا بد أن يتميّزا، أن يفترقا.

مسألة الولاء والبراء على الكتاب والسنة مهدومة عندهم، هذا مبتدع: خلاص مبتدع لا مشكلة، اجلس معه وآكِلْه وشاربه وخالطه؛ ما عندهم أي مشكلة.

أبو عثمان الصابوني والإمام البغوي رحمهما الله قد نقلا إجماع العلماء بإجماع السلف على وجوب هجر أهل البدع ومفارقتهم وبغضهم، إجماع منقول، ولاء وبراء في دين الله، في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، نقله البغوي في "شرح السنة" ونقله أبو عثمان الصابوني في "عقيدة أصحاب الحديث" في آخر الكتاب، نقلوا الإجماع على وجوب مفارقة أهل البدع وبغضهم وهجرهم، أين نحن من هذا؟

يحرُم، محرَّمٌ أن تجلس لصاحب بدعة يلبّس عليك أمر دينك وتعرّض دينك للخطر، هذه المنهجية نجد منهج الميوعة السائد الموجود الآن ضدها تماماً، والله المستعان.

قال المؤلف: (**وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " لا عُذر لأحدٍ في ضلالة ركبها حَسِبها هدى، ولا في هدىً تركه حسبه ضلالة؛ فقد بُيّنت الأمور، وثبتت الحجة، وانقطع العذر؛ وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله، وتبين للناس؛ فعلى الناس الاتباع**).

عمر بن الخطاب غني عن التعريف[1]، هو أحد الخلفاء الراشدين الأربعة الذين قال فيهم النبي ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ"[2]، وشهد له النبي ﷺ بالعلم والديانة.

ينقل عنه المؤلف قوله: (لا عذر لأحد في ضلالة ركبها)، أي: لا يُعذر أحد في ارتكابه لبدعة (حَسبها هدى) أي: ظنّها من دين الله وأنها قُرْبة لله تبارك وتعالى، (ولا في هدى تركه حسبه ضلالة)، ولا يعذر أيضاً في ترك سنة أو ترك شيء من شرع الله ودينه؛ ظنّاً منه أنه بدعة؛ (فقد بُيِّنَت الأمور) فالسبب في عدم عذره: أن المسائل الشرعية قد بُيّنت وظهرت، وثبتت الحجة على الخلق، وانقطع العذر، فلم يعد هناك عذرٌ لحصول البيان.

قال: (وذلك أن السنّة والجماعة، قد أحكما أمر الدين كله) أي: أهل السنة والجماعة، وطريقة أهل السنة والجماعة قد أُتقِنَت، وأمر الدين قد ظهر، (وتبيّن للناس) الحق من الباطل، فما بقي على الناس إلا اتباع الدين الصحيح الذي كان عليه النبي ﷺ والصحابة الكرام.

هنا هذا الكلام يجعلنا نقف وقفتين:

الوقفة الأولى: في صحته وثبوته عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) المراد لشهرته بين المسلمين لا يحتاج لأن يُعرّف، وليس المقصود أنه غني عن التعريف مطلقاً.

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وغيرهم عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

والأثر أخرجه ابن بطة في " الإبانة "[١]، والخطيب في " الفقيه والمتفقه "[٢]، وابن شَبَّة في " تاريخ المدينة "[٣]، وغيرهم عن الأوزاعي قال: (بلغني عن عمر)، وقوله: (بلغني عن عمر) هذا إسناد يعتبر منقطعاً، فالبلاغات هذه لا يُعتَمد عليها، وأكثر ما يستعملها الإمام مالك في كتابه " الموطأ "، فمن الذي بلّغه؟ لا ندري؛ لذلك هذه الأسانيد لا يُعتمد عليها.

وأخرجه محمد بن نصر المِروَزيّ[٤] عن الأوزاعي عن عمر بن عبد العزيز، وهو منقطع أيضاً.

فكلاهما لا يصح.

ومعنى الأثر: لا عذر لأحد في ترك سنة ظنها بدعة، ولا في فعل بدعة ظنها سنة، ولا في ارتكاب ما يخالف الشرع ظناً أنه موافِقٌ وجائز.

أما الوقفة الثانية: فهي مسألة العذر بالجهل؛ وهذه مسألة مهمة قبل أن نتطرق إليها نذكر مسائل:

الأولى: ما هي البدعة؟

عرّفناها في الدرس الماضي وقلنا بأن البدعة: أيّ عبادة من العبادات تتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى وليس لها أصل في الكتاب والسنة، فعلى ذلك: البدعة تكون في الاعتقاد وتكون في القول وتكون في العمل؛ لأن العبادات اعتقادية وقولية وعملية.

---

(١) (٣٢٠/١).
(٢) (٣٨٣/١).
(٣) (٨٠٠/٣).
(٤) "السنة" (ص ٣١).

وحكمها في الشرع معروف وهو التحريم، وهي كبيرة من كبائر الذنوب لقول النبي ﷺ:"كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"، وكما علمنا في الدرس الماضي أن تقسيم البدعة إلى بدعة سيئة وبدعة حسنة؛ تقسيم باطل لا أصل له كما فصّلنا الكلام هناك.

مسألة: من هو الشخص الذي يُحكم عليه بالبدعة؟

يؤصل لنا هذه المسألة الإمام نُعَيم بن حماد؛ فيقول: (من ترك حديثاً معروفاً لم يَعمل به وأراد له علة؛ فهو مبتدع)(١)، إذاً المبتدع هو الذي يرتكب بدعة يخالف بها الأدلة المُحكَمَة فيكون قد تعلّق بالمتشابهات وترك المحكمات، هذا الذي يسمّى بالمبتدع، سواء كان ذلك في العقيدة أو كان في الفقه؛ لا فرق، ومن يحصر البدعة بالعقيدة ولا يوصف الشخص عنده بالبدعة إلا أن يكون قد ابتدع في العقيدة فقوله غير صحيح وليس موافقاً لما كان عليه السلف رضي الله تعالى عنهم.

نرجع الآن إلى مسألة تحقُّق الشروط وانتفاء الموانع في تنزيل الحكم على المعيَّن:

عرفنا ما هي البدعة، ومتى يكون الشخص مبتدعاً، لكن هذا حكم عامٌّ، والأحكام العامة تختلف عند تطبيقها على المعينين؛ فعندما تقول: هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر أو فِسق أو بدعة، إذا عمل الشخص عملاً كفرياً أو قال قولاً كفرياً أو اعتقد، كذلك مسألة الفسق والبدعة؛ هل يُحكَم عليه مباشرة بها، أم إن هناك شروط وموانع لذلك؟

إذا فَعلَ الفعل وكان فسقاً؛ يقال بأنه وقع في الفسق أو وقع في الكفر أو وقع في البدعة، ثم بعد ذلك عندنا شروط وموانع، إذا تحقّقت؛ حكمنا عليه بهذه الأمور، وإذا لم تتحقق؛

---

(١) "الفقيه والمتفقه" للخطيب البغدادي (١/٣٨٦).

لم يُحكَم عليه بذلك، هذه الأشياء تسمى عند العلماء بالشروط والموانع، فيقولون: لا بد من تحقق الشروط وانتفاء الموانع قبل تنزيل الحكم على المعين، فعندهم فرق بين أن تُطلق الحكم فتعطي حكماً عامّاً، وبين أن تنزّل الحكم على الأشخاص المعيّنين.

ما هي هذه الشروط والموانع؟

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: (**وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين: أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجِبٌ للكفر أو الفسق**) يعني لا بد - بدايةً - قبل أن تنزِّلَ الحكم على الشخص المعين أن تثبت أن هذا الفعل أو القول أو الاعتقاد كفر أو فسق، والبدعة طبعاً قسمان: إما بدعة مكفِّرة أو بدعة مفسِّقة، أو يكون العمل كفراً وليس بدعة أو فسقاً وليس بدعة؛ يكون هكذا ويكون هكذا؛ فالكلام على كل هذا.

إذاً الأمر الأول: نحتاج إلى أن نتأكد أن الفعل هذا هو في نفسه كفر أو بدعة أو فسق.

ثم قال الشيخ ابن عثيمين: (**الثاني: انطباقُ هذا الحكم على القائل المعَيَّن أو الفاعل المعيّن؛ بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقّه وتنتفي الموانع**)، إذاً هنا يؤكد لنا الشيخ أنه لا بد أن يتحقق عندنا أمران:

الأمر الأول: أن تُثبِت بأدلة الكتاب والسنة بأن الاعتقاد أو القول أو العمل كفر أو فسق أو بدعة.

الأمر الثاني: هو أن تتحقق الشروط وتنتفي الموانع في حق الشخص المعين حتى تنزّل هذا الحكم على ذاك الشخص.

نبدأ بأول الشروط والموانع:

المانع الأول من موانع التكفير والتفسيق والتبديع:

عدم التكليف، إذاً الشرط الأول: هو التكليف، فكل مانع ضدّه شرط، هنا عندنا المانع عدم التكليف، فالشرط: التكليف.

يعني أن الشخص إذا وقع منه الكفر أو وقع منه الفسق أو وقعت منه البدعة، إذا لم يكن مكلَّفاً فلا تنزّل الحكم عليه، لا بد أن يكون مكلفاً؛ هذا شرط، كالصبي والمجنون مثلاً؛ هؤلاء غير مكلفين، فإذا وقعوا في الكفر أو الفسق أو البدعة لا يوصفون بها؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبُرَ"[(١)] وفي رواية:" وعن المجنون حتى يعقل"[(٢)].

إذاً الشاهد من الحديث: هو أن الشخص إذا لم يكن مكلّفاً؛ كان القلم مرفوعاً عنه، أي: الحكم مرفوعٌ عنه، فهو غير مكلف بالأحكام الشرعية.

قال ابن المنذر: (وأجمعوا أن المجنون إذا ارتدَّ في حال جنونه؛ أنه مسلم على ما كان قبل ذلك)[(٣)]

وقال ابن قدامة في "المغني"[(٤)]: (إنَّ الرِّدَّةَ لَا تَصِحُّ إلَّا مِنْ عَاقِلٍ، فَأَمَّا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ، كَالطِّفْلِ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ، وَالْمَجْنُونِ، وَمَنْ زَالَ عَقْلُهُ بِإِغْمَاءٍ، أَوْ نَوْمٍ، أَوْ مَرَضٍ، أَوْ شُرْبِ دَوَاءٍ يُبَاحُ شُرْبُهُ، فَلَا تَصِحُّ رِدَّتُهُ، وَلَا حُكْمَ لِكَلَامِهِ، بِغَيْرِ خِلَافٍ) ثم نقل كلام ابن المنذر المتقدم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٧٠٣)، وأبو داود (٤٣٩٨)، والنسائي (٣٤٣٢) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد (٩٥٦)، وأبو داود (٤٤٠٣) عن علي رضي الله عنه، والنسائي (٣٤٣٢)، وابن ماجه (٢٠٤١) عن عائشة بلفظ: "وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق"، وغيرهم وصححه جمعٌ من أهل العلم.

(٣) "الإجماع" (ص١٣٢).

(٤) (٤/٩).

فالنُّقولات كثيرة لكن نختصر بهذه فقط.

إذاً هذا هو المانع الأول، وهو: عدم التكليف.

المانع الثاني: هو الجهل والخطأ والنسيان.

نبدأ مع قضية الجهل بذكر الأدلة من الآيات وهي كثيرة، فنختصر بذكر بعضها.

والجهل الذي نتحدث عنه الآن سواء كان جهلاً في مسائل الاعتقاد أو غيرها- لا فرق- وإن كان البعض يفرّق – وقد نبّهْنا على هذا-، لكن الصحيح أنه لا فرق كما سيأتي إن شاء الله من أقوال السلف ومن قول ابن تيمية رحمه الله.

أما الدليل الأول الذي استدل به من قال بالعذر بالجهل فهو قول الله تبارك وتعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}(١) فكل ما يستحق العبد العذاب عليه لا يقع العذاب عليه بسببه حتى يصله البلاغ بأن هذا الشيء محرّم ولا تفعل هذا الشيء.

ما الذي يستحق الشخص العذاب عليه؟

الكفر أو الفسق أو البدعة؛ فيشمل هذا كله.

ومن الأدلة: قول الله تبارك وتعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}(٢)، فقال: {مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى } أي: من بعد أن بُيِّنَت له الحقيقة وبيّنت له الأدلة.

وأيضاً قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ}(٣)

---

(١) [الإسراء:١٥].

(٢) [النساء:١١٥].

(٣) [التوبة:١١٥].

والآيات في هذا المعنى كثيرة ذكرها الشيخ محمد أمين الشنقيطي في "أضواء البيان"(١) عند تفسير قول الله تبارك وتعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}.

أما الآثار عن السلف رضي الله عنهم- وقد ذكرنا فقط بعض الآثار التي هي في مسائل الاعتقاد-، فإذا ثبت العذر بالجهل في مسائل الاعتقاد؛ فغيره من باب أولى.

أولاً: ما ذكره ابن حزم في كتاب: "المحلّى"(٢) ناقلاً الإجماع: (وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ امْرَأً لَوْ أَسْلَمَ وَلَمْ يَعْلَمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ فَاعْتَقَدَ أَنَّ الْخَمْرَ حَلَالٌ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ صَلَاةٌ، وَهُوَ لَمْ يَبْلُغْهُ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ كَافِراً بِلَا خِلَافٍ يُعْتَدُّ بِهِ، حَتَّى إذَا قامت عَلَيْهِ الْحُجَّةُ فَتَمَادَى حِينَئِذٍ بِإِجْمَاعِ الْأُمَةِ فَهُوَ كَافِرٌ)

متى يكفر؟ عندما تُقام عليه الحجة، وهذا كلام ينقله ابن حزم بالاتفاق.

وقال ابن تيمية رحمه الله(٣): (وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْأَئِمَّةُ عَلَى أَنَّ مَنْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَكَانَ حَدِيثَ الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ فَأَنْكَرَ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَإِنَّهُ لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (لله تعالى أسماء وصفات، جاءَ بِها كِتابُهُ، وأخبرَ بها نبيُّه أُمَّتَهُ، ولا يَسَعُ أَحَدَاً مِنْ خَلْقِ الله قامَتْ عليهِ الحُجَّةُ رَدّها؛ لأنَّ القُرآنَ نَزَلَ بِها، وصَحَّ عَنْ رَسولِ الله ﷺ القَوْلُ بها فيما روى عنه العُدُولُ، فإنْ خَالَفَ ذلِكَ بَعْدَ ثُبوتِ الحُجَّةِ عليه؛ فهو كافِرٌ، فأمَّا قَبْلَ ثُبوتِ الحُجَّةِ عليه فمَعْذورٌ بالجَهْلِ؛ لأنَّ عِلْمَ ذلِكَ لا يُدْرَكُ

---

(١) (٣/٧١- فما بعدها).
(٢) (١٢/١٣٥).
(٣) "مجموع الفتاوى" (١١/٤٠٧).

بالعقل، ولا بالرؤيَّةِ والقَلْبِ والفِكْرِ. ولا نُكَفِّرُ بِالجَهْلِ أَحداً إلا بَعْدَ انْتِهاءِ الخَبَرِ إِليه) انتهى. ذكر هذا ابن أبي حاتم في "مناقب الشافعي"، وإسناده صحيح.

وقال الإمام أحمد في الواقفة- وهم الذين لا يقولون القرآن مخلوق ولا غير مخلوق-؛ قال: (أَمَّا مَنْ كَانَ لَا يَعْقِلُ، فَإِنَّهُ يُبَصَّرُ، وَإِنْ كَانَ يَعْقِلُ وَيُبْصِرُ الْكَلَامَ، فَهُوَ مِثْلُهُمْ)[1] يعني: إن كان يفهم الكلام؛ فهو مثلهم، (أَمَّا مَنْ كَانَ لَا يَعْقِلُ، فَإِنَّهُ يُبَصَّرُ) يعني من كان لا يفهم هذه المسائل فإنه يُعلَّم.

وسُئل أيضاً، قيل له: فَمَن وقف؟ قال: (يُقَالَ لَهُ، وَيُكَلَّمُ فِي ذَاكَ، فَإِنْ أَبَى هُجِرَ)[2]

وقال الدارمي في رده على المرّيسيّ: (لَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ بِكُفْرِكَ قَدِيماً، وَحُكِيَ لِي بَعْضُهُ عَنْكَ، وَمَا كنت أظن أَنَّكَ تَعْتَقِدُ مِنْ أَنْوَاعِ الكُفْرِ كُلّ مَا رَوَى عَنْكَ الْمُعَارِضُ، وَمَا إِخَالُه يَعْقِلُ معَاني كَلَامِكَ، وَمَا يُؤَدِّيكَ إِلَى صَرِيحِ الكُفْرِ، فَإِنْ هُوَ عَقِلَهُ وَاعْتَقَدَهُ؛ فَهُوَ مِثْلُكَ؛ إِذْ يَعْتَقِدُهُ ثُمَّ يَبُثُّهُ وَيَنْشُرُهُ لِلْعَوَامّ)[3]

هذا ما وقفنا عليه من كلام السلف في مسألة العذر بالجهل.

وأما ما نُقِلَ عن ابن تيمية رحمه الله فقال: (وَمَنْ جَحَدَ وُجُوبَ بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ؛ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، أَوْ جَحَدَ تَحْرِيمَ بَعْضِ الْمُحَرَّمَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ؛ كَالْفَوَاحِشِ، وَالظُّلْمِ، وَالْخَمْرِ، وَالْمَيْسِرِ، وَالزِّنَا وَغَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ جَحَدَ حِلّ بَعْضِ الْمُبَاحَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ؛ كَالْخُبْزِ، وَاللَّحْمِ، وَالنِّكَاحِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ؛ وَإِلَّا قُتِلَ، وَإِنْ أَضْمَرَ ذَلِكَ)

---

(١) رواه الخلال في "السنة" (١٣١/٥ برقم ١٧٩٠).

(٢) "السنة" للخلال (١٤٤/٥ رقم ١٨١٦).

(٣) "نقض الدارمي على المريسي" (٣١٣/١).

يعني جعله في قلبه ولم يظهره.

قال: (كَانَ زِنْدِيقاً مُنَافِقاً لَا يُسْتَتَابُ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ؛ بَلْ يُقْتَلُ بِلَا اسْتِتَابَةٍ إذَا ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْهُ. وَمِنْ هَؤُلَاءِ)يعني غلاة الصوفية (مَنْ يَسْتَحِلُّ بَعْضَ الْفَوَاحِشِ؛ كَاسْتِحْلَالِ مُؤَاخَاةِ النِّسَاءِ الْأَجَانِبِ، وَالْخُلُوِّ بِهِنَّ زَعْماً مِنْهُ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُنَّ الْبَرَكَةُ بِمَا يَفْعَلُهُ مَعَهُنَّ وَإِنْ كَانَ مُحَرَّماً فِي الشَّرِيعَةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ يَسْتَحِلُّ ذَلِكَ مِنْ المردان وَيَزْعُمُ أَنَّ التَّمَتُّعَ بِالنَّظَرِ إلَيْهِمْ وَمُبَاشَرَتِهِمْ هُوَ طَرِيقٌ لِبَعْضِ السَّالِكِينَ حَتَّى يَتَرَقَّى مِنْ مَحَبَّةِ الْمَخْلُوقِ إلَى مَحَبَّةِ الْخَالِقِ وَيَأْمُرُونَ بِمُقَدِّمَاتِ الْفَاحِشَةِ الْكُبْرَى، وَقَدْ يَسْتَحِلُّونَ الْفَاحِشَةَ الْكُبْرَى كَمَا يَسْتَحِلُّهَا مَنْ يَقُولُ: إنَّ التلوط مُبَاحٌ بِمِلْكِ الْيَمِينِ؛ فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ كُفَّارٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَسْتَحِلُّ قَتْلَ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَسْبِي حَرِيمَهُمْ، وَيَغْنَمُ أَمْوَالَهُمْ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي يُعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ الْمُحَرَّمَاتِ تَحْرِيماً ظَاهِراً مُتَوَاتِراً.

لَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ جَاهِلًا بِبَعْضِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ جَهْلًا يُعْذَرُ بِهِ)

لاحظ قوله: جهلاً يُعذر به؛ فالجهل كما سيأتي قسمان: جهل يعذر به صاحبه، وجهل لا يعذر به.

قال: (فَلَا يُحْكَمُ بِكُفْرِ أَحَدٍ حَتَّى تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ مِنْ جِهَةِ بَلَاغِ الرِّسَالَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}(١)، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}؛ وَلِهَذَا لَوْ أَسْلَمَ رَجُلٌ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الصَّلَاةَ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ؛ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الْخَمْرَ يَحْرُمُ؛ لَمْ يَكْفُرْ بِعَدَمِ اعْتِقَادِ إيجَابِ هَذَا وَتَحْرِيمِ هَذَا؛ بَلْ وَلَمْ يُعَاقَبْ حَتَّى تَبْلُغَهُ الْحُجَّةُ النَّبَوِيَّةُ. بَلْ قَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيمَنْ أَسْلَمَ بِدَارِ الْحَرْبِ) يعني دار الكفر (وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الصَّلَاةَ

(١) [النساء:١٦٥].

وَاجِبَةٌ ثُمَّ عَلِمَ؛ هَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ قَضَاءُ مَا تَرَكَهُ فِي حَالِ الْجَهْلِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ..)

إلى أن قال: (وَالثَّانِي: يَجِبُ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ؛ بَلْ النِّزَاعُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي كُلِّ مَنْ تَرَكَ وَاجِباً قَبْلَ بُلُوغِ الْحِجَّةِ: مِثْلُ تَرْكِ الصَّلَاةِ عِنْدَ عَدَمِ الْمَاءِ يَحْسَبُ أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَصِحُّ بِتَيَمُّمٍ..) إلى آخر ما ذكر من المسائل الفقهية.

ثم قال: (وَأَصْلُ ذَلِكَ: هَلْ يَثْبُتُ حُكْمُ الْخِطَابِ فِي حَقِّ الْمُكَلَّفِ قَبْلَ التَّمَكُّنِ مِنْ سَمَاعِهِ؟ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ فِي مَذْهَبِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ، قِيلَ: يَثْبُتُ مُطْلَقاً، وَقِيلَ: لَا يَثْبُتُ مُطْلَقاً، وَقِيلَ: يُفَرَّقُ بَيْنَ الْخِطَابِ النَّاسِخِ، وَالْخِطَابِ الْمُبْتَدِئِ، كَأَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَالصَّحِيحُ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ الْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ: أَنَّ الْخِطَابَ لَا يَثْبُتُ فِي حَقِّ أَحَدٍ قَبْلَ التَّمَكُّنِ مِنْ سَمَاعِهِ، فَإِنَّ الْقَضَاءَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي الصُّوَرِ الْمَذْكُورَةِ وَنَظَائِرِهَا مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى انْتِفَاءِ الْإِثْمِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَفَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْ الْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي التَّأْثِيمِ فَكَيْفَ فِي التَّكْفِيرِ، وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ قَدْ يَنْشَأُ فِي الْأَمْكِنَةِ وَالْأَزْمِنَةِ الَّذِي يَنْدَرِسُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ عُلُومِ النُّبُوَّاتِ حَتَّى لَا يَبْقَى مَنْ يُبَلِّغُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رسوله)

هذه مسألة مهمة؛ وهي: أن بعض الناس ينشؤون في أمكنة وفي أزمنة لا يكون فيها العلم النبوي، لا يكون فيها علماء يقيمون الحجة على الناس بحيث يتعلم الناس شرع الله ودينه.

قال: (قَدْ يَنْشَأُ فِي الْأَمْكِنَةِ وَالْأَزْمِنَةِ الَّذِي يَنْدَرِسُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ عُلُومِ النُّبُوَّاتِ حَتَّى لَا يَبْقَى مَنْ يُبَلِّغُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ فَلَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا يَبْعَثُ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَلَا يَكُونُ هُنَاكَ مَنْ يُبَلِّغُهُ ذَلِكَ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَكْفُرُ؛ وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْأَئِمَّةُ عَلَى أَنَّ مَنْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ)

لاحظ قوله هنا: (وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْأَئِمَّةُ عَلَى أَنَّ مَنْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَكَانَ حَدِيثَ الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ فَأَنْكَرَ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ).

ثم ذكر المؤلف صوراً مما يكفر به الشخص إذا فعله من صلاة وزكاة وغيرها إلى أن قال: (وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ مَا أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "قَالَ رَجُلٌ -لَمْ يُعَجِّلْ حَسَنَةً قَطُّ-")

يعني لم يكن له حسنات يقدمها بين يدي آخرته.

قال: ("لأهله: إذا مات فحرّقوه ثُمَّ ذروا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ؛ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنهُ عَذَاباً لَا يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنْ الْعَالَمِينَ.." (١))

رجل كانت له سيئات كثيرة ولم تكن له حسنات، فقال لأهله عند موته: إذا أنا متّ فحرّقوني ثم ذروا نصفي في البحر ونصفي في البر؛ ظناً منه أنه إذا فعل ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يقدر على أن يجمعه؛ فقال: والله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، آمَنَ بعذاب الله ولكنه كفر بقدرة الله سبحانه وتعالى على أن يجمعه من جديد وعلى أن يبعثه.

قال: ("فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْت هَذَا؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِك يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ؛ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ")

مع أنه شكّ في قدرة الله؛ وهذا كفر، ومع ذلك عذره ربنا تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٦)، ومسلم (٢٧٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وذكر ابن تيمية رحمه الله روايات مختلفة لهذا الحديث، ثم قال رحمه الله: (فَهَذَا الرَّجُلُ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إذَا تَفَرَّقَ هَذَا التَّفَرُّق، فَظَنَّ أَنَّهُ لَا يُعِيدُهُ إذَا صَارَ كَذَلِكَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ إنْكَارِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْكَارِ مَعَادِ الْأَبْدَانِ وَإِنْ تَفَرَّقَتْ كُفْرٌ).

فهذا كفر وهذا كفر.

قال: (لَكِنَّهُ كَانَ مَعَ إيمَانِهِ بِاَللَّهِ وَإِيمَانِهِ بِأَمْرِهِ وَخَشْيَتِهِ مِنْهُ جَاهِلاً بِذَلِكَ ضَالاً فِي هَذَا الظَّنِّ مُخْطِئًا، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ، وَالْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الرَّجُلَ طَمِعَ أَنْ لا يُعِيدَهُ إذَا فَعَلَ ذَلِكَ وَأَدْنَى هَذَا أَنْ يَكُونَ شَاكاً فِي الْمعَادِ وَذَلِكَ كُفْرٌ - إذَا قَامَتْ حُجَّةُ النُّبُوَّةِ عَلَى مُنْكِرِهِ حُكِمَ بِكُفْرِهِ - هُوَ بَيِّنٌ فِي عَدَمِ إيمَانِهِ بِاَللَّهِ تَعَالَى).

ثم أخذ يرد على من تأوّل هذا الحديث، ثم قال: (وَدَلَائِلُ فَسَادِ هَذَا التَّحْرِيفِ كَثِيرَةٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا، فَغَايَةُ مَا فِي هَذَا: أَنَّهُ كَانَ رَجُلاً لَمْ يَكُنْ عَالِماً بِجَمِيعِ مَا يَسْتَحِقُّهُ اللَّهُ مِنْ الصِّفَاتِ وَبِتَفْصِيلِ أَنَّهُ الْقَادِرُ، وَكَثِيرٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ يَجْهَلُ مِثْلَ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ كَافِراً، وَمَنْ تَتَبَّعَ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ؛ وَجَدَ فِيهَا مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مَا يُوَافِقُهُ، كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

إذاً ابن تيمية ذكر لنا الدليل الأول وهو في العقيدة خِصّيصاً؛ العذر بالجهل في العقيدة، والآن سيذكر لنا الدليل الثاني، وهو في "صحيح مسلم" عن عائشة رضي الله عنها.

قال: (قَالَتْ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْنَا: بَلَى قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَبَسَطَ طَرَفَ إزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ وَاضْطَجَعَ فَلَمْ يَلْبَثْ إلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنِّي رَقَدْت)

يعني كان النبي ﷺ في هيئته أنه يريد أن ينام وبقي على حاله إلى أن ظن أنها نامت، (فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْداً) يعني شيئاً فشيئاً كي لا تستيقظ، (وَانْتَقَلَ رُوَيْداً وَفَتَحَ الْبَابَ رُوَيْداً) كلها شوي شوي؛ حتى لا تستيقظ عائشة، (فَخَرَجَ ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْداً)، يعني أغلق الباب شوي شوي، (فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي وَاخْتَمَرْت)، كانت هي مستيقظة فلبسَتْ وخرجت خلف النبي ﷺ، (وَتَقَنَّعْت إزَارِي ثُمَّ انْطَلَقْت عَلَى إثْرِهِ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ)- لا تلوموا النساء في الغيرة، (حتى جاء البقيع) يعني المكان الذي يدفنون فيه، (فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ انْحَرَفَ) يعني التفّ يريد أن يرجع، (فَانْحَرَفْت وَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْت فَهَرْوَلَ وَهَرْوَلْت وَأَحْضَرَ وَأَحْضَرْت فَسَبَقْته فَدَخَلْت فَلَيْسَ إلَّا أَنْ اضْطَجَعْت فَقَالَ: "مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ حَشِيّاً رَابِيَةً؟" قَالَتْ: لَا شَيْءَ) يعني: هيئتك أنك ما كنت نائمة، عندك شيء قالت: لا شيء، قَالَ: "لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ". قَالَتْ: قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَأَخْبَرْته. قَالَ: "فَأَنْتَ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْت أَمَامِي؟" قُلْت: نَعَمْ، فَلَهَزَنِي فِي صَدْرِي لَهْزَةً أَوْجَعَتْنِي) يعني: ضربة خفيفة، (ثُمَّ قَالَ: "أَظَنَنْت أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْك وَرَسُولُهُ؟" قَالَتْ: قُلْت مَهْمَا يَكْتُمْ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ؟) هذا الشاهد، انظروا ماذا قالت هنا؟ قالت: (مَهْمَا يَكْتُمْ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ؟)؛ تسأل، (قَالَ: "نَعَمْ فَإِنَّ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَتَانِي حِينَ رَأَيْت فَنَادَانِي - فَأَخْفَاهُ مِنْك فَأَجَبْته وَأَخْفَيْته مِنْك وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْك وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَك وَظَنَنْت أَنَّك رَقَدْت وَكَرِهْت أَنْ أُوقِظَك وَخَشِيت أَنْ تَسْتَوْحِشِي - فَقَالَ: إنَّ رَبَّك يَأْمُرُك أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ". قُلْت: كَيْفَ أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ ... إلى آخر الحديث)

قال ابن تيمية: (فَهَذِهِ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ: سَأَلَتْ النَّبِيَّ ﷺ: هَلْ يَعْلَمُ اللَّهُ كُلَّ مَا يَكْتُمُ النَّاسُ؟ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ نَعَمْ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ذَلِكَ وَلَمْ تَكُنْ قَبْلَ مَعْرِفَتِهَا بِأَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ يَكْتُمُهُ النَّاسُ كَافِرَةً)

يعني شكت في علم الله الكامل، ما كانت تعلم به، ومع ذلك ما كانت كافرة

قال: (وَإِنْ كَانَ الْإِقْرَارُ بِذَلِكَ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ).

يعني هذه القضية؛ مسألة الإقرار بعلم الله الكامل هذه من أصول الإيمان، فَمَن أنكرها كفَر، لكن مع ذلك هي ما كانت كافرة.

قال: (وَإِنْكَارِ عِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ كَإِنْكَارِ قُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هَذَا مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ اللَّوْمَ عَلَى الذَّنْبِ وَلِهَذَا لَهَزَهَا النَّبِيُّ ﷺ)

يعني كانت مكلّفة ولأجل تكليفها لهزها النبي ﷺ، يعني ضربها ضربة خفيفة؛ لأجل ما فعلَتْه ولم يعاتبها النبي ﷺ على عدم علمها بكمال علم الله تبارك وتعالى.

قال: (وَقَالَ: أَتَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْك وَرَسُولُهُ وَهَذَا الْأَصْلُ مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ كُفْرٌ وَلَكِنَّ تَكْفِيرَ قَائِلِهِ لَا يُحْكَمُ بِهِ حَتَّى يَكُونَ قَدْ بَلَغَهُ مِنْ الْعِلْمِ مَا تَقُومُ بِهِ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي يَكْفُرُ تَارِكُهَا)(١)

والنقولات عن ابن تيمية في هذا كثيرة، سأكتفي بنقل واحد آخر فقط؛ وهو قوله: (فَإِذَا رَأَيْت إمَاماً قَدْ غَلَّظَ عَلَى قَائِلِ مَقَالَتِهِ)

أي: شد عليه في الإنكار عليه في مقالته التي قالها.

(١) "مجموع الفتاوى" (١١/٤٠٧-٤١٣).

قال: (أَوْ كَفَّرَهُ فِيهَا فَلَا يُعْتَبَرُ هَذَا حُكْماً عَامّاً فِي كُلِّ مَنْ قَالَهَا)

أي: ليس معنى ذلك أنني إذا كفرت زيداً من الناس بكلمة قالها؛ فقلت: هو كافر، ليس معنى ذلك أن تأخذ هذا وتنزله على كل من قال هذا القول.

قال: (إلَّا إذَا حَصَلَ فِيهِ الشَّرْطُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ التَّغْلِيظَ عَلَيْهِ وَالتَّكْفِيرَ لَهُ؛ فَإِنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئاً مِنْ الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ وَكَانَ حَدِيثَ الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ أو نشأ ببلد جهل)

لاحظ قوله: (وكان حديث عهد بالإسلام) وهذا طبعاً ليس كلام ابن تيمية أصالة؛ بل كلام مَن سَلَفه، قد نصَّ على هذا القيد بالذات الإمام الشافعي في كتابه "الأم"، لماذا ذكر بالذات (حديث العهد بالإسلام)؟ لأن مثله يخفى عليه مثل هذه، لا زال لم يتعلم، لم يبقَ بين المسلمين لدرجة أن يتعلم هذه المسائل، أو نشأ ببلد جَهْلٍ أو بلد بعيدة عن بلاد الإسلام؛ مثله في الغالب يجهل هذه المسائل، مثل هذا هو الذي يعذر، أما أن يكون في بلاد المسلمين وبين المسلمين ويأتي ويقول: أنا لا أعرف أن الخمر حرام مثلاً؛ لا يصدَّق بمثل هذا، وإن صُدِّق وكان فعلاً ليس بعالم بحرمة الخمر، فعدم علمه لعدم تعلُّمه؛ فهو المقصر وهو الذي يؤاخذ، يعني يكون هو الذي قصّر في حق نفسه.

قال: (لَا يَكْفُرُ حَتَّى تَبْلُغَهُ الْحُجَّةُ النَّبَوِيَّةُ. وَكَذَلِكَ الْعَكْسُ إذَا رَأَيْت الْمَقَالَةَ الْمُخْطِئَةَ قَدْ صَدَرَتْ مِنْ إمَامٍ قَدِيمٍ فَاغْتُفِرَتْ).

لاحظ! المقالة المخطئة يعني مقالة خطأ؛ مقالة كفرية أو مقالة بدعة أو مقالة فيها فسق، صدرت من إمام متقدم فاغتُفرت له، لكنها إذا صدرت ممن جاء متأخراً لا تُغتَفَر؛ لماذا؟

قال: (قَدْ صَدَرَتْ مِنْ إمَامٍ قَدِيمٍ فَاغْتُفِرَتْ لِعَدَمِ بُلُوغِ الْحُجَّةِ لَهُ؛ فَلَا يُغْتَفَرُ لِمَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ مَا اُغْتُفِرَ لِلْأَوَّلِ؛ فَلِهَذَا يُبَدَّعُ مَنْ بَلَغَتْهُ أَحَادِيثُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَحْوِهَا إذَا أَنْكَرَ ذَلِك)

لاحظ هنا! كلام ابن تيمية في مسألة التكفير والتبديع واحد.

قال: (فَلَا يُغْتَفَرُ لِمَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ مَا اُغْتُفِرَ لِلْأَوَّلِ فَلِهَذَا يُبَدَّعُ مَنْ بَلَغَتْهُ أَحَادِيثُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَحْوِهَا إذَا أَنْكَرَ ذَلِكَ وَلَا تُبَدَّعُ عَائِشَةُ وَنَحْوُهَا مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ بِأَنَّ الْمَوْتَى يَسْمَعُونَ فِي قُبُورِهِمْ؛ فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ فَتَدَبَّرْهُ فَإِنَّهُ نَافِعٌ)(١)

هذا ما يتعلق بمسألة العذر بالجهل، والنقول عندي طويلة ستأخذ منا وقتاً طويلاً، نكتفي بهذا القدر منها في مسألة العذر بالجهل.

تبقى عندنا قضية الخطأ والنسيان، كذلك الخطأ والنسيان يُعذَر صاحبه بالجهل، كما قال غير واحد من أهل العلم.

ومنها قول ابن العربي: (فالجاهل والمخطئ من هذه الأمة، ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً؛ فإنّه يعذر بالجهل والخطأ حتى يتبيّن له الحجة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً لا يلتبس على مثله).

هذه مقولة تتعلق بالجهل والخطأ.

تنبيه في مسألة الجهل:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (الجاهل بما يترتب على المخالفة غير معذور إذا كان عالماً بأن فعله مخالف للشرع كما تقدم دليله)

(١)"مجموع الفتاوى" (٦/٦١).

عندنا فرق بين أن يكون الجاهل جاهلاً بالحكم وجاهلاً بما يترتب على الفعل، مثلاً: كما جاء في قول الله تبارك وتعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }[١] هنا في الآية لم يكن هؤلاء القوم عند أنفسهم قد أتوا بشيء كفري، فلم يعلموا أن هذا الفعل الذي فعلوه كفر؛ لذلك قالوا: {إنما كنا نخوض ونلعب}، لكنهم كانوا يعلمون أن هذا الفعل محرم ويكفي منهم العلم بالتحريم كي يقع الكفر عليهم، فلا يُشترط أن يعرف الشخص ما هي العاقبة في هذا الفعل، فإذا علم أنه محرّم اكتفينا بهذا؛ هنا زال عنه الجهل، هذا هو الجهل المعتبر، وهذه المسألة هي دليلها.

قال ابن تيمية رحمه الله: (فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ قَدْ أَتَوْا كُفْرًا بَلْ ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِكُفْرِ فَبَيَّنَ أَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ بِاَللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُفْرٌ يَكْفُرُ بِهِ صَاحِبُهُ بَعْدَ إيمَانِهِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ إيمَانٌ ضَعِيفٌ فَفَعَلُوا هَذَا الْمُحَرَّمَ الَّذِي عَرَفُوا أَنَّهُ مُحَرَّمٌ وَلَكِنْ لَمْ يَظُنُّوهُ كُفْرًا وَكَانَ كُفْرًا كَفَرُوا بِهِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَعْتَقِدُوا جَوَازَهُ)[٢]

إذاً الجهل الذي يعتبر أن يكون الشخص جاهلاً بتحريم الفعل لا بما يترتب عليه؛ هل هو كفر أو ليس بكفر وما هو عذابه في الآخرة؟ هذا كله لا يعنينا، الذي يعنينا: هل علم أن هذا محرم أم لم يعلم؟

هذا الذي أردنا التنبيه عليه في مسألة الجهل.

بقي عندنا المانع الآخر وهو الإكراه

---

(١) [التوبة:٦٥-٦٦].

(٢) "مجموع الفتاوى" (٢٧٣/٧).

قال الإمام البغوي رحمه الله: (وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى: أَنْ مَنْ أُكْرِهَ عَلَى كَلِمَةِ الْكُفْرِ، يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقُولَ بِلِسَانِهِ) يعني: يقول الكفر بلسانه (وَإِذَا قَالَ بِلِسَانِهِ غَيْرَ مُعْتَقِدٍ لَا يَكُونُ كُفْراً، وَإِنْ أَبَى أَنْ يَقُولَ حَتَّى قُتِلَ كَانَ أَفْضَلَ) [١]

يعني إذا امتنع عن الكفر حتى لو كان مكرهاً كان أفضل، ويجوز له أن يقول كلمة الكفر في حال الإكراه؛ ولكن يبقى قلبه مطمئناً بالإيمان.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: (وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً أَسَرَهُ الْعَدُوُّ فَأَكْرَهَهُ عَلَى الْكُفْرِ لَمْ تَبِنْ مِنْهُ امْرَأَتُهُ)

يعني لم تنفصل عنه؛ بينما الأصل أن الشخص إذا كفر انفصلت عنه زوجته تلقائياً؛ لأن المسلمة لا تبقى تحت الكافر.

قال: (وَلَمْ يُحْكَمْ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ حُكْمِ الْمُرْتَدِّ، قَدْ أُكْرِهَ بَعْضُ مَنْ أَسْلَمَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْكُفْرِ فَقَالَهُ ثُمَّ جاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ مَا عُذِّبَ بِهِ فَنَزَلَ فِيهِ هَذَا)[٢]

يعني آية: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، إذاً هنا من الذي تُوُعِّد بالعذاب؟ هو الذي انشرح صدراً بالكفر، يعني: لم يكن كفره مجرد تلفّظ بسبب الإكراه؛ وإنما كان مطمئناً بذلك، أما من ظهر منه الكفر بسبب الإكراه؛ هذا يكون معذوراً في ذلك.

الأمر الأخير الذي نريد أن ننبه عليه هو مسألة قصد الفعل:

---

(١) "تفسير البغوي" (٥/٤٦).

(٢) "تفسير الإمام الشافعي" (٢/١٠٩١).

من موانع التكفير والتبديع والتفسيق: عدم إرادة الفعل.

إياك أن تزلّ في هذه، هناك فَرْقٌ بين عدم إرادة الفعل وعدم إرادة الكفر، لا نتحدث عن عدم إرادة الكفر، فإنه إذا علم أن الفعل محرّم وفعله وإن لم يُرِد الكفر؛ كفر.

رجل يعلم أن سبّ الله محرّم وسَبَّ الله ولا يريد هو أن يكفر لكنه سب الله؛ يكفر بهذا، هذه المسألة ما لنا علاقة بها الآن؛ نحن نتحدث الآن عن إرادة الفعل؛ شخص فعل فعلاً وهو لا يريد أن يفعله؛ هل يكفر بهذا الفعل، والفعل كفرٌ؟

مثلاً: شخص يمشي فداس على المصحف وهو لا يدري أنه مصحف، هل أراد الفعل الكفري؟ ما أراده.

شخص رأى المصحف أمامه فوضعه على الأرض وداس عليه إهانةً للمصحف؛ فمثل هذا أراد هذا أن يدوس أم لم يُرِد؟ نعم أراد؛ إذاً مثل هذا يكفر، أما ذاك لا.

أصل هذا جاء في حديث الرجل الذي كان في سفر وذهبت عنه ناقته وكان عليها طعامه وشرابه فلما أيِس منها نام، وظن أنه هالك، فلما استيقظ وجد الناقة عنده، فقال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك)[١]، هل هذا كفرٌ أم ليس كفراً؟ نعم كفر؛ ولكنه لا يكفر به؛ لأنه أراد أن يقول: (اللهم أنت ربي وأنا عبدك) فقلب الكلام، فهو لم يقصد هذا الكلام أصلاً ولا أراد أن يقوله، الكلام كفر نعم؛ لكنه ما أراد أن يقوله؛ إنما أراد أن يقول غيره فأخطأ وقال القول الثاني، إذاً إذا فعل الكفر وهو لا يريد أن يفعله وإنما حصل منه نتيجة الخطأ مثلاً؛ فمثل هذا لا يُعتبَر كفراً، وهذا مانع من موانع التكفير.

عندنا نقولات في هذا أيضاً:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٧) عن أنس رضي الله عنه، وأصله عند البخاري من حديث أنس وغيره.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (ومن الموانع: أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور:

منها: أن يكره على ذلك، فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئناناً به، فلا يكفر حينئذ، لقوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً}) إلى آخر الآية.

هذا الشطر متعلق بمسألة الإكراه أيضاً.

قال: (ومنها:) وهذا المراد من نقلنا (أن يُغلَق عليه فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك، ودليله ما ثبت في "صحيح مسلم" عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم، كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح")

قال: (ومن الموانع أن يغلق عليه فكره وقصده بحيث لا يدري ما يقول لشدة فرح، أو حزن، أو غضب، أو خوف، أو نحو ذلك. لقوله تعالى: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً}[١]) ثم أكمل وذكر الحديث الذي تقدم.

وقال ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين"[٢] عند كلامه عن اعتبار النيات والمقاصد في الألفاظ؛ قال: (وَكَذَلِكَ لَوْ نَطَقَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ مَنْ لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهَا لَمْ يَكْفُرْ)

---

(١) [الأحزاب:٥].

(٢) (٥٥/٣).

إلى أن قال: (وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الَّذِي قَالَ لَمَّا وَجَدَ رَاحِلَتَهُ: " اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّك" أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ؛ لَمْ يَكْفُرْ بِذَلِكَ وَإِنْ أَتَى بِصَرِيحِ الْكُفْرِ؛ لِكَوْنِهِ لَمْ يُرِدْهُ، وَالْمُكْرَهُ عَلَى كَلِمَةِ الْكُفْرِ أَتَى بِصَرِيحِ كَلِمَتِهِ وَلَمْ يَكْفُرْ لِعَدَمِ إرَادَتِهِ، بِخِلَافِ الْمُسْتَهْزِئِ وَالْهَازِلِ؛ فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ الطَّلَاقُ وَالْكُفْرُ وَإِنْ كَانَ هَازِلًا؛ لِأَنَّهُ قَاصِدٌ لِلتَّكَلُّمِ بِاللَّفْظِ وَهَزْلُهُ لَا يَكُونُ عُذْرًا لَهُ، بِخِلَافِ الْمُكْرَهِ وَالْمُخْطِئِ وَالنَّاسِي فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ مَأْمُورٌ بِمَا يَقُولُهُ) إلى آخر ما قال رحمه الله

هذا ما يتعلق بمسألة الشروط والموانع.

بقي عندنا أنه لا بد من العلم أنه لا بد من التفريق ما بين الجهل الذي لا يقدر الشخص على إزالته، والجهل الذي يقدر على إزالته؛ فالجهل نوعان:

نوع يُعذَر به صاحبه، ونوعٌ لا يُعذَر به.

قال ابن القيم: (وَقَالَ سُبْحَانَهُ { وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ}(١)، فَأخْبر سُبْحَانَهُ أَن من ابتلاه بقرينه من الشَّيَاطِين وضلاله بِهِ إِنَّمَا كَانَ بِسَبَب إعراضه وعشوه عَن ذكره الَّذِي أنزله على رَسُوله فَكَانَ عُقُوبَة هَذَا الإعراض أن قيَّض لَهُ شَيْطَاناً يقارنه فيصده عَن سَبِيل ربه وَطَرِيق فلاحه وَهُوَ يحْسب أنه مهتدٍ، حَتَّى إذا وافى ربه يَوْم الْقِيَامَة مَعَ قرينه وعاين هَلَاكه وإفلاسه؛ { قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ }(٢)،وكل من أعْرض عَن الاهتداء بِالْوَحْي الَّذِي هُوَ ذكر الله فَلَا بُد أن يَقُول هَذَا يَوْم الْقِيَامَة.

فَإِن قيل فَهَل لهَذَا عذر فِي ضَلَالِه إذا كَانَ يحْسب أنه على هدى كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَيَحْسَبُونَ أنهم مهتدون}؟ قيل لَا عذر لهَذَا وأمثاله من الضُّلّال الَّذين منشأ ضلالهم

(١) [الزخرف:٣٦-٣٧].

(٢) [الزخرف:٣٨].

الإعراض عَن الْوَحْي الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُول وَلَو ظن أنه مهتد فَإِنَّهُ مفرّط بإعراضه عَن اتِّبَاع دَاعِي الْهدى)

إذن السبب في عدم عذره أنه تفريط منه.

قال: (فإن ضل فَإِنَّمَا أُتِي من تفريطه وإعراضه وَهَذَا بِخِلَاف من كَانَ ضلاله لعدم بُلُوغ الرسَالَة وعجزه عَن الْوُصُول اليها فَذَاك لَهُ حكم آخر والوعيد فِي الْقُرْآن إِنَّمَا يتَنَاوَل الأول)

وهو الذي قد استطاع أن يصل إلى هدى القرآن وإلى العلم ولكنه أعرض.

قال: (وأما الثَّانِي فَإِن الله لَا يعذب أحداً إِلَّا بعد إِقَامَة الْحجَّة عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَمَا كُنَّا معذبين حَتَّى نبعث رَسُولا}[1] وَقَالَ تَعَالَى: {رسلًا مبشرين ومنذرين لِئَلَّا يكون للنَّاس على الله حجَّة بعد الرُّسُل}[2]، وَقَالَ تَعَالَى فِي أهل النَّار: {وَمَا ظلمناهم وَلَكِن كَانُوا هم الظَّالِمين}[3]، وَقَالَ تَعَالَى : {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ}[4]) إلى آخر الآيات.

قال: (وَهَذَا كثير فِي الْقُرْآن)[5])

وخلاصة هذه المسألة: أنه يعذر بالجهل من كان مثله يجهل المسألة، وأما من كان مثله لا يجهل المسألة؛ فلا يُعذَر بالجهل.

هذه خلاصة هذا الموضوع.

---

(١) [الإسراء:١٥].

(٢) [النساء:١٦٥].

(٣) [الزخرف:٧٦].

(٤) [الزمر:٥٦].

(٥) "مفتاح دار السعادة" (٢٠٨/١).

قال المؤلف: (**[٤] واعلم - رحمك الله - أنَّ الدِّينَ إنما جاءَ مِنْ قِبَلِ الله تبارك وتعالى، لَمْ يُوْضَعْ على عُقولِ الرِّجالِ وآرائِهِمْ، وعِلْمُهُ عِنْدَ الله وعِنْدَ رسولِهِ، فلا تَتَّبِعْ شيئاً بِهواك، فَتَمْرُقَ مِنَ الدِّينِ، فَتَخْرُجَ مِنَ الإِسْلامِ؛ فإنَّهُ لا حُجَّةَ لكَ؛ فَقَدْ بَيَّنَ رسولُ الله ﷺ لأُمَّتِهِ السُّنَّةَ، وأَوْضَحَها لأَصْحابِهِ، وهُم الجماعةُ، وهُم السَّوادُ الأَعْظَمُ، والسَّوادُ الأعظم: الحَقُّ وأَهْلُهُ، فَمَنْ خَالَفَ أَصْحابَ رسول الله ﷺ في شيءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ؛ فَقَدْ كَفَرَ**)

يقول المؤلف مؤسِّساً ومؤصّلاً: أن الدين الذي هو الأقوال والأعمال والعقائد التي نتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى- هذا معنى الدين-، ولعلكم تذكرون حديث عمر بن الخطاب[١] وأبي هريرة[٢] في مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فذكر له العقائد وذكر له الأعمال والأقوال، ثم قال النبي ﷺ: "ذاك جبريل جاءكم يعلمكم دينكم"، فهذا هو الدين؛ ما نتقرب إلى الله به من عقائد وأقوال وأعمال.

يقول المؤلف: هذا الدين إنما هو: ما جاءك من قِبَل الله، يعني ما جاءك من عند الله، فالدين ما يأتي من عند الله لا من عند غيره، فأنت تتعبد لله تبارك وتعالى بما شرع كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:{ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ }[٣] ، تدل هذه الآية على أن الدين هو ما أذِنَ به الله تبارك وتعالى،

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٣) [الشورى:٢١].

وقال سبحانه :{ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ }[(١)]، فإذاً الأمر الذي أمرنا الله تبارك وتعالى باتّباعه هو شرعُه الذي أوحى به إلى النبي ﷺ، وقال عليه الصلاة والسلام: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"[(٢)] يعني مردود عليه، فالله سبحانه وتعالى أراد منا أن نعبده وأن نخضع ونتذلل له؛ لكن بما شرع، لا بما تهوى أنفسنا ولا بما تراه عقولنا وتستحسنه آراؤنا.

قال: (لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم)، الدين هو ما شرعه الله وأوحى به إلى نبيه ﷺ وما جاء به النبي ﷺ لا ما رآه الرجال واستحسنوه وأدركته عقولهم، ليس هذا الدين.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (لو كان الدين بالرأي لكان مسح الخف من الأسفل أولى من مسحه من الأعلى)[(٣)] لماذا؟ لأنك إذا أردتها بالعقل فإن الجهة التي تتسخ وتتعرض للأوساخ أكثر هي الجهة السفلية وليست الجهة العليا من الحذاء، إذن فلماذا يُمسح الأعلى ويُترك الأسفل؟ عقلاً يُمسح الأسفل وليس الأعلى؛ لكن الدين ليس بالعقل، الدين بالنص؛ قال الله وقال رسول الله ﷺ.

---

(١) [الأعراف:٣].

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ لمسلم، وعلقه البخاري بلفظ مسلم.

(٣) أخرجه أحمد (٧٣٧)، وأبو داود (١٦٢).

وقال سهل بن حُنَيف - وهو أحد الصحابة رضي الله عنهم -: (اتَّهِمُوا الرَّأْيَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ لَرَدَدْتُ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ...)(١)

انظر ما يقول الصحابي الجليل معلِّماً: (اتهموا الرأي)، لا تحسن الظن بعقلك، اجعل عقلك مكان تهمة، أي: أسِئ الظن بعقلك وأحسن الظن بشرع ربك.

قال: (اتهموا الرأي؛ فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أردَّ على رسول الله ﷺ أمره لرددته والله ورسوله أعلم)، يعني الله سبحانه وتعالى الذي شرع هذا الشرع والذي أوحى به إلى نبيّه ﷺ أعلم بالأصلح وبالمناسب وبالذي تقتضيه الحكمة، فشرع الله سبحانه وتعالى شرعه بناءً على علمه وعلى حكمته تبارك وتعالى، فلا يَحْسُن بك أن تردَّ شرع الله تبارك وتعالى بعقلك؛ هذه وصية سهل بن حنيف الصحابي الجليل.

وقال الحسن البصري: (اتَّهِمُوا أَهْوَاءَكُمْ ورَأْيَكُمْ على دِينِ الله، وانْتَصِحوا كِتابَ الله على أنْفُسِكُمْ)(٢)

إذا كان لك هوى في شيء تميل نفسك إليه يخالف شرع الله فاتّهم نفسك وأحسن الظن بشرع ربك، وكذلك افعل برأيك، والهوى: هو ما تحبّه النفس وما تشتهيه، فإذا كان لأنفسكم هوى؛ (اتَّهِمُوا أَهْوَاءَكُمْ ورَأْيَكُمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ، وَانْتَصِحُوا كِتَابَ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ)، أي: اقبلوه ناصحاً لكم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٨٩)، ومسلم (١٧٨٥).

(٢) أخرجه ابن بطة في "الإبانة الكبرى" (٢٨٣).

ففي هذا تعليم وتربية من الحسن البصري رضي الله عنه لنا أن عقولنا إذا ظنت في لحظة من اللحظات أن ما ورد في الشرع غير مناسب: أن نسيء الظن بعقولنا وأن نحسن الظن بشرع ربنا تبارك وتعالى، هذا ما دلت عليه الأدلة وهذا ما ربّانا عليه علماء الأمّة الذين تجرّدوا للحق ولم يكونوا متّبعين لأهوائهم.

وقال محمد بن سيرين: (كَانُوا يَقُولُونَ: مَا دَامَ عَلَى الْأَثَرِ فَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ)[(١)]

وإن اتبع آراء الرجال؛ فقد انحرف عن الطريق ولا بد، لا بد لمن جعل رأيه وعقله مقدَّماً أن ينحرف عن الطريق وأن يترك العمل بشرع ربه تبارك وتعالى.

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله، وهو معروف؛ من أتباع التابعين، إمام بلاد الشام في زمنه، وكان له مذهب، ومذهبه هو المذهب السائد في بلاد الشام في وقته قبل أن يسودَ مذهب الشافعي، وكان إماماً شهيراً معروفاً حتى قال عبد الرحمن بن مهدي: (كان الأوزاعي والفزاري إمامين في السنة، إذا رأيت الشامي يذكر الأوزاعي والفزاري فاطمئن إليه كان هؤلاء أئمة في السنة)[(٢)]؛ لصلابته في السنة ومعرفته بها ودعوته إليها ومحاربة أعدائها، يقول لنا معلّماً مربياً رحمه الله : (عَلَيكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخْرَفُوهَا بِالْقَوْلِ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي حِينَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقٍ مستقيم)[(٣)] ، وفي رواية: (وَإن رفضك النَّاس)[(٤)] وهي تتمّةٌ مهمّة، عليك بآراء من سلف وإن رفضك الناس، وإن رأيت نفسك غريباً بينهم فتمسّك بآثار من سلف ولا تبالِ بانحرافِ مَن انحرف.

---

(١) أخرجه الدرامي في "سننه" (١٤٣)، والخلال في "السنة" (١١٠٢)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١٠٩)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (٢١٩٩)، وغيرهم.

(٢) حلية الأولياء (٨/ ٢٥٤).

(٣) "ذم الكلام وأهله" (٣١٧).

(٤) "رسالة السجزي إلى أهل زبيد" (ص ٣٦٨).

قال: (عَلَيْك بآثار من سلف وَإِن رفضك النَّاس وَإِيَّاك وآراء الرِّجَال)، يعني: احذر آراء الرجال (وَإِن زخرفوه بالْقَوْل) وإن كان الرجل صاحب لسان معسول (ملسن)، أوتي طلاقة في الكلام، تجده يلوّن لك الكلام ويزخرفه حتى إن الشخص الذي لا علم عنده يذهب لُبُّه معه؛ فانتبه من أمثال هؤلاء.

قال: (وَإِيَّاك وآراء الرِّجَال وَإِن زخرفوه بالْقَوْل فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم) يعني: إذا التزمتَ بهذه النصيحة التي قلتها لك فستبقى على الطريق المستقيم حتى إن مرّت بك فتن؛ فسينجلي الأمر ويتّضح وأنت ما زلت على الطريق ولم تخالف.

وقال أيضاً رحمه الله: (اصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ وَقُلْ فِيمَا قَالُوا وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا يَسَعُهُمْ)[١]

هذه نصائح ذهبية من أناس قد فهموا دين الله بحق وأخذوا الدين عن أئمته فاسمعوا واتبعوا.

قال: (اصبر نفسك على السنة)، ستجد أسباباً كثيرة للانحراف عنها، فتحتاج إلى صبر، تحتاج أن تجاهد نفسك حتى تبقى على هذه الطريق، (وقف حيث وقف القوم)، من هم القوم؟

هم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، قف حيث وقفوا.

كيف أقف حيث وقفوا؟

إن قالوا قلتَ وإن سكتوا سكَتَّ؛ هكذا تقف حيث وقف القوم.

---

(١) "ذم الكلام وأهله" (١١٧/٥).

وقوله: (وقل فيما قالوا) هنا فسّر لك كلامه، فإن قالوا قولاً فقله، وإن سكتوا عنه فاسكت، (وكُفّ عما كفّوا عنه)، تربية عظيمة، (واسلك سبيل سلفك الصالح) امش على نفس الطريق التي مشوا عليها، وقد تقدّم في مسألة الاتباع ما يكفي من الأدلة.

(فإنه يسعك ما وَسِعهم) كلمة جميلة.

يذكرون مناظرة بين أحد علماء السنة ورأس من رؤوس الجهمية(١)، حيث دعا ذاك الجهمي إلى القول بخلق القرآن فجاءه السنّي، فقال له : أسألك : هل ما تدعو إليه عرفه النبي ﷺ أم لم يعرفه ؟ فما عنده جواب إلا أحد أمرين: إما أن يقول عرفه أو أن يقول لم يعرفه، وهو على كلا الحالين قد خُصِمَ، فقال: لم يعرفه، فقال: يا جاهل! أمرٌ لم يعرفه النبي ﷺ وعرفته أنت؟! فقال: إني أرجع عن ذلك وأقول: عرَفَه، قال: جيد، وَسِعه أن يسكت عنه أم لم يسعه؟ طبعاً لا كلام في هذا منقول عن النبي ﷺ، سيقول: وَسِعه، قال: جيد، عرفه الصحابة أم لم يعرفوه؟ قال: عرفوه، قال: وَسِعهم أن يسكتوا عنه أم لم يسعهم؟ قال: وسعهم، قال: فلا وسّع الله سبحانه وتعالى على من لم يسعه ما وسع النبي ﷺ وأصحابه، فخُصِم الرجل ولم يبقَ له كلام.

ألا يسعك أنت ما وسع النبي ﷺ وأصحابه؟ نعم يسعنا؛ لذلك قال الإمام الأوزاعي رحمه الله: (فإنه يسعك ما وسعهم)، يعني: تقول بما قالوا وتكف عما كفوا.

نصائح ذهبية؛ فلا تأتِ بشيءٍ جديدٍ من عندك.

---

(١) "تاريخ بغداد".

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم)[١].

أي: كفاكم السلف أمر البيان والإيضاح والتفسير لشريعة الله تبارك وتعالى، وبيّنوا لكم الأمور كاملة، وما مات النبي ﷺ حتى أكمل الله به الدين {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}، وبلّغ ﷺ ذلك كله وأشهدَ أصحابه على البلاغ؛ فقال: "هل بلّغت؟" قالوا: نعم، قال: "اللهم اشهد"[٢].

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه عندما جادلته اليهود؛ قال: (نعم علمنا النبي ﷺ كل شيء حتى الخراءة)[٣]

أي: حتى كيفية قضاء الحاجة علمناه النبي ﷺ، فما فوّت علينا شيئاً.

ويقول أبو ذر رضي الله عنه :(لَقَدْ تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَذْكَرَنَا مِنْهُ عِلْمًا)[٤]

فالنبي ﷺ قد بلّغ الرسالة كما أمر الله تبارك وتعالى، ولم يقبضه الله سبحانه وتعالى حتى أتمّ به الرسالة، والصحابة الكرام قد أخذوا عن النبي ﷺ، وكانوا هم أذكى القوم وأعلم الناس في وقتهم، وكانوا هم من شاهد التنزيل، وعَلِموا التأويل، وعرفوا كيف نزلت

---

(١) أخرجه ابن بطة في "الإبانة" (١٧٤)، والبيهقي في "شعب الإيمان (٢٠٢٤)، والدارمي في "السنن" (٢١١) وغيرهم.
(٢) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وأخرجه البخاري أيضاً (١٧٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه وأصله عند مسلم (٦٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢).
(٤) أخرجه أحمد (٢١٣٦١)، وابن حبان (٦٥).

الآيات، وكيف خرجت من النبي ﷺ، وما مناسباتها، وكانت لغتهم سليقة من غير تكلف، فإذا كانت المسألة مسألة نافعة في الدين وفي الشرع فَهُمْ أولى بالقول بها ولم يسكتوا عنها؛ فلذلك يسعنا ما وسعهم.

قال: (لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله)، علم الشرع والدين عند الله وعند رسوله ﷺ، وكلّه قد علّمه الله تبارك وتعالى لنبيّه ﷺ، وبلغه النبي ﷺ، وأمر الله تبارك وتعالى باتّباع النبي ﷺ والأخذ عنه؛ فقال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا }(١)، وقال:{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}(٢)، وقال: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }(٣)، و:{ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }(٤)، والآيات في هذا المعنى كثيرة تدلّنا على وجوب اتباع النبي ﷺ، وتصديقه فيما أخبر، والعمل بما جاء به من الشرع، والذين خالفوا هذا الأصل الذي قرّره المؤلف هنا- وهو أصل أخذ الشرع والدين من كتاب الله ومن سنة سيد المرسلين ﷺ - هم طائفتان:

طائفة المتكلمين في مسائل العقيدة، أعملوا عقولهم في شرع الله، فقدّموا العقل على النقل، هذا أصلٌ عندهم، والمتكلمون جميعاً يتفقون على هذا الأصل: تقديم العقل على النقل، فأفسدوا دين الله، وردوا شرعه بعقولهم الصغيرة القاصرة، كل هذه النصائح

(١) [الحشر:٧].
(٢) [المائدة:٩٢].
(٣) [النور:٦٣].
٤() [النساء:١١٥].

السلفية التي سمعتموها وغيرها كثير؛ ضربوا بها عَرْض الحائط، وظنّوا في أنفسهم خيراً وأحسنوا الظن بعقولهم وأساؤوا الظن بشرع الله تبارك وتعالى؛ فقلبوا وعكسوا؛ فما أثبت الله لنفسه نفَوه، وما نفاه عن نفسه أثبتوه، وما سكت عنه تكلّموا فيه؛ هكذا هم المتكلمون، أصحاب الرأي الذين يتكلمون من منطلق عقولهم ويحكمون على الله تبارك وتعالى بآرائهم وأفكارهم، وهذه طائفة قد ضلت في مسائل الاعتقاد؛ الذين قالوا بأن القرآن مخلوق ونفوا عن الله سبحانه وتعالى الصفات التي أثبتها لنفسه، الكلام في هذا سيطول وسيأتي إن شاء الله.

الطائفة الثانية: في الفقه؛ أخذوا بالرأي وبالعقل وبالقياس، وقدّموا القياس على شرع الله تبارك وتعالى فأفسدوا دين الله من الجهة الثانية.

وربما يقول قائل: القياس في أصل الشرع مقبول، وقد قاس بعض الصحابة؟

كلام صحيح، وقع القياس من أبي بكر، ووقع القياس من ابن عمر وأقرّه عمر، ووقع من غيرهم من صحابة رسول الله ﷺ، كما في قصة القوم الذين منعوا الزكاة، فأراد أبو بكر أن يقاتلهم، فقال لعمر: "لأقاتلنَّ من فرّق بين الصلاة والزكاة"(١)، فقاس الزكاة على الصلاة وألحقها بها في الحكم، وكذلك عبد الله بن عمر لما أخبرته أخته حفصة أن أباه لا يريد أن يستخلف من بعده، قال: (والله لأُكلّمنّه في ذلك)، فذهب وكلّم عمر، فقال: (سمعت أنك لا تريد أن تستخلف، ولو أنك تركت راعياً يرعى غنماً فتركها وجاء إليك أرأيت أنه مفرّط؟ فالرعية أولى) فأقرّه عمر في بداية الأمر، قال: (فوافقني على رأيي)، ثم اعترض عمر رضي الله عنه بعد ذلك عليه بالأثر، فقال: (إن أستخلف فقد استخلف أبو بكر، وإن لا أستخلف فلم يستخلف النبي ﷺ) قال ابن عمر: (ووالله

(١) أخرجه البخاري (٧٢٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله عند مسلم (٢١).

لمّا ذكر النبي ﷺ؛ علمت أنه لن يستخلف)[١]؛ لأن النبي ﷺ لم يستخلف، مع أنهم يعلمون بالاتفاق أن هذا جائز وهذا جائز، لكن لمّا جاء ذِكر النبي ﷺ في الأمر انتهى؛ وهذا من انقياد السلف لسنة النبي ﷺ وعدم تقديم قول أي أحد عليها.

الشاهد هنا: أن القياس قد حصل وقُبِل لولا وجود الأثر عند عمر رضي الله عنه.

إذاً من هاهنا نستطيع أن نعرف الفرق بين الذين استعملوا الرأي وكان استعمالهم له صائباً، والذين استعملوا الرأي وكان استعمالهم له باطلاً؛ والفرق: هو أن الرأي كما قال الإمام الشافعي عندما سأله الإمام أحمد رحمه الله عن القياس؛ فقال له الإمام الشافعي: (عند الضرورة)، يعني: في الضروريات فقط، يعني: تأتيك مسألة ولا تجد لها أثراً عندئذٍ تعمل بالقياس، هاهنا يستعمل القياس، أما إذا جاءك الأثر وأخذت بالرأي فهنا تدخل في الذم.

يبيّن لنا ذلك بوضوح وجلاء ما قاله الإمام الأوزاعي رحمه الله؛ قال: (مَا نَقَمْنَا عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ كان يَرَى، كُلُّنَا يَرَى؛ ولكنه كان إذا جاءَه النَّصُّ تَرَكَه)[٢]، إذاً فالمحذور هو أن ترد النصوص الشرعية بالعقل والرأي؛ ولذلك تجد عند بعض أهل الرأي قواعد هي طاغوتيَّة، يقدّمون هذه القواعد ويُعمِلونها في رد النصوص الشرعية، قاعدة: (على خلاف القياس)؛ قاعدة عند بعض أهل الرأي يتبنّونها، تسمعونها في أصول الفقه عند دراستكم له، فإذا جاءتهم النصوص الشرعية وخالفت القياس عندهم؛ ردُّوا النص الشرعي وأخذوا بالقياس؛ وهذا هو المذموم عند السلف رضي الله عنهم، هذه ما خالفت القياس إلا لأن قياسك فاسد، انظر كيف عكسوا ! أحسنوا الظن بآرائهم

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢١٨)، ومسلم (١٨٢٣) واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه الهروي في "ذم الكلام وأهله" (٣٧١).

وعقولهم وأساؤوا الظن بالشرع، والواجب عليك أن تعكس ما هم عليه؛ فتحسن الظن بشرع الله وتسيء الظن برأيك وعقلك؛ لأنه شرع جاء من عند حكيم عليم، وعقلك وإدراكك لا يصل إلى معرفة جميع حكم الله تبارك وتعالى، فالواجب أن تذعن وتخضع لأمر الله تبارك وتعالى عندما يأتيك.

وهذه القاعدة التي ذكرناها قد فنّدها ابن القيم رحمه الله في كتابه الفذّ النافع "إعلام الموقعين "، وكذلك ابن تيمية رحمه الله له كلام متفرق في "مجموع الفتاوى" في نسف هذه القاعدة والرد على كل صورة من الصور التي قالوا بأنها مخالفة للقياس.

قال رحمه الله :(فلا تتبع شيئاً بهواك): لا تمِل مع هواك وتترك شرع ربك تبارك وتعالى؛ قد حذر الله تبارك وتعالى في كتابه من اتباع الهوى؛ فاتباع الهوى يصدّك عن الله تبارك وتعالى وعن شرعه ودينه، قال تعالى:{وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}(١) ،وقال: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}(٢)، وقال :{ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ}(٣)، فالهوى مُرْدٍ يضيّع صاحبه ويدفعه إلى ترك شرع الله تبارك وتعالى والإعراض عنه.

قال: (فلا تتبع شيئاً بهواك، فتمرق من الدين، فتخرج من الإسلام)، اتباعك لهواك يؤدي بك إلى هذه النتيجة حتى إنك تقع في أنواع من الكفريات وتخرج من دين الله تبارك وتعالى.

---

(١) [ص:٢٦].

(٢) [النازعات:٤٠-٤١].

(٣) [الجاثية:٢٣].

قال: (فإنه لا حجة لك عندئذٍ)، لا حجة لك عند الله تبارك وتعالى عندما تتبع هواك وتترك الحق؛ لماذا؟

قال: (فقد بين رسول الله ﷺ لأمته السنة، وأوضحها لأصحابه)، المقصود بالسنة هنا: الشريعة، وقد تقدّم معنا أن السنة تأتي على عدة معانٍ ومنها الشريعة، وهذا المعنى هو المراد هنا، بيّن رسول الله ﷺ لأمته السنة وأوضحها لأصحابه.

أوضحها لأصحابه، وأصحابه أوضحوها لنا؛ إذاً يجب علينا أن نتبع هدي النبي ﷺ وهدي أصحابه؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ"(١).

قال: (وهم الجماعة) من هم؟ هم الصحابة.

أي جماعة؟ التي قال فيها النبي ﷺ: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة , قالوا : من هي يا رسول الله؟ قال : الجماعة"(٢)، إذاً الجماعة هي طريق الحق، وطريق الحق هي طريق الصحابة رضي الله عنهم، وقد فسّرنا ذلك فيما تقدّم في قوله تعالى: { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ}(٣)، إذاً فقد سار الصحابة على طريق وصلوا به إلى رضا الله سبحانه وتعالى وإلى دخول الجنة، وطريق الحق واحد كما قدّمنا، إذاً فطريق الجماعة هو طريق الحق، والجماعة هم أصحاب

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أحمد (١٦٩٣٧)، وأبو داود (٤٥٩٧) عن معاوية رضي الله عنه.
(٣) [التوبة:١٠٠].

النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم كما في رواية ثانية في الحديث الذي ذكرنا، قال: "ما أنا عليه وأصحابي".

قال: (وهم السواد الأعظم)، جاء في رواية في نفس الحديث: قال: "الجماعة"، وفي رواية: "ما أنا عليه وأصحابي"، وفي رواية ثالثة: "السواد الأعظم"[١]، ولكن هذه الرواية الثالثة ضعيفة لا تصح.

قال: (والسواد الأعظم: الحق وأهله)، كلها بمعنى واحد، ويفسّر بعضها بعضاً، ما المراد بالسواد الأعظم؟ الحق وأهله؛ بغضّ النظر عن الكثرة، فلا تنظر إلى الكثرة؛ فأكثر ما وردت الكثرة في كتاب الله مذمومة، قد ذمّها الله تبارك وتعالى، فالكثرة ليست بشيء، يقول النبي ﷺ: "يأتي النبي وليس معه أحد" أي: يوم القيامة يأتي النبي وليس معه أحد، "والنبي ومعه الرجل والرجلان"، إذاً الكثرة ليست بشيء، هذا النبي الذي جاء وليس معه أحد كانت الكثرة ضده، والنبي الذي معه الرجل والرجلان كانت الكثرة ضده؛ وهكذا.

قال: (فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من أمر الدين فقد كفر) في شيء من أمر الدين، ولو في شيء واحد.

ومخالفة أصحاب النبي ﷺ في أمر من أمور الدين تختلف؛ منه ما هو فسق، ومنه ما هو بدعة ضلالة، ومنه ما هو كفر، ومنه ما هو ترك للمستحب والأفضل؛ فيختلف من مسألة إلى مسألة، وحمل بعض أهل العلم كلمة: (كَفَرَ) على الكفر الأكبر أو الكفر

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٧٨٩٢)، والبيهقي في "سننه" (١٦٧٨٣)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٦٩) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

الأصغر، والمراد به المخالفة المذمومة؛ من خالفهم في أمر من أمور الدين فإما أن يكون كافراً كفراً مخرجاً من ملة الإسلام إذا خالفهم في أمرٍ مكفِّرٍ، أو يكون كفراً دون كفرٍ إن خالفهم في أمر غير مكفِّر؛ لإجماع علماء الإسلام على أن الأمور التي فيها مخالفة لشرع الله منها ما هو كفر ومنها ما هو فسق ومنها ما هو بدعة .. إلى آخره.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٥] واعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَبْتَدِعوا بِدْعَةً قَط؛ حتى تَركوا مِنَ السُّنَّةِ مِثْلَها، فَاحْذَرْ المُحَرَّماتِ[١] مِنَ الأُمورِ؛ فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، والضَّلالَةُ وأَهْلُها في النَّارِ**).

قال: (لم يبتدعوا بدعة قط) عرفنا ما هي البدعة في دروسنا الماضية، (حتى تركوا من السنة مثلها)، أي: ما يحدثون شيئاً في أمر الدين إلا ويتركون في مقابله من أمور السنة، حتى تنقلب الأمور فتصير السنن بدعاً، والبدع سنناً، ويصير دين الله تبارك وتعالى ديناً مغيَّراً مبدَّلاً.

قال حسان بن عطية- وهو من علماء التابعين، من علماء أهل الشام-: (مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللَّهُ مِنَ سنَّتِهِم مِثْلَهَا ثُمَّ لَا يعيد إِلَيْهِم إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[٢].

وروي معنى ذلك عن ابن عباس وعن أبي إدريس الخَوْلاني، وروي معناه عن النبي ﷺ مرفوعاً، والذي يصحّ من ذلك كله هو أثر حسان بن عطية رحمهم الله جميعاً.

المهم أن البدعة من شؤمها وسوئها أن المرء إذا وقع فيها ترك من السنّة ما هو مثلها.

(١) في نسخ: (المحدثات).

(٢) أخرجه الدارمي في "سننه" (٩٩).

(فاحذر المحرّمات من الأمور) يعني: ابتعد عما حرّم الله من البدع وغيرها؛ فلا خير فيها لك لا في الدنيا ولا في الآخرة وإن ظهر لك أن فيها خيراً.

قال: (فإن كل محدثة بدعة) السبب الذي أوصيك بأن تترك الأمور المحرّمة والابتعاد عنها: أن المحدثات بدع، (وكل بدعة ضلالة) يعني: تضلك عن طريق الحق وتبعدك عنه، وهذا بمعنى ما جاء في "صحيح مسلم" من حديث جابر عن النبي ﷺ؛ أنه قال: "وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[(١)]، وهذا لفظ عام يشمل جميع البدع كما قدّمنا.

وورد أيضاً في حديث العرباض بن سارية)[(٢)]؛ قال: (وعظنا النبي ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول كأنها موعظة مودّع فأوصنا، فقال ﷺ: "أوصيكم بتقوى الله"؛ التي ضعفت في نفوس الكثير من الناس اليوم، أين هم من وصية النبي ﷺ؟ تقوى الله أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، ما هي هذه الوقاية التي تقيك من عذاب الله تبارك وتعالى؟ هي العمل بطاعة الله واجتناب ما نهاك الله تبارك وتعالى عنه، هذه هي التي تقيك من عذاب الله تبارك وتعالى.

قال النبي ﷺ "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى "، ومن أبى أين يدخل؟ يدخل النار.

---

(١) أصل حديث جابر رضي الله عنه عند مسلم بلفظ: "وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"، واللفظ الوارد أخرجه النسائي (١٥٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦).

قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى"، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ - أمرٌ غريبٌ - قال:" من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى "[1].

قال: "أوصيكم بتقوى الله"؛ هذه وصية النبي ﷺ؛ فاجعلوها بين أعينكم، "والسمع والطاعة" وصية النبي ﷺ قبل موته بالسمع والطاعة؛ لأن أكثر الفساد الذي سينزل بهذه الأمة من هذا القبيل، الفتن التي ستمر على هذه الأمة مِن هذه المسألة؛ من عدم السمع والطاعة والخروج على الحاكم، وأنتم ترون: أول فتنة وقعت في هذه الأمة قتل عثمان رضي الله عنه، وكانت بسبب الخروج على الحاكم وعدم السمع والطاعة،، ثم جرّت؛ إذا وضع السيف في الأمة لا يُرفَع إلى قيام الساعة؛ لذلك حذّر النبي ﷺ من الخوارج وأفعال الخوارج وأوصى بقتلهم أين ما وُجِدوا؛ لِعِظَمِ فسادهم في الأرض.

فقال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة"- أي للحاكم المسلم- "وإن تأمّر عليكم عبد حبشي"، والعبد الحبشي لا يكون حاكماً شرعياً؛ لأنه مملوك، والمملوك ليست له سلطة على نفسه فكيف تكون له سلطة على غيره؟ لكن مع ذلك إن حكم وجب عليكم أن تسمعوا وتطيعوا؛ لماذا جاءت هذه الوصية؟

قال: "فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً"؛ لهذا السبب: "من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً"، وتضارباً وفرقاً وجماعاتٍ وطوائفَ وأفكاراً مختلفة، وكلما تباعد الزمن عن زمن النبوّة كلما كثر هذا الاختلاف وكثرت الآراء والأفكار وتشعّبت؛ لأن الأهواء تزيد والجهل يزيد والتقوى تضعف والعلم يَقِلّ؛ هكذا أخبر النبي ﷺ، وإذا حصلت هذه الأمور انتشر الفساد وكثرت الفتن؛ "فسيرى اختلافاً كثيراً".

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

كيف النجاة من هذه الفتن؟

قال: "فعليكم بسنتي"، ليس لكم إلا طريق واحد: الزموا سنة النبي ﷺ، يعني الزموا شريعته وهديه، و"سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي"؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، هؤلاء هم الخلفاء الراشدون.

من أين جاء هذا؟

من حديث سفينة: "الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً"(١)، فكانت هذه الثلاثون في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

قال: "تمسّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ"، انظر الألفاظ، لشدة تفلّت الناس عنها وانفلاتها منهم يوصيهم بشدة التمسّك والعضّ عليها بالنواجذ، إذا أردت أن توصي أحداً بالتمسّك بالشيء تقول له: أمسك به بيديك وأسنانك، هذا المعنى، نفس العبارة لكن بألفاظ عربية أصيلة: "عضوا عليها بالنواجذ" وهي الأسنان.

قال: "وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"، أوصى بماذا؟

بالتمسّك بالسنّة ومنهج السلف الصالح رضي الله عنهم، وحذّر مما يضادّ ذلك ويخالفه؛ وهي البدعة والضلالة، هكذا هي الدعوة إلى الله: تدعو إلى الحق وتحذّر من الباطل، وإذا تأملت شرع الله وجدته يدور على ثلاث في مقابل ثلاث:

يأمر الله سبحانه وتعالى بالتوحيد وينهى عن الشرك.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، وغيرهم بألفاظ متقاربة، واللفظ الوارد أخرجه عبد الله بن أحمد في "السنة" (١٤٠٥).

يأمر بالسنة وينهى عن البدعة.

يأمر بالطاعة وينهى عن المعصية.

فقط، هذا هو شرع الله، هذا دينه، وهذا ما ندعو إليه، فمن رأيته يدعو إلى هذا؛ فاعلم أنه داعية حق، من دعا إلى جماعة أو إلى حزب أو إلى طائفة أو إلى مسألة يدور عليها؛ يوالي ويعادي، ويترك بقية شرع الله ودينه؛ فاعرف أنه داعية ضلالة. قال المؤلف: (والضلالة وأهلها في النار) "وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"، وليست الضلالة فقط؛ بل الضلالة ومرتكب الضلالة في النار، فهذا الحديث جاء للتهديد والتخويف من هذا الفعل، فمن ارتكب البدعة؛ فقد عرّض نفسه لعقاب الله تبارك وتعالى، فالبدع كبائر من كبائر الذنوب.

قال المؤلف رحمه الله: **([٦] واحْذَرْ صِغارَ المُحْدثاتِ مِنَ الأُمورِ؛ فإنَّ صِغارَ البِدَعِ تَعودُ حتى تَصيرَ كِباراً، وَكَذَلِكَ كُلُّ بِدْعَةٍ أُحْدِثَتْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ؛ كان أَوَّلُها صَغيراً يُشْبِهُ الحَقَّ، فاغْتَرَّ بِذلِكَ مَنْ دَخَلَ فيها، ثُمَّ لَمْ يَسْتَطِعِ الخُروجَ مِنْها، فَعَظُمَتْ وصارتْ دِيناً يُدانُ به، فَخالَفَ الصِّراطَ المُسْتقيمَ، فَخَرَجَ مِنَ الإِسْلامِ)**

يعني لا تحقرنّ شيئاً من البدع، لا تقل: بدعة صغيرة وبدعة كبيرة.

انظروا إلى الصوفية، وانظروا إلى الرافضة كيف بدأ شأنهم؟

الصوفية بدؤوا بزيادة في نسبة العبادة، تَزَهُّدٌ زائدٌ عن الحد الشرعي الذي كان عليه النبي ﷺ، ثم تطوّرت بهم الأحوال إلى أن بدّلوا شرع الله ودينه تماماً، لا تجد عندهم من الحقيقة إلا الاسم؛ عبدوا غير الله، وعبدوا الله بما لم يشرع، وجعلوا الطاعة معصية، والمعصية طاعة؛ هؤلاء هم.

انظروا إلى الرافضة كيف بدأ شأنهم بتعظيم عليّ وتقديره أكثر مما ينبغي؛ قدّموه على عثمان، ثم قدّموه على أبي بكر وعمر، ثم ماذا؟ طعنوا في عثمان، طعنوا في أبي بكر وعمر، كفروا أبا بكر وعمر، رموا عائشة بالزنا، طعنوا في حفصة، إلى أن وصل بهم الأمر إلى ما ترون الآن؛ دينٌ جديدٌ، هذه نتائج البدع، فعندما يُقَرُّ أصحابها عليها ويُسكَت عنها؛ يؤدي الأمر إلى ما ترون.

فإذا أردت أن تعرف فضل من يقوم ويصرخ بصاحب البدعة ويحذّر منه فانظر إلى هؤلاء القوم تعرف كم لهذا الرجل من فضل على المسلمين، عندما يحذّرهم من البدع والضلال ويبيّن لهم شرع الله الحق حتى يبقى شرع الله صافياً نقياً، لا تهتمّ بالرجال؛ فالرجال يموتون ويأتي رجال جدد؛ وهكذا، المهم أن يبقى شرع الله صافياً نقياً واضحاً، هذا المراد وإلا ضاع الشرع كما ضاع عند الرافضة والصوفية.

قال :(فإن صغار البدع تعود حتى تصير كباراً، وكذلك كل بدعة أُحْدِثت في هذه الأمة، كان أولها صغيراً يشبه الحق)، مشتبهاً، ربما وربما، حتى يكبر ويعظم إلى أن يصل إلى ما سمعتم مثالاً عليه، (فاغتَرَّ بذلك من دخل فيها) اغتر بذلك؛ بشبهها بالحق، اغتر بذلك من دخل في هذه البدع، فما من داعية بدعة وضلالة إلا ومعه شيء من الحق يلبّس على الناس به، ليس من أحد يريد أن يبيعك بضاعة، يقول لك: هذه بضاعتي مُزجاة تعال وخذها؛ بل يلوّنها ويزوّقها ويحسّنها في الظاهر- أصحاب المطاعم يعرفون هذا-، ثم بعد ذلك يعرضها لك بزينتها وحلاوتها ويخفي ما فيها من ضلال، لو أتيت الآن عند هؤلاء الأحباش لا يُظهرون لك سوءهم وما عندهم من ضلال، وغيرهم أيضاً من الجماعات، يظهرون لك أحسن ما عندهم؛ ما يوافق السنة حتى تقبله نفسك وترضى عنه، ثم تُحسِن الظن به شيئاً فشيئاً حتى يتمكّن من قلبك، ثم بعد ذلك يرمي لك السموم فتتقبّلها؛ لأنه قد أعطاك مضادات السموم من البداية لتأخذ وأنت

مطمئن، كما قال أحدهم لما أخرجوا ما عنده من ضلالات لمن حوله؛ فقال: "لا تخف، أنا تلاميذي كلهم أعطيتهم مضادات"، وهذا كلام صحيح، وهكذا يفعلون.

قال: (وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة، كان أولها صغيراً يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها) انتهى؛ وقع في الشباك، انتهى أمره، ما الذي سيخرجه بعد ذلك؛ لذلك قال من قال من السلف: (إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفِّقهما الله لعالم من أهل السُّنة)[١] لماذا؟ لأنه إذا وقع بين يدي المبتدع انتهى أمره إلا أن يشاء الله سبحانه وتعالى له أن يخلصه.

قال: (فعَظُمت وصارت ديناً يُدان بها) صارت عبادة يُتقرَّبُ بها إلى الله، فإذا سُكِت عن مثل هذا ماذا يحصل؟ يتغيَّر دين الله وشرعه بالكامل، فمن أعظم الواجبات وخصوصاً في زمننا هذا بيان أحوال الجماعات والرجال؛ حتى يتبيّن الحق من الباطل ويتّضح الأمر، وانظروا هذا الكلام: يبيّن لك المؤلف أن أهل البدع لا يأتونك بصورتهم الواضحة فكن حذراً، فلا تأتِ بعد أن يحذّرك عالم من العلماء من شخصٍ عُرف بالبدعة والضلالة عنده تقول: والله لا أرى فيه إلا الخير؛ مثلك لا يكتشف ذلك، عندما تتعلم وتدرس وتفهم ستعرف حقائق الأمور، فمثلك لا يدري عن هذه الأمور.

بعض الدعاة يكون عنده ضلالات واضحة تأتي وتكلّم الناس تقول له: احذر من فلان، فيه كذا وكذا، يقول لك: والله أنا ما سمعت له هذا الكلام.

---

(١) أخرجه اللالكائي في" شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١/٦٦- رقم٣٠) عن أيوب السختياني.

أنت لست أهلاً لأن تحكم عليه، لا بمستواك العلمي، ولا باطلاعك الذي تطّلع به، ذاك رجل متخصص فما ينبغي أن ترد كلامه بمثل هذه الفلسفة فكونوا حذرين بارك الله فيكم من تلوّن أهل البدع وكذبهم وغشّهم.

أذكر لكم موقفاً جليلاً من كلام السلف، كان أحد المحدثين جالساً ويحدّث- أظن فيما أذكر الآن أن اسمه بشر بن السريّ- فحدّث بحديث: (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال ينظرون إلى وجه الله قال: أيش هذا؟ أيش هذا الحديث؟ لا تحدّثوا بهذا الحديث، قال الحميدي - وهو من أئمة أهل السنة في مكة، شيخ البخاري – قال: (فقام أهل مكة عنه وهجروه، وما قبلوا منه كلمة بعد ذلك، فأتى واعتذر وتاب)، قال: (والله ما قبلوا منه ولا جالسوه بعد ذلك)[1] لماذا؟ لأنهم يعرفون أن أهل البدع يتلوّنون، هذا يظهر السنة، وقعت منه هذه الكلمة، فظهر ما في نفسه فأمسكوه؛ أنت منهم، تلوّن.

وقد نص الإمام أحمد في أكثر من موضع، قال: (أهل البدع يتلونون) بمعنى كلامه؛ لذلك كان رضي الله عنه ورحمه حذراً منهم جداً.

قال: (ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت وصارت ديناً يدان بها فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام) فلا تستهن بالبدع الصغيرة؛ لأن مآل البدعة الصغيرة أن تجرّك إلى الكبيرة، وكما قال بعض العلماء: (البدعة بريد الكفر)، وكان البريد قديماً هو

---

(١) أخرج ابن عدي هذا الأثر في "الكامل" (١٧٤/٢)، قال: (حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عصمة، حَدَّثَنَا أبو طالب أحمد بْنُ حُمَيْدٍ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ كَانَ بِشْر بْن السري رجلاً من أهل البصرة، ثم صار بمكة، سمع من سفيان نحو ألف، وسمعنا مِنْهُ ثم ذكر حديث نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا ناظرة فَقَالَ مَا أَدْرِي مَا هَذَا؟ أيش هَذَا؟ فوثب به الحميدي وأهل مكة وأسمعوه كلاماً شديداً، فاعتذر بعد فلم يقبل مِنْهُ، وزهد الناس فيه بعد، فلما قدمت مكة المرة الثانية كَانَ يجيء إلينا فلا يكتب عَنْهُ فجعل يتلطف فلا نكتب عنه).

الرجل الذي يأخذ الرسائل ويوصلها إلى محلّها، فهذه هي الصلة، البدعة هذه صلة بينك وبين الكفر، ونحن اليوم نسمع ونرى بعض الدعاة يبدأ ببدعة صغيرة، ثم إذا به يرتقي إلى ما هو أكبر منه حتى يخرج من ملة الإسلام ببدعه وضلالاته، فيتلفظ من الألفاظ الكفرية ما تصم له الآذان.

الأسئلة:

السائل: شيخنا - حفظكم الله - هذان سؤالان:

أولاً: أخ يستفسر عن طرق دراسة التوحيد في بلاد الغرب، كهولندا وغيرها.

والثاني: يسأل ويطلب منكم نصيحة يريد أن يعرف أيُّ كتب يبدأ بها ليتأصل في العلم ؟

الشيخ: هذا السؤال يحتاج محاضرة وحده، لكن باختصار أقول له:

الأصل في العلم أن تأخذه عن العلماء، وأن ترحل وتجلس إليهم وتأخذ عنهم مباشرة، هذا الأصل في طلب العلم، وإذا كان الشخص يريد أن يكون طالب علم يحتاج أن يصبر ويتحمّل كي ينال من هذا الخير العظيم، فإذا استطاع فالحمد لله، وإذا لم يستطع؛ فعندئذٍ يعتمد على الأشرطة المسموعة الموجودة، الآن - الحمد لله - قد توفّرت في كل مكان، فيعتمد عليها ويأخذ مسموعات العلماء الموثوقين خاصة في هذا الجانب- جانب التوحيد والعقيدة- فهو جانب حساس وخطير، فينظر إلى مسموعات العلماء الموثوقين كالشيخ ابن عثيمين، الشيخ الفوزان وأمثالهم، ويسمع لهم ويتدرّج؛ فيبدأ مثلاً بـ "ثلاثة الأصول" ثم "كتاب التوحيد"، ثم "لمعة الاعتقاد"، ثم شرح "العقيدة

الواسطية"، ثم شرح "العقيدة الطحّاوية"، ثم بعد أن ينتهي من دراسة هذه الكتب على العلماء، إذا استطاع أن يتواصل مع بعض العلماء وبعض طلبة العلم كي يعرض عليه فهمه لهذه الكتب ؛فهذا هو الواجب ولا بد من هذا؛ حتى نتأكد من أنه فهم على العلماء فهماً صحيحاً؛ فالصُّحُفيُّ ما ذُمَّ إلا لأجل أنه كان يأخذ من الصحف ويفهم، ولا ندري هل فَهِمَ فهماً صحيحاً أم فهماً سقيماً، فعندما يعرض علمه الذي فهمه على العلماء أو على طلبة العلم؛ يتبيّن له ما أخطأ فيه وما أصاب، وإذا لم يستطع فالله سبحانه وتعالى يقول: {فاتقوا الله ما استطعتم}[(١)]، وينتقل إلى المادة الثانية، والمواد كثيرة طبعاً؛ فمن الفقه مثلاً: أنصح أن يبدأ بـ "الدرر البهية" وهو كتاب مَتْنِيٌّ للشوكاني صغير ومناسب للمبتدئ، وبالنسبة لأصول الفقه أنصح بـ "الورقات" وقد شرحها غير واحد من أهل العلم، وبالنسبة للنحو يبدأ بـ "الآجرومية"، وكذلك بالنسبة لمصطلح الحديث يبدأ بـ "البيقونية".

السائل: جزاكم الله خيراً

الشيخ: وأنتم جزاكم الله خيراً

السائل: سائل يقول: شيخنا! ماذا تقول في كتاب "سير أعلام النبلاء" ؟

الشيخ : كتاب "سير أعلام النبلاء "كتاب نفيس جداً، وقد انتفع به العلماء وما زالوا يثنون عليه ثناءً عطراً طيباً؛ فقد بيّن لنا أحوال رجال كُثُر، لكن ليس كل ما يُروى فيه صحيح، هذا يحتاج أن يُنظرَ، يعني عندما تريد أن تعتمد على رواية من الروايات تحتاج أن تراجع مصدرها الأساسي وتعرف مدى صحتها، وهو يعتمد اعتماداً كبيراً على

---

(١) [التغابن:١٦].

كتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، و "تاريخ دمشق" لابن عساكر؛ يعتمد على هذين الكتابين بشكل كبير رحمه الله، وهذه الكتب تذكر الروايات بأسانيدها، فبإمكان الشخص إذا تمكّن من علم الحديث أن يحكم على هذه الروايات بالصحة والضعف، لكن هذا عندما تحتاج إلى معرفة صحة الرواية، أما بالنسبة لحال الراوي؛ فتكتفي بما يذكره الإمام الذهبي رحمه الله من روايات أهل العلم في توثيقه أو في تضعيفه.

السائل: شيخنا! نفع الله بكم، كيف نجمع بين كلامكم عن الصوفية على أن بعض بداية البدع كانت بكثرة في العبادة، وبين فعل بعض أصحاب النبي ﷺ في الزيادة في العبادة، وكذلك النصوص الواردة عن السلف أنهم كان منهم من يقوم الليلة بقراءة القرآن ومنهم من يصلي ألف ركعة؛ إلى غير ذلك؟

الشيخ: هؤلاء الصحابة ما خرجوا في طريقة عباداتهم عن طريقة النبي ﷺ ، أما بالنسبة للصوفية فكانت طريقة عباداتهم مخالفة للطريقة التي كان عليها الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وأنت عندما تقرأ تراجم هؤلاء القوم في الكتب التي ترجمت لهم كـ" حلية الأولياء " لأبي نعيم وغيرها تعرف الفرق بين الطريقين اللتين سُلِكتا.

السائل: شيخنا- نفع الله بك - بالنسبة لاستخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر، والنبي ﷺ لم يستخلف؛ فبماذا نرد على من يقول مثلاً أن أبا بكر الصديق ارتكب بدعة حين استخلف عمر بن الخطاب؟

الشيخ: نرد عليه بحديث: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"؛ ففعل النبي ﷺ وفعل الصحابة الذي لا يخالف فعل النبي ﷺ يدلّ على أنه سنة، وقد وافق الصحابة جميعاً أبا بكر على ما فعله، فعندنا إجماع على هذه المسألة، فلا تعتبر مثل هذه المسائل من البدع والمحدثات.

السائل: حفظكم الله شيخنا، هل أبو حنيفة رحمه الله كان يترك النصوص مع اعتقاده بصحتها ويقدّم رأيه؟

الشيخ: هذا محل خلاف بين العلماء؛ بعض العلماء كان ينفي عنه هذا ويقول: ما كان يفعل ذلك، والبعض كان يثبت عليه هذا الفعل كما ذكرنا عن الأوزاعي رحمه الله

السائل: يعني والراجح؟

الشيخ: ما عندي شيء. الله أعلم

السائل: بالنسبة لمن أراد أن يتوب من أهل البدع، رأينا أبا الحسن الأشعري، وابن القيم عندما كان فيه تصوف، وغيرهم؛ رأينا أن العلماء قد قبلوا منهم توبتهم ورجوعهم للحق، فكيف نجمع بين هذا وبين الأثر الذي ذكرتموه في أنهم لم يقبلوا من ذلك الرجل الذي رد النص في قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}؟

الشيخ: نعم، عندما يتبيّن لهم أن الشخص مراوغ في توبته وفي رجوعه؛ عندئذٍ لا يقبلون منه حتى يتَّضِحَ حاله تماماً، فكان بعض السلف يمهل صاحب البدعة سنة كاملة حتى يتضح بأنه قد صدق في توبته، أما إذا تبيّن لهم أنه صادق في توبته من

البداية فيقبلون منه، وقد قبلوا من أكثر من واحد، والنصوص عن السلف في هذا كثيرة، لكن كما ذكرت لك: أن بعض السلف كانوا يوقّتون لمدة سنة كاملة حتى يظهر صلاحه ويظهر رجوعه عن الباطل الذي هو عليه؛ حسب القرائن التي تظهر لهم.

السائل: بارك الله فيكم شيخنا، هناك من يستدل بوجود بدعة حسنة بقول عمر رضي الله عنه: (نعمت البدعة هذه) فكيف نرد عليهم شيخنا؟

الشيخ: أظن أننا ذكرنا هذا ورددنا عليه في الدرس الأول أو الثاني، لكن على كل حال: قول عمر: (نعمت البدعة هذه) يُرجَع إلى فعل عمر رضي الله عنه؛ هل هو بدعة، وهل تنطبق عليه البدعة بالتعريف المعروف لها؟

عمر رضي الله عنه قال هذا عندما أعاد قيام التراويح جماعة، وهذا العمل في أساسه قد فعله النبي ﷺ، فقد قام بأصحابه ثلاثة أيام، وما منعه من الاستمرار إلا أنه خشي أن تُفرَض عليهم، وهذه الخشية كانت قد انقطعت بعد موت النبي ﷺ؛ فإن التشريع كان ماضياً مستمراً إلى أن مات النبي ﷺ، **ثم** انقطع التشريع، فلما زالت هذه العلة التي مُنِع الفعل من أجلها، رجع الأمر كما كان عليه في عهد النبي ﷺ، إذاً الفعل له أصل في الشرع أم ليس له أصل؟ نعم له أصل، إذاً لا يقال فيه بأنه بدعة.

طيب ما معنى كلمة عمر؟ كلمة عمر معناها: هي عمل مُحدَثٌ بالنسبة لي ما كنت أفعله من قبل، فنرجع إلى المعنى اللغوي في ذلك؛ لأن عندنا قاعدة أن الاصطلاحات إذا منع مانع من حملها على المعنى الشرعي يُرجَع فيها إلى المعنى العرفي أو اللغوي، وهنا

منع مانع؛ وهو أن هذا العمل له أصل في الشرع وكان ثابتاً، فلما وُجِد هذا المانع رجعنا إلى الأصل اللغوي في معنى كلمة عمر رضي الله عنه.

عداك عن أنه هو أحد الخلفاء الراشدين المهديّين، فلا يمكن أن يكون فعله بدعة.

السائل: حديث: خذوا بالَّذين من بعدي أبي بكر وعمر؟

الشيخ: "اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر"(١) و" إن يقتدوا بأبي بكر وعمر يرشدوا"(٢) نعم صحيح.

السائل: شخص كان يدعو شخصاً للطاعة وكذا؛ فقال آخر شيء: أنا مسيحي، فسألني هذا هل هو كافر بهذا اللفظ؟

الشيخ: والله إذا كان قالها وهو يريد بذلك أن يخرج من الإسلام وأنه يكون نصرانياً لا شك يكون كافراً، أما ربما يقولها بعض الناس يدفعه إلى قولها شدة الغضب المغلق، وهنا شدة الغضب تكون مانعاً من تكفيره، نعم.

السائل: يعني تكون هذه بذاتها كفرية، وإن كان مثلاً يريد ...

الشيخ: طبعاً؛ هو يشهد على نفسه بالتحول من الإسلام إلى المسيحية

السائل: وإن كان فقط يريد أن ينزاح عنه هذا الداعي؟

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٢٤٥)، والترمذي (٣٦٦٢) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٦٨١) وأصله عند البخاري.

الشيخ: هو هذا الذي ذكرنا، وهذا التفصيل الذي ذكرناه

السائل: يعني هذا أصبح مانعاً؟

الشيخ: نعم، أصبح مانعاً من الموانع، هنا وُجِد مانع من تكفيره، لا شك.

السائل: شيخنا: الآية: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}(١) كيف نوفق بينها وبين فعل أبي بكر الصديق أنه تبرّع بكل ماله؟

الشيخ: جاء عن عمر رضي الله عنه أيضاً بأنه تبرع بنصف ماله، وأبو بكر تبرّع بماله كله، فَجَمَعَ العلماء بين هذا وهذا، وبين ما ذكرت وبين فعل أبي بكر الصديق، وقالوا: من كان توكّله على الله تبارك وتعالى عظيماً وكبيراً ولا يؤدي إخراجه ماله كاملاً إلى التسخُّط أو إلى عدم الصبر؛ فيجوز له أن يخرج كل ماله كما فعل أبو بكر، أما من كان يخشى هذا أو عنده ذرّيّة يحتاج إلى أن ينفق عليهم فيقال: هذا هو الذي لا ينبغي له أن يتصدق بماله كله؛ هذه طريقة جمع العلماء في ذلك.

السائل: شيخنا - حفظك الله - سمعت أحدهم يقول: إن ولي الأمر ليس مكلّف بتطبيق شرع الله؛ فما رأيكم بهذه العبارة؟

الشيخ: هذا كذب، وهذا كلام خطير جداً على صاحبه، الله سبحانه وتعالى أمر بتطبيق شريعته، وقال في كتابه الكريم: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ}(٢)، وقال:

---

(١) [الإسراء:٢٩].

(٢) [المائدة:٤٩].

{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }(١)، وقال: { إِنِ الْحُكْمُ إلا لله}(٢)، وهذه أدلة كثيرة وكثيرة جداً، والإجماع منعقد على وجوب الحكم بشريعة الله على أي حاكم يحكم في الناس.

السائل: هذه العبارة على الإطلاق تعتبر بحد ذاتها لفظاً كفرياً ؟

الشيخ: نعم.

قال المؤلف رحمه الله :(**فانْظُرْ رَحِمَكَ اللهُ كُلَّ مَنْ سَمِعْتَ كَلامَهُ مِنْ أَهْلِ زَمانِكَ خاصَةً فَلا تَعْجَلَن، ولا تَدْخُلَنَّ في شيءٍ منهُ حتى تَسْأَلَ وتَنْظُرَ؛ هل تَكَلَّمَ فيه أَحَدٌ مِنْ أَصْحابِ النبي - ﷺ ورضي الله عنهم - أو أَحَدٌ مِنَ العُلَماءِ؟ فَإِنْ أَصَبْتَ فيه أَثَراً عَنْهُمْ فَتَمَسّكْ بِهِ، ولا تُجاوِزْهُ لشَيءٍ، ولا تَخْتَرْ عليهِ شَيئاً؛ فَتَسْقُطَ في النَّارِ**).

قال: (فانظر رحمك الله كلَّ من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن) يعني إذا بلغك كلام في أمور الدين من أهل زمنك فلا تعجل، أي: فلا تستعجل وتقبله مباشرة؛ بل تأنَّ واصبر؛ فإن التأني والصبر مطلوب في مثل هذه المواطن وفي كل المواطن ما عدا العبادات، التأني والتؤَدَة مطلوبة من العبد، يعني ألا يستعجل، وقد مدح النبي ﷺ من تحلّى بخلق الأناة، فقال عليه الصلاة والسلام للأشجّ- أشجّ عبد القيس-: "إن فيك لخصلتين يحبها الله ورسوله - قال - الحلم والأناة"(٣)، الأناة:

---

(١) [المائدة:٤٤].

(٢) [الأنعام:٦].

(٣) أخرجه مسلم (١٧) عن ابن عباس رضي الله عنه، و(١٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يعني عدم العجلة، كذلك هذا الخُلُقُ مطلوب هنا؛ ألا تستعجل في أمر من أمور الدين بلغك عن أهل زمانك.

قال: (فلا تعجلن)، أي: تأنّ ولا تستعجل إلى أن تتبيّن عندك الأمور.

ثم ماذا قال بعد التأني وعدم العجلة؟

قال :(ولا تدخلنّ في شيء منه) إلى متى؟ قال: (حتى تسأل) تسأل من؟ تسأل أهل العلم بالآثار؛ فَهُمُ الذين يعلمون منهج السلف، ولا تسأل العقلانيين؛ لأن هؤلاء يفهمون الشريعة بآرائهم وأهوائهم؛ بل ترجع بالسؤال إلى أهل العلم، أهل السنة.

قال: (وتنظر) تتأمّل: (هل تكلّم فيه أحد من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم)؟ هذه قاعدة يعطيها لك المؤلف: عندما يأتيك أمر في الدين ارجع إلى أصحاب النبي ﷺ وانظر هل تكلموا في هذه المسألة؟ (أو أحد من العلماء) الذين على طريقة الصحابة رضي الله عنهم، عُرِفوا بذلك واشتُهِروا بين الناس باتّباع سبيل المؤمنين؛ باتّباع منهج أصحاب النبي ﷺ، وعُرِفوا بالتقوى والورع والدفاع عن السنة ومحاربة أهل البدع؛ هؤلاء هم العلماء الذين يُرجَع إليهم في المسائل الدينية الشرعية، فإذا كانت المسألة قديمة وعندك القدرة على الاطلاع على مذاهب الصحابة؛ فترجع إلى ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ وتنظر هل تكلموا في هذه المسألة أم لم يتكلموا؟ إن تكلموا؛ فقل بما قالوا، وإن لم يتكلموا؛ فيسَعُكَ ما وسعهم، فإن كانت المسألة حادثة وليست بقديمة؛ فانظر إلى علماء السنة في زمنك الذين اشتُهروا بما قدّمنا وانظر ما يقولون وتابعهم على ذلك؛ هذا هو منهج السلف.

قال :(فإن أصبت فيه أثراً عنه فتمسك به) إذا وجدت أثراً عن أصحاب النبي ﷺ أو عن العلماء الذين اتبعوهم بإحسان (فتمسّك به ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئاً) لماذا؟ قال: (فتسقط في النار) لأنك إذا خالفت هديهم وطريقهم فسيؤدي بك ذلك إلى السقوط في النار؛ لأنك ستزتكب أنواعاً من المخالفات الشرعية ومنها الوقوع في البدع والضلالات، فإذا خالفت هدي السلف رضي الله عنهم؛ وقعت في البدعة ولا بد، فعندئذ تهلك وتكون من أهل النار.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**[٧] واعْلَمْ أَنَّ الخُرُوجَ عنَ الطَّرِيقِ على وَجْهَينِ؛ أمَّا أَحَدُهُما: فَرَجُلٌ قَدْ زَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ، وهو لا يُرِيدُ إلَّا الخَيْرَ؛ فَلا يُقْتَدى بِزِلَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ هَالِكٌ، وَرَجُلٌ عَانَدَ الحَقَّ وخَالَفَ مَنْ كانَ قَبْلَهُ مِنَ المُتَّقِينَ؛ فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ، شَيْطانٌ مَرِيدٌ في هذهِ الأُمَّةِ، حَقيقٌ على مَنْ عَرَفَهُ أَنْ يُحَذِّرَ النَّاسَ مِنْهُ، وَيُبَيِّنَ للنَّاسِ قِصَّتَهُ؛ لئلا يَقَعَ في بِدْعَتِهِ أَحَدٌ فيَهْلَكَ**)

يعني الذي يخرج عن طريق الحق والهداية ومنهج السلف الذي قدّم المؤلف ذِكره أحد رجلين:

الأول: قال :(أما أحدهما: فرجل قد زل عن الطريق)، يعني انحرف عن الصراط المستقيم، (وهو لا يريد إلا الخير) لاحظ ما نيّته؟ يريد الخير ولا يريد الشرّ، لا يريد المخالفة.

قال: (فلا يُقتدى بزلته؛ فإنه هالك) مع أنه مجتهد وأراد الحقّ باجتهاده؛ إلا أنه هالك.

لماذا قال فيه هالك مع الاجتهاد؟

لأنه اجتهد فيما لا مجال للاجتهاد فيه، فالمسائل العلمية منها ما يجوز الاجتهاد فيها، ومنها ما لا يجوز الاجتهاد فيها والواجب فيها الاتباع فقط، لا يجوز لك أن تخرج عن هدي السلف وتعتذر لنفسك بالاجتهاد، لا؛ ليس لك أن تجتهد، المسائل التي نُصّ عليها في الكتاب والسنة ومنهجُ الصحابة رضي الله عنهم فيها واضح، هذه لا يجوز لأحد أن يجتهد ولا أن يخالِف فيها، وإن اجتهد وخالَف فهو غير معذور في ذلك؛ لأنه مقصّر بمخالفته للاتّباع الذي أمره الله تبارك وتعالى به؛ فهو مأمورٌ بالاتّباع، فإذا لم يتّبع فقد خالف - وإن اجتهد - فهو مخطئ في اجتهاده الذي اجتهده؛ فكما قدّمنا: فإن طريق الحقّ واحد، ولا يجوز لأحد أن ينحرف عنه، ومن شروط قَبول العمل أن يكون خالصاً لله تبارك وتعالى وأن يكون على هدي النبي ﷺ، فإذا انحرف الشخص عن الطريق؛ لا يُقبَل منه عمله، وهذا يبيّنه حديث الثلاثة الذين جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، ماذا كان يريد هؤلاء؟ كانوا يريدون الحقّ، يريدون الاجتهاد في العبادة والطاعة، فاجتهدوا في ذلك وجاؤوا وسألوا عن عبادة النبي ﷺ، يقول الراوي: (كأنهم تقالّوها) أي: رأوها قليلة؛ فقالوا: إن النبي ﷺ قد غُفِر له ما تقدّم من ذنبه، قال أحدهم : أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الثاني: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الثالث: أما أنا فلا أتزوج النساء - يريد أن يتفرّغ لعبادة الله تبارك وتعالى- فلما سمع النبي ﷺ بهذا؛ قال: "ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؛ أما إني أتقاهم لله وأخشاهم له، وإني أصلي وأنام - أقوم وأنام -، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس مني"(١)، إذاً من شرط العمل أن يكون على هدي النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) عن أنس رضي الله عنه، ولفظ البخاري: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ

ولعل الكثير منكم يعرف أثر ابن مسعود رضي الله عنه عندما اجتمع أقوام في المسجد، يريدون أن يتعبّدوا لله فيقول أحدهم: (سبحوا مائة) فيسبحون مائة، (هلّلوا مئة) فيهلّلون مائة، فرأى أبو موسى الأشعري هذا، فذهب إلى ابن مسعود وأخبره فقال: رأيت شيئاً وما رأيت إلا خيراً، فقال: ماذا رأيت؟ فأخبره، فقال له: (هلّا أخبرتهم أن يعدّوا سيئاتهم؛ فإني ضامن على الله سبحانه وتعالى ألا يضيّع لهم شيئاً من حسناتهم)، ثم جاءهم وكلّمهم، قال لهم عبد الله بن مسعود: (عُدُّوا سَيِّئَاتكُمْ فَإني ضَامِن أَن لَا يضيع من حسناتكم شَيْء، وَيحكم يَا أمة مُحَمَّد مَا أَسْرع هلكتكم! هَؤُلَاءِ صحَابة نبيّكم متوافرون) انظر بماذا استدل عليهم؟ استدل عليهم بالصحابة؛ يعني: لماذا أتيتم بعمل جديد من غير أن تسألوا أصحاب النبي ﷺ عنه أهو مشروع أم غير مشروع؟، قال: (هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبلَ وآنيته لم تُكسَر) يعني ما زال موته حديثاً، قال: (والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة) طبعاً أن يكونوا على ملة أهدى من ملة محمد ﷺ؛ فهذا مستحيل، ليس هناك أهدى من ملة محمد ﷺ؛ فخير الهدي هدي محمد ﷺ، إذاً ماذا بقي؟ بقي أنهم مفتتحو باب ضلالة.

انظر! بدعة صغيرة؛ كانوا يجتمعون في المسجد ويقول واحد منهم: (سبّحوا مائة) فيسبحون مائة، (هلّلوا مائة) فيهلّلون مائة؛ بدعة صغيرة لكن ماذا وصفها ابن مسعود؟ قال: مفتتحو باب ضلالة، باب بدعة، ستفتتحونه وستدخل البدعة من خلاله، وانظر هنا! يصح أن نستدل بهذا الأثر على ما تقدّم من أن البدع تبدأ صغيرة

سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"، ولفظ مسلم: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي".

ثم تكبُر؛ هذه البدعة بدأت صغيرة، قالوا: (والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا خيراً)، يا أبا عبد الرحمن يا ابن مسعود ما أردنا إلا خيراً في فعلنا هذا، ماذا قال؟ قال: (وكم من مريد للخير لن يصيبه)، إذاً إرادتكم للخير لن تنفعكم، لماذا؟ لأن عملكم ليس على هدي النبي ﷺ، قال: (إن رسول الله حدّثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقِيَهم، وأيم الله لا أدري لعل أكثركم منهم) ثم تولّى عنهم، لما رأى ابن مسعود رضي الله عنه أن هؤلاء عندهم قابلية للبدع والإحداث تفرّس فيهم أن يكونوا من الخوارج بعد ذلك؛ وكانوا كما تفرّس بهم، فقال عمرو بن سلمة الذي يروي الخبر: (رأينا عامة أولئك الحِلَق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج)(١)، أكثرهم قد رآهم أين؟ مع الخوارج، انظروا كيف كانت بدعتهم صغيرة، لكن لما فتحوا المجال لأنفسهم بأن يجتهدوا في عبادة الله كما يشاؤون ولم يرجعوا إلى سلفهم من أصحاب النبي ﷺ في هذه الأمور؛ ضلّوا ووصلت بهم البدع إلى الخروج وقتل المسلمين.

إذن إرادة الخير لا تكفي؛ بل لا بد معها من الاتّباع الذي أمر الله سبحانه وتعالى به.

وما الذي يدلّ على ما قاله المؤلف من أن الشخص إذا زلّ عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير أنه هالك مع إرادته للخير؟

قلنا: لأنه مقصّر في الاتّباع الذي يدل على أن هذا المنهج هو منهج السلف رضي الله عنهم- كما سيأتي إن شاء الله من آثار- فلا يأت أحد بعد ذلك يقول لنا فيمن ابتدع بدعة في دين الله: اجتهَدَ فأخطأ؛ تعرفون أن هذا الكلام الآن فاسد باطل، إذا كان اجتهاده مخلّاً بالاتّباع الذي أمر الله تبارك وتعالى به، عنده نصوص واضحة وصريحة

---

(١) أخرجه الدارمي في "سننه" (٢١٠)، وأصله عند أحمد (٣٨٣١)، والترمذي (٢١٨٨).

خالفَها وتركها ووقع في بدعة بسبب مخالفته، سواء كان مجتهداً أو غير مجتهد فهو مبتدع هالك كما قال المؤلف رحمه الله.

حين يأتينا شخص ويقول: الله سبحانه وتعالى لا يُرى يوم القيامة.

نقول له: لماذا؟

قال: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}(١)، يقول لنا : أنا مجتهد؛ هل نقبل منه مثل هذا؟

لا نقبل منه؛ لأن الآيات والأحاديث واضحة وصريحة في دلالتها ليس فيها أيُّ خفاء، والأدلة قوية في المسألة، فما عنده مجال الآن، وكلام السلف كثير منتشر، ما يأتيني ويقول لي: والله أنا اجتهدت وأخطأت؛ فليس له مجال أن يجتهد في هذه القضية.

يأتي شخص ويقول: الله في كل مكان؛ لماذا؟ يقول: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}(٢)

نقول له هذا غير مقبول؛ لأن أدلة علو الله على خلقه قد تجاوزت آلاف الأدلة من كتابٍ وسنّة وآثار عن السلف رضي الله عنهم، ثم يأتي بعد ذلك ويقول: أنا مجتهد؟

لا يُقبَل مثل هذا الاجتهاد مِن شخصٍ كهذا.

انظروا مثلاً من الصور التي سنذكرها لكم ثلاث صور عن السلف رضي الله عنهم تبيّن لنا منهجهم في مثل ذلك:

الصورة الأولى: تصرّف السلف مع الحسن بن صالح بن حَيّ، وقد وُصِف بالعبادة والورع والفقه.

---

(١) [الأنعام:١٠٣].

(٢) [الحديد:٤].

التصرف الثاني: مع الإمام البخاري رحمه الله، وهو شهير معروف، معروفة عبادته وتقواه وزهده وإمامته.

التصرّف الثالث: مع كل من أجاب في المحنة من قِبَل الإمام أحمد ومن وافقه على ما فعله رضي الله عنه.

ثلاث صور تبيّن لنا منهج السلف في مثل ذلك؛ أما الحَسَن بنُ صالح بن حَيٍّ فقد جاء عن أكثر من واحد من السلف رضي الله عنهم ذمّ هذا الرجل، ومنهم سفيان الثوري رحمه الله، قال يحيى القطّان: (كان سفيان الثوري سيء الرأي في الحسن بن حي)[١].

وعن عبيد بن يعيش عن خَلّاد بن يزيد قال: (جاءني سفيان فقال: الْحَسَن بْن صالح مع ما سمع من العلم وفِقْهُه يترك الجمعة؟ ثم قام فذهب)[٢].

قال ابن إدريس: (ما أنا وابن حي، لا يرى جمعة ولا جهاداً)[٣].

تعرفون ماذا يعني أنه يترك الجمعة؟ يعني لا يرى الجمعة مع الإمام، ولا يرى الجهاد مع الإمام، ويجيز الخروج على الحاكم، حتى إنه لما اعتذر لسفيان الثوري، كما يذكر زافر بن سليمان؛ فيقول: (أردت الحج فقال لي الحسن بن صالح: إن لقيت أبا عبدالله سفيان الثوري بمكّة فأقرئه مني السلام وقل: أنا على الأمر الأول)، سفيان الثوري هو إمام أهل الكوفة في زمنه، الأئمّة الأربعة في عهد أتباع التابعين هم: سفيان الثوري في الكوفة، والأوزاعي في الشام، والليث بن سعد في مصر، وسفيان بن عيينة في مكة،

(١) "سير أعلام النبلاء" (٥٦/٧).
(٢) "سير أعلام النبلاء"(٣٦٣/٧).
(٣) "سير أعلام النبلاء" (٥٣/٧).

وكان عبد الله بن المبارك في خراسان، فسفيان الثوري إمام؛ لذلك يُرسِل إليه الحسن بن حيّ هذه الرسالة فيقول: (فأقرئه مني السلام، وقل: أنا على الأمر الأول) يعني: على ما كان عليه السلف رضي الله عنهم.

قال الراوي: (فلقيت سفيان في الطواف، فقلت: إن أخاك الْحَسَن بْن صالح يقرأ عليك السلام، ويقول: أنا على الأمر الأول)

انظروا إلى السلف كيف يتصرّفون مع القوم! قال سفيان: (فما بال الجمعة؟)[1]

قال الذهبي عن الحسن بن صالح: كان يترك الجمعة ولا يراها خلف أئمة الجَوْرِ بزعمه؟)[2]

فمراد سفيان الثوري: إذا كان على الأمر الأول لماذا يترك الجمعة إذاً ولا يصليها؟ هذا دليل على أنه ليس على الأمر الأول؛ بل هو يرى السيف، ويرى عدم صلاة الجمعة مع الإمام القائم في ذاك الوقت.

وقال يوسف بن أسباط: (كان الحسن بن حي يرى السيف)[1] يعني يرى الخروج.

وكلام السلف كثير في هذا الأمر.

نذكر لكم صورة أخيرة: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: (سمعت أبا مَعمَر يقول: كنا عند وكيع - وكيع بن الجرّاح - فكان إذا حَدّث عن الحسن بن صالح أمسَكْنا أيدينا) انظر طلبة الحديث! يحدّثهم وكيع عن الحسن بن صالح فيمسكون أيديهم؛ لا يريدون أن يحدَّثوا عنه، قال: (فلَمْ نكتب، فقال: ما لكم لا تكتبون حديثَ حسنٍ؟ فقال له أخي

---

(١) "سير أعلام النبلاء" (٣٦٣/٧).

(٢) "سير أعلام النبلاء" (٣٦٣/٧).

بيده هكذا - يعني أنه كان يرى السيف - فسكت وكيع)[٢]، لم يقل لهم وكيع هنا: والله اجتهد فأخطأ؛ لكنه أمسك انتهى؛ لم يعد عنده ما يقوله لهم في مثل هذا الموطن.

هذا الحسن بن صالح مع زهده وتقواه الذي وُصِف به حتى إنه كان يُصعَق في صلاته، ومع ذلك تركَه السلف رضي الله عنهم، وحذّروا منه لما وقع فيه من ضلال.

الصورة الثانية: قلنا مع الإمام البخاري رحمه الله، طبعاً ليست قضيّتنا الآن: هل قال الإمام البخاري ما أُخِذَ عليه أم لم يقل؛ المهم عندنا في الموضوع: موقف محمد بن يحيى الذهلي وأهل الحديث في نيسابور، عندما وقعت فتنة خلق القرآن خرجت طائفة تقول: (لفظي بالقرآن مخلوق)، وهذه اللفظة لفظة مجملة تحتمل حقاً وباطلاً، لكن لما كانت في زمن الفتنة في هذه القضية؛ لا يُحتَمَل منك أن تأتي بألفاظ مجملة تحتمل حقاً وباطلاً؛ فإما أن تقول: يمين أو يسار؛ لا احتماليات؛ لأنك هكذا تشكّك الناس في دينهم وتلبس الحق بالباطل؛ لذلك ما يقبلون من أحد أن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، وبدّع الإمام أحمد مَن قال: (لفظي بالقرآن مخلوق)؛ لأنه لا يُقبَل في ذاك الوقت.

وكذلك الواقفة الذين كانوا يقولون: القرآن كلام الله ويقفون، يسكتون؛ ما قُبِل منهم هذا مع أن السلف أساساً كانوا على هذا؛ لكن لمّا ظهرت البدعة بالقول بخلق القرآن؛ وجب ردّها بلفظ صريح حتى لا يندثر الحق في ظلمات الباطل، فلا بد من التصريح؛ لذلك ما كان يسع أحداً أن يقول: (كلام الله) ويسكت؛ بل لا بد أن يقول: (القرآن كلام الله غير مخلوق)؛ حتى يرد على الجهمية عندما أظهروا بدعتهم أن القرآن مخلوق.

---

(١) "سير أعلام النبلاء" (٥٣/٧).

(٢) "سير أعلام النبلاء" (٥٤/٧).

فهنا الإمام البخاري رحمه الله اتُّهِمَ أنه يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فقامت عليه الدنيا في وقته، ومن أعظم من اشتهر بالقيام عليه محمد بن يحيى الذهلي وأهل نيسابور حتى طُرِدَ من نيسابور وضاقت عليه الأرض بما رحُبَت حتى دعا الله سبحانه وتعالى وقُبِضَ بعدها؛ لماذا؟

بسبب هذه الكلمة التي هو ينفيها عن نفسه ويقول: هي كذب علي؛ لم أقلها أصلاً، وأقوال أخرى يقولون بأنه قالها- لكن ليست قضيّتنا الآن- القضية الآن: الإمام البخاري أولى الناس بأن يُقال فيه اجتهد فأخطأ؛ لكن مع ذلك لم يجعلوا هذا عذراً له؛ لأن هذه مخالفة في قضية واضحة والفتنة فيها تغلي وتفور، فلا يُقبَل من أحد أن يأتي بألفاظ مجملة؛ فلذلك تصرّفوا معه هذا التصرف.

كذلك الإمام أحمد وأبو زرعة الرازي وأبو حاتم الرازي وغيرهم تركوا كتابة الحديث عن أقوامٍ أجابوا في زمن المحنة في مسألة القرآن مخلوق، كان الناس يُمتحَنون في زمن الإمام أحمد بهذا الأمر، فالذي يقول: (القرآن مخلوق) يتركونه والذي يقول: (القرآن غير مخلوق) يُعذَّب كما عُذِّب الإمام أحمد وغيره، ما كان الإمام أحمد يرى سعة لأحد أن يقول: (القرآن مخلوق)؛ بل يجب عليك أن تصدع بالحق في ذاك الوقت، فترك الإمام أحمد الكتابة عن أئمة جبال من أئمة الحديث لأجل هذه القضية، ولم يقل: اجتهدوا فأخطأوا.

إذاً القضايا الصريحة التي يجب عليك فيها الاتبّاع لا يجوز لك أن تجتهد فيها وتخطئ حتى يقال بأنه اجتهد فأخطأ؛ بل يجب عليك الاتباع فيها، من هاهنا قال ابن تيمية رحمه الله: (وَهَذَا مَذْهَبُ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْحَدِيثِ كَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ: أَنَّ مَنْ كَانَ دَاعِيَةً إلَى بِدْعَةٍ فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ لِدَفْعِ ضَرَرِهِ عَنْ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ فِي الْبَاطِنِ مُجْتَهِداً) لاحظوا

كلامه دقيق رحمه الله؛ قال: (فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ لِدَفْعِ ضَرَرِهِ عَنْ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ فِي الْبَاطِنِ مُجْتَهِداً، وَأَقَلُّ عُقُوبَتِهِ أَنْ يُهْجَرَ فَلَا يَكُونُ لَهُ مَرْتَبَةٌ فِي الدِّينِ ولا يُؤْخَذُ عَنْهُ الْعِلْمُ وَلَا يُسْتَقْضَى) يعني لا يُجعَل قاضياً (وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ. ومَذْهَبُ مَالِكٍ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا)[1] هذا كلام ابن تيمية رحمه الله؛ يعني: حتى لو كان مجتهداً لكن إذا وقع في بدعة ودعا إلى هذه البدعة وصار داعية إليها؛ عندئذٍ يُهجَر ويُحذَّر منه، لماذا؟

كما قال ابن تيمية رحمه الله: (لدفع ضرره عن الناس) ولئلا تتغير الشريعة؛ فتبقى الشريعة صافية نقية؛ لأن الهدف الأساسي هو حفظ شريعة الله تبارك وتعالى، وكان الواجب على مثل هذا أن يتّبع لا أن يبتدع، فلما ابتدع؛ كان مستحقاً للعقوبة، وكما قال ابن تيمية: (أقل ما يقال بأنه يستحق الهجر).

قال المؤلف رحمه الله :(ورجُلٌ عانَدَ الحق)، هذا الرجل الثاني الذي خرج عن الطريق، (ورجلٌ عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين) انظر كيف؟ عاند الحق؛ هذا تبيّن له الحق وعرَفه ولكنه بقي على بدعته عناداً وخالف منهج السلف عناداً مع معرفته للحق.

قال: (فهو ضالٌّ مُضِلٌّ) هو ضال عن الطريق منحرف عنه، ومضل لغيره: يعني هو من الذين قال فيهم النبي ﷺ: "دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها"[2] فهذا واحد من أولئك، (شيطان مريد) يعني متمرِّدٌ (في هذه الأمة)، يريد إضلالها وصرْفَها عن الحق، (حقيق على من يعرفه أن يحذر الناس منه)، يعني: حقٌّ واجب على كل

---

(١) "مجموع الفتاوى" (٣٨٦/٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

من عرف هذا الشخص أن يحذّر الناس منه، (ويبيّن للناس قصّته) يعني ما الذي عنده؛ (لئلا يقع في بدعته أحد فيَهلِك).

وهذا من المؤلف تقريرٌ لمنهج السلف في التحذير من أهل البدع، التحذير من أهل البدع واجبٌ من واجبات الشرع، وهو واجب على هذه الأمة، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، فهو واجب كفاية؛ لذلك نحن نشكر العالِم الذي يقوم على هذا الواجب ويقوم به، فهذا العالِم يُسقِط عن هذه الأمة واجباً من الواجبات، يتفرّغ ويفرّغ وقته ويعطي جهده لكي يبين للناس المبتدع من السّنّيّ، والمُحِقّ من المُبطِل؛ هذا يُشكَر بدل أن يُذَمّ وأن يُجرَّح وأن يُطعَن فيه وأن يُطعن في نيّته وقصده، ينبغي أن يُشكر على هذا الفعل الذي رفع به الإثم عن كثير من الناس.

التحذير من أهل البدع واجب شرعي؛ لأنه من النصيحة التي أمر النبي ﷺ بها فقال: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" ثَلَاثًا. قالوا: لِمَنْ يا رسول الله؟ قَالَ: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ"(١)، فمِنَ النصيحة لكتاب الله ولدين الله ولأمة المسلمين أن تبيّن لهم داعية الحق من داعية الضلال، الذي يدعو إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ بحق والذي يدعو إلى جهنم، لا بد من التفريق بينهما، فإذا كان غالب الناس لا يعرفون من دين الله شيئاً إلا الشيء اليسير مما تعلموا منه؛ فمثل هؤلاء يحتاجون إلى من يعلّمهم داعية الحق من داعية الضلال وأن يبصّرهم ويبين لهم؛ لذلك جاء علم الجرح والتعديل في أهل البدع وفي الرجال، علم الجرح والتعديل كان السلف يستعملونه في أهل البدع والضلال ويستعملونه أيضاً في الرجال للحديث، يستعملونه في الرجال : كي يعرفوا الموثوق الثقة الحافظ فيأخذوا بحديثه، ويستعملونه في البدعة

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) عن تميم الداري.

والضلالة وفي السنة كي يُعرَف صاحب السنّة فيُؤخذ عنه الدين ويُعرَف صاحب البدعة ويُترَك.

وقد جاءت أدلة في الشرع تبيّن لنا شرعية أصل الجرح والتعديل، فمن ذلكم قول الله تبارك وتعالى: { إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا}(1) إذاً عندما يأتيك خبرٌ سواء كان من أخبار الناس أو من غيرها تحتاج أن تتبيّن في حال أن يكون ناقل الخبر فاسقاً، {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} فهذا أمر من الله تبارك وتعالى بالتبيّن عند الإتيان بالخبر من قِبَل الفاسق، فعلمنا من هذه الآية أنه إن جاءنا فاسق بخبر يجب علينا أن نتبيّن، ومفهوم هذه الآية: إن جاءكم عَدْلٌ فلا داعي للتبيُّن.

إذاً إن جاءكم عدل فاقبلوا، وإن جاءكم فاسق فتبينوا، فنحن بحاجة إلى أن نعرف من هو العدل ومن هو الفاسق أم لا؟

نعم بحاجة إلى هذا، وهذا لا يتم إلا بإحدى طريقتين:

إما بالمخالطة أو عن طريق التزكية، إما أن تخالط، وإذا كنت أنت ما خالطت؛ يكون غيرك قد خالط، فغيرك هذا هو الذي يعطي الحكم فيقول لك: ثقة أو غير ثقة، إذاً إما عن طريق التزكية أو عن طريق المخالطة يمكن أن تعرف هذا الشخص أهو فاسق أم عدل، فمن هنا أخذ العلماء جواز الجرح والتعديل من أجل الشهادة في أمور القضاء وغيرها، ومن أجل الرواية، أيضاً من أجل بيان داعية الحق من داعية الضلال.

يدلنا على جواز الجرح والتعديل من السنة: حديث أبي سعيد الخدري:

---

(1) [الحجرات:6].

(بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ، بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ، وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «أَلَا تَأْمَنُونِي؟ وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحاً وَمَسَاءً» قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اتَّقِ اللهَ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ" ثم ذهب الرجل فاستأذن أحد الصحابة النبي ﷺ في ضرب عنقه، فقال ﷺ: "لا؛ لعله أن يكون يصلي" ثم قال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، أَوْ: فِي عَقِبِ هَذَا قَوْماً يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ"[(١)]، وفي رواية علي رضي الله عنه: " يأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حدثاء الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[(٢)]، الشاهد: أن النبي ﷺ قد حذّر من هذا الشخص بعينه وحذّر ممّن هم على طريقته.

فهل يدل هذا الحديث على جواز الجرح والتعديل في التحذير من أهل البدع أم لا؟

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٢) ومواضع أخرى، ومسلم(١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦).

نعم

إذاً لا يصحّ بعد ذلك أن نقول بأن الجرح والتعديل إنما هو في رواية الحديث فقط؛ لأن الدليل الذي نستدلّ به على جواز الجرح والتعديل في الرواية هو أصلاً وارد في التحذير من أهل البدع؛ فكيف نبطل الأصل ونبقي الفرع؟ لا يصح مثل هذا، الحديث هذا وارد في التحذير من أهل البدع، إذاً التحذير من أهل البدع هو الأصل والأساس الذي ثبت بالنص الشرعي، إذاً هو أولى في إثباته من مسألة الرواية؛ مع أن كلّه لا خلاف فيه بين أهل العلم أنه يجب التحذير من أهل البدع، ثم بعد ذلك سمّيته جرحاً وتعديلاً أو سمّيتَه تحذيراً من أهل البدع؛ سمِّه ما تشاء؛ لأن النتيجة واحدة، إنما الخلاف في المسميات.

لكننا على كل حال نعلم من هذا الدليل ومن منهج السلف الصالح رضي الله عنهم أن الجرح والتعديل قائم على الرواية وعلى السنة والبدعة أيضاً.

ومن الأدلة التي تدل على جواز الجرح والتعديل أيضاً:

عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: «بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ» فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشاً، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ"(١)، فهذا رجل قد جرحه النبي ﷺ وذمّه تحذيراً مما هو فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٢٥٩١).

كذلك حديث فاطمة بنت قيس أنها جاءت إلى النبي ﷺ وذكرت له أنه قد خطبها معاوية وأبو جهم، فقال لها النبي ﷺ: "أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد"(١)، ومعنى صعلوك: أي فقير لا مال له.

فالنبي ﷺ قد ذكر كلَّ واحد منهما بما يُذَمُّ به عند هذه المرأة ولا يكون صالحاً للزواج منها؛ فلذلك يُعتبَر هذا دليلاً عند أهل العلم على جواز الجرح والتعديل.

لماذا؟

أيهما أولى: جواز الجرح والتعديل في النكاح أم في حفظ شريعة الله تبارك وتعالى؟

لا شك أن حفظ شريعة الله أولى في ذلك من غيره.

وكذلك قصة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك؛ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للنبي ﷺ: (سل الجارية - عن عائشة – تَصْدُقكَ)، فسأل النبي ﷺ الجارية، فتكلمت بما علم من عدالة عائشة رضي الله عنها، فكان النبي ﷺ يسألها حتى تقرّ بما تعرف عن عائشة سواء كان مدحاً أو ذَمّاً(٢)؛ فهذا أيضاً من الأدلة التي تدل على جواز الجرح والتعديل.

وقد نقل أهل العلم الإجماع على جواز جرح الشهود عند القضاة، ولا شك أن حفظ الشريعة أولى من هذا كله، وقد جاءت آثار كثيرة جداً عن السلف تدل على جواز الجرح والتعديل:

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) عن جمع من الصحابة.

من ذلك ما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل؛ قال: جاء أبو تراب النَّخْشَبي إلى أبي، فجعل أبي يقول: (فلان ضعيف وفلان ثقة)، فقال أبو تراب: (يا شيخ! لا تغتب العلماء)، فالتفت أبي إليه فقال: (ويحك، هذا نصيحة، ليس هذا غيبة)(١).

وجاء عنه أيضاً أنه سئل عن أصحاب الحديث يأتون الشيخ لعله أن يكون مرجئاً أو شيعياً أو فيه شيء من خلاف السنة: أينبغي أن أسكت فلا أحذر منه أم أحذّر منه؟ فقال الإمام أحمد: (إن كان يدعو إلى بدعة وهو إمام فيها ويدعو إليها؛ قال: نعم تحذّر منه)(٢).

وجاء أيضاً عن عبد الله بن المبارك أنه ذكر رجلاً فقال له بعض الصوفية: (يا أبا عبد الرحمن! تغتاب؟) فقال: (اسكت؛ إذا لم نبيّن كيف يُعرَف الحق من الباطل؟)(٣).

والآثار في هذا عن السلف كثيرة والكتب مليئة بها، فهذا يدلّ على جواز الجرح والتعديل والكلام في أهل البدع، ولا يمكن للناس أن يعرفوا الدعاة على أبواب جهنم ويعرفوا الفَرْقَ بينهم وبين الدعاة إلى السنة وإلى شرع الله، إلا من خلال الجرح والتعديل ونصيحة أهل العلم العارفين بعباد الله تبارك وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله: **([٨] واعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ لا يَتِمُّ إسْلامُ عَبْدٍ حتى يَكونَ مُتَّبِعاً مُصَدِّقاً مُسَلِّماً، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ بَقِيَ شَيءٌ مِنْ أَمْرِ الإسْلامِ لَمْ يَكْفِناهُ أَصْحابُ رسول الله ﷺ فَقَدْ كَذَّبَهُمْ، وكَفى بِهذا فُرْقَةً وَطَعْناً عَلَيْهِمْ، فهو مُبْتَدِعٌ ضالٌّ مُضِلٌّ، مُحْدِثٌ في الإسلامِ ما لَيْسَ مِنْهُ).**

---

(١) "الكفاية" للخطيب البغدادي (ص٤٥).

(٢) "مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله" (١٥٩١).

(٣) "الكفاية" للخطيب البغدادي (ص٤٥).

(لا يتم) التمام الواجب (إسلام عبد حتى يكون متّبعاً) لشريعة الله وطريقة الصحابة لا مبتدعاً في دين الله، (مصدّقاً) بكل ما جاء عن الله وعن رسول الله ﷺ، (مسلّماً) منقاداً لا يجادل ولا يعاند، (فمن زعم) يعني من ادّعى (أنه بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفناه أصحاب رسول الله ﷺ فقد كذَّبهم) يعني: من زعم أن الدين ناقص ولم يكتمل، والله سبحانه وتعالى قد ذكر تمام دينه وكماله قبل موت نبيّه ﷺ؛ فقال:{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينا}(١)، وصحابة رسول الله ﷺ قد بيّنوا ذلك وأظهروه، وما بقي شيء من شريعة الله ليس ظاهراً وواضحاً وأمره بيّن، فمن ادّعى أن شريعة الله ناقصة وأن أصحاب النبي ﷺ لم يبلغوا الرسالة التي حمّلهم إياها ربّنا تبارك وتعالى؛ فقد طعن على أصحاب النبي ﷺ وطعن في دين الله تبارك وتعالى بدعواه أن شريعة الله ناقصة؛ فهو مكذِّبٌ لخبر الله تبارك وتعالى الذي أخبر به أن شريعته تامّة، (وكفى بهذا فرقة وطعناً عليهم) كفى بهذا فرقة بين المسلمين، فالذي يفرّق صف المسلمين هو الذي يبتدع في دين الله ما ليس منه ويأتي بشريعة جديدة ويطعن في أصحاب النبي ﷺ، هذا الذي يفرّق كلمة المسلمين، الناس اليوم يريدون أن يُفسِد المبتدعة في دين الله كما يشاؤون ولا يريدون من أحد أن يقول: فلان مبتدع يُفسِد في دين الله؛ يقولون: (هذا مفرّق للصف)، ليست الغاية التي أمرنا الله تبارك وتعالى بها هو جمع الكلمة على الحق والباطل؛ الله سبحانه وتعالى أمرنا بالاجتماع ولكن على الحق فقط لا على الحق والباطل، والنبي ﷺ عندما بُعِث إلى قريش كانت كلمة قريش واحدة ولم يكونوا متفرقين ولكن على ماذا؟ على الباطل،

---

(١) [المائدة:٣].

على الكفر، فمحمّدٌ ﷺ فرّق بين الناس، فرّق بين الحق والباطل، عمر بن الخطاب رضي الله عنه لُقِّب بالفاروق؛ لأنه فرّق بين الحق والباطل؛ فالتفريق بين الحق والباطل ممدوح وليس مذموماً؛ لأن الاجتماع الذي طُلِب منا والذي أُمِرنا به هو الاجتماع على الحق، قال الله سبحانه وتعالى:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا}(١)، لا تتفرقوا عن حبل الله الذي هو الحق الذي أراده الله تبارك وتعالى، أما الافتراق عن الباطل وبيان الحق من الباطل وفصل هذا عن هذا؛ فهذا واجب شرعي يجب على الجميع أن يبيّنوا ذلك وأن يجتهدوا فيه.

وجهاد أهل البدع والضلال من أعظم القُرَب إلى الله تبارك وتعالى، قال الله: {وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً}(٢)، {جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ}(١)، كيف يُجاهَدُ المنافقون؟ المنافقون لا يجاهَدون بالسيف؛ لأن المنافق يُظهِر الإسلام، ليس لك معه شيء بعد أن يظهر الإسلام؛ لأنه ليس لك أن تعامل الناس إلا بما أظهروا لك، فالمنافق الذي يظهر لك الإسلام، بماذا تجاهده؟ تجاهده بالعلم، بإظهار الحق وإبطال الباطل؛ هكذا يكون الجهاد، فهذا الذي يدَّعي أن الذي يبيّن الحق من الباطل والذي يفصل بينهما، والذي يعرّي أهل البدع والضلال: أنه يفرّق الأمة؛ هذا مفسد في دين الله، يريد أن يدافع عن أهل البدع ويريد من أهل البدع أن يفسدوا في دين الله من غير أن يقول لهم أحد: ماذا تفعلون؟

قال: (وكفى بهذا فرقة) أي: هذا الزعم الذي زعمه، (وطعناً عليهم) أي: على أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) [آل عمران:١٠٣].

(٢) [الفرقان:٥٢].

قال: (فهو مبتدع ضال مضل محدث في الإسلام ما ليس منه)؛ لأنه عندما يدعي أن الدين ناقص؛ يحتاج أن يتمه من عنده وأن يأتي بأنواع من البدع والضلالات. نكتفي بهذا القدر إن شاء الله.

الأسئلة:

السائل: هل يجوز تقديم صلاة الوتر على صلاة القيام؟

الشيخ: الأصل ألا يُفعَل ذلك؛ لأن النبي ﷺ قال: "اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً"(١)، فالأصل عندك أن يكون الوتر آخر الصلاة وليس أوّلها، لكن من صلى الوتر وأراد أن يقوم بعد ذلك؛ فيجوز له أن يقوم، لكن أن يتعمد ذلك: فلا لا يفعل.

السائل: شيخنا! إمام مسجد إذا كان يكذب ويقوم بالتضليل، وعندما يواجَه؛ يقول: أنا لا أفعل ذلك؛ هل يحذَّر منه أو يستمرون في النصيحة؟

الشيخ: يُنصَح إذا لم يكن من وراء كذبه مفسدة ترجع على المسلمين، يُنصَح ويداوَم على النصيحة، وإذا ثبت عنه هذا بشكل واضح وليس مجرّد ادّعاءات؛ فمثل هذا يُغيَّر، لا يصلح أن يكون إماماً في مسجد.

---

(١) [التوبة:٧٣].

السائل: شيخنا: ما هي علامات ليلة القدر؟

الشيخ: علامات ليلة القدر لا يصح فيها إلا علامة واحدة وهي أن الشمس تظهر في نهار ذاك اليوم كالطست؛ لا شعاع لها، هذه العلامة الوحيدة التي صحّت في ذلك.

قال المؤلف: (**[٩] واعلَمْ رَحِمَكَ الله أَنَّهُ لَيْسَ في السُّنَّةِ قياسٌ، ولا تُضرَبُ لها الأمثالُ، ولا تُتَّبعُ فيها الأهواءُ، بل هو التصديقُ بآثارِ رسول الله ﷺ بلا كيفٍ ولا شرحٍ، ولا يقالُ: لِمَ ولا كيف؟**).

(لَيْسَ في السُّنَّةِ قياسٌ)، هذا ما عليه السلف رضي الله عنهم؛ لا قياس عندهم ولا يضربون الأمثال في العقائد؛ هذا مقصودهم بالسنة هنا، وقد ذكرنا أن السنة يطلقونها على عدة اعتبارات؛ هذا أحدها، معنى السنة هنا: العقيدة، فمسائل العقيدة ليس فيها قياس فهي مسائل غيبية موقوفة على الكتاب والسنة، وعلى ما أجمعت عليه الأمة.

قال: (ولا تُضرَبُ لها الأمثالُ) بنفس المعنى المتقدم، لا يقال: هذا مثل هذا فيحمَل عليه أو يُلحَق به، هذا كلّه مردود غير مقبول عند السلف الصالح رضي الله عنهم.

قال: (ولا تُتَّبعُ فيها الأهواءُ) لا تُضرَب لها الأمثال ولا تتبع فيها الأهواء، يعني: الواجب عليك أن تسلّم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ولما أجمع عليه السلف الصالح فيها، لا تَضرِبْ لها الأمثال، لا تستعمل القياس، ولا تتبع هواك في ذلك، قال الله سبحانه وتعالى:{ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٨)، ومسلم (٧٥١) عن ابن عمر رضي الله عنه.

بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ }[(١)]، إذاً الذي يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في الاعتقاد؛ يكون قد اتبع هواه سواء استعمل لذلك القياس أو غيره، المهم أنه مُتَّبِعٌ لهواه، مخالف لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ، ويكون بذلك مخالفاً لما كان عليه السلف رضي الله عنهم.

قال: (بل هو التصديقُ بآثارِ رسول الله ﷺ) أي: التصديق بما جاء عن رسول الله ﷺ سواء كان من كتاب أو من سنة، فما صح به الخبر عن الله أو عن رسوله ﷺ؛ قلنا به واعتقدناه، وما لم يصح فيه شيء؛ تركناه.

قال: (بلا كيفٍ ولا شرحٍ) يعني تثبت لله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه في كتابه أو في سنة نبيّه ﷺ من مسائل ذُكِرت ولا تعترض على ذلك بكيف، فإذا سمعت قول الله :{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}؛ سلِّمْ بذلك ولا تقل: كيف استوى؟ كما قال الإمام مالك رحمه الله - وكلامه قواعد – قال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة)، لماذا السؤال عن الكيف بدعة؟ لأن الله تبارك وتعالى قد أخبرنا أنه استوى، ونحن نعرف معنى الاستواء في اللغة؛ وهي العلو والارتفاع، ولم يخبرنا عن الكيفية؛ إذاً نثبت ما أثبته وما أخبرنا به ونسكت عمّا سكت عنه؛ هذه هي عقيدتنا، فلذلك نصدّق بالآثار التي وردت عن النبي ﷺ، يعني نسلّم لها ونؤمن بها (بلا كيفٍ) فلا نسأل عن الكيفية، (ولا شرحٍ)، يعني لا تفسير، لا معنى؛ كلها ألفاظ تجدها عند السلف رضي الله عنهم، تجدهم يقولون: نثبت لله سبحانه وتعالى ما أثبت لنفسه من غير كيف ولا معنى، أو: من غير كيف ولا تفسير، أو: من غير كيف ولا شرح، ومعنى

---

(١) [القصص:٥٠].

ذلك: من غير شرحٍ لها على شرح الجهمية، من غير تفسيرٍ لها كتفسير الجهمية، من غير معنى لها على المعنى الذي تذهب إليه الجهمية.

والجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان الذين لا يثبتون لله ما أثبت لنفسه من أسماء وصفات في الكتاب وفي السنة، فالله سبحانه وتعالى يصف نفسه بالاستواء، فيقول: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، وهم يقولون: لم يستوِ، هو يصف نفسه باليدين، هم يقولون: ليس له يدان، يصف نفسه بأنه يتكلم، فيقولون: لا يتكلم؛ وهكذا، على هذه الوتيرة هم يمضون، فينفون عن الله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه؛ هؤلاء هم الجهمية، فهؤلاء يفسّرون معاني آيات الصفات وأحاديث الصفات على غير مراد الله وغير مراد رسوله ﷺ، فتجدهم يفسّرون مثلاً الاستواء بمعنى الاستيلاء، ويفسّرون اليد بمعنى القوة أو القدرة، ويفسّرون معنى الكلام: أنهم ينفونه، أو يقولون: كلام مخلوق، أو يقولون: كلام نفسي وما شابه، مثل هذه التفاسير هي التي ذكرها السلف بأنها تفاسير باطلة، نردّها فنقول: بلا كيف ولا معنى على المعنى الذي أرادته الجهمية؛ هذا مراده بقوله: (ولا شرحٍ) يعني لا تفسير لها على تفسير الجهمية.

(ولا يُقالُ: لِمَ ولا كيْفَ) قال الإمام الشافعي وغيره: (لا يُقالُ للأصل لَمَ ولا كيف)[(١)]، لا يقال للأصل، أي: للدليل الشرعي من الكتاب والسنة، لا تورد عليه أسئلة كهذه، فلا يقال: لَمَ قال الله سبحانه وتعالى كذا؟ ولا يقال: كيف صفة الله تبارك وتعالى التي قال فيها كذا؟ هذا معنى: (لا يقال لم ولا كيف) يعني لا تعترض على أدلة الشرع؛ بل خذها بالتسليم والتصديق، هذا هو المقصود، وتجد هذا في كلام السلف كثيراً، (لا تقل: لم ولا كيف) يعني: لا تعترض على أدلة الشرع بهذه الأسئلة.

---

(١) "الاعتقاد" للبيهقي (ص١١٩).

فالخلاصة من هذا الذي ذكره المؤلف رحمه الله: أنه يريد أن يبيّن لنا أن مسائل الاعتقاد مردُّها إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ، ولا تعرَف بالقياس؛ فلا قياس في مسائل الاعتقاد، والواجب فيها التسليم والتصديق وعدم تفسيرها بما تفسره عليه الجهمية وأهل البدع وأهل الكلام، وكذلك عدم الاعتراض عليها بسؤال: لم أو كيف.

ثم قال رحمه الله: (**[١٠] فالكلامُ والخُصُومةُ والجِدالُ والمِراءُ مُحْدَثٌ يَقدَحُ الشَّكَّ في القلبِ، وإن أصابَ صَاحِبُهُ الحَقَّ والسُّنَّةَ**).

الكلام في الدين بالجدال والخصومة- يعني: المخاصمة-: الأخذ والرد في المسائل الشرعية الدينية.

والجدال: يعني المناظرة، والمراء: أيضاً هو الجدال، قال بعضهم المراء: الجدال مع ظهور الحق، وقال البعض: هو نفس معنى الجدال، فهذه الكلمات مترادفة، بينها فروق خفيفة.

قال: (فالكلامُ والخُصُومةُ والجِدالُ والمِراءُ مُحْدَثٌ) يعني مبتدَع.

من الذي ابتدعه؟

ابتدعه أهل الكلام، أهل الكلام عندما يتكلمون في دين الله وفي شريعته يتكلمون بماذا؟

يجادلون بالكلام ويستدلّون بالعقل، هذه هي طريقتهم، دليلهم هو العقل، ودينهم هو الجدَل والمخاصمة والأخذ والرد، وتقريرات كلها عقلية، وهذه الطريقة طريقة مبتدَعَة كما

قال المؤلف رحمه الله وغيره من أهل العلم، وقد ذمّوا الكلام وذمّوا أهلَه حتى ألّفوا فيه مؤلفات.

لماذا هو محرّم؟

لأن النبي ﷺ يقول: "المراءُ في القرآنِ كُفرٌ"(١)، يعني: المجادلة في القرآن ربما أدت بالشخص إلى الكفر وأوصلته إلى ذلك؛ لأنه يؤدي إلى أن (يَقدَحُ الشَّكَّ في القلبِ)، يعني إذا كنت أنت تعتقد عقيدة صحيحة وأخذت تجادل وتناقش أحد أهل الكلام وأهل الباطل، ربما أدخل عليك الشك في عقيدتك.

قال: (وإِن أصابَ صَاحِبُهُ الحَقَّ والسُّنَّةَ) فهو مخطئ مع إصابته، فإنه إن أخذ يقرّر مسائل الدين بالمخاصمة والمجادلة وإن كان مصيباً وأصاب الحق فهو مخطئ؛ لأنه أصاب الحق من غير طريقه التي أمر بها ربنا تبارك وتعالى، وهو قد سلك طريقاً محرّماً، وإن وصل إلى نتيجة صحيحة لكنه ارتكب محرّماً بالطريقة التي سلكها.

ومن مفاسد المجادلة في الدين -غير أنه يقدح الشك في القلب- أنه يورث الأحقاد في القلوب والتفرّق والاختلاف؛ بل ربما أوصل الناس إلى أن يكفِّر بعضهم بعضاً.

لهذه الأسباب كلها حرّم السلف رضي الله عنهم المجادلة والمخاصمة في الدين.

ولأن الكثير من المتأخرين في زماننا هذا ممن يدعي السلفية قد خالف هذا الأصل السلفي وشطح شطحات عظيمة أدت به إلى أن يرتمي في أحضان المبتدعة؛ أحببنا أن نذكر لكم بعض آثار السلف في ذلك حتى تطمئن قلوبكم.

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩٨٩)، وأبو داود (٤٦٠٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال مسلم بن يسار - وهو أحد أئمة التابعين-: (إياكم والمراء؛ فإنها ساعةُ جهلِ العالِم، وبها يبتغي الشيطان زلّته)[1].

وقد ذكرنا معنى المراء الذي هو الجدال والمخاصمة.

وقوله: (ساعة جهل العالم) أي: إن العالم يجهل في تلك اللحظة، وربما تزلّ قدمه ويفلت لسانه بضلالة، فيطير بها الشيطان؛ فيقع الفساد والإفساد.

وقال أبو قِلابة: (لا تجالسوا أهْلَ الأهواءِ ولا تُجادِلوهم فإنِّي لا آمَنُ أن يغمِسوكم في الضَّلالة أو يُلَبِّسوا عليكم في الدِّينِ بعضَ ما لُبِّسَ عليهم)[2].

وقال عمر بن عبد العزيز - وهو الأمير المعروف وهو من أئمة التابعين أيضاً-: (من جعَلَ دينَه غَرَضاً للخصوماتِ أكثَرَ التّنَقُّل)[3].

يعني أنه يجعل نفسه في مقام الخصومات فتضربه الخصومات وتنزل على قلبه، فيكثر التنقل من دين إلى دين آخر.

وقال الحسن البصري وقد دعاه أحدهم إلى المخاصمة في الدين؛ قال: (أمَّا أنا فقد أبْصرْتُ ديني فإن كُنتَ أضْلَلْتَ دينَك فالتَمِسْهُ)[4].

يعني: اذهب وابحث عنه، أما أنا فعلى بيّنة من ديني والحمد لله.

---

(١) "سنن الدارمي" (٤١٠)، "الشريعة" للآجري (٢١٠)، "الإبان" لابن بطة (٥٤٧).

(٢) "الشريعة" للآجري (١١٤)، "القدر" للفريابي (٣٦٦).

(٣) "سنن الدارمي" (٣١٢)، "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي (٢١٦)، "الإبانة" لابن بطة (٥٦٥)، "القدر" للفريابي (٣٨٤).

(٤) "القدر" للفريابي (٣٨٠)، "الإبانة" لابن بطة (٥٨٦).

وقال عبد الكريم الجزَريّ: (ما خاصم وَرِعٌ في الدِّين)[1].

أي: من كان عنده ورع وخوف على دينه؛ لا يخاصم في الدين أبداً.

ورفض ابن سيرين وأيوب بن أبي تميمة السختياني أيضاً السماع من أهل الأهواء مطلقاً ولا حتى آية أو كلمة.

وقال الإمام أحمد في "أصول السنة"[2]: (أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين).

ولو بحثت في كتب الاعتقاد عند السلف كلها تجدها تدور في محل واحد، فكلها خرجت من مشكاة واحدة.

وقال فيه أيضاً: (ولا يخاصمْ أحداً ولا يناظره ولا يتعلم الجدال؛ فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروهٌ منهيٌّ عنه، ولا يكون صاحبه وإن أصاب السنة من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلّم)[3]

معنى المكروه هنا: المحرم كما كانت تُستَعمل عند السلف رضي الله عنهم؛ منهي عنه.

وانظر كلام البربهاري؛ لا يخرج عن هذا أبداً؛ متطابق تماماً.

(ولا يكون صاحبه وإن أصاب السنة من أهل السنة حتى يدع الجدل) ويسلم لأمر الله تبارك وتعالى، ولا يجادل في دين الله تبارك وتعالى.

---

(١) "الشريعة" للآجري (١٢٣).

(٢) (ص١٤).

(٣) "أصول السنة" (ص٢٠).

وهنا كلامٌ نفيس للآجري رحمه الله في كتابه "الشريعة"[1] قال: (مَنْ كَانَ لَهُ عِلْمٌ وَعَقْلٌ، فَمَيَّزَ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرِي لَهُ مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ؛ عَلِمَ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ، فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْراً لَزِمَ سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِنَفْسِهِ، لِيَنْتَفِيَ عَنْهُ الْجَهْلُ، وَكَانَ مُرَادُهُ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ، أَنْ يَتَعَلَّمَهُ لِلْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ، وَلَا لِلدُّنْيَا، وَمَنْ كَانَ هَذَا مُرَادُهُ سَلِمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَالضَّلَالِ).

يعني إذا لم يراءِ أو لم يمارِ ولم يجادل ولم يخاصم فهنا لن يجالس أهل البدع ولن يتعرّض لشبهاتهم.

ثم قال: (وَاتَّبَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ، وَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَهُ لِذَلِكَ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ عِلْماً، فَجَاءَهُ رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي الدِّينِ، يُنَازِعُهُ فِيهَا وَيُخَاصِمُهُ، تَرَى لَهُ أَنْ يُنَاظِرَهُ، حَتَّى تَثْبُتَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَيَرُدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ؟)

هذا إشكال يورده الكثير من الشباب اليوم، يقول لك: أريد أن أناصحه، يذهب إلى رأس من رؤوس أهل البدع صاحب شبهات- وهو ليس عنده قدرة على مجادلته وليس عنده تمكّن في فنّه- فيذهب إليه ويقول لك: أريد أن أناصحه.

هو الذي يناصحك تلك الساعة ولست أنت الذي تناصحه، ويَجُرُّك معه؛ فيجب على الإنسان أن يكون عنده حرص على دينه وعلى نفسه، وألا يحسن الظن بنفسه أكثر مما يستحقّه، فهنا يجيب الآجري عن هذا؛ مع أن السؤال هنا وارد عن صاحبِ علمٍ؛

(١) (٤٤٩/١).

لاحظ قوله: (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ عِلْماً) يعني عنده علم، يستطيع أن يتكلم مع هذا الشخص؛ ومع ذلك هذا جاء ينازعه ويخاصمه ويريد أن يعرف مسألة في الدين فهنا ماذا يقول له؟

قال: (قِيلَ لَهُ: هَذَا الَّذِي نُهِينَا عَنْهُ) انظر كيف؟ هذا نفسه الذي تسأل أنت عنه هو الذي نُهينا عنه.

قال: (وَهُوَ الَّذِي حَذَّرَنَاهُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ) نحن نقرأ لكم من هذه الكتب؛ لأنهم لا يتكلمون عن أنفسهم، لا تكلمون بألسنتهم؛ إنما يتكلمون عن سلفنا رضي الله عنهم، وقد فهموا منهج السلف فهماً صحيحاً؛ لأنهم أخذوا العلم وراثة، الذي يأخذ علم الاعتقاد هذا والمنهج وراثة يبقى سليماً، لكن الخوف من الذي يأخذه من الصحف؛ إلا أن يرحمه الله سبحانه وتعالى برحمته؛ لذلك كان السلف يذمُّون الصُّحُفي ويحذّرون منه؛ لأنه يفهم دين الله على غير مراد الله تبارك وتعالى، والعلم وراثة تَرِثُهُ عمّن قبلك ومن قبلك يكون قد ورثه عمن قبله وهكذا.

قال الآجري: (هَذَا الَّذِي نُهِينَا عَنْهُ، وَهُوَ الَّذِي حَذَّرَنَاهُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَاذَا نَصْنَعُ؟ قِيلَ لَهُ: إِنْ كَانَ الَّذِي يَسْأَلُكُ مَسْأَلَتَهُ مَسْأَلَةَ مُسْتَرْشِدٍ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ لَا مُنَاظَرَةً؛ فَأَرْشِدْهُ بِأَلْطَفِ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَيَانِ بِالْعِلْمِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)، إذاً ينبغي أن تكون أنت عندك علم بالكتاب والسنة، لا أن تذهب وتناصح شخصاً وأنت خالٍ من هذا العلم، المناصحة وإقامة الحجة تكون بأدلة الكتاب والسنة، يكون عندك معرفة بها، وعندك معرفة بردّ الشبهات، حتى إذا ألقى عليك شبهة؛ تستطيع أن تردّها عليه، فلا يأتي واحد من أنصاف المتعلمين ويذهب إلى شخص هو

إمام في بدعته ويقول: أريد أن أقيم الحجة عليه؛ هذا سيدخل عليك الشُّبَه عندئذٍ وتضيع.

قال: (إِنْ كَانَ الَّذِي يَسْأَلُكَ مَسْأَلَتَهُ مَسْأَلَةَ مُسْتَرْشِدٍ) يعني يريد أن يَعلَم، أن يتعلّم (إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ لَا مُنَاظَرَةً؛ فَأَرْشِدْهُ بِأَلْطَفِ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَيَانِ بِالْعِلْمِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَوْلِ الصَّحَابَةِ، وَقَوْلِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ)؛ هكذا يكون الاستدلال وهكذا تكون إقامة الحجة: بيّنْ بالدليل: قال الله كذا، قال رسول الله ﷺ كذا، أجمع العلماء على كذا، فسّر الصحابة بكذا، فسّر علماء الأمة الذين لا يُستوحَش من ذكرهم.

عندما تقرأ للآجري تجده دائماً يقول لك: (ومن الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم)، هناك أئمة يستوحش من ذكرهم وتخاف عندما تذكرهم؛ فهؤلاء ليسوا هم المقصودين؛ إنما المقصود من الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم كالإمام أحمد والإمام الشافعي ومن كان على طريقهم، وتذكر له أقوال أئمة الإسلام.

قال الآجري: (وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ مُنَاظَرَتَكَ، وَمُجَادَلَتَكَ، فَهَذَا الَّذِي كَرِهَ لَكَ الْعُلَمَاءُ، فَلَا تُنَاظِرْهُ، وَاحْذَرْهُ عَلَى دِينِكَ، كَمَا قَالَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ كُنْتَ لَهُمْ مُتَّبِعاً) أي: هذه طريقهم إن كنت محباً لاتباعهم.

وأذكر شيخنا رحمه الله -الشيخ مقبل- كان يأتيه السائل ويسأله عن مسألة فيبيّن له حكمها ويبين له دليلها، فإذا أخذ يجادل ويناظر؛ قال له: اذهب واطلب العلم يا بني، ويغلق عليه الباب؛ هكذا إذاً.

ثم قال: (فَإِنْ قَالَ: نَدَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَاطِلِ، وَنَسْكُتُ عَنْهُمْ؟) أي: كيف ندعهم يتكلمون بالباطل ونحن نسكت لا نجادلهم؟

قال الآجري: (قِيلَ لَهُ: سُكُوتُكَ عَنْهُمْ وَهِجْرَتُكَ لِمَا تَكَلَّمُوا بِهِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مُنَاظَرَتِكَ لَهُمْ كَذَا قَالَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ).

ثم أخذ يذكر بعض الآثار في ذلك منها قول محمد بن سيرين، وقد ماراه رجل في شيء؛ فيقول مهدي بن ميمون الراوي عن محمد بن سيرين: (سَمِعْتُ مُحَمَّداً -يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ: وَمَارَاهُ رَجُلٌ فِي شَيْءٍ)من المماراة، يعني أخذ يخاصمه، يريد أن يجادله، قال: (فَقَالَ له مُحَمَّدٌ: إِنِّي قد أَعْلَمُ مَا تُرِيدُ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِالْمُمارَاة مِنْكَ) أي: أنا أعرف ما الذي تريده؛ يريد المخاصمة والمجادلة؛ فقال: (أنا أَعْلَمُ بِالْمُمارَاة مِنْكَ) يعني لو أريد أن أجادلك سأفحمك الآن؛ أنا قادر على هذا؛ (وَلَكِنِّي لَا أُمارِيكَ).

إذاً هذا هو منهجهم رحمهم الله ورضي عنهم.

ثم قال الآجري رحمه الله بعد ذلك: (أَلَمْ تَسْمَعْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي قِلَابَةَ: لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ بَعْضَ مَا لُبِّسَ عَلَيْهِمْ؟ أَو لَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ الْحَسَنِ وَقَدْ سَأَلَهُ رجلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: أَلَا تُنَاظِرُني فِي الدِّينِ؟ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي، فَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ أَضْلَلْتَ دِينَكَ فَالْتَمِسْهُ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضاً لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ؟).

قَالَ الآجري: (فَمَنِ اقْتَدَى بِهَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنِ اضْطَرَّنِي فِي الْأَمْرِ وَقْتاً مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَى مُنَاظَرَتِهِمْ) يعني وقع له ذلك ضرورةً كما وقع للإمام أحمد مع ابن أبي دؤاد أمام الحاكم.

قال: (وَإِثْبَاتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ أَلَا أُنَاظِرُهُمْ؟ قِيلَ لَهُ: الِاضْطِرَارُ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ إِمَامٍ لَهُ مَذْهَبٌ سُوءٌ، فَيَمْتَحِنُ النَّاسَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَذْهَبِهِ، كَفِعْلِ مَنْ مَضَى فِي وَقْتِ أَحْمَدَ بْنِ

حَنْبَلٍ رحمه الله: ثَلَاثَةُ خُلَفَاءَ امْتَحَنُوا النَّاسَ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى مَذْهَبِهِمُ السُّوءِ، فَلَمْ يَجِدِ الْعُلَمَاءُ بُدّاً مِنَ الذَّبِّ عَنِ الدِّينِ، وَأَرَادُوا بِذَلِكَ مَعْرِفَةَ الْعَامَّةِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، فَنَاظَرُوهُمْ ضَرُورَةً لَا اخْتِيَاراً، فَأَثْبَتَ اللَّهُ عز وجل الْحَقَّ مَعَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَأَذَلَّ اللَّهُ العظيمُ الْمُعْتَزِلَةَ وفَضَحَهُمْ، وَعَرَفَتِ الْعَامَّةُ أَنَّ الْحَقَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ بن حنبل وَمَنْ تَابَعَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وأَرْجُو أَنْ يُعِيذَ اللَّهُ الْكَرِيمُ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ مِحْنَةٍ تَكُونُ أَبَداً)[(١)] يعني حالة ضرورية كهذه الصورة المذكورة؛ عندئذٍ يجوز المناظرة؛ وإلا فالأصل الذي مضى عليه السلف: عدم مجادلة أهل البدع وعدم مناظرتهم.

وبهذه الفقرة يكون البربهاري قد أنهى التأصيل المنهجي عند أهل السنة والجماعة في قضية السنة والبدعة وبيان منهج السلف الصالح رضي الله عنهم في ذلك، ثم بعد ذلك سيبدأ بذكر خصال السنة التي خالف فيها أهلُ البدع والضلال، وأول ما بدأ به: الكلام في الرب تبارك وتعالى؛ في ذاته وأسمائه وصفاته؛ فهي من أعظم المسائل التي خالف فيها أهلُ البدع أهلَ السنة والجماعة.

قال رحمه الله: **([١١] واعلم - رَحِمَكَ الله - أَنَّ الكَلامَ في الرَّبِّ تعالى مُحْدَثٌ، وهو بِدْعَةٌ وضَلالَةٌ، ولا يُتَكَلَّمُ في الرَّبِّ إلا بما وَصَفَ بهِ نَفْسَهُ عزّ وجلّ في القرآنِ، وما بيّنَ رسولُ الله ﷺ لأصحابه، وهو - جل ثناؤه- واحدٌ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ربُنا أولٌ بلا متى، وآخرٌ بلا منتهى، يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفى، وهو على عَرْشِهِ استوى، وعِلْمُهُ بكلِّ مكانٍ، ولا يخلو مِنْ عِلْمِهِ مكانٌ)**.

الكلام في الرب؛ يعني في ذات الله تبارك وتعالى وفي أسمائه وفي صفاته بدعة محدثة أحدثها المتكلّمون، والسلف كانوا لا يتكلمون في ذات الله وأسمائه وصفاته، بمعنى أنهم

---

(١) الشريعة (ص ٤٢٩ فما بعده).

يؤمنون بما جاء في الكتاب والسنة من ذلك ويسلّمون ولا يجادلون ويخاصمون فيه، وأول من أحدث الجدال في ذلك أهل الأهواء والبدع الذين هم المتكلمون، يتكلمون في الله بما يتوافق مع عقولهم وأهوائهم فأفسدوا دين الله وأتَوا بالبدع والمحدثات وفرّقوا الأمّة، والواجب التسليم لله في ذلك؛ فالعقول عاجزة عن أن تصف الله تبارك وتعالى بما يليق به وصفاً تفصيلياً؛ إنما تدرك العقول في الجملة أن الله سبحانه وتعالى يستحق صفات الكمال ولا تجوز عليه صفات النقص- هذا في الجملة- أما عند التفصيل: فهذا العقل لا يستطيع أن يقف عليه ويجب أن يُترَك هذا الأمر إلى ربنا تبارك وتعالى، فما وصف به نفسه أثبتناه له، وما نفاه عن نفسه نفيناه عنه، وما سكت عنه سكتنا عنه؛ هذه هي عقيدة السلف رضي الله عنهم في ذلك.

قال المؤلف :(ولا يُتكلَّم في الرب إلا بما وصف به نفسه عزّ وجلّ في القرآن، وما بيّن رسول الله ﷺ لأصحابه) هذه طريقة السلف يؤصلها المؤلف في باب الأسماء والصفات وفي الكلام في ذات الله تبارك وتعالى؛ قال: (ولا يُتكلَّم في الرب إلا بما وصف به نفسه عزّ وجلّ) فما وصف به نفسه في الكتاب أو في السنة؛ وصفناه به، وما لم يصف نفسه به؛ لم نصفه به، وما سكت عنه؛ سكتنا عنه، يعني ما نفاه عن نفسه نفيناه عنه، وما سكت عنه سكتنا عنه؛ هذه طريقة السلف في ذلك، فكانوا لا يتكلمون في الله إلا بما جاء في الكتاب والسنة، لا يتجاوزون ذلك، وقد صح عن الإمام الأوزاعي والإمام مالك والإمام الثوري والإمام الليث بن سعد، وهو من أتباع التابعين، وكان إمام أهل مصر في زمنه، وسفيان الثوري أيضاً من أتباع التابعين وكان إمام أهل الكوفة في زمنه، وعبدالله بن المبارك كذلك من نفس الطبقة وكان إمام أهل السنة في خراسان، وسفيان بن عيينة من نفس الطبقة وكان إمام أهل السنة في مكة، ومالك بن أنس من نفس الطبقة وهو إمام أهل السنة في المدينة، والإمام الأوزاعي كان إمام أهل السنة في بلاد الشام، هؤلاء أئمة أهل السنة في زمنهم أو مِن أئمة أهل السنة في زمنهم في هذه الدول؛ فصحّ عن الوليد بن مسلم أنه قال: (سَأَلْتُ

الْأَوْزَاعِيَّ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ عَنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا الرُّؤْيَةُ , فَقَالُوا: «أَمِرُّوهَا بِلَا كَيْفَ»[(١)]، أي: أمِرُّوها كما جاءت في القرآن وفي السنة بلا كيف، إذاً كما جاءت على معانيها، على ما تقتضيه اللغة العربية، بهذا كان يفهمها الصحابة رضي الله عنهم، القرآن في عهد النبي ﷺ كان يقرأه العربي والأعجمي ويقرأه الرجال والنساء والكبار والصغار وكانوا يفهمونه على مقتضى اللغة العربية وكانوا يسألون النبي ﷺ عن كل ما أشكل عليهم، ولم يأتِ في السنّة أنهم استشكلوا آيات الصفات، وقالوا بأن هذه يجب أن ننزه الله سبحانه وتعالى عنها وفيها إضافة النقص إلى الله سبحانه وتعالى؛ ما قالوا هذا للنبي ﷺ ولا استشكلوه ولا وجَّهَ النبي ﷺ بغير ظاهرها، ولم يأت في السنة عن النبي ﷺ أن معنى السمع غير السمع، ومعنى البصر غير البصر، ومعنى اليد غير اليد؛ لم يرد شيء في هذا، إذاً ماذا يكون هذا مع وصف الله سبحانه وتعالى لكتابه بأنه كتاب مبين، كتاب واضح، كتاب جلي، الحق فيه بيِّن؟ والأصل أن النبي ﷺ نزل عليه الكتاب كي يبيّنه للناس ويوضّح ما أشكل عليهم فيه، وما ليس واضحاً وجب عليه أن يوضحه، ومع كل هذا ما جاءنا ولا حتى حديث واحد يقول لنا: أدلة الصفات ظاهرها غير مرادٍ ، شيء مستحيل وما يقول بهذا إلا صاحب ضلالة- نعوذ بالله- وأهل الكلام هؤلاء الذين أفسدوا في دين الله ما أفسدوه وخالفوا أصل السلف في هذا؛ تخبّطوا واختلطت عليهم الأمور وتضاربت عقولهم تضارباً شديداً؛ حتى إن بعضهم في النهاية مات حائراً في أمر دينه، وبعضهم يقول: (قد طفت المدارس وسمعت وجادلت وخاصمت وها أنا في النهاية أموت على عقيدة عجائز نيسابور)[(٢)]هذا هو، هذا ما أنتجه في النهاية، أفنى عمره في القيل والقال والكلام وبدون فائدة، وفي النهاية علم أنه كان على ضلال ورجع إلى عقيدة عجائز نيسابور،

---

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٣/٥٥٨).

(٢) "العلو للعلي الغفار" (ص٢٥٨).

والله بئس هذا العلم الذي يجعلك تتعلم وتتعلم ثم ترجع إلى دين العجائز، وقد تاب منه الكثير بعد علمهم بضلال هذا الطريق الذي كانوا عليه، فالواجب هو سلوك منهج السلف في هذا.

يؤصل لنا المؤلف- رحمه الله - أن السلف كانوا في مسائل الأسماء والصفات يقفون عند الكتاب والسنة وإجماع علماء المسلمين، لا يتجاوزون ذلك، فيقدّمون النقل على العقل، يقدّمون النقل على كل شيء؛ هذا لو سلمنا بأنه يمكن أن يتعارض العقل مع النقل؛ وإلا فالعقل الصحيح الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح أبداً، لا يمكن أن يكون بينهما تعارض، لكن حين يكون في العقل بعض الخلل يمكن أن يتعارض مع النقل؛ عندئذٍ يجب على هذا العقل أن يسلّم للنقل، أن يسلّم للكتاب والسنة، ويتّهم صاحبُ العقل عقله في ذلك؛ هكذا كان السلف رضي الله عنهم.

وقد بوّب اللالكائي رحمه الله في "شرح السنة"[١] باباً في: (سياق ما يدلّ من كتاب الله عز وجل وما روي عن رسول الله ﷺ على أن وجوب معرفة الله وصفاته بالسمع لا بالعقل) إذاً فالواجب أن تعرف الله سبحانه وتعالى وأن تعرف صفات الله سبحانه وتعالى عن طريق الشرع، ثم ذكر أدلة تدل على هذا الأمر.

وكذلك أبو عثمان الصابوني رحمه الله في كتابه "عقيدة السلف أصحاب الحديث"[٢] قال: (أصحاب الحديث، حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم، يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله) هكذا يعرفون الله بصفاته؛ بما نطق به الوحي في الكتاب وبما أنزله على رسوله ﷺ.

---

(١) (٢/٢١٦).

(٢) (ص ٢).

قال: (أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه)، هذه عقيدتهم؛ يقرّرون الصفات التي ذكرها ربنا تبارك وتعالى في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ ومع ذلك؛ مع أنهم يؤمنون بهذه الصفات؛ لا يعتقدون بأنها تشابه صفات المخلوقين، فلا يقولون: يدٌ كيدٍ، أو: سمعٌ كسمعٍ، أو: بصر كبصر، لا يقولون : لله يد كأيدينا، وسمع كسمعنا، وبصر كبصرنا؛ هذا هو التشبيه، هم لا يثبتون هذا ويقولون: الله سبحانه وتعالى له الصفات التي تليق بجلاله وعظمته .

قال الصابوني: (فيقولون إنه خلق آدم بيده كما نصّ سبحانه وعليه في قوله عزَّ مِن قائل: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}(1)) هذا نص صريح بأن الله سبحانه وتعالى قد خلق آدم بيديه؛ فنثبت لله اليدين كما أثبتها لنفسه، ونعلم ونعتقد أن يديّ الله سبحانه وتعالى تليقان بجلاله وعظمته ولا تشبهان أيدي المخلوقين؛ هذه عقيدة السلف رضي الله عنهم.

قال: (ولا يحرفون الكلام عن مواضعه) فلا يقولون: اليد بمعنى القدرة أو بمعنى القوة؛ لا يحرّفون الكلام، هذا من تحريف الكلام، وهذا المعنى ليس مراداً؛ وإلا فإنه بقوته أو بقدرته قد خلق الخلق كلهم بها؛ فلماذا آدم بالذات قال فيه: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}؟ لماذا خصّه بهذا؟ فلا يصح مثل هذه التفاسير.

ثم إن ظاهر كلمة اليدين ليست القوة والقدرة؛ بل ظاهرها الصفة المعلومة، فعندما تفسرها بالمعنى الآخر وجب عليك أن تأتي بدليل على هذا التفسير، ولا يوجد عندهم دليل؛ ما دليلهم؟ يقول لك: العقل، يقولون: عقلاً لا يجوز أن نصف الله بهذه الصفة، لماذا لا يجوز؟ قالوا: فيها نقص، فيها تشبيه، فقل: لا يلزم التشبيه؛ إنما فيها تشبيه لو

---

(1) [ص:٧٥].

قلت: (يد كيد) كما نص على ذلك إسحاق بن راهويه - من أئمة السلف- لما ذكروا له التشبيه؛ قال: إذا قلت: (يد كيد هذا هو التشبيه)[1]، وهنا لم نقل: يد كيد.

قال: (ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين)، هذا معنى تحريف الكلام عن مواضعه: أن تقول: معنى اليد النعمة أو القوة؛ تحريف المعتزلة والجهمية والأشاعرة أيضاً كذلك، والماتوريدية والكُلّابية؛ كل هؤلاء كان السلف يسمونهم جهمية؛ لأن أصلهم واحد وهو تقديم العقل على النقل، كلهم متفقون على هذا الأصل: تقديم العقل على النقل، فلا يأتينا جاهل يقول: الأشاعرة من أهل السنة، كيف يكونون من أهل السنة وهم يقدّمون العقل على النقل؟ الأشاعرة يوافقون الجهمية في أعظم أصل عند الجهمية ويخالفون أهل السنة، أعظم أصل عند أهل السنة هو تقديم النقل - النص الشرعي - على كل شيء وفي كل شيء من أمور الدين؛ فكيف تأتي أنت وتقول لي: والله هؤلاء من أهل السنة؟ لا يكون الشخص سنّيّاً حتى تكون السنة عنده مقدمة في كل شيء.

قال الصابوني: (ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين، تحريف المعتزلة الجهمية، أهلكهم الله، ولا يكيفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين) يعني: السلف ما كانوا يحرفون تحريف المعتزلة والجهمية، ولا يكيفونهما بكيف، عندما نقول: إن لله يدين نعلم أن لها كيفية؛ لكننا نجهل هذه الكيفية، لماذا نجهلها؟ لأن الله سبحانه وتعالى ما أخبرنا بها، أخبرنا بأن له هذه الصفة ولم يخبرنا بكيفيتها، فنثبت ما أخبرنا به ونسكت عما سكت عنه.

كذلك لم يشبهوهما بأيدي المخلوقين.

---

(١) "العرش" للذهبي (٢/٣٣٥).

وانظر كيف يردُّ المؤلف على الطائفتين: طائفة الجهمية الذين ينفون ويحرّفون، وطائفة المشبهة، فلا يشبهون الله سبحانه وتعالى بخلقه ولا يشبهون صفاته بصفات خلقه، وفي نفس الوقت، لا ينفون عنه ما أثبت لنفسه، وهذا مقرَّر في الآية.
قال البربهاري: (فهو جل ثناؤه واحد {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ})، هذه الآية أصل، {ليس كمثله شيء} : رد على المشبهة، {وهو السميع البصير}: رد على الجهمية المعطلة.
وأهل السنة هم أسعد الناس بالأدلة الشرعية، يأخذون بالأدلة كاملة متكاملة وينظرون إلى الشرع كله مع بعضه، لا يأخذون البعض ويتركون البعض الآخر كما يفعل أصحاب الأهواء، هذه عقيدة أهل السنة في هذه المسألة ذكرها لنا كاملة الإمام الصابوني رحمه الله.
ونزيد الأمر توضيحاً بنقل كلام الترمذي رحمه الله في كتابه "الجامع"، قال عند ذكر الحديث (رقم ٦٦٢): "إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه"، وأنتم تعرفون أن الترمذي رحمه الله بعد أن يذكر الحديث ينقل مذاهب علماء السلف، أهل الحديث؛ فقال رحمه الله في هذ الحديث هذا: (وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي هَذَا الحَدِيثِ وَمَا يُشْبِهُ هَذَا مِنَ الرِّوَايَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ: وَنُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالُوا: قَدْ تَثْبُتُ الرِّوَايَاتُ فِي هَذَا وَيُؤْمَنُ بِهَا وَلَا يُتَوَهَّمُ وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ؛ هَكَذَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ المُبَارَكِ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ: "أَمِرُّوهَا بِلَا كَيْفٍ "، وَهَكَذَا قَوْلُ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَأَمَّا الجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرَتْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَقَالُوا: هَذَا تَشْبِيهٌ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ اليَدَ وَالسَّمْعَ وَالبَصَرَ، فَتَأَوَّلَتِ الجَهْمِيَّةُ هَذِهِ الآيَاتِ فَفَسَّرُوهَا عَلَى غَيْرِ مَا فَسَّرَ أَهْلُ العِلْمِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ آدَمَ بِيَدِهِ، وَقَالُوا: إِنَّ مَعْنَى اليَدِ هَاهُنَا القُوَّةُ "، وقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: " إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ: يَدٌ كَيَدٍ، أَوْ مِثْلُ يَدٍ، أَوْ سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَإِذَا قَالَ: سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ،

فَهَذَا التَّشْبِيهُ، وَأَمَّا إِذَا قَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَدٌ، وَسَمْعٌ، وَبَصَرٌ، وَلَا يَقُولُ كَيْفَ، وَلَا يَقُولُ مِثْلُ سَمْعٍ، وَلَا كَسَمْعٍ، فَهَذَا لَا يَكُونُ تَشْبِيهاً).

حديث نزول الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا كان قاصمة ظهر لأهل البدع؛ فحاولوا بكل أساليبهم رد هذا الحديث وتحريفه؛ لذلك تجد العلماء يتكلمون عن منهج السلف في مسألة الصفات عند هذا الحديث؛ فلذلك ذكره الترمذي رحمه الله هنا،

قال: (قَالُوا: قَدْ تَثْبُتُ الرِّوَايَاتُ فِي هَذَا وَيُؤْمَنُ بِهَا وَلَا يُتَوَهَّمُ وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ) يؤمَن بها : يعني نصدق بما جاء فيها على مقتضاها العربي الصحيح.

قال: (وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ، هَكَذَا رُوِيَ عَنْ مَالِك بن أنس، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ المُبَارَكِ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ: "أَمِرُّوهَا بِلَا كَيْفٍ "، وَهَكَذَا قَوْلُ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَأَمَّا الجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرَتْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَقَالُوا: هَذَا تَشْبِيهٌ) هذا كلام الترمذي رحمه الله، والترمذي من تلاميذ الإمام البخاري، والإمام البخاري من تلاميذ الإمام أحمد؛ وهكذا، سلسلة كلها.

قال الترمذي: (وَأَمَّا الجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرَتْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَقَالُوا: هَذَا تَشْبِيهٌ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تبارك وتعالى فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ اليَدَ وَالسَّمْعَ وَالبَصَرَ، فَتَأَوَّلَتِ الجَهْمِيَّةُ هَذِهِ الآيَاتِ) يعني حرّفتها (وفَسَّرُوهَا عَلَى غَيْرِ مَا فَسَّرَ أَهْلُ العِلْمِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ آدَمَ بِيَدِهِ، وَقَالُوا: "إِنَّمَا مَعْنَى اليَدِ القُوَّةُ "، وقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - يعني ابن راهويه، صاحب الإمام أحمد -: " إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ: يَدٌ كَيَدٍ، أَوْ مِثْلُ يَدٍ، أَوْ سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَإِذَا قَالَ: سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَهَذَا التَّشْبِيهُ) إذا قال سمعٌ كسمع البشر أو : سمع الله مثل سمع البشر؛ أو سمع المخلوقين؛ عندئذ يكون تشبيهاً.

قال: (وَأَمَّا إِذَا قَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَدٌ، وَسَمْعٌ، وَبَصَرٌ، وَلَا يَقُولُ كَيْفَ، وَلَا يَقُولُ مِثْلُ سَمْعٍ، وَلَا كَسَمْعٍ، فَهَذَا لَا يَكُونُ تَشْبِيهاً) هذا إمام من أئمة السلف ينص على هذا،

قال: (وَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}) هذا تقرير عقائد السلف ومنهجهم في ذلك.

وقال محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة: (اتفق الفقهاء كلهم من المشرق والمغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير)[1]، انظر الآن معنى التفسير الذي أراده؛ قال: (فمن فسَّر اليوم شيئاً من ذلك وقال بقول جهم؛ فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وفارق الجماعة؛ لأنه وصف الرب بصفة لا شيء)؛ لأنك عندما تنفي الصفات؛ لم يعد هناك صفة لله سبحانه وتعالى.

وقال السِّجْزي كذلك كما قال هؤلاء الأئمة؛ قال: (ولا خلاف بين المسلمين في أن كتاب الله لا يجوز ردّه بالعقل؛ بل العقل دلَّ على وجوب قبوله والائتمام به، وكذلك قول رسول الله ﷺ إذا ثبت عنه؛ لا يجوز رده، وأن الواجب رد كل ما خالفهما أو أحدَهما)[2] كذا في رسالته إلى أهل زَبِيد؛ يقرر فيها منهج السلف رضي الله عنهم في تقديم النقل على العقل رضي الله عنهم جميعاً.

وبهذا صار الأمرُ واضحاً إن شاء الله.

ثم سيبدأ المؤلف رحمه الله بتقرير صفات الله تبارك وتعالى التي ثبتت في كتابه وفي سنة نبيّه ﷺ.

قال المؤلف: (**واعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أنَّ الكَلامَ في الرَّبِّ تعالى مُحْدَثٌ؛ وَهُوَ بِدْعَةٌ وَضَلالَةٌ، ولا يُتَكَلَّمُ في الرَّبِّ إلا بما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّ وجلَّ في القرآن، وما بَيَّنَ رسول الله ﷺ لأَصْحابِهِ، فَهُوَ جَلَّ ثَناؤُهُ واحِدٌ {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}، رَبُّنا أَوَّلٌ**

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي (٣/٤٨٠).

(٢) "رسالة السجزي إلى أهل زبيد" (ص١٣٥).

بِلا متى، وآخِرٌ بِلا مُنْتهى، يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفى، وَهُوَ على عَرْشِهِ اسْتوى، وعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكانٍ، ولا يَخْلو مِنْ عِلْمِهِ مَكانٌ)

وذكرنا أنه بدأ بمسألة الأسماء والصفات، وبعد أن أصَّلَ لنا أصول السلفية، أصول المنهج؛ بدأ بتأصيل مسائل الأسماء والصفات، ثم أخذ يذكر بعض الصفات التي خالف فيها أهل البدع والضلال؛ فقال هنا: (فهو جل ثناؤه واحد) أي: أن الله سبحانه وتعالى واحد في ذاته، واحد في أسمائه وفي صفاته، لا يشاركه في أسمائه وفي صفاته أحد، فله الأسماء الكاملة وله الصفات الكاملة، وهذه الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله فيها إثبات لصفات الله تبارك وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته، وفيها أيضاً نفي لمماثلته المخلوقين؛ فقال: {ليس كمثله شيء}، هذا رد على المشبّهة الذين يثبتون الصفات لله سبحانه وتعالى ويمثلونها بصفات المخلوقين فيقولون: له عين كأعيننا، له يد كأيدينا وهكذا؛ هؤلاء مردود مذهبهم الباطل بقول الله {ليس كمثله شيء}، وقد قال الإمام نُعيم بن حمّاد - شيخ الإمام البخاري وغيره – قال: "من شبّه الله بخلقه فقد كفر)[1].

ثم ذكر المؤلف قول الله تبارك وتعالى {وهو السميع البصير}؛ وهذه رد على المعطّلة، فالجزء الأول من الآية هو رد على المشبّهة والجزء الثاني منها هو رد على المعطّلة الذين يعطّلون الله عن صفاته؛ فلا يثبتون لله تبارك وتعالى الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه في الكتاب أو في السنّة؛ هؤلاء هم المعطّلة ومنهم الجهميّة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فهذه الآية هي رد على طائفتين أو هي رد على أهل الإفراط وعلى أهل التفريط، وأهل السنّة هم أسعد الناس بالأخذ بطرفي الآية فهم الوسط بين تلك

---

(١) "العلو" للذهبي (٤٦٤)، "عقيدة الحافظ تقي الدين المقدسي" (٢١٤).

الفرق؛ فيثبتون لله الأسماء والصفات كما يليق بجلال الله وعظمته من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف هذا هو مذهبهم.

قال: (ربنا أول بلا متى): أي أن الله سبحانه وتعالى هو الأول وليس لأوليّته وقت وزمن، فلا يقال: هو في الوقت الفلاني بدأ، لا؛ هو أولٌ سبحانه وتعالى من غير أن يقال متى كانت أوّليته، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {هو الأول والآخر والظاهر والباطن}(١)، فهو الأول قديمٌ بلا ابتداء؛ كما قال بعضهم ؛وإن كانت كلمة قديم ليست دقيقة، ونقول: هو الأول كما قال الله سبحانه وتعالى، فهي فقط للتفهيم، نقول هو أول بلا متى : يعني لم يكن لأوليته وقت معيّن.

(وآخرٌ بلا منتهى) أي: أن الله سبحانه وتعالى باقٍ حي وليس لبقائه فناء وليس لحياته منتهى، لا تنتهي حياته في وقت من الأوقات وبقاؤه لا يفنى أبداً.

(يعلم السرّ وأخفى)، (يعلم السر) يعني: يعلم ما تحدّث به نفسك، (وأخفى) أي: ويعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما لم تحدّث به نفسك.

قال: (وهو على عرشه استوى وعلمه بكل مكان ولا يخلو من علمه مكان) إذاً الذي ذكره عندنا المؤلف رحمه الله في هذه الفقرة أن الله تبارك وتعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وجاء تفسير (الأول) في كلام النبي ﷺ فقال: "أنت الأول فليس

---

(١) [الحديد:٣].

قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء"[١] وهذا خير تفسير تفسَّر به الأول والآخر، وفي نفس الحديث: "وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء" ، فقوله: " وأنت الظاهر فليس فوقك شيء" تدل على علوّ الله تبارك وتعالى كما سيأتي التفصيل في ذلك، "وأنت الباطن فليس دونك شيء"؛ فهو باطنٌ في علمه تبارك وتعالى، فيعلم كل شيء ولا يخفى عليه شيء؛ هكذا فسر السلف رضي الله عنهم هذه الفقرة من الحديث.

ثم قال: (يعلم السر وأخفى) هذا فيه إشارة إلى مسألة العلم -علم الله تبارك وتعالى-، وأن علمه تامٌّ كامل في كل شيء وليس في شيء دون شيء، فعلم الله سبحانه وتعالى كامل كما سيأتي إن شاء الله ذكر الأدلة على ذلك.

قال: (وهو على عرشه استوى، وعلمه بكل مكان ولا يخلو من علمه مكان)، الذي يريد المؤلف رحمه الله أن يوصله لنا هنا أن الله سبحانه وتعالى متّصف بصفة العلو؛ علو الله على خلقه وهذه صفة يتّصف بها ربنا تبارك وتعالى، وأدلّة وصفه بذلك متواترة، حتى قال بعض أهل العلم: (أدلة علو الله على خلقه تبلغ الألف دليل أو أزيد)[٢] وقد جمع في ذلك الإمام الذهبي رحمه الله مصنّفاً مستقلاً في الأدلة من الآيات والأحاديث والآثار التي تدل على علو الله على خلقه وهو كتاب "العلو"، وقد

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله عند البخاري (٦٣٢٠).
(٢) قال ابن تيمية في "الفتاوى" (٢٢٦/٥): (قَالَ بَعْضُ كِبَارِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ: فِي الْقُرْآنِ أَلْفُ دَلِيلٍ أَوْ أَزْيَدُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَالٍ عَلَى الْخَلْقِ وَأَنَّهُ فَوْقَ عِبَادِهِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: فِيهِ ثَلَاثُمِائَةِ دَلِيلٍ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ..).

اختصره الإمام الألباني رحمه الله في مختصرٍ نفيسٍ اسمه "مختصر العلو"، وهو من أفضل ما أُلِّف في هذه المسألة، فمن أراد أن يستزيد فيها فليقرأ هذا الكتاب.

وأدلة علو الله كثيرة؛

منها قول الله تبارك وتعالى: {الرحمن على العرش استوى}[١] فسّر أبو العالية الرياحي- وهو أحد أئمة التابعين، وأخذ عن جمع من أصحاب النبي ﷺ - (استوى)؛ فقال في الاستواء: العلو والارتفاع، وهذا تفسير سلفي.

وفي هذه التفاسير التي نذكرها عن السلف رضي الله عنهم رد على المفوّضة الذين يزعمون أن السلف كان مذهبهم مذهب التفويض، هذا باطل؛ لأن هذه الكلمات من السلف تبيّن لنا أن السلف كانوا يعلمون معاني الصفات ويؤمنون بها ، أما المفوّضة فيقولون نحن نثبت الاستواء لله سبحانه وتعالى لكننا نجهل معنى الاستواء، لا نعرف معناه، ونفوّض المعنى لله سبحانه وتعالى، فيؤمنون به كلفظ فقط خالٍ عن معناه؛ وهذا باطل، السلف ما كانوا على هذا؛ كانوا يقولون في الصفات: (أمرّوها كما جاءت بلا كيف)، أي: على مقتضاها العربي، قد جاءت على المقتضى العربي؛ فأمرّوها كما جاءت على مقتضاها العربي ولا تحرّفوها عن معانيها الصحيحة، هذا المعنى الذي كان يذكره السلف رضي الله عنهم، وأحياناً تجدهم يقولون (من غير تفسير) أو (من غير معنى)، ومعنى قولهم: (من غير تفسير) و (من غير معنى) : أي من غير المعنى الذي ذهبت اليه الجهميّة، ومن غير التفسير الذي ذهبت اليه الجهميّة، ويوجد من ألفاظهم ما يدل على أن مرادهم بذلك هذا المعنى، وممّن استعمل هذه الكلمات الإمام أحمد

رحمه الله قال: (ومن غير معنى)[٢]، ثم هو يفسّر معاني الصفات رضي الله عنه ورحمه، إذاً هذا يدلنا على أن السلف رضي الله عنهم كان مذهبهم هو الإيمان بالصفات لفظاً ومعنىً ويفوضون فقط الكيفية؛ لأن الكيفية ما ذُكِرت لنا لا في الكتاب ولا في السنّة؛ لذلك يفوّضونها إلى الله سبحانه وتعالى، أما المعاني: فعلى مقتضاها العربي؛ لأن النبي ﷺ ما ذكر بأنها مخالفة للمقتضى العربي الذي نزل به القرآن فتبقى على حقيقتها؛ فقال أبو العالية الرياحي في معنى استوى: (علا وارتفع)، وهذا قد صحّ عنه رحمه الله[٣]، وبيّن لنا معنى هذه الكلمة، إذاً معنى الاستواء عند السلف رضي الله عنهم العلو والارتفاع، وأما أهل التعطيل الذي ينفون علوّ الله تبارك وتعالى فلهم تحريفات لهذه الآيات سيأتي ذكرها إن شاء الله.

أما الدليل الثاني فقول الله تبارك وتعالى:{ أأمنتم من في السماء }[٤]، والذي في السماء هو الله سبحانه وتعالى، ومعنى {في السماء} هنا إمّا أن يقال (في) بمعنى (على)، وهذا معروف في لغة العرب: {ولأصلّبنّكم في جذوع النخل}[٥] أي على جذوع النخل، {فامشوا في مناكبها}[٦] أي على مناكبها؛ وهكذا، فـ (في) تأتي بمعنى (على) في لغة

---

(١) [طه:٥].
(٢) "تحريم النظر في كتب الكلام" لابن قدامة (ص٣٩)، وتمة الكلام: "إلا على ما وصف به نفسه سبحانه وتعالى، وهو كما وصف نفسه سميع بصير. وأنكر صحتها عنه بعض أهل العلم.
(٣) علقه البخاري في "صحيحه" (١٢٤/٩): "قال أبو العالية: {استوى إلى السماء}: "ارتفع" ... وقال مجاهد: {استوى}: "علا".
(٤) [الملك :١٦].
(٥) [طه:٧١].
(٦) [الملك:١٥].

العرب، وهذا معروف؛ لذلك إما أن يقال: (في السماء) بمعنى: (على السماء)، أو أن يقال: (السماء بمعنى العلو)؛ لأن السماء في لغة العرب تستعمل بمعنى العلو، فالله سبحانه وتعالي في العلو؛ هذه الآية الثانية.

ومن الأدلة قول الله تبارك وتعالى: {إليه يصعد الكلم الطيّب}(١) إليه، أي: إلى الله سبحانه وتعالى، وكذلك قوله لعيسى عليه السلام: {إني متوفّيك ورافعك إلي}(٢)، والآيات في هذا المعنى كثيرة تدل على علوّ الله على خلقه.

وأهل التعطيل لا يؤمنون بعلوّ الله على خلقه، ويكذّبون بذلك ويقولون: إذا أثبتنا علوّ الله على خلقه يلزم من ذلك أن يكون في جهة، وإذا كان في جهة لزم من ذلك أن يكون جسماً، وإذا قلنا بأنه جسم فهو مخلوق وليس بخالق؛ هكذا اللوازم التي يأتون بها من عقولهم القاصرة، ونقول لهم: هذه اللوازم كلها ليست بلازمة، والله سبحانه وتعالى عالٍ على خلقه كما أخبر في كتابه وكما صحّت الأحاديث في السنن عن النبي ﷺ وكما جاء في الآثار عن السلف رضي الله تعالى عنهم، ومن أصرح الأحاديث في ذلك حديث الجارية، قال لها النبي ﷺ: "أين الله؟"، قالت: في السماء، قال: "أعتقها فإنها مؤمنة"(٣)؛ فشهد لها بالإيمان لما أقرّت بأن الله في السماء؛ لأنهم كما تعلمون كانوا يعبدون الآلهة التي على الأرض، فأراد النبي ﷺ أن يعلم هل تعبد الذي على الأرض

---

(١) [فاطر:١٠].
(٢) [آل عمران:٥٥].
(٣) أخرجه مسلم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

أم الذي في السماء؛ فقال لها "أين الله ؟" أي: الذي يستحق أن يُعبد، فقالت: في السماء، فعلم أنّها موحّدة؛ لذلك قال: "أعتقها فإنها مؤمنة".

هذه بعض الأدلة، ومن أراد بقية الأدلة فليرجع إليها في "مختصر العلو".

علمنا أن من عادة أهل البدع أنّهم يتعلّقون بالمتشابهات ويتركون المحكمات، وقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأُخرُ متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا}[١]، إذاً الأدلة الشرعية تنقسم إلى أدلّة محكمة وأدلة متشابهة.

الدليل المحكم: هو الدليل الذي لا يعطيك إلا معنى واحد ليس فيه اشتباه ولا يشكل.

أما الدليل المتشابه: فيعطيك أكثر من معنى ويشتبه الأمر عليك.

هذا هو الفرق بين الدليل المحكم والدليل المتشابه، فأهل البدع الذين في قلوبهم زيغ كما وصفهم الله تبارك وتعالى يتركون الأدلة المحكمة ويتعلّقون بالمتشابهات؛ يريدون من ذلك الفتنة؛ أن يفتنوا الناس عن دينهم، ولا تكاد تجد مسألة إلا وتجد لها أدلة محكمة وأدلة متشابهة، كثير من المسائل على هذا النحو؛ ابتلاء من الله تبارك وتعالى، يبتلي العباد ويختبرهم حتى يتميز الخبيث من الطيّب، ويُعلَم من يريد الحق ممن يريد الباطل؛ لحكمة أرادها الله تبارك وتعالى جعل الأدلة الشرعيّة على هاتين الصفتين.

---

(١) {آل عمران:٧}.

هنا عندنا في هذه المسألة أدلة متشابهة يتعلّق بها أهل الباطل؛ من هذه الأدلة: الأدلة التي وردت في المعيّة؛ لذلك فإن المؤلف- رحمه الله- ذكر الاستواء على العرش ثم ذكر العلم؛ لأن المعية التي يدندنون حولها هي حقيقة جاءت في العلم، كقول الله تبارك وتعالى: {وهو معكم أين ما كنتم}(١)، و {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم}(٢)، إلى آخر الآيات، هذه الآيات يستدل بها هؤلاء أن الله سبحانه وتعالى ليس في العلو بل الله سبحانه وتعالى في كل مكان، وهؤلاء الجهمية القدامى، كانوا يقولون بأن الله سبحانه وتعالى في كل مكان ويستدلون بهذه الآيات ويتركون الأدلة المحكمة التي ذكرناها.

وهذه الآيات وردت أصلاً في العلم؛ لذلك تجدها قد بُدئت بالعلم وختمت بالعلم، وابن تيمية رحمه الله في "عقيدته الواسطيّة" ذكر أدلة العلو، فذكر مجموعة من الأدلة التي تدل على علوّ الله تبارك وتعالى ثم ذكر أدلة المعيّة- وهذه المعيّة العامّة وسيأتي أن المعيّة تنقسم إلى قسمين- ذكر رحمه الله آية: {هو الذي خلق السماوات والأرض في ستّة أيام ثم استوى على العرش}، لاحظ هذه الآية؛ قرر الله سبحانه وتعالى فيها أنه علا وارتفع على عرشه، ثم قال عز وجل:{يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها} يعني ما يدخل في الأرض وما يخرج من الأرض،{وما ينزل من السماء وما يعرج فيها} وما يصعد في السماء، {وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير}(٣)، عن ماذا

(١) [الحديد:٤].
(٢) [المجادلة:٧].
(٣) [الحديد:٤].

يتحدّث الله عز وجل أثناء الآية حين قال: {وهو معكم أين ما كنتم }؟ يتحدّث عن العلم؛ إذاً فهو معكم بعلمه يعلم كل شيء لا يفوته علم شيء.

وكذلك ذكر الآية الأخرى وهي: {ما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبّئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم} يتحدث عن العلم، فكل الكلام كان في سياق العلم؛ اذاً فالمقصود من هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء تفعلونه وكل شيء يحصل في هذا الكون، لا يعزب عنه علم شيء، وأدلّة علم الله تبارك وتعالى كثيرة، منها قول الله تبارك وتعالى: {إن الله لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء}[(١)]، {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ }[(٢)]،{وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[(٣)]، هذه الآية ما تركت شيئاً إلا وذكرته، فكل شيء يعلمه الله تبارك وتعالى، هذه الآيات تدل على عِظَم علم الله تبارك وتعالى وأنه يعلم كل شيء، والآيات المتشابهة التي يتعلّقون بها كلها سياقها يدل على أنها في العلم وليست في ذات الله سبحانه وتعالى؛ يعني الله سبحانه وتعالى ليس معنا بذاته يخالطنا؛ لا؛ الله سبحانه وتعالى في العلو وعلمه في كل مكان؛ هذه عقيدة السلف رضي الله عنهم؛ لذلك قال هنا: (وعلمه بكل مكان ولا يخلو من علمه مكان) فلا تعارض ما بين أن الله سبحانه

---

(١) [آل عمران:٥].

(٢) [الأنعام:٦٠].

(٣) [الأنعام:٥٩].

وتعالى عالٍ على خلقه وبين أنه معنا أين ما كنّا؛ لا تعارض بين الأمرين؛ فعلوّه بذاته وهو معنا بعلمه.

والمعيّة كما ذكرنا تنقسم إلى قسمين: معيّة عامة، وهي التي ذكرناها قبل قليل، أي أن الله سبحانه وتعالى معنا بعلمه، وهي معيّة عامة شاملة للكفار وللمسلمين.

وهناك معيّة خاصة وهي معيّة النصرة والتأييد، وهذه المعيّة خاصة بالمؤمنين؛ لذلك فإن ابن تيمية رحمه الله ذكر في "العقيدة الواسطيّة" أدلة العلو، ثم ذكر أدلة المعيّة العامّة وهي المعيّة بالعلم، ثم ذكر أدلة المعيّة الخاصة، فذكر آية {لا تحزن إن الله معنا}(١)، أي: ينصرنا ويؤيدنا، وكذلك قوله تعالى: {إنني معكما أسمع و أرى}(٢)، فالآية الأولى في النبي ﷺ وأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، والآية الثانية في هارون وموسى عليهما السلام، فالله سبحانه وتعالى يؤيّد المؤمنين ويؤيد أنبيائه وينصرهم، فمعنى المعيّة هنا معيّة التأييد والنصرة.

وكذلك قال الله تبارك وتعالى: {إن الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون}(٣) فهنا كذلك بالتأييد والنصرة، هذه الأدلة التي تدل على المعيّة الخاصة.

اذاً المعيّة قسمان: معيّة عامّة وهي معيّة العلم وتشمل المسلمين والكفار، ومعيّة خاصة وهذه خاصة بالمؤمنين، والمقصود بها معيّة التأييد والنصرة، فالله سبحانه وتعالى مع المؤمنين يؤيّدهم وينصرهم، وليس معنى ذلك أنه معهم بذاته يخالطهم؛ لا بل الله

---

(١) [التوبة:٤٠].

(٢) [طه:٤٦].

(٣) [النحل:١٢٨].

سبحانه وتعالى عالٍ على عرشه فوق جميع خلقه؛ فالعرش فوق السماوات السبع كما هو متّفق عليه، وإذا قلنا: {الرحمن على العرش استوى}؛ فالله سبحانه وتعالى يكون عالٍ على جميع خلقه.

هذه هي الصفة التي أراد المؤلف رحمه الله أن يبيّنها في هذا الموطن، وعرفنا شبهة أهل البدع الذين لا يؤمنون بها ويردونها، وهي شبهة ضعيفة، وكل شبهاتهم تدور حول أصلٍ واحد: وهي أن هذه الصفات إثباتها يعارض العقل، وإذا تعارض العقل مع النقل يقدّم العقل؛ هذه شبهتهم الأساسية وعلى هذا يسيرون، ثم بعد ذلك يبدؤون بتحريفات هذه النصوص؛ لأن عندهم الأدلة العقلية تدل على أن هذه الصفات مؤدّاها إلى التشبيه، والتشبيه ينزّه الله سبحانه وتعالى عنه؛ اذاً لا بد أن تحرّف هذه الأدلة عن معانيها الصحيحة؛ لأنها عارضت العقل الذي هو أقوى منها؛ هكذا هم يقولون، يقولون العقل دلالته أقوى من دلالة القرآن، فإذا تعارضت مع الأدلة العقلية مباشرة تحرَّف هذه الأدلة عن معانيها الصحيحة، لا يهتمون لأي معنى يحرّفونها، المهم أن لا يؤخذ منها المعنى الصحيح؛ وهو إثبات الصفة.

هنا الاستواء فسروه بمعنى الاستيلاء حتى يتخلصوا من هذا، وهذا معنى فاسد مردود عليهم، ردّه عليهم العلماء بقولهم: بأن هذا السياق أصلاً لا يحتمل أبداً في لغة العرب أن يكون فيه معنى (الاستواء): الاستيلاء؛ لأنه عُدّي بحرف الجر (على) ولا يعدّى الاستواء بحرف الجر (على) ويكون معناه الاستيلاء.

ثم معنى الاستيلاء معنى باطل في حق الله سبحانه وتعالى، فمعنى الاستيلاء: أن يكون قد غَالَبَ غيره، وغلبه واستولى عليه منه، وكان تحت حكم شخص آخر ثم غلبه

الله سبحانه وتعالى وأخذه منه؛ هذا معنى الاستيلاء، وهو معنى فاسد، وردود أهل العلم طويلة عليهم في هذا، وبطلانه واضح وظاهر، وهم في قرارة أنفسهم يعلمون ذلك ولكن ما وجدوا سبيلاً إلى تحريفه إلا بهذه الطريقة.

وأما: {أأمنتم من في السماء} فيقولون لك: المقصود بمن في السماء هم الملائكة، وهكذا يفسّرون بهذه التفسيرات، ونحن نرد عليهم ونقول: هذه التفسيرات كلها خلاف ظاهر كتاب الله سبحانه وتعالى، الظاهر من الكتاب والظاهر من لغة العرب أن معانيها على المعنى الحقيقي الذي حمله عليها أهل السنّة والجماعة، وهم يقرّون بهذا، فإذا أقرّوا بأن هذا هو الظاهر؛ نقول لهم بعد ذلك: التأويل يحتاج إلى دليل شرعي، وليس عندكم دليل شرعي، إنما تتعلّقون بأدلة عقولكم التي هي في نفسها مضطربة ومتخبّطة، والدليل على اضطرابها: أنهم هم أنفسهم لا يتّفقون على شيء واحد؛ بل هم يختلفون في أنفسهم؛ فالجهمي يخالف المعتزلي، والمعتزلي يخالف الأشعري، والأشعري يخالف الماتريدي، والماتريدي يخالف الكُلّابي؛ وهكذا، فيتضاربون فيما بينهم، فعقل من الذي نريد أن نتحاكم إليه؟ وأي عقولٍ هذه التي يتحاكم إليها في مثل هذا الموقف؟ هي عقول قاصرة وفاسدة وشبهات أدخلها عليهم الشيطان وتلقّفوها منه، ثم أخذوا يلبّسون على الناس في أمر دينهم.

خلاصة ما عندنا في هذا المبحث: أننا نثبت علو الله تبارك وتعالى على خلقه بالأدلة الشرعية التي معنا، ونثبت معيّة الله وتبارك وتعالى لخلقه؛ المعيّة العامّة والمراد بها: العلم، ونثبت لله أيضاً المعيّة الخاصّة وهي خاصة بالمؤمنين، والمراد بها التأييد والنصرة هذا خلاصة هذا المبحث.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **([١٢] ولا يقولُ في صِفاتِ الرَّبِّ تعالى: كيفَ؟ ولِمَ؟ إلا شاكٌّ في الله تبارك وتعالى)**.

صفات الله لا يجوز لك أن تسأل فيها عن الكيفيّة؛ لماذا؟ لأن الكيفية لا تُعلَم إلا بالدليل الشرعي، ولا يوجد دليل شرعي يدل عليها؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يخبرنا بها لا في الكتاب ولا في السنّة، فإذا لم يخبرنا بها؛ إذاً فنسكت عنها ولا نسأل عن الكيفيّة، والأصل في ذلك من كلام السلف ما جاء عن الإمام مالك رحمه الله تعالى قال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة)، هذا هو الأصل الذي أُصِّل في هذا، وعليه سلف الأمة رضي الله عنهم.

ولا يقال: (ولم؟) لا يُعترَض؛ لا يُسأَل عن التعليل، ولا يعترض على أحكام الله سبحانه وتعالى، جاءك الحكم تأخذه بالقبول والتسليم، لا تسأل عن العلل، عن تعليل الأمور، لا تسأل في مسائل القدر: لم فعل الله سبحانه وتعالى كذا؟ لِمَ لم يفعل كذا؟ لَمَ وصف نفسه بكذا؟ لِمَ لم يصف نفسه بكذا؟ هذه كلها مرفوضة في شرع الله، وهي من البدع المحدثات؛ فلا يجوز أن يُفعل ذلك، ولا يفعل ذلك إلا شخص شاكٌّ في الله تبارك وتعالى كما قال المؤلف؛ وإلا لما وصل لهذه الأسئلة.

قال المؤلف رحمه الله: **([١٣] والقرآنُ كَلامُ الله وتَنْزِيلُهُ ونورُهُ، وليس مخلوقاً؛ لأن القرآنَ مِنَ الله، وما كان من الله فليس بمخلوقٍ، وهكذا قال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل رحمهم الله ومن قبلهما من الفقهاء ومن بعدهما، والمراء فيه كفر)**.

هذه مسألة ثانية من مسائل صفات الله سبحانه وتعالى، وأعظم مسائل الصفات التي خالف فيها أهلُ الضلال أهلَ السنة والجماعة؛ هي ثلاث مسائل: صفة علوِّ الله تعالى على خلقه التي تقدّمت، والثانية: صفة الكلام، الثالثة: صفة رؤية المؤمنين لربّهم يوم القيامة؛ هذه أعظم ثلاث صفات خالف فيها أهلُ البدع وصارت شعاراً مشهوراً على أهل البدع والضلال، وصارت أيضاً شعاراً لأهل السنة والجماعة في مخالفتهم؛ لذلك تجد بعض أهل العلم يذكر هذه الصفات الثلاثة خلف بعضها، ويؤكد عليها أكثر من غيرها؛ ذكر المؤلف صفة العلو، ثم ثنّى بصفة الكلام، وذكر أن القرآن كلام الله غير مخلوق ؛ وهذه المسألة متفرّعة عن إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى؛ فمَن يثبت صفة الكلام لله تبارك وتعالى كلاماً حقيقياً بحرفٍ وصوت؛ يقول: القرآن غير مخلوق وهو كلام الله تبارك وتعالى؛ لأنه ليس عنده مشكلة؛ فالله سبحانه وتعالى يتكلم كلاماً حقيقياً، لكن من قال: بأن الله لا يتكلم كلاماً حقيقياً يُشكِل عليه هذا القرآن؛ ما هو إذاً هذا؟ يقول لك: هذا مخلوق وليس كلامَ الله سبحانه وتعالى؛ من هنا جاءت هذه المسألة؛ مسألة: هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟

نرجع إلى المسألة الكلام؛ هل الله سبحانه وتعالى يتكلّم كلاماً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته أم لا؟

أهل السنة والجماعة يقولون: الله سبحانه وتعالى يتكلّم كلاماً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، والأدلة على ذلك كثيرة ساقها العلماء في كتبهم؛ من ذلك قول الله تبارك وتعالى: {وكلّم الله موسى تكليماً}[1]، هنا أكّد الله تبارك وتعالى الكلام بالمصدر الذي

(١) [النساء:١٦٤].

يقتضي الحقيقة وينفي المجاز فلا مجال للقول بالمجاز في هذه الآية {وكلّم الله موسى تكليماً}، إذاً الكلام حقيقي لا إشكال فيه؛ لذلك لما أشكلت على بعض أهل البدع؛ اضطرّ إلى تحريفها حتى يتخلّص منها - هذه الآية نص في المسألة وآية محكمة ليس فيها أي شبهة ولا أي إشكال، لكن لما تمكّن الباطل من قلوبهم - نعوذ بالله – لم يخضعوا ويسلّموا لكلام الله تبارك وتعالى- أراد أن يتخلّص منها بأي طريقة؛ فوصل به الحال إلى أن حرّف كتاب الله تبارك وتعالى فقرأها : (وكلّم اللهَ موسى)[١] ؛ حتى يجعل المتكلّم هو موسى وليس ربنا تبارك وتعالى؛ فلما سمع أحد علماء المسلمين قال: (وماذا يفعل هذا بقول الله تبارك وتعالى :{ وكلّمه ربه}[٢])[٣]كيف سيفعل بها؟ فإذاً الكلام صفة حقيقية لله سبحانه وتعالى يتكلّم كلاماً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، والجهميّة نفت هذا وقالت: يلزم من هذا التشبيه، ويلزم من هذا حلول الحوادث في الله سبحانه وتعالى، ويعنون بالحوادث المخلوقات، وما تحلّه المخلوقات فهو مخلوق؛ هكذا، كلها لوازم عقليّة- أي نعم-، وهو كلّه باطل؛ الله سبحانه وتعالى يتكلّم كلاماً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، ويتكلم بحرفٍ وصوت.

لماذا نركّز على هذه الكلمة: (أنه يتكلّم بحرفٍ وصوت)؟ رداً على الفئة الثانية وهم الأشاعرة؛ الأشاعرة جاءت بقولٍ مُحدَثٍ جديد غير قول الجهميّة، أرادوا أن يجمعوا بين قول الجهميّة وقول أهل السنة فخرجوا بقول جديد؛ ما هو؟

---

(١) بنصب لفظ الجلالة، ورفع موسى.

(٢) [الأعراف:١٤٣].

(٣) نقل ابن القيم هذا الفعل عن أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة في "الصواعق المرسلة" (١٠٧/٣).

هو الكلام النفسي، خرجوا بالكلام النفسي؛ فقالوا: الكلام ينقسم إلى قسمين: كلام معنوي وكلام لفظي، الكلام المعنوي هذا كلام نفسي يكون موجوداً في النفس لكنه ليس ألفاظاً ليس بحرف ولا صوت، كلامٌ يكون في النفس، فالله سبحانه وتعالى له كلام نفسي، ويُثبتون الكلام النفسي، ويقولون: {كلّم الله موسى تكليماً} كلام الله نفسي وليس حقيقياً.

طيب ما هذا القرآن الذي بين أيدينا؟ يقولون: إذا أراد الله أن يعبّر عمّا في نفسه خلق شيئاً فعبّر به، فيتكلّم جبريل بالقرآن أو يتكلّم محمد ﷺ بالقرآن، فيكون مخلوقاً من عند الله تبارك وتعالى عبّر به عمّا في نفسه؛ لذلك يقولون: هو عبارة عن كلام الله تبارك وتعالى، وليس هو كلام الله سبحانه وتعالى، فيجعلون الكلام كلاماً نفسياً وليس كلاماً حقيقياً، أي: إنه لا يتكلّم بحرفٍ وصوت، يعني: كلامه الذي هو صفة له ليس مسموعاً لأحد، لا يسمعه أحد؛ لأنه ليس حرفاً وصوتاً؛ هذا مذهب الأشاعرة الذين حاولوا أن يجمعوا بين عقيدة الجهميّة وعقيدة أهل السنّة، فخرجوا بقول مبتدَع جديد.

أصول الأشاعرة هي أصول الجهميّة، لم تختلف؛ الأصول الأساسية التي قام عليها دينهم هي نفسها أصول الجهميّة، فالأصل الذي يجتمع عليه الجميع: تقديم العقل على النقل، والكلام في ذات الله وفي صفات الله تبارك وتعالى بالعقول؛ هذا أصلهم جميعاً، المتكلّمون جميعاً من جهميّة، معتزلة، أشاعرة، ماتريدية، كلّابية ... إلى آخره؛ كلّهم على هذا الأصل، فلا يأتي أحد يقول لنا: والله الأشاعرة من أهل السنّة والجماعة؛ من أين لهم أهل السنّة والجماعة؟ السنّي يمتاز بأنه يقدّم الكتاب والسنّة على كل شيء، ويعظّم الكتاب والسنّة، ويسلّم وينقاد للكتاب والسنة، وهؤلاء ليس عندهم شيء من هذا؛

فكيف يقال هم أهل سنّة؟ وهل الذي قرّروه في العقائد أو في غيرها هو على طريقة أهل السنّة والجماعة؟ من أين يكونون أهل سنّة وجماعة؟

السلف كانوا يحكمون على أهل الضلال بضلالة واحدة يخرجون بها كالخوارج والمرجئة والشيعة وغيرهم؛ فيحكمون عليهم بالضلال وأنّهم فرقة ضالّة بمسألة واحدة؛ فما بالك بهؤلاء الأشاعرة الذين خالفوا أصولاً لأهل السنّة وليس أصلاً واحداً؟ فهذا القول باطل وصاحبه أراد أن يميّع دين الله سبحانه وتعالى وأن يخلط الحق بالباطل؛ لذلك قرر هذه التقريرات.

المهم عندنا الآن أن الله سبحانه وتعالى يتكلّم كلاماً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته ليس ككلام المخلوقين، فلا نشبّه كلام الله بكلام المخلوقين، نثبت له الصفة كما يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وقال الله سبحانه وتعالى: {يا موسى إنّي اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي}(١)، وقال أيضاً: {وما كان لبشرٍ أن يكلّمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب}(٢)، هذه الآيات وغيرها كثير يدل على أن الله سبحانه وتعالى يتكلّم بكلام حقيقي يليق بجلاله وعظمته.

ثم إن القرآن كذلك كما وصف المؤلف وغيره هو كلام الله تبارك وتعالى، وأدلّة ذلك قول الله تبارك وتعالى: {وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام

---

(١) [الأعراف:١٤٤].

(٢) [الشورى:٥١].

الله}[١]، فالله سبحانه وتعالى أضاف الكلام إلى نفسه، هم يلبّسون الآن ويقولون: هذا من باب إضافة التشريف كبيت الله وناقة الله؛ إضافتها إضافة تشريف؛ وهذا باطل؛ لأن المضاف إلى الله أحد أمرين:

إما معنى أو عين، معنى من المعاني، شيء ليس له جِرم، ليست له كتلة؛ هذا المقصود بالمعنى، وهذه الألفاظ أستعملها الآن فقط لتقريب المعنى وللشرح.

المعنى ليس له جرم، ليست له كتلة، ليس شيئاً موجوداً تلمسه وتمسكه؛ هذا معنى: المعنى.

أما معنى العين: فهو شيء له جرم، له كتلة يمكن أن تمسكه؛ هذا فقط لتقريب المعنى.

الآن إذا كان الشيء معنى من المعاني، تقول: إذا أُضيف إلى الله سبحانه وتعالى فهو صفة؛ كالكلام، فالكلام معنى، فإذا أضافه الله إلى نفسه؛ فهو صفة لله.

أما العين كالنّاقة: فعندما تضيف هذه الناقة إلى الله سبحانه وتعالى؛ تكون هذه الإضافة إضافة تشريف، كذلك: روح الله عيسى عليه السلام {وروح منه}[٢]، عندما تضيف الروح إلى الله سبحانه وتعالى، هذه الروح تقول هي صفة لله أم تقول هي إضافة تشريف ويكون هذا مخلوق لله سبحانه تعالى؟ هنا صفة تشريف، لماذا هي إضافة تشريف؟ لأن الروح هذه عين وليست معنى.

هذا هو التفريق بين هذا وهذا، وهم يلبّسون ويجعلون هذا كهذا؛ وهذا باطل.

---

(١) [التوبة:٦].

(٢) [النساء:١٧١].

قال المؤلف: (والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره وليس مخلوقاً).

من الأوقات العظيمة التي ظهرت فيها هذه الفتنة، كانت في زمن الإمام أحمد؛ القول بأن القرآن مخلوق، عظمت وكبرت في زمن الإمام أحمد؛ لأنه قد تبناها أحد الخلفاء وهو المأمون، تبنّى هذه العقيدة لمّا كان في حاشيته أحد المعتزلة وهو أحمد بن أبي دؤاد؛ لبّس على المأمون ولقّنه هذه العقيدة؛ فأخذها وتبنّاها وآمن بها وصار يدعو إليها وامتحن العلماء بها، فمن يقول القرآن مخلوق؛ يتركه، ومن يقول القرآن غير مخلوق؛ يقتله أو يعذبه، وعلى هذا مضت المحنة وابتلي العلماء حتى مات المأمون، وجاء من بعده المعتصم، ومات المعتصم وجاء من بعده الواثق، وبقيت هذه المحنة، والعلماء يُمتحنون ويُبتلون بها، فمات من مات وقُتِل من قتل، وعُذّب من عُذّب؛ حتى أذن الله سبحانه وتعالى ورُفعت، ومن الذين ثبتوا فيها: الإمام أحمد، وكذلك محمد بن نوح رحمه الله من الذين ثبتوا، لكن الإمام أحمد كان له قدر عند الناس وله منزلة وكانوا ينتظرون ماذا يقول الإمام أحمد، وقد أخذ بعض العلماء هنا بالرخصة وقالوا: نحن مُكْرَهون وأجابوا وقالوا: القرآن مخلوق وخرجوا، لكن الإمام أحمد رفض وصبر؛ لأنها محنة وابتلاء، ولو أنه أخذ بالرخصة لافتُتِنَ الناس، فكان الناس على الباب ينتظرون ماذا يقول الإمام أحمد، وكثير من الناس لا يعقلون مسألة أنه قد ابتُلي وأنه في حال إكراه؛ فربما حصلت من وراء إجابته فتنة عظيمة، فصبر رحمه الله وأبى أن يجيب، جُلِد وضرب حتى كان يُغشى عليه، سُجن، عُذِّب إلى أن أذن الله سبحانه وتعالى برفع هذه المحنة.

وناظر كثير من العلماء أحمد بن أبي دؤاد هذا أمام المأمون وأمام المعتصم ومع ذلك ما كان يرجع، وأقاموا عليهم الحُجّة وبيّنوا لهم المَحجّة وبعض المناظرات قد نُقِلت، فما كان

لهم أي إجابة يستطيعون أن يُفحِموا بها المخالف، وظهرت عقيدة أهل السنّة وأعزّها الله بالإمام أحمد، فجعل الله سبحانه وتعالى له منزلة عظيمة ورفيعة في هذه الأمة.

الشاهد في الكلام: أن هذه الفتنة عَظُمت في ذاك الزمن وكانت محنة عظيمة لكن أئمة السنّة جميعاً على قولةٍ واحدة: بأن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ بل قد نصّ غير واحد على أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر؛ ومنهم الإمام الشافعي والإمام أحمد وغيرهم رضي الله عنهم؛ لأن هذا القول أن القرآن مخلوق يلزم منه أن متكلّمه مخلوق، فعندما تقول القرآن مخلوق فمعنى ذلك أن الله مخلوق؛ وهذا كفر عياذاً بالله، فهنا المؤلف يقول: (لأن القرآن من الله) وليس مخلوقاً؛ لأن القرآن من الله فكيف يكون مخلوقاً وهو من الله؟ فإذا قلت: بأنه مخلوق؛ فيكون الله سبحانه وتعالى مخلوقاً، وإذا قلت: غير مخلوق؛ فيكون الله غير مخلوق.

قال: (لأن القرآن من الله، وما كان من الله فليس بمخلوق) ما كان من الله صفةً له فهذا لا يكون مخلوقاً أبداً.

قال: (وهكذا قال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل رحمهم الله) يقول هنا: أنا لا أقول شيئاً من عندي وإنما هذا كلام أئمة الإسلام، وهكذا نتعلّم منهم؛ لا نقول بقول إلا ولنا فيه إمام؛ هذه طريقة السلفي، أما الخلفي فهو الذي ينتج من عنده وهو الذي يبتكر أفكاراً جديدة أو يحاول أن يفهم منهج السلف على رأسه وبعقله؛ كما نلاحظ اليوم في هذا الزمن: كثير من الحدادية اليوم خرجوا بسبب هذه القضيّة حاولوا أن يفهموا منهج السلف من عندهم وضربوا بعلم العلماء الأكابر عرض الحائط وصاروا يستخرجون قواعد ويقولون: هذه قاعدة عند السلف، وينظرون إلى منهج السلف بنظرة حجريّة -

يعني جامدة- كجمود ابن حزم والظاهرية في المسائل الفقهية، ينظرون إليها هكذا بجمود ويفهمونها بناءً على عقولهم القاصرة وعلمهم الضعيف، فيؤدي ذلك إلى إنتاج منهج جديد يسمونه منهج السلف، هذا هو الحال الذي نراه اليوم بيننا، وسببه أنهم أحسنوا الظنّ بعقولهم وأساؤوا الظنّ بعلمائهم، هذا هو سببه، وظنّوا أنفسهم أنهم أعلم ممّن غلبهم في العلم والحكمة والعقل فضلّوا وأضلّوا.

قال رحمه الله: (وهكذا قال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل ومن قبلهما من الفقهاء ومن بعدهما) يعني جميع العلماء - علماء السلف - على هذا القول: أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال: (والمراء فيه كفر) يعني: الجدال والمخاصمة في كتاب الله يؤدّي إلى الكفر، فلا يجوز المراء في القرآن كما جاء في الحديث: "المراء في القرآن كفر"، فيتمارى اثنان في آية أهي من القرآن أم ليست من القرآن؛ فيكذّب بكتاب الله تبارك وتعالى، أو يتماريان في مسألة من المسائل العظيمة التي يكفر بها مخالفها فيخالفها مخالف؛ فيكفر، فالمراء في القرآن محرّم.

هذه خلاصة هذه المسألة، ثم سيبدأ المؤلف بالمسألة الثالثة: وهي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

قال المؤلف رحمه الله: (**[١٤] والإيمانُ بالرؤيةِ يومَ القيامةِ؛ يرون الله عزّ وجل بأعْيُنِ**[١] **رؤوسهم، وهو يحاسبهم بلا حاجِبٍ**[٢] **ولا تُرْجُمان**).

هذا أصل من أصول أهل السنّة والجماعة وهو رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة؛ إثبات أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عياناً بأبصارهم؛ هذه عقيدة أهل السنّة والجماعة.

وقد ذكرنا في دروس سابقة أن ثلاث صفات هي أعظمُ الصفات التي خالف فيها أهلُ الباطل أهلَ السنة والجماعة: صفة الكلام، والعلو، والرؤية.

علوّ الله على خلقه، ورؤية المؤمنين لربّهم يوم القيامة- وهي المسألة التي معنا الآن-، وكلام الله تبارك وتعالى، وقد ذكرنا في الدرس الماضي والذي قبله صفة العلو وصفة الكلام، واليوم معنا الصفة الثالثة وهي صفة الرؤية.

عقيدة أهل السنة والجماعة: أن المؤمنين يرون ربّهم يوم القيامة بأعينهم رؤية حقيقية كما قرّره المؤلف رحمه الله، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنّة والإجماع:

أما الكتاب فقول الله تبارك وتعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}[٣]، وقد فسّر النبي ﷺ هذه الآية كما جاء في صحيح مسلم[٤] عن صهيب عن النبي ﷺ: قال :"إذا دخل أهل الجنّةِ الجنّةَ يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيّض

---

(١) في نسخة: (بأبصار).
(٢) في نسخة: (بلا حجاب).
(٣) [يونس:٢٦].
(٤) أخرجه مسلم (١٨١).

وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنّة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربّهم عزّ وجل" ثم تلا هذه الآية: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}، فالزيادة في هذه الآية هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

وأما الدليل الثاني فهو قول الله تبارك وتعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}(١)، {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ} يعني يوم القيامة، و{ناضرة} من النضارة وهي البهاء والحسن، {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} أي: تنظر إلى الله تبارك وتعالى.

والدليل الثالث قول الله تبارك وتعالى:{ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}(٢) أي الكفار، فلما حجب الكفار في حال السُخط؛ دل على رؤية المؤمنين له وعدم حجبهم عن النظر إليه في حال الرضا.

وأما من السنة:

فجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: " إنّكم سترون ربّكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تُضامّون في رؤيته"(٣)، وهذا نص صريح في مسألة الرؤية.

وكذلك جاء في الحديث: "ما منكم من أحد إلا سيكلّمه ربّه ليس بينه وبينه ترجمان"(١).

---

(١) [القيامة:٢٢] .

(٢) [المطففين:١٥].

(٣) أخرجه البخاري(٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

وساق ابن القيّم رحمه الله في كتابه "الروح" عدّة أحاديث في مسألة رؤية الله تبارك وتعالى، وأحاديث هذه المسألة متواترة.

وإجماع أهل السنّة والجماعة منعقد أيضاً على أن المؤمنين يرون ربّهم يوم القيامة.

هذه هي الأدلة المحكمة في هذه المسألة، وهذه عقيدة أهل السنّة والجماعة.

بقي عندنا أن نعرف ما هي عقيدة أهل البدع الذين خالفوا عقيدة أهل السنّة والجماعة في هذا، المتكلّمون يخالفون في هذا فيقولون بأن الرؤية ها هُنا تستلزم معنى باطلاً لو أثبتناها؛ تستلزم أن الله جسم؛ فلا تُرى إلا الأجسام، والأجسام مخلوقة؛ ففيه تشبيه لله تبارك وتعالى بخلقه، وهذا محرّم غير جائز؛ فلذلك ينفون الرؤية بهذا اللازم العقلي، ويفسّرون الرؤية الواردة في النصوص بالرؤية القلبية أو برؤية النعيم؛ لذلك عند ذكر المؤلف رحمه الله لهذه المسألة هنا؛ قال: (يرون الله عزّ وجل بأعين رؤوسهم)، لماذا ركّز على أعين رؤوسهم؟

لأنه احتاجها من أجل أن يرد على الذين يقولون بأنّهم يرون الله بقلوبهم؛ فردّ قولهم بقوله: (يرونه بأعين رؤوسهم)، فهذا رد على المعطّلة.

وهؤلاء المعطّلة الذين ذكرنا قولهم، هم انقسموا إلى قسمين:

قسم نفوا الرؤية؛ وهؤلاء هم المعتزلة والجهميّة، وقسم آخر أثبتوا الرؤية؛ وهم الأشاعرة من المتكلمين من المعطّلة- وكلّهم من المعطّلة.

---

(١) أخرجه البخاري(٦٥٣٩)، ومسلم(١٠١٦) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

لكن هنا مسألة مهمة: وهو أن بين قول الأشاعرة وقول أهل السنّة فرق في هذه المسألة:

فأهل السنّة يثبتون الرؤية ويثبتون العلو لله تبارك وتعالى، الجهميّة والمعتزلة لا يثبتون الرؤية ولا يثبتون العلو، أما الأشاعرة فقد تناقضوا؛ فأثبتوا الرؤية ونفوا العلو.

الآن نحن بشر عندما نوجّه نظرنا إلى شيء لا بد أن نوجّه نظرنا إلى جهة معيّنة؛ إما إلى العلو أو إلى اليمين أو إلى الشمال إلى أي جهة من الجهات، فعندما تقول: إننا نرى الله سبحانه وتعالى؛ فإذا كنا سنراه فأين ننظر ؟

ننظر إلى العلو، إذاً إذا أثبت الرؤية؛ فتثبت معها علوّ الله تبارك وتعالى، أو تثبت الجهة كما يسمّونها- لا بد من هذا- فعندما تقول: نثبت لا إلى جهة؛ فسيصير هنا تناقض وتضارب وخلط في الأمور؛ إذ كيف يرى الناس ربّهم تبارك وتعالى لا إلى جهة لا ينظرون يميناً ولا شمالاً ولا أعلى ولا تحت ولا شيء؟ هذا الكلام مستحيل؛ لذلك لما تكلّم العلماء في هذه المسألة ذكروا الأشاعرة وذكروا قولهم، قالوا: هذا قول يضحك منه العقلاء، والذي أدّاهم إلى هذا التناقض؛ هو تناقضهم أصلاً في أصولهم وفي تفريعاتهم؛ فوافقوا الجهميّة في أصولهم الأساسية، ثم حاولوا بعد أن اصطدمت أصولهم مع نصوص الشرع ونصوص السلف رضي الله عنهم؛ حاولوا أن يوفّقوا بينها بهذه الطريقة؛ فتخبّطوا وأتوا بمذهب متخبّط مضطرب؛ هذا هو قول الأشاعرة.

وقد ذكرنا قول المعتزلة، وأنهم ينفون الرؤية وينفون العلو، فمن حيث التقعيد والتأصيل عندهم على أصولهم؛ هم أضبط من الأشاعرة، لكن من حيث الإثبات والتعطيل؛ فالأشاعرة أقرب إلى الصواب من المعتزلة والجهميّة.

بقي عندنا هنا أمر:

عرفنا فيما مضى بأن أهل البدع حين يعطّلون صفة يتعلّقون ببعض المتشابهات كي يلبّسوا على الناس؛ {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ}[١] إذاً عندهم نصوص متشابهة يمكن أن يتعلّقوا بها في نفي الرؤية؛ فما هي هذه النصوص؟

تعلّقوا بنصّين؛ الأول: قول الله تبارك وتعالى لموسى:{ لن تراني } في آية: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي}[٢]، هذا النص الأول الذي تعلّقوا به.

وليتم لهم الاستدلال؛ فهم بحاجة لأن يثبتوا بأن: (لن) تفيد التأبيد، ماذا نعني بالتأبيد؟ يعني عندما يقول لك شخص: أنت لن تأكل عندي، معنى ذلك: أن الأكل عندي ممنوع مطلقاً إلى الأبد، لا يمكن أن يأتي وقت من الأوقات وتأكل عندي؛ هذا معنى التأبيد، فإذا قلت هذا الشيء لن يحصل؛ فمعناه: (إلى الأبد) انتهى الأمر.

أرادوا أن يثبتوا هذا من الناحية اللغوية؛ فحاول الزمخشري أن يثبت في "تفسيره" أن (لن) تفيد التأبيد، ورد عليه ابن مالك رحمه الله وأثبت أن (لن) لا تفيد التأبيد، والدليل على عدم إفادتها التأبيد أن الله تبارك وتعالى قال في اليهود: {فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً}[٣]، { وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا} مع أن الله سبحانه وتعالى قال

---

(١) [آل عمران:٧].

(٢) [الأعراف:١٤].

(٣) [البقرة:٩٥].

فيهم بأنّهم يقولون لمالك يوم القيامة :{ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}(١)، فكيف تقولون الآن؟

إذاً (لن) هنا لا تفيد التأبيد؛ وهذا هو الصحيح، وابن مالك من أئمّة اللغة، وقد نصّ على أن "لن" لا تفيد تأبيداً، وكذلك ذكر ذلك ابن هشام رحمهم الله.

فإذا قلنا بأنها لا تفيد تأبيداً؛ فقد هدمنا أصلهم الذي يحاولون بناءه، فيكون معنى: {لن تراني} أي: في الوقت الذي طلبت رؤيتي فيه وهو في الدنيا، والسياق يدل على هذا؛ لأن موسى عليه السلام عندما طلب رؤية الله سبحانه وتعالى طلبها في الدنيا ولم يطلبها في الآخرة؛ فلذلك قال له ربّنا تبارك وتعالى: {لن تراني} أي: لن تراني في الدنيا، أما في الآخرة؛ فستراني لأن (لن) لا تفيد تأبيداً، هذه الآية الأولى التي يستدلون بها على قولهم.

وأما الآية الثانية وهي أيضاً من المتشابهات وهي قول الله تبارك وتعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}(٢)، قالوا: بما أنه لا تدركه الأبصار؛ إذاً لا تمكن رؤيته تبارك وتعالى، ففسّروا الإدراك بمعنى النظر، وهذا خطأ؛ فالإدراك بمعنى الإحاطة، والإحاطة لا يمكن أن يحيط أحد بالله تبارك وتعالى؛ لذلك فالمنفي في هذه الآية الإحاطة وليس النظر.

إذاً هذه الآيات التي يستدلون بها إنما هي من المتشابه وليست من المحكم، والسنّيّ يأخذ الآيات والنصوص المتشابهة ويحملها على المحكم، فتستقيم معه ويثبت عنده أن

---

(١) [الزخرف:٧٧].

(٢) [الأنعام:١٠٣].

القرآن لا تناقض بين آياته، كلّه من عند الله تبارك وتعالى ولا يحصل تناقض بين نصوص الكتاب والسنّة، وإنما التناقض يكون في عقول البشر، هذه هي الأدلة المتشابهة التي تعلّق بها القوم، وننتقل إلى المسألة التي بعدها.

قال المؤلف رحمه الله: **([١٥] والإيمانُ بالميزانِ يومَ القيامةِ، يُوْزَنُ فيه الخيرُ والشرُ، له كِفّتان وله لسان)**.

هذه مسألة جديدة من عقائد أهل السنّة والجماعة وهي إثبات الميزان يوم القيامة، الميزان الذي توزن فيه الأعمال.

من عقيدة أهل السنة إثبات هذا الميزان وأنه يوزن فيه الخير والشر، وأدلة ذلك من القرآن:

قول الله تبارك وتعالى: { وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ }[١].

وقال:{ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ}[٢].

وقال أيضاً:{ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ }[٣].

---

(١) [الأعراف:٩،٨].

(٢) [القارعة:٦].

(٣) [الأنبياء:٤٧].

وأما من الأحاديث، فجاء ذكر الميزان في حديث البطاقة الذي قال النبي فيه ﷺ: "فتوضع البطاقة في كفّة والسجلّات في كفّة" - سجلّات السيئات للعبد توضع في كفّة، والبطاقة التي فيها قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله توضع في كفّة ثانية، قال: "فطاشت السجلّات وثقلت البطاقة"(١)، هذا دليل على أن الميزان موجود ويوضع يوم القيامة.

ومنها حديث: "الحمد لله تملأ الميزان"(٢).

وكذلك حديث ابن مسعود لما ارتقى على شجرة رأى الصحابة دقّة ساقيه فضحكوا فقال النبي ﷺ: "والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحد"(٣)، أثقل أين؟ في الميزان.

ومنها قول النبي ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"(٤).

ومنها قول النبي ﷺ: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة"(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أحمد (٣٩٩١).
(٤) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأجمع السلف على ثبوته وأنه حق؛ ميزان حقيقي بلسان وكفّتين، فقد سئل عنه الحسن البصري- وهو من أئمة التابعين أخذ عن الصحابة رضي الله عنه- فقال: (له لسان وكِفّتان)[٢].

وقال زهير بن عبّاد: (كل من أدركت من المشايخ: مالك وسفيان وفضيل وعيسى بن يونس وابن المبارك ووكيع بن جرّاح كانوا يقولون: الميزان حق)[٣] انتهى كلامه.

وكذا قال يحيى بن معين والإمام أحمد وغيرهم، وخالف في ذلك المعتزلة، قال أبو إسحاق الزجّاج: (وأنكرت المعتزلة الميزان وقالوا: هو عبارة عن العدل)[٤] بهذا حرّفوه، أينما يرد ذكر الميزان؛ فعندهم هو العدل وليس الميزان الحقيقي.

قال: (فخالفوا الكتاب والسنّة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم مُمَثّلة؛ ليكونوا على أنفسهم شاهدين). انتهى كلام الزجاج.

فبيّن أبو إسحاق هنا الحكمة من وضع الميزان؛ لأن المعتزلة قالوا: ماذا يريد الله من الميزان؟ وماذا يفعل بالميزان؟ الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعدل من غير الميزان؛ لا شكّ في ذلك، لكن قال أبو إسحاق ما الذي أراده الله من هذا؟ قال: (لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين)؛ هذه الحكمة؛ لكي يرى الناس أعمالهم وهي توزن بالميزان فيرون ما فعلوا من خير وما فعلوا من شر وأيهما

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٢٢١٠).
(٣) أخرجه ابن زمنين في "أصول السنة" (٩٣).
(٤) "فتح الباري" (١٥/٥٨).

أغلب؛ كي يشهدوا على أنفسهم بالخير أو بالشر، بالنجاة أو بالهلاك؛ هذه الحكمة المقصودة، وإن لم نعلم الحكمة؛ فما لنا أن نعترض على مثل هذه النصوص؛ فربما تكون الحكمة أعلى من عقولنا وأكبر فلا تدركها عقولنا، فالواجب علينا أن نسلّم لله سبحانه وتعالى لا أن نحكم على الله بعقولنا القاصرة.

وللمعتزلة حُجّة ثانية وهي: أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بنفسها.

ما معنى الأعراض؟ الأعراض هي الصفات التي تَعرض وتزول كالحمّى مثلاً، الحمّى عند الإنسان تسمّى عَرَض؛ فهذا معنى الأعراض عندهم، فالصفات عندهم يستحيل وزنها؛ لأنها ليست أشياء ملموسة، كُتل؛ ليس لها جِرم، لا تستطيع أن تزنها؛ هكذا ينظرون إلى الأمور بعقولهم، والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير؛ فالله سبحانه وتعالى قادر على وزنها؛ انظروا إلى الموت: هل هو عَرَضٌ أم ليس عَرَضاً؟ هو عَرَض، ماذا يُفعل به الله يوم القيامة؟ يحوّله الله إلى كبش ثم يذبحه، مع أنه عَرَض، فالله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، فلا تُعارَض نصوصُ الشرع بمثل هذا.

أما قول أهل العلم وقول المؤلف أيضاً: (له كفّتان وله لسان)، أما الكفّتان فدليلهما حديث البطاقة، قال النبي ﷺ: "فتوضع السجلّات في كفّة والبطاقة في كفّة" إذاً فهما كفّتان.

وفي حديث سلمان رضي الله عنه: "ويوضع الميزان يوم القيامة ولو وُضعَت في كفّتيه السماوات والأرض وما فيهن لوسعتهم"(١)، فالكفّتان ثابتتان بالسنّة الصحيحة.

---

(١) أصله عند الحاكم في "المستدرك" (٨٧٣٩) من غير ذكر الكفتين، وقد أخرجه الآجري في "الشريعة" (٨٩٤).

وأما اللسان: وهو الذي يميل بالكفّتين يَمنة ويَسرة؛ فلا يوجد دليل من الكتاب أو من السنّة على ذكره فيما وقفت عليه؛ لكن الإجماع منعقد عليه؛ فلذلك تجد ذكره في كتب الاعتقاد دون نكير، والإجماع منعقد على ذكر اللسان وعلى ثبوت اللسان في الميزان، نقل الإجماع على ذلك أبو إسحاق الزجّاج ذكره عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري(١)، فالإجماع منعقد من السلف على إثبات اللسان في الميزان؛ هذا ما اتُّفِق عليه في هذه المسألة، وهو الذي سطّره المؤلف في كتابنا هذا.

ويوجد في الميزان بعض المسائل التي اختلف فيها أهل العلم؛ منها:

هل الذي يوزَن الأعمال أم الصحائف أم صاحب العمل نفسه؟

في المسألة خلاف، والراجح أن جميعها توزَن؛ لأن النصوص التي ذكرناها تدل على ذلك، فالدليل على أن الصحف توزن حديث البطاقة، والدليل على أن العمل يوزَن حديث: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"، والدليل على أن الشخص نفسه يوزَن حديث ابن مسعود وأيضاً حديث: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة"، إذاً كلّها توزن هذا هو الصحيح إن شاء الله.

واختلف العلماء هل الميزان واحد أم متعدّد؟ أي: الميزان واحد أم أكثر من واحد؟

بعضهم قال: هو واحد ونظر إلى الأحاديث التي وردت في ذلك، والبعض قال: بل هو متعدّد ونظر إلى الآيات؛ والراجح عندي والله أعلم: أنه واحد؛ لأن النصوص في كونه

---

(١) (١٣/٥٣٨).

واحداً أوضح وأصرح، أمّا الآيات التي قال فيها: { فمن ثقلت موازينه}؛ فهنا محمول على أن المعنى المقصود هنا الموزون {فمن ثقلت موازينه }، {ومن خفّت موازينه} أي: أعماله الموزونة أو بطاقاته الموزونة؛ هذا والله أعلم.

على كلٍّ: المسألة اجتهادية كما ذكرنا وليست من النصوص التي فيها أدلّة محكمة يُضلّل مخالفها.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**[١٦] والإيمانُ بعذابِ القبر، ومُنكر ونكير**).

قال البراء بن عازب رضي الله عنه في قول الله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}[١] قال ﷺ : (نزلت في عذاب القبر)[٢]، هذا الدليل الأول الذي يدل على عذاب القبر.

---

(١) [إبراهيم:٢٧].

(٢) أخرجه البخاري(٤٦٩٩)، ومسلم (١٨٧١).

وفي حديث اليهودية التي قالت لعائشة: سَلي النبي ﷺ عن عذاب القبر فسألته فقال النبي ﷺ: "عذاب القبر حَق"، قالت: "فما صلى صلاة بليل إلا سمعته يتعوّذ من عذاب القبر)(١).

وقال ﷺ: "لولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عذاب القبر"(٢).

وقال أيضاً في الرجلين الذين مرّ على قبرهما: "إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير"(٣).

أيضاً علّمنا النبي ﷺ أن نقول في دُبرِ كل صلاة: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر"(٤).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر وغيره أن أدلة عذاب القبر متواترة، فالذين أنكروا عذاب القبر كالمعتزلة قالوا بأن الأدلة الواردة فيه أحاديث آحاد، وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في الاعتقاد عندهم؛ فهم يقعّدون القواعد كي يتخلصوا من مثل هذه العقائد، فحين يقعّدون هذه القاعدة وأن أخبار الآحاد لا يؤخذ بها في الاعتقاد؛ يكونون قد ارتاحوا من أكثر أحاديث النبي ﷺ وتخلصوا منها، ويبقى عندهم البعض الآخر مع الآيات؛ فقعّدوا قاعدة الحقيقة والمجاز فتخلّصوا مما بقي، فماذا بقي عندنا ؟ بقي العقل؛ وهذا هو شرعهم، وهكذا طريقتهم، أهل البدع إما أن يتلاعبوا بالقواعد وهذا هو عملهم غالباً،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٢)، ومسلم(٩٠٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٨) عن أنس رضي الله عنه، وأصله عند البخاري.
(٣) أخرجه البخاري(٢١٦)، ومسلم (٢٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩) عن عائشة رضي الله عنها وغيرها من الصحابة.

أو أن يتلاعبوا في تطبيق القواعد، فالمعتزلة هنا ذكروا بأن أحاديث عذاب القبر أخبار آحاد، لكن غيرهم من أهل العلم ردّوا عليهم؛ منهم الحافظ ابن حجر وغيره، فقالوا بأن الأحاديث في عذاب القبر أخبار متواترة تواتراً معنوياً.

والتواتر المعنوي: هو أن يأتي ذكر عذاب القبر في أحاديث مختلفة كالتي ذكرناها، لكن كلها في النهاية تدل على عذاب القبر؛ هذا هو التواتر المعنوي.

أما التواتر اللفظي: فتجد الحديث قد جاء من طرق كثيرة؛ لكن كلها بلفظ واحد كقول النبي ﷺ: "من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار" تجده من طرق كثيرة؛ لكن بنفس اللفظ، فهذا متواتر لفظي وذاك متوتر معنوي.

هذه الحجّة الأولى للمعتزلة الذين نفوا عذاب القبر، ومنهم اليوم حزب التحرير على عقيدة المعتزلة في العقيدة، وهم موجودون اليوم.

وحجّتهم الثانية- وكما ذكرنا دائماً عندهم متشابهات يتعلّقون بها كي ينفوا العقيدة التي دلّت عليها الأدلة المحكمة-، فحجتهم الثانية قول الله تبارك وتعالى: {رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ}(١) أين الحجّة في هذا؟

قالوا: إذا أحياهم الله في القبر وأماتهم، صارت ثلاثة؛ فكيف يقول هنا اثنين وهناك ثلاثة؟

قلنا لهم: الحياة التي ذكروها هنا غير الحياة التي في القبر؛ تلك حياة البرزخ، حياة القبر، والروح عندما تجتمع بالجسد؛ اجتماعها في ذاك الموطن يختلف عن اجتماعها الذي

ذكر في هذه الآية؛ فالاجتماع ذاك تحتاج معه إلى الطعام إلى الشراب إلى النَّفس، أمّا الاجتماع في القبر فلا يحتاج معه إلى ذلك.

فإذاً فعندنا حياة تختلف عن حياة أخرى؛ فلا يصح الاستدلال بمثل هذه المتشابهات وترك الأدلة المحكمات.

إذاً خلاصة الأمر: أن عذاب القبر ثابت بالأدلة المتواترة كما ذكرنا.

وقوله: (ومنكر ونكير) يشير المؤلف إلى أن الفتنة التي تحدث في القبر الإيمان بها واجب ومن عقيدة أهل السنّة والجماعة، فما جاء في الأحاديث؛ حديث أنس في الصحيحين(٢) وحديث البراء عند أبي داود(٣) وغيره بأن الإنسان إذا وضع في قبره يأتيه ملكان فيسألانه من ربّك وما دينك وماذا تقول في هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟ فإذا كان الرجل مؤمناً يقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ وإذا كان غير ذلك يقول هاه هاه لا أدري، فيضرب بمرزبّة يسيخ معها في الأرض ويصرخ صرخة يسمعه كل شيء إلا الثقلين كما جاء في الأحاديث النبويّة عن النبي ﷺ؛ فهذا يدل على أن الناس يُفتنون في قبورهم كما أخبر النبي ﷺ، فنحن نؤمن بهذا وهذه كلها حياة برزخيّة، سمّيت برزخيّة؛ لأن القبر بين الدنيا وبين الآخرة، فالقبر منزلة بين الدنيا والآخرة؛ لذلك يسمّى البرزخ؛ لأن البرزخ أصلاً هو الحاجز بين الشيئين كما قال الله

---

(١) [غافر:١١].

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٣) (٤٧٥٠): " إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ فَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ}).

سبحانه وتعالى: {مَرج البحرين يلتقيان بينهما برزخٌ لا يبغيان}[(١)] بينهما حاجز، فالقبر هذا حاجز ما بين الدنيا والآخرة، فسمّيت هذه الحياة- حياة القبر-: حياة برزخيّة، فهي لا تشبه الحياة الدنيوية فلا تقاس عليها، وأمورها غيبية، فنؤمن بما أخبرنا به النبي ﷺ فيها ونسلّم له، هذه حقيقة إيمان المؤمن.

وتسمية الملكين بمنكر ونكير يذكرها أهل العلم في كتب الاعتقاد من غير نكير، وورد ذكرها في حديث عند الترمذي[(٢)]، قال الشيخ الفوزان حفظه الله في شرحه على هذا الكتاب: (فالأدلة على عذاب القبر متواترة، فمن كذّب بعذاب القبر من المعتزلة ومن نحا نحوهم) يعني من سار على عقيدتهم (فإنه مخالف للأدلة المتواترة ويكون مُختل العقيدة والعياذ بالله وفاقداً لأصل من أصول العقيدة وهو الإيمان بعذاب القبر، فإن كان متعمّداً عارفاً بالنصوص لكن يكابر وينفي؛ فهو كافر، أما إذا كان متأولاً او مقلّداً أو جاهلاً، فهذا لا يُكفّر؛ لكن يضلّل ولا يكفّر) هكذا قال حفظه الله.

قال المؤلف رحمه الله:**([١٧] والإيمانُ بحوْضِ رسول الله ﷺ، ولكُلِّ نبيّ حَوْضٌ؛ إلا صالحاً عليه السلام؛ فإنَّ حَوْضَهُ ضَرْعُ ناقَتِهِ)**.

---

(١) [الرحمن:١٩].

(٢) (١٠٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ ...".

الحوض: مجمع الماء، أي: المكان الذي تجتمع فيه المياه، يرده المؤمنون ويشربون منه، وهو للنبي ﷺ، وأحاديث الحوض متواترة منها: قوله ﷺ: "حوضي مسيرة شهر وزواياه سواءٌ وماؤه أبيض من الوَرِق – يعني: الفضّة - وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء - يعني آنيته التي يشربون بها عددها كنجوم السماء - فمن يشرب منه فلا يظمأ بعده أبداً"(١).

وفي حديث آخر: "إن حوضي أبعد من أَيلة من عدن"(٢)، أيلة التي هي العقبة عندنا هنا في الأردن، وقيل: إيلات التي هي بجانب العقبة في فلسطين، وعدن معروفة في اليمن، يعني طوله من أول البحر الأحمر إلى بحر عدن.

وجاء في رواية أخرى: "طوله شهر وعرضه شهر"(٣)، يعني مسيرة شهر وعرضه كذلك فيكون مربع تربيعاً، وهذا معنى قوله في الرواية التي تقدّمت: "وزواياه سواء" قال: "وهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله عند البخاري.

(٣) أخرجه أحمد (١٥١٢١) عن جابر رضي الله عنه بلفظ: " الْحَوْضُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ - يَعْنِي عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ - وَكِيزَانُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا ".

وإنّي لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه"، يعني: يدفع الذين ليسوا من أمّة محمد ﷺ ويسمح لأمته أن يشربوا منه فقط.

قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذٍ ؟ قال: "نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون عليَّ غرّاً محجّلين من أثر الوضوء"، يعني عليكم آثار الوضوء الغرة والتحجيل الذي هو البياض الذي يكون في قوائم الفرس وفي جبهتها، فيكون على أيدي وأرجل ووجوه الناس بياض من آثار الوضوء، قال: "وليصدّنّ عنّي طائفة منكم فلا يصلون"، يعني يصدهم الملائكة ويمنعونهم من الوصول، قال: "فأقول: يا ربّ هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك ؟!"[(١)] هؤلاء الذين غيّروا وبدّلوا إمّا بالردّة أو بالبدعة.

هذه الأحاديث تدل على ثبوت الحوض للنبي ﷺ، وكل ما ذكر فيه من صفات نؤمن بها كما جاءت في أحاديث النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

قال: (ولكل نبي حوض) ورد في ذلك حديث قال فيه النبي ﷺ: "إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإنّي أرجو أن أكون أكثرهم واردة" وهو عند الترمذي[(٢)] وصحّحه الحافظ المزّي رحمه الله والألباني، ورجح الترمذي المرسل.

قال :(إلا صالحاً عليه السلام) النبي صالح صاحب الناقة، (فإن حوضه ضرع ناقته) هذا الحديث أخرجه العقيلي في "الضعفاء"[(١)]، وكذلك أخرجه ابن عساكر في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧) عن أبي هريرة، وأصله عند البخاري.

(٢) (٢٤٤٣) عن سمرة رضي الله عنه.

"تاريخه"(٢) أن النبي ﷺ قال: "حوضي أشرب منه يوم القيامة ومن اتّبعني من الأنبياء، ويبعث الله ناقة ثمود لصالح فيحلبها فيشربها والذين آمنوا معه..إلى آخر الحديث"، وهو حديث حكم عليه ابن الجوزي والإمام الذهبي بالوضع؛ فقالا: هو موضوع- يعني مكذوباً- في سنده عبدالكريم بن كيسان، قال العقيلي: (مجهول بالنّقل وحديثه غير محفوظ)، وله طريق أخرى أخرجها الحميد بن زنجويه وأبو الشيخ في كتاب الأذان وابن عساكر(٣)، وإسنادها تالف أيضاً كما قال بعض أهل العلم.

فالخلاصة أن هذا الاستثناء خطأ؛ فالأحاديث التي اعتمد عليها المؤلف لا تصح، فيبقى الحديث الأول على عمومه - إن صح- ومنهم صالح عليه السلام. والله أعلم ونكتفي اليوم بهذا القدر.

طبعاً حديث الحوض أنكره بعض أهل البدع وقالوا أحاديثه آحاد لا تثبت في العقيدة؛ ولذلك كذّبوا به وحرّفوه على معنى الكرم والعطاء، وهم كذبة في هذا؛ فأحاديثه متواترة قد نصّ على تواترها غير واحد من أهل العلم، ولو سلّمنا بأنها آحاد؛ فالصحيح أن

---

(١) (٦٤/٣).
(٢) (٣) قال محقق تاريخ دمشق طبعة دار الفكر : (... سقط خبر من الأصل و م واستدرك في المجلدة العاشرة المطبوعة ص ٣٢٦ - ٣٢٧ ونصه:
أخبرنا أبو البركات الأنماطي أنا محمد بن المظفر السامي أنا أحمد بن محمد العتيقي أنا يوسف بن أحمد بن البرجيل أنا محمد بن عمرو العقيلي نا صالح بن شعيب قال: نا أمية بن بسطام قال نا أبو عاصم العباداني قال نا عبد الكريم بن كيسان.عن سويد بن عمير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حوضي أشرب منه يوم القيامة ومن اتبعني من المؤمنين، ويبعث الله ناقة ثمود لصالح فيحتلبها فيشربها....).
(٣) (٤٥٩/١٠).

أحاديث العقائد كأحاديث الأحكام لا فرق بينها، وإنما خالف في هذا أهل البدع والضلال كي يؤصّلوا أصولهم الفاسدة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى :([١٨] والإيمانُ بشفاعةِ رسولِ الله ﷺ للمُذْنبينَ الخاطِئينَ يومَ القيامَةِ، وعلى الصراط، ويخرِجُهُمْ مِنْ جَوْفِ جَهَنّمِ، وما من نبيٍّ إلا وله شفاعةٌ، كذلك الصدّيقونَ والشهداءُ والصالحونَ، ولله بعدَ ذلك تَفَضُّلٌ كثيرٌ على من يشاءُ، والخروجُ من النارِ بعدما احْتَرَقوا وصاروا فَحْماً).

من عقيدة أهل السنّة والجماعة الإيمان بشفاعة رسول الله ﷺ لأصحاب الذنوب التي لم تُغفَر.

والشفاعة: هي التوسّط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرّة، هذا أصلها من ناحية الاصطلاح، وهي نفسها التي نحن نسميّها اليوم: "الواسطة"، وهذه الشفاعة قسمان: شفاعة منفيّة وشفاعة مثبتة، فالمنفية هي التي جاءت في قول الله تبارك وتعالى: {فما تنفعهم شفاعة الشافعين}(١)، وفي قوله أيضاً: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ}(٢)، وآيات أخرى بهذا المعنى.

ففي هذه الأدلة نفيٌ للشفاعة، وفي أدلة أخرى إثبات للشفاعة؛ فالشفاعة المنفيّة: هي الشفاعة التي تكون من غير إذن ولا رضا، كشفاعة أهل الدنيا حين يأتي شخص عند

---

(١) [المدثر:٤٨].

(٢) [البقرة:٢٥٤].

آخر ويطلب منه شفاعةً عند وزير أو ملك أو مدير أو غير ذلك من أصحاب المناصب أو من له عنده مصلحة، فيذهب هذا الشخص الذي طُلِبت منه الشفاعة فيشفع؛ سواء رضي الذي شُفِع عنده أم لم يرضَ، وسواء أَذِن أم لم يأذن؛ حصلت الشفاعة، وربّما يقبل وهو مُكرهٌ؛ هذه شفاعة أهل الدنيا، وهي التي نفاها الله تبارك وتعالى، فلا تكون عند الله، وهذه الشفاعة هي التي كان يتصوّرها أهل الشرك، قال الله سبحانه وتعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}(١) هذه الشفاعة هي التي كان المشركون يشركون بالله لأجلها، يعني كانوا يعبدون الأصنام، لماذا تعبدون الأصنام؟ قالوا: هذه تقرّبنا إلى الله زُلفى، أي، لتشفع لنا عند الله سبحانه وتعالى؛ فيطلبون منها الشفاعة، قل أتنبئون الله، أتخبرون الله، بما لا يعلم، الله صحته، ومعنى الآية: أتخبرون الله أن له شريكاً وعنده شفيعاً بغير إذنه ولا يعلم الله لنفسه شريكاً، في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون، فهذه الشفاعة هي المنفيّة، وهي الحاصلة عند المشركين- سواء مشركي الجاهلية أو المشركين الذين وجدوا في عهد الإسلام أيضاً كالصوفيّة والرافضة؛ كلهم على نفس الطريقة-، المشركون اعتقدوا أن أصنامهم التي يعبدونها ويتقربون إليها تشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى سواء أَذِن الله أم لم يأذن، رضي الله أو لم يرضَ؛ هذا كلّه باطل منفي.

---

(١) [يونس:١٨].

وهذه المسألة هي التي تُدرس في كتاب التوحيد، أُدخِلت مسألة الشفاعة في كتاب التوحيد لأجل هذا؛ لأن المشركين اتخذوا الشفاعة ذريعة لعبادة غير الله تبارك وتعالى وجعلوها حُجّة لهم.

أما الشفاعة المثبتة فهي التي تحقق فيها شرطان:

الشرط الأول: الإذن: أي أن يأذن الله للشافع أن يشفع.

الشرط الثاني: الرضا: أن يرضى الله سبحانه وتعالى للمشفوع فيه أن يُشفَع فيه.

هذان الشرطان إذا تحققا كانت الشفاعة مثبتة، قال الله تبارك وتعالى: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى}(١)، وقال: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}(٢)، أي: لا أحد في إمكانه أن يشفع عند الله إلا أن يأذن الله سبحانه وتعالى له بالشفاعة، قال: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}، وقال: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى}(٣)، إذاً فلا بد من شرطين إذا تحققا فالشفاعة مثبتة، وإذا لم يتحققا فالشفاعة منفية، هذا هو التفصيل في مسألة الشفاعة.

القسم الأول: الشفاعة المنفية: ضلّ فيها المشركون الذين عبدوا غير الله تبارك وتعالى وجعلوها ذريعة له.

القسم الثاني: المثبتة: وهذه قسمان:

---

(١) [النجم:٢٦].
(٢) [البقرة:٢٥٥].
(٣) [الأنبياء:٢٨].

القسم الأول: شفاعة خاصّة، والقسم الثاني: شفاعة عامّة

أما القسم الأول فهي الشفاعة الخاصّة بالنبي ﷺ لا يشاركه فيها أحد، وهذه أنواع أيضاً:

النوع الأول منها: الشفاعة العُظمى وهي المقام المحمود، خاصّة بالنبي ﷺ، وهي الشفاعة في أهل الموقف، بعد أن يُبعث الناس يوم القيامة يحشرون في أرض المحشر، ثم تقترب منهم الشمس قدر ميل، وهذا عذاب من الله تبارك وتعالى، فمنهم من يغرق في عرقه فيصل عرقه إلى شحمة أُذنيه ويلجمه إلجاماً، وبعضهم يصل العرق إلى ثدييه، وبعضهم إلى وسطه؛ وهكذا على حسب ذنوبهم، فيشتد عليهم الأمر، ويشتد عليهم الموقف؛ فالأمر متعب ومؤلم، فيأتون إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة في تعجيل الحساب؛ يأتون آدم عليه السلام؛ فيذكر ذنباً فيقول: نفسي نفسي، ثم يأتون نوح كذلك، ثم إبراهيم كذلك وموسى كذلك؛ إلى أن يأتوا إلى النبي ﷺ فيقول: "أنا لها أنا لها"، فيذهب ويسجد عند العرش ويدعو بدعوات حتى يأذن الله تبارك وتعالى له بالشفاعة(١).

هذه هي الشفاعة العظمى؛ وهي المقام المحمود الخاص بالنبي ﷺ.

أما الشفاعة الثانية الخاصّة أيضاً به ﷺ: فهي شفاعته في أهل الجنّة أن يدخلوا الجنّة، فإن أول أمّة تدخل الجنّة هي أمّة محمد ﷺ، جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "نحن

---

(١) الحديث أخرجه البخاري(٧٥١٠)، ومسلم(١٩٣) عن أنس رضي الله عنه.

الآخرون الأولون يوم القيامة"[١]، وكذلك فإنّ أمّة محمد عليه الصلاة والسلام لا يدخلون الجنّة حتى يستفتح لهم النبي ﷺ، فيأتي فيطرق باب الجنّة فيجيبه الخازن مَن؟ فيقول: "محمد"، فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد غيرك، فيفتح له الجنّة[٢]، ويدخل الناس الجنّة بشفاعة النبي ﷺ لهم؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "أنا أول من يقرع باب الجنّة"[٣]، وقال: "أنا أول شفيع في الجنّة"[٤].

أما الشفاعة الثالثة التي اختص بها النبي ﷺ: فهي شفاعته لأبي طالب، وأنتم تعلمون أن أبا طالب مات كافراً ولم يمت مسلماً؛ لأنه آخر ما قال: هو على ملّة عبدالمطّلب ومات على ذلك، وقال الله سبحانه وتعالى في الكفار:{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} يعني أن الكافر لا شفاعة له، لكن أبا طالب مُستثنى، فإذا قلنا إن آية:{ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} على عمومها؛ فالمقصود أنها لا تنفعهم شفاعة الشافعين في الخروج من النار إلى الجنّة؛ فتبقى على عمومها، وإذا قلنا: المقصود لا تنفعهم الشفاعة مطلقاً لا في تخفيف العذاب ولا في الخروج من النار؛ فنقول هنا: أبو طالب مُستثنى من هذا الحكم؛ فقد شفع فيه النبي ﷺ بأن لا يكون في قعر جهنم، بل في ضحضاحها[١]؛ يعني هو أخف أهل النار عذاباً كما قال عليه الصلاة والسلام: "هو أخف أهل النار عذاباً

---

(١) أخرجه البخاري(٢٣٨)، ومسلم(٨٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم، ولفظ البخاري: "نحن الآخرون السابقون".
(٢) أخرجه مسلم(١٩٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (١٩٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٤) أخرجه مسلم(١٩٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

في قدميه - في أخمصيه - جمرتان يغلي منهما دماغه"[٢]، هذا أخف أهل النار عذاباً نعوذ بالله، أعاذنا الله وإياكم منها.

فهنا هذه الشفاعة لأبي طالب مع أنه مات كافراً لماذا كانت هذه الشفاعة؟

الظاهر والله أعلم لأنه كان يدافع عن النبي ﷺ وينصره؛ لهذا نال الشفاعة، ورضي الله سبحانه وتعالى أن يُشفَع فيه وأذن للنبي ﷺ أن يشفع فيه؛ فهذه خاصة بالنبي ﷺ؛ مع أن النبي ﷺ طلب أن يدعو لأُمّه وما أذن الله سبحانه وتعالى له، ولم يرضَ الله أن يشفع النبي ﷺ في أُمّه؛ لكنه رضي أن يشفع في أبي طالب، هذه الشفاعة التي هي التحول في نفس نار جهنّم من العمق إلى الضحضاح.

إذاً لا تكون الشفاعة إلا برضا الله سبحانه وتعالى وبإذنه للشافع أن يشفع، وقد رأيتم هنا أن الله عز وجل أذن للنبي ﷺ أن يشفع ورضي له أن يشفع في شخص دون آخر؛ فالأمر لله سبحانه وتعالى أولاً وآخراً.

إذاً خلاصة الموضوع أن الشفاعة المثبتة قسمان:

القسم الأول الخاص بالنبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري(٣٨٨٣)، ومسلم(٢٠٩) عن العباس رضي الله عنه، ولفظه: " هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار".

(٢) أخرجه البخاري(٦٥٦١)، ومسلم(٢١٣) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

والقسم الثاني: العام، أي هو للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والشهداء وللصالحين وللعلماء وللملائكة أيضاً كلّهم يشفعون؛ هذا معنى أنها شفاعة عامّة

الشفاعة الخاصّة ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الشفاعة العظمى؛ وهي الشفاعة في أهل الموقف؛ وهذه خاصّة بالنبي ﷺ.

النوع الثاني: شفاعة النبي ﷺ في أهل الجنّة كي يدخلوا الجنّة.

النوع الثالث: الشفاعة في أبي طالب.

وهذه الثلاثة خاصّة بالنبي ﷺ.

ثم الشفاعة العامّة أنواع، لا نريد أن نطيل في ذكرها، قد استوعبها القرطبي في "التذكرة"[(١)]، وكذلك ابن أبي العز الحنفي في شرحه على "الطحّاوية"[(٢)]، والذي يهمنا منها هو: الشفاعة في المؤمنين مِمَّن يدخل النار في أن يخرج منها، هذا الذي يهمنا من هذا القسم -وهو القسم العام-: خروج المؤمنين من النار إلى الجنّة، هذه الشفاعة هي التي ذكرها المؤلف هنا؛ فقال: (والإيمان بشفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين الخاطئين يوم القيامة) أي: نؤمن بأن النبي ﷺ سيشفع في المؤمنين الذين عندهم ذنوب، ودخلوا النار بذنوبهم، يشفع فيهم النبي ﷺ فيخرجون من النار إلى الجنّة بشفاعته ﷺ،

---

(١) (ص٥٧٩-٦١١).

(٢) (ص٢٠٢- ٢١٤).

وسنذكر أدلتها إن شاء الله، وهذه الشفاعة أحاديثها كثيرة متواترة، في "الصحيحين" منها الشيء الكثير، سنقرأ عليكم منها حديثين.

هذه الشفاعة هي التي أنكرتها المعتزلة والخوارج، لماذا؟

المعتزلة والخوارج كما تقدّم معنا وكما سيأتي إن شاء الله من عقيدتهم أن المؤمن الذي يرتكب الكبيرة كافر في الدنيا، بالنسبة للخوارج مخلّد في نار جهنّم، أما عند المعتزلة فهو في منزلة بين المنزلتين؛ بين منزلة الإيمان ومنزلة الكفر؛ في منزلة بينهما، هذه المنزلة غير موجودة في شرع الله لكنها عند المعتزلة موجودة، فهو في منزلة بين المنزلتين، وهو في النهاية مخلّد في نار جهنّم، يعني النتيجة يتّفقون مع الخوارج فيها؛ وهو أنه مخلّد في نار جهنّم.

فإذا أثبتوا الشفاعة ماذا سيحصل؟

ستنتقض عليهم أصولهم هذه، أين هذا من قولكم: إن صاحب الكبيرة مخلّد في نار جهنم مع وجود الشفاعة؟ بالشفاعة يخرج من نار جهنّم؛ إذاً تنتقض عليهم أصلهم؛ لذلك نفوا هذه الشفاعة ولم يثبتوها؛ بعضهم جاهل في علم الحديث ولم تبلغه الأحاديث، وبعضهم كبراً وعناداً- نعوذ بالله-، المهم: أنهم نفوا هذه الأحاديث ولم يثبتوا الشفاعة لأهل الكبائر من أمّة محمد، وقالوا: من دخل النار لا يخرج منها أبداً.

هنا أمر استطرادي ولكن من المهم أن ننوّه إليه؛ وهي مسألة التناقض الذي يحصل عند بعض طلبة العلم؛ هذه نَحذَر منها بارك الله فيكم، وقد نبّه عليها ابن تيمية رحمه الله وذكر أن بعض أهل العلم من أهل السنّة يقعون في هذه المسألة، فتجده يقرر عقيدة

أهل السنّة؛ لكن عندما تأتيه بعض المسائل ينحرف عن عقيدة أهل السنّة فيتناقض، يعني الآن لو جئنا كمثال إلى مسائل الأسماء والصفات وعقدنا المقارنة بين المعتزلة والأشاعرة: نجد أن المعتزلة في أصولهم أضبط من الأشاعرة؛ الأشاعرة عندهم تناقضات في عقائدهم لماذا؟ لأنهم أخذوا أصول المعتزلة وحاولوا أيضاً أن يميلوا مع أقوال السلف وعلماء السلف فوقعوا في التناقض والافتراق.

انظروا مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى، ماذا قالوا فيها؟

قالوا: العباد يرون الله سبحانه وتعالى لكن من غير جهة، فلم يثبتوا الجهة وأثبتوا الرؤية، فوقعوا في التناقض فضحك عليهم العقلاء؛ هذه المشكلة عند بعض طلبة العلم؛ تجده يقع في التناقض وهو يشعر أو لا يشعر؛ فيأتي في المسائل العقائدية التي ثبتت بالخطوط العريضة كما يسمى اليوم، فيثبتها، لكن عندما تأتي بعض المسائل المتعلقة بهذه المسألة يتناقض فيها ويَخرج، كالذي يقول لك في مسائل الإيمان: الإيمان اعتقاد وقول وعمل، طيب والكفر ما هو؟ يقول: الكفر هو التكذيب؛ نقضت أصلك الذي قررته! ومثل هذه القضايا، فينبغي الحذر من الوقوع في مثل هذه التناقضات، فاعرف قولك ولوازم قولك؛ حتى لا تقع في مثل هذا الزلل.

الآن هؤلاء المعتزلة والخوارج قد التزموا؛ وكي لا ينقضوا أصولهم: نفوا هذه الشفاعة، فهم من حيث الأصول بقوا على أصولهم، وقواعدهم بقيت لهم سليمة؛ لكنهم ضلّوا في نفي هذه الشفاعة؛ لأن أصلهم فاسد أصلاً، هم لا يريدون أن يقرّوا بأن أصلهم فاسد؛ فوقعوا في نفي الشفاعة لأهل الكبائر.

قال المؤلف :(وعلى الصراط) يعني شفاعته ﷺ للمذنبين المخطئين يوم القيامة وعلى الصراط أيضاً، يعني شفاعته للمخطئين المذنبين يوم القيامة كي لا يدخلوا النار أصلاً، وشفاعته لهم على الصراط، جاء في الحديث أن النبي ﷺ يكون هو والأنبياء على الصراط يقولون: "اللهم سلّم سلّم"(١) هذه شفاعته للناس على الصراط وهي ليست خاصّة بالنبي ﷺ.

قال المؤلف: (ويخرجهم من جوف جهنّم) أيضاً، فيشفع للبعض أن لا يدخل النار أصلاً، ويشفع للبعض على الصراط، ويشفع للبعض الذين دخلوا جهنّم أن يخرجوا منها.

قال: (وما من نبيٍّ إلا وله شفاعة) ذكر شفاعة النبي ﷺ أولاً ثم قال:

(وما من نبيّ إلا وله شفاعة، وكذلك الصدّيقون والشهداء والصالحون)، الصدّيق منزلة أعلى من منزلة الصالح، وقد اختلف العلماء في منزلته مع منزلة الشهيد؛ هل الصدّيق أعلى منزلة من الشهيد أم الشهيد أعلى منزلة من الصدّيق؟

والصحيح: أن الصدّيق أعلى منزلة من الشهيد؛ فالمراتب كالتالي: الأنبياء، ثم الصدّيقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون.

قال: (ولله بعد ذلك تفضّل كثير على من يشاء)، يعني: بعد أن يشفع الناس وتشفع الملائكة يتفضل الله سبحانه وتعالى، فيحثو ثلاث حثيات من نار جهنّم؛ فيخرجهم إلى الجنّة.

---

(١) أخرجه البخاري(٨٠٦)، ومسلم(١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: (والخروج من النار بعدما احترقوا وصاروا فحماً) هذا من فضل الله سبحانه وتعالى على الناس.

نذكر لكم بعض الأحاديث التي وردت في الشفاعة مما يدل على ما ذكرنا فيها.

من أحسن ما ورد فيها وهو جامع: حديث أبي سعيد الخدري، وهو متّفق عليه[١]، وسنقرأه من صحيح مسلم: عن أبي سعيد الخدري: (أَنَّ نَاساً فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "نَعَمْ"، قَالَ: "هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْواً لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْواً لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟" قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ)، المضارّة: يعني هل يصيبكم ضرر من ذلك، وفي رواية : "هل تضامّون"[٢] يعني أن يضام بعضكم إلى بعض، لا تحتاجون إلى مزاحمة وإلى مضامّة ولا في ذلك ضرر، عندما تكون الشمس ولا يكون هناك سُحب؛ تكون الرؤية واضحة، أو التشبيه بالقمر، فعندما يكون القمر واضحاً ولا يوجد سحب تكون الرؤية واضحة؛ شبّهت بهذا أو بهذا.

قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا"، يعني رؤيتكم لله سبحانه وتعالى يوم القيامة ستكون بالوضوح كما ترون القمر وترون الشمس دون أن يكون سحاب في ذاك اليوم.

---

(١) أخرجه البخاري(٢٢، ٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

قال: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ؛ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟" يعني في الموقف، يؤذّن مؤذّن فيقول: من كان يعبد شيئاً في الدنيا فيلحق به فيتساقطون في نار جهنّم؛ وهذا بالنسّبة للكفرة، حتى يبقى المؤمنون ومن ادّعى الإيمان، وفي هذه الفقرة رد على الذين قالوا: بأن الذين يجوزون على الصراط المؤمنون والكفار؛ هذا القول خطأ؛ وإن قال به بعض العلماء الأفاضل؛ لكن هذا الحديث يرد قوله؛ فهنا الكفّار قد صُفّوا قبل الصراط والذهاب إلى الصراط.

ومعنى قوله: "وغُبّر أهل الكتاب" يعني بقايا من أهل الكتاب.

قال: "فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ" عُزير نبي وهم يدّعون بأنه ابن الله، "فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟" يعني يشار إليهم إلى موضع يرون فيه سراباً كالماء فيقال لهم : ألا تردون؟ يعني: ألا تذهبون إليه؟

قال: "فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً" يعني من شدّة حرارتها وتلاطم أمواجها ولهبها يحطم بعضها بعضاً، "فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ"، انظر الآن ما بقي أحد يعني الذين كانوا يعبدون الأصنام والأنصاب وكذا سقطوا، والآن حتى أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كانوا يعبدون غير الله أيضاً يتساقطون في النار، "ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ:

عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ" يعني صالح وطالح، "أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا" أي: في أقرب صورة، "قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ"، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ" انظر الآن ! "قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ" هذا وصف أهل الجنّة؛ يفارقون الناس لأنهم غرباء عن الناس؛ فإن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء، فارَقوا الناس أفقر ما كنا إليهم، يعني: كنا أحوج ما نكون إلى مخالطة الناس ومع ذلك فارقناهم؛ لأنهم كانوا هم في تعبّد وفي طاعة لله سبحانه وتعالى ومخالطتهم الناس ستؤذيهم في دينهم فكانوا يبتعدون عن مخالطة الناس كما يحصل مع الشباب اليوم، قالوا: (فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم)؛ لأنهم يضرّونهم في دينهم، فلا تستغرب من غربتك؛ فهذا حال أهل الإيمان، "فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً- مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً"؛ لأنهم ما عرفوه، "حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟"، أي: علامة تدلّكم عليه "فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، يعني: لا يستطيع أن يسجد، "كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ"، كلما أراد أن يسجد ينقلب إلى ظهره، "ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ"، بعد ذلك يأتي دور الصراط، يضرب الجسر على جهنّم، الذي هو الصراط

الذي يوضع على جهنّم، فالجنّة لا يصلون إليها حتى يتجاوزون جهنّم، وهذا الصراط يوضع على جهنّم؛ كي يتجاوزوه، " وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ" تحلُّ الشفاعة: يعني يأتي وقت الشفاعة، " ويقولون" هنا لم يُبيّن من الذين يقولون، لكن جاء في رواية أخرى أيضاً في الصحيح قال: "فيقول الأنبياء اللهم سلّم سلّم"(١)، فهنا يشفع الأنبياء على الصراط فهذا دليل شفاعة الأنبياء على الصراط، "قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: " دَحْضٌ مَزِلَّةٌ"، يقال: مزَلّة ومزِلّة بكسر الزاي وفتحها، (دحضٌ مزلّةٌ) المعنى أن الأقدام تزل عليه ولا تثبت، هذا هو الجسر، وسبب الثبات أو الزلل؛ الأعمال، فالأعمال هي التي تثبّت وهي التي تزِل، "فِيها خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ"، يعني على هذا الصراط خطاطيف: وهي حديدة حادّة ومنعكفة كالمحجن الخاص بالحصيد، والكلاليب : حديدة كالسنّار، وحَسكٌ : شوكٌ صُلب من حديد، مثل الشوك الذي يكون على الشجر.

قال: شجرة تكون ببلاد نجد فيها شوك يقال لها شجرة السعدان، فيها شوك كثير، شبّهها بها؛ لكنها من حديد وحادّة، فهذه كلّها تكون على الصراط كي تصيد من يمر بالصراط، "فيمر المؤمنون كطرف العين" هذا كلّه لمَن هو مُعدّ؟ مُعد للمؤمنين وليس للكافرين نسأل الله العافية، "كطرف العين" مجرّد أن تطرف بعينك هكذا، لا تراه، قد مر سريع جدّاً، وسبب السرعة والبطء هي الأعمال، وليست القضيّة أنك رياضي أم ليست رياضياً، لا ليس فيها رياضة، هذه تكون حسب أعمالك.

---

(١) في "صحيح البخاري" (٨٠٦): " وكلام الرسل يومئذ"، وفيه أيضاً (٦٥٧٣): "ودعاء الرسل يومئذ" ، وفي "البخاري" (٧٤٣٧)، ومسلم "١٨٢": "ودعوى الرسل يومئذ".

قال: "فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح" انظر الآن ينزل؛ طرف العين وكالبرق، البرق أخف من طرف العين، ثم كالريح، وهي أيضاً أخف سرعة، كلٌّ يتدرج في السرعة، بعضهم يكون أسرع من بعض على حسب الأعمال، وكالطّير وكأجاويد الخيل" يعني الخيل الجيدة "وكالركاب" والركاب التي هي الإبل، مسير الإبل، ومسير الإبل أخفض من سرعة الخيل، "فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، ومخْدوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدوسٌ في نارِ جَهَنَّمَ" الآن هؤلاء الذين يمرّون على الصراط ثلاثة أقسام:

القسم الأول: "ناجٍ مُسلّم" يعني تجاوز سليماً، نجا لم يُصِبْهُ شيء من هذه الكلاليب والخطاطيف.

القسم الثاني: "وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ" مخدوش: يعني أصابته جراح من هذه الكلاليب والخطاطيف لكن مع ذلك لم يسقط في جهنّم.

والثالث: "وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ" ومنهم من خطفته ونزّلته إلى جهنّم، فهم أقسام ثلاثة.

قال: "حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ" يعني هؤلاء المؤمنون الذين يتجاوزون الصراط يشفعون في أصحابهم الذين كانوا معهم في الدنيا على الإيمان، كانوا يصلّون ويصومون ويحجّون، انظر لهذا الوصف، وماذا كانوا يفعلون؟ يصومون، يصلّون، يحجّون، وهم في جهنّم يعني أصحاب

كبائر، أصحاب ذنوب؛ فلا تستهن بالذنب ولا تظن نفسك تنجو كونك صلّيت وصمت، انتهى الموضوع فتفعل ما تشاء، لا، هؤلاء من الذين يصومون ويصلّون ويحجّون ومع ذلك في جهنّم، نسأل الله العافية، وقد عرفتم وصف جهنّم؛ أهون أهلها عذاباً أن توضع في قدميه جمرتان من نار تغلي بهما دماغه، فالأمر ليس هيّناً، هؤلاء بعد أن ينجوا يطلبون من الله سبحانه وتعالى وبإلحاح كي يشفعوا في إخوانهم وكي يتجاوز الله سبحانه وتعالى عنهم، والواحد منهم في إلحاحه كالواحد منكم عندما يعرف حقّه ويلح فيه كي يأخذه، شدّة إلحاحه تكون شديدة، وهم يلحّون على الله سبحانه وتعالى أشد من الذي يلح في طلب حقّه؛ كي يُخرج الله سبحانه وتعالى إخوانهم من نار جهنّم؛ فيأذن الله سبحانه وتعالى لهم؛ فهذه شفاعة من المؤمنين.

قال: "فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ" منهم أنهم كانوا يصلون يصومون، وهذه فيها فضيلة معرفة الصالحين الذين ينجون عند الله سبحانه وتعالى، ففي معرفتهم فضيلة وهي أنه إذا لم يمُنَّ الله عليك بالمغفرة؛ هؤلاء يعرفونك ويُخرجونك، انظر ما قال؟ أخرجوا من عرفتم، "فتُحرّم صورهم على النار؛ كي يعرفوهم، إذاً يعرفونهم بصورهم وبأشكالهم، "فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه" كلٌّ على حسب ذنوبه، "ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ" تصوّر أنت ! هؤلاء ليسوا قليلاً، "فيُخرجون خلقاً كثيراً" ممّن هذا وصفهم "فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَداً مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا

كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْراً" يعني من كان في قلبه مثقال ذرّة: يعني بحجم النملة الصغيرة، من كان في قلبه ذرّة من إيمان أخرجوه، (وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}(١)، "فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ" هذا دليل على أن الجميع يشفع؛ الملائكة، والنبيّون، والمؤمنون: يشمل الصالحين والصدّيقين، "وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَماً، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ" يعني في أوائلها، "يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ" هذه اسم جامع لحبوب البقول وهي سريعة الخروج تنبت بسرعة، :فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ" السيل: عندما يسيل الوادي مثلاً يحمل معه الغُثاء، ويحمل معه حبوباً، يحمل معه أشياء ويُلقيها على ضفّتيه ثم بعد ذلك تبدأ هذه بالخروج، كذلك هؤلاء المؤمنون، "كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ" يعني تجدها متطرّفة ناحية حجر، أو ناحية شجر؛ تنبت من هناك، "ما يكون إلى الشمس أُصيفر وأُخيضر" يعني الذي يكون قريباً من الشمس ظاهراً؛ يخرج أصفر لكن بالتصغير: أصيفر؛ وأصفر وأخضر، وأما ما يكون منها إلى الظل؛ فيكون أبيض، " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: " فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ" في رقابهم خواتيم: يعني مثل السوار أو شيء من هذا يُعرفون به في الجنّة، "يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ"؛ ولكنهم من أهل الإيمان، هم مؤمنون فلا يخرج من

---

(١) [النساء:٤٠].

النار إلى الجنّة إلا مؤمن، لكن ليس عندهم ذاك العمل الذي يُذكَر، " ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ" أي كل ما وقع نظركم عليه فهو لكم، هؤلاء من أدنى أهل الجنة، "فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً"(١).

وكذلك جاء في حديث أبي هريرة بهذا المعنى وذكر فيه أيضاً أن الأنبياء يشفعون وكذلك الملائكة، جاء فيه: "إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مِنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ"(٢)، ثم ذكر معنى حديث أبي سعيد الخدري، وذكر شفاعة الأنبياء والمؤمنين.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**[١٩] والإيمانُ بالصِّراطِ على جهنَّمَ، يأخذُ الصِّراطُ مَنَ شاء اللهُ، ويجوزُ مَن شاء اللهُ، ويسقُطُ في جهنَّمَ من شاء اللهُ، ولهم أنوارٌ على قَدْرِ إيمانِهم**).

الإيمان بالصراط على جهنّم من عقيدة أهل السنّة والجماعة، يؤمنون بالصراط المضروب على مَتنِ جهنّم، والمقصود بالصراط: هو الجسر؛ جسر على جهنّم إذا انتهى الناس إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (٢٩٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الظلمة، وذلك يكون بعد مفارقتهم لمكان الموقف، ينطلقون إلى جهة الصراط، وقبل الصراط يوجد مكان في ظُلمة، قالت عائشة رضي الله عنها: (إن رسول الله ﷺ سُئل أين يكون الناس يوم تُبدّل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: "هم في الظُلمة دون الجسر")[١]، يعني قبل الجسر، وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويسبقهم المؤمنون ويُحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم، ويؤتى المؤمنون نوراً؛ كلٌّ على حسب إيمانه.

في بداية الأمر، تحدّثنا عن الكفار في الموقف، يقول الله سبحانه وتعالى لهم: "تتبع كلُّ أُمّة ما كانت تعبد"[٢]، فيتبع من كان يعبد الصليبَ: الصليب، ومن كان يعبد الأصنام يتبع الأصنام ... إلى آخره، فيُقذفون في نار جهنّم، ثم بعد ذلك يبقى فقط المؤمنون والمنافقون، ويتّجهون إلى هذا المكان الذي يكون فيه ظُلمة، ويُنير للمؤمنين إيمانهم؛ يؤتون نوراً يكون على قدر إيمان الشخص وهذا النور يؤتاه المؤمنون فقط، فيفترق المؤمنون عن المنافقين، ويتأخر المنافقون، ثم يأتي الصراط بعد ذلك.

قال المؤلف: (والإيمان بالصراط على جهنّم) الصراط جسر مضروب على متن جهنّم، جاء وصفه بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف، على أطرافه كلاليبُ وحَسك وما شابه من الأشياء التي تأخذ الناس[٣]؛ كلٌّ بذنّبه، فمن الناس مَن تصيبه، ومنهم من لا تصيبه على حسب أعمالهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٣١٥) عن ثوبان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم(١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدر رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

قال: (يأخذ الصراط من شاء الله) لعلّه يريد بالأخذ هنا: الضرب الذي يحصل من الكلاليب التي تكون حول الصراط، كما صحّت الأحاديث(١) بذلك، وهذه الكلاليب منها ما يخدش خدشاً ويمر المخدوش، وبعضها يوقعه في نار جهنّم.

قال: (ويجوز من شاء الله) يعني يمر على هذا الصراط من شاء الله من عباده على حسب الأعمال، كما جاء في الحديث: "فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ... إلى آخره"(٢)، على حسب أعمالهم كما مرّ في الأحاديث الواردة في ذلك.

قال: (ويسقط في جهنّم من شاء الله) يعني هذه الخطاطيف والكلاليب تأخذ بعض الناس وتُلقيهم في نار جهنّم، هؤلاء أعمالهم لا تكفي لينجوا من نار جهنّم؛ فيسقطون فيها، ثم يُخرَجون بعد ذلك.

قال: (ولهم أنوار على قدر إيمانهم) كما جاء في قول الله تبارك وتعالى: {نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(٣)، وقال: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ}(٤)، وكذلك قال الله تبارك وتعالى: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ

(١) كما جاء في صحيح البخاري (٦٥٧٣) : "ومنهم المخردل"، وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (٤٥٤/١١) في معنى : "ومنهم المخردل: (قال الهروي: المعنى أن كلاليب النار تقطعه فيهوي في النار..".
وعند البزار وابن خزيمة وغيره: "كلاليب معلقة تأخذه..".
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم(١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.
(٣) [التحريم:٨].
(٤) [الحديد:١٢].

نُورِكُمْ}[١]، يعني انتظرونا؛ لأن المنافقين يتأخرون عن المؤمنين، فيناديهم المنافقون: {انظرونا نقتبس من نوركم}، يعني انتظرونا حتى نأخذ شيئاً من نوركم؛ لأن المنافقين لا يكون معهم نور، {قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}، فجهة السور التي فيها المؤمنون فيه رحمة، والجهة التي فيه المنافقون فيه العذاب، {يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} في الدنيا، يعني المنافقون ينادون المؤمنين: {ألم نكن معكم} يعني في الدنيا، {قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}[٢]، هذه الآيات كلها تدل على أن المؤمنين يؤتون نوراً، ونورهم يكون متفاضلاً على حسب أعمالهم؛ فمنهم من يكون نوره شديداً وقوياً، ومنهم من يكون ضعيفاً، حتى إنه جاء في بعض الروايات: أن بعضهم يكون إبهام قدمه مضيئاً، فيُضيء أحياناً ويخفت أحياناً[٣]، هذا عمله يكون ضعيفاً جداً.

ومسألة الصراط ينكرها أهل البدعة والضلال، ويقولون هو من أحاديث الآحاد، وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في الاعتقاد.

وشبهتهم الثانية أن صراطاً مثل هذا الوصف الذي ذكرته لا يمكن للعبد أن يمرّ عليه؛ يقيسون الأمور دائماً بعقولهم الصغيرة، لا يدركون الأمور إدراكاً صحيحاً، ثم يخالفون أحكام الله سبحانه وتعالى وأخباره بعقولهم الصغيرة؛ هذه عادة أهل البدع والضلالة.

---

(١) [الحديد:١٣].

(٢) [الحديد١٣-١٤].

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١٢٠٣)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٨)، وغيرهما.

أما أن أحاديثه آحاد؛ فهذا كذب؛ فأحاديث الصراط متواترة؛ هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: أنه لا يمكن المشي عليه بهذا الوصف، وهذا باطل؛ لأن الله سبحانه وتعالى على كلّ شيء قدير، فيقدر على كلّ شيء، ثم إن المرور على صراط كهذا ليس بأشد صعوبة من المشي على الماء أو الطير في الهواء، وقد حصل في زماننا هذا اليوم من يمشي على الحبال، وهذا أيضاً من الأشياء القريبة من المشي على الصراط بمثل هذه الصورة، ولو أن هذا كله من التسليم معهم بأن المسألة لا بدّ أن تقاس على أمر دنيوي؛ وإلّا فأمور الآخرة أمور غيبيّة، والله سبحانه وتعالى على كلّ شيء قدير؛ هذا هو الجواب النهائي على شبههم التي يذكرونها، وهذا الجواب أخذناه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة» قال قتادة: بلى وعزة ربنا. انتهى، الحديث متفق عليه. قس على هذا كل غيبي كهذا.

قال المؤلف رحمه الله :(**[٢٠] والإيمان بالأنبياء والملائكة**).

هذه من أصول الإيمان عند أهل السنّة والجماعة: الإيمان بالأنبياء والملائكة، وهذا الذي ذُكِر في حديث جبريل قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه"(١)، فمن أصول الإيمان: الإيمان بالأنبياء جميعاً الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى لأقوامهم؛ ومنهم نبيّنا محمد ﷺ الذي بعثه إلى الناس كافّة، فيجب الإيمان بهؤلاء.

ومعنى الإيمان بالأنبياء: أن تُصدّق بأنهم مبعوثون من عند الله تبارك وتعالى، فمعنى أنه نبي أو رسول: أنه مبعوث من عند الله، ويوحى إليه، فأنت إذا صدّقت بأنه نبي لله ورسول لله سبحانه وتعالى؛ عندئذ تكون مؤمناً به، ويلزم على ذلك: أن تطيعه فيما أمر، وأن تجتنب ما نهى عنه وزجر؛ إذا كان من الأنبياء الذين بُعِثوا إليك، فكل نبي كان في السابق يُبعَث لأُمّته، لكن عندما بُعِث نبيّنا ﷺ بُعِث للناس كافّة؛ لجميع الناس، فيجب الإيمان به بناءً على ذلك من جميع الناس وليس من أُمّة دون أُمّة، فنؤمن بهم بشكل مجمل على هذا، فهم كثير، ونؤمن بأسماء من ذكروا لنا في الكتاب وفي السنّة؛ كنوح عليه السلام والنبي محمد ﷺ وموسى وعيسى وإبراهيم وغيرهم ممّن ذُكر لنا على وجه التفصيل بأسمائهم، نؤمن بهم بأسمائهم، ونؤمن بالجملة بكل نبي بُعِث من عند الله تبارك وتعالى.

ثم الفرق بين الأنبياء والرسل:

والصحيح في هذه المسألة:

الفرق بينهم: أن الرسول معه رسالة، والنبي لا رسالة معه؛ إنما يأتي برسالة مَن قبله، وكل رسول نبي وليس كلّ نبي رسولاً.

والكفر بواحد من الأنبياء كفر بهم جميعاً؛ لأن النبي ﷺ قال: "الأنبياء أُخوةٌ لِعَلّات"[٢] أي: لأمّهاتٍ شتّى "دينهم واحد"، كما قال عليه الصلاة والسلام: "أمهاتهم

---

(١) أخرجه مسلم (٨) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

شتى ودينهم واحد"؛ أمهاتهم متفرّقات كثيرات لكن دينهم واحد، فدين الله سبحانه وتعالى قائم على أصل واحد، والأنبياء كلّهم شيء واحد، فَمَن كذّب بنبي واحد؛ فقد كذّب بجميع الأنبياء؛ لذلك قال الله سبحانه وتعالى: {كذّبت قومُ نوحٍ المرسلين}(١)، فقوم نوح كذّبوا بنوح عليه السلام، لكن قال الله سبحانه وتعالى :{كذّبت قومُ نوحٍ المرسلين }، وكذلك قال: {كذّبت عادٌ المرسلين}(٢)، و{ كذّبت ثمود المرسلين}(٣)، وهكذا لماذا؟ لأن مَن كذّب رسولاً واحداً فقد كذّب الرسل جميعاً؛ قال الله سبحانه وتعالى :{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا}(٤)، فمن كفر بنبي واحد؛ فقد كفر بالأنبياء جميعاً، من كذّب بمحمد ﷺ فهو مكذّب بموسى ومكذّب بعيسى، مَن صدّق بموسى وكذّب بعيسى؛ فقد كذّب بموسى وعيسى أيضاً؛ فموسى عليه السلام قد أخبر بالنبي ﷺ وأنه سيأتي من بعده، فمن كذّبه في هذا فقد كذّبه في غيره.

والإيمان أيضاً بالملائكة، يجب علينا أن نؤمن بملائكة الله تبارك وتعالى، هؤلاء الملائكة هم مخلوقات مخلوقة من نور، كما جاء في صحيح مسلم(٥): " خُلِقَت الملائكةُ من نورٍ، وخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ من نار، وخُلِقَ آدم مما وُصِفَ لكم"، والملائكة لهم عقول

---

(١) [الشعراء:١٠٥].
(٢) [الشعراء:١٢٣].
(٣) [الشعراء:١٤١].
(٤) [النساء:١٥٠-١٥١].
(٥) (٢٩٩٦) عن عائشة رضي الله عنها.

يدركون بها الأوامر والنواهي، ولا يعصون الله سبحانه وتعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولهم أجنحة كما جاء وصفهم في الكتاب والسنّة(١).

ونؤمن كذلك بأعمالهم التي يقومون بها، مما ذُكِر لنا من ذلك في الكتاب أو في السنّة؛ نؤمن بهم جميعاً؛ على وجه الإجمال كما ذكرنا، ونؤمن بهم على وجه التفصيل أيضاً، الذين ذُكروا لنا بأسمائهم وأعمالهم نؤمن بهم بأسمائهم وأعمالهم؛ مثلاً: كجبريل عليه السلام موكّل بالوحي، وكإسرافيل موكّل بالنفخ في الصور، وميكائيل موكّل بالقطر، ومَلك الموت موكّل بقبض الأرواح وهكذا ...، فنؤمن بهؤلاء ونؤمن بأعمالهم التي ذُكرت لنا في الكتاب أو في السنّة؛ هكذا يكون الإيمان بملائكة الله تبارك وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٢١] والإيمانُ بأنَّ الجنّةَ حقٌّ والنَّارُ حَقٌّ، وأنها مخلوقتانِ، الجَنَّةُ في السماءِ السَّابعة وسَقْفُها العَرْشُ، والنَّارُ تحتَ الأرْضِ السَّابعَةِ السُّفلى، وهما مخلوقتان، قَدْ عَلِمَ اللهُ تعالى عَدَدَ أهلِ الجَنَّةِ ومن يَدْخُلُها، وعددَ أهلِ النَّارِ ومن يدخُلها، لا تفنيانِ أبداً، بقاؤهُما مع بقاء الله أبدَ الآبدين ودَهْرَ الَّداهِرين، وآدمُ عليه السلام كانَ في الجنَّة الباقيةِ المَخْلوقةِ، فأُخْرِجَ منها بعدما عصى الله عزّ وجل**).

الإيمان بأن الجنّة حق والنار حق، جاء في الحديث عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه وأن الجنّة حق والنار حق أدخله الله الجنّة على ما

(١) قال الله تعالى: {أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع} [فاطر:١]، وفي مسلم(٢٩٣٧) في باب ذكر الدجال من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: "... واضعاً كفيه على أجنحة ملكين".

كان من العمل"[1]، الشاهد قول النبي ﷺ هنا: "وأن الجنّة حق والنار حق"، أي: ثابتة وموجودة كما أخبر الله سبحانه وتعالى وأخبر نبيّه ﷺ ، فنؤمن بذلك على ما أُخبرنا به، وهذا الإيمان بالجنة والنار هو داخل في ركن من أركان الإيمان التي ذُكرت في حديث جبريل؛ قال: "والإيمان باليوم الآخر"، وما يحصل في هذا اليوم وما يحصل بعده، كل هذه التفصيلات التي في اليوم الآخر تدخل ضمن هذا الإيمان، فالإيمان بالجنّة والنار وأنهما ثابتتان تابع لهذا الركن؛ وهو الإيمان باليوم الآخر.

وأدلة وجود الجنّة ووجود النار وثبوت ذلك في القرآن والسنّة كثيرة جدّاً، ومتواترة، لكن الذي حصل فيه النزاع مع أهل البدع هو ما بعد ذلك.

قال المؤلف: (وأنهما مخلوقتان) من عقيدة أهل السنّة والجماعة أن الجنّة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، لا أن الله سبحانه وتعالى سيخلقهما فيما بعد، هما مخلوقتان موجودتان الآن في هذا الوقت، وفي زمن النبي ﷺ عندما كان يخبر عنهما كان يخبر عن أشياء موجودة، وهذا بإجماع أهل السنّة أنهما موجودتان مخلوقتان الآن، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى في النار: {أُعدّت للكافرين}[2]، وقوله في الجنّة: {أُعدّت للمتّقين}[3]، فهي مُعدّة ومجهّزة، لا يريد أن يخلقها فيما هو آت، فقوله عز وجل: {أُعدّت} يعني قد قُضي هذا الأمر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) [البقرة:٢٤].

(٣) [البقرة:١٣].

وجاء في الحديث أيضاً أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الجنّة والنار قال لجبريل: "اذهب فانظر إليها"(١)، فهذا الحديث بيّن أن الله سبحانه وتعالى قد خلقهما، فهما مخلوقتان موجودتان الآن.

خالف في هذا المعتزلة؛ أصحاب العقول- وهم حقيقةً بلا عقول؛ يدّعون العقل والحكم بالعقل لكنهم حقيقةً لا عقول لهم-، شبهتهم في ذلك: أنهم قالوا: بأن الجنّة والنار خلقهما الآن هذا عَبثٌ لا فائدة من ورائه.

لماذا هو عبث؟

قالوا: لأنه ما لهما شغل الآن؛ لا يُشتغل بهما في شيء؛ فخلقهم وإيجادهم الآن يُعَدُّ عبثاً، فالجنّة تكون معطّلة؛ وهذا العبث لا يليق بالله عزّ وجل، فجهلوا حكمة الله سبحانه وتعالى في خلق الجنّة والنار قبل قيام الساعة، ثم جعلوا أنفسهم حُكّاماً على الله سبحانه وتعالى في أفعاله، فيحكمون على الله بأن هذا جائز وهذا غير جائز بناءً على عقولهم الصغيرة، إذا كنت لم تدرك حكمة الله سبحانه وتعالى، وكان عقلك قاصراً عن ذلك؛ فلماذا تجعل نفسك حاكماً على الله سبحانه وتعالى؟! هناك حِكَم أنت لا تدري عنها، لها منافع أنت لا تدري عنها؛ مع أنه قد جاء في أحاديث صحيحة بأن مِن الناس

---

(١) أخرجه أحمد (٨٣٩٨)، وأبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي(٢٥٦٠)، والنسائي(٣٧٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مَن يعذّب ومنهم مَن يُنعّم في هذا الوقت وقبل قيام الساعة[1]، إذاً هي ليست مُعطّلة أصلاً؛ فقولهم هذا باطل.

واستدلّوا أيضاً بقول الله تبارك وتعالى:{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}[2]، قالوا: لو كانتا مخلوقتين إذاً يلزم من ذلك أن تفنيا مع ما يفنى في ذاك الوقت، وهذا باطل؛ فهناك أشياء لا تفنى، فمع أن الله سبحانه وتعالى ذكر ذلك بلفظ عام؛ لكن هذا العموم مخصوص وليس على عمومه؛ فالجنّة والنار قد دلّت الأدلّة على وجودهما وعلى بقائهما وأنهما لا يفنيان كما سيأتي إن شاء الله في مسألة فناء الجنّة والنار، وكذلك العرش أيضاً لا يفنى، وهناك أمور قد استُثنيت من هذه الآية وخُصّت الآية بها؛ إذاً فلا يصح أن تُحمل على عمومها كما فعلوا من أجل أن يمشّوا عقيدتهم الفاسدة.

قال: (الجنّة في السماء السابعة وسقفها العرش، والنار تحت الأرض السابعة السُفلى).

جاء في الحديث: "إن في الجنّة مئة درجة، أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنّة وأعلى الجنّة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجّر أنهار الجنّة"[3].

---

(١) منها ما أخرجه مسلم (٢٨٥٦) عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمْعَةَ بْنِ خِنْدِفَ أَبَا بَنِي كَعْبٍ هَؤُلَاءِ، يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ».

(٢) [الرحمن:٢٦-٢٧].

(٣) أخرجه البخاري(٢٩٧٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والجنّة في السماء في علّيين، قال الله تعالى: {كلّا إن كتاب الأبرار لفي علّيين}[(١)]، أعلى شيء، والنار في أسفل سافلين كما قال الله سبحانه وتعالى: {كلّا إن كتاب الفُجّار لفي سجّين وما أدراك ما سجّين}[(٢)]، وقد أجمع العلماء على أن العرش فوق السماوات السبع فهو في السماء، فالجنّة في السماء والنار في الأسفل في الأرض السابعة كما قال المؤلّف.

قال: (وهما مخلوقتان) أي الجنّة والنار مخلوقتان كما تقدّم.

قال: (قد علم الله عدد أهل الجنّة ومن يدخلها، وعدد أهل النار ومن يدخلها).

هذا لعموم علم الله سبحانه وتعالى، فقد جاء أن الله يعلم كلّ شيء ولا يعزُب عن علمه شيء من ذلك؛ فهذا داخل ضمن العمومات التي وردت في أن الله سبحانه وتعالى يعلم كلّ شيء ولا يخفى عنه شيء.

قال: (لا تفنيان أبداً، بقاؤهما مع بقاء الله أبد الآبدين ودهر الداهرين).

يعني دائماً، في كلّ زمن، لا يأتي زمن من الأزمان ليس فيه جنّة ولا نار، فالجنّة والنار باقيتان إلى أبد الآبدين، يعني: لا يوجد زمن بعد خلقهما لا يوجد فيه جنّة ولا نار، فالجنّة والنار لا تفنيان؛ هذه عقيدة أهل السنّة، وهو أمر متّفق عليه بين أهل السنّة ولا خلاف بينهم، وإن تصوّر البعض وجود خلاف في مسألة فناء النار؛ فتصوّره خاطئ وليس صحيحاً؛ أهل السنّة متفقون على أن الجنّة والنار لا تفنيان، ومن قال بفناء النار فقد أخطأ على أهل السنّة، من عزا هذا المذهب إلى أهل السنّة؛ فقد

(١) [المطففين:١٨].

(٢) [المطففيت:٧].

أخطأ عليهم، فلا يجوز القول بهذا ولا نسبته إلى أهل السنّة ؛ فهو أصلاً قد جاء من قِبل الجهميّة، الجهميّة هم الذين تفلسفوا بمثل هذه الفلسفة.

قال الله تبارك وتعالى في الجنّة: {عطاءً غير مجذوذ}(١)، يعني عطاءً غير مقطوع، فهو دائم لا يمكن أن ينقطع في يوم من الأيام، وقال: {وما هم منها بمُخرجين}(٢)، وقال أيضاً في النار :{لا يفتّر عنهم وهم فيه مُبلسون}(٣)، يعني العذاب، وقال :{ خالدين فيها أبداً}(٤)، فهذه الآيات؛ بعض من الآيات التي تدل على أن النار والجنّة لا تفنيان وهما باقيتان أبد الآبدين.

وقد ألّف في ذلك الصنعاني رحمه الله رسالة اسمها "رفع الأستار لإبطال أدلّة القائلين بفناء النار"، وقد تحدّث فيها عن عقيدة أهل السنّة، وبيّن بطلان القول بفناء النار، وردّ على الذين يقولون بهذا القول.

ووجود بعض الآثار في ذلك عن السلف: إمّا أنها ضعيفة لا تصح، أو أنها على غير الوجه الذي فُهِمت عليه.

قال: (وآدم عليه السلام كان في الجنّة الباقية المخلوقة، فأُخرِج منها بعد ما عصى الله عزّ وجل).

---

(١) [هود:١٠٨].
(٢) [الحجر:٤٨].
(٣) [الزخرف:٧٥].
(٤) [النساء:٥٧].

هذا كما جاء ذكره في كتاب الله تبارك وتعالى، أول ما خلق الله سبحانه وتعالى آدم أسكنه وزوجه الجنّة؛ قال: {اسكن أنت وزوجك الجنّة وكُلا منها رغداً حيث شئتما}[(١)]، ونهاهما الله سبحانه وتعالى عن الأكل من شجرة، فأكلا منها وعصيا الله سبحانه وتعالى، فأنزلهما ربنا تبارك وتعالى من الجنّة: {قلنا اهبطوا منها جميعاً}[(٢)]، أنزله الله تبارك وتعالى من تلك الجنّة.

هل هذه الجنّة التي سكنها آدم عليه السلام هي جنّة الخُلد؟ هل هي الجنّة التي سيسكنها المؤمنون في النهاية أم أنها جنّة أخرى خاصّة؟

هُنا حصل نزاع بين العلماء، لكن أهل السنّة على أن الجنّة هي واحدة، ولا يوجد دليل يدل على أن الجنّة جنتان، وكل جنّة ذكرها الله في القرآن أو في السنّة فهي واحدة، ومن ادعى غير ذلك؛ فعليه بالدليل الواضح الصريح، ولا يوجد عندنا دليل صحيح في ذلك؛ لذلك نبقى على ما نحن عليه: من أن هذه الجنّة هي الجنّة التي سيسكنها المؤمنون، ولا يوجد جنّة أخرى غير هذه الجنّة، قال المؤلف: (فأخرج منها بعد ما عصى الله عزّ وجل)، وظاهر كلامه واضح، في أن هذه الجنّة التي يتحدّث عنها هي جنّة واحدة.

قال: (وآدم عليه السلام كان في الجنّة الباقية المخلوقة) يعني هي نفسها الجنّة التي يسكنها المؤمنون بعد البعث، هي الجنّة نفسها، (الباقية) يعني التي لا تفنى، و(المخلوقة) يعني هي الموجودة الآن، (فأخرج منها بعد ما عصى) يعني قرّر أن العقيدة الصحيحة:

(١) [البقرة:٣٥].

(٢) [البقرة:٣٨].

هي أن آدم عليه السلام دخل الجنّة نفسها، وخرج منها، ولا يوجد هناك جنّة ثانية؛ هذا الذي ذكره المؤلف رحمه الله.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٢٢] والإيمانُ بالمسيحِ الدَّجّالِ**).

ومن عقيدة أهل السنّة والجماعة الإيمان بالمسيح الدجّال، ولو تلاحظون؛ فإن المؤلف يذكر أشياء كلّها غيبيّة وهي فارقة بين أهل السنّة وأهل البدع والضلال، أهل البدع والضلال يحكّمون عقولهم على هذه الأمور الغيبيّة، ولا يؤمنون بالغيب الذي أمرهم الله سبحانه وتعالى بالإيمان به، والتسليم للآيات والأدلة التي وردت فيه، وأما أهل السنّة والجماعة فيؤمنون بذلك ويسلّمون، وهذا فارق عظيم وكبير بين أولئك وبين أهل السنّة والجماعة؛ فأهل السنة يصدّقون ما يأتي عن الله سبحانه وتعالى وما يصح عنه، ولا يُعملون عقولهم في أشياء لا تدركها عقولهم، ربّما لا تدرك العقول أشياء كثيرة، وقد حصلت أشياء من علامات الساعة ربّما لو سمعها الشخص قبل أن تحصل، يكاد يقول: ربما مستحيل أن تقع مثل هذه، ولكنها وقعت وتقع كما أراد الله سبحانه وتعالى.

فقال المؤلف: (والإيمان بالمسيح الدجّال) يعني: من عقيدة أهل السنّة والجماعة الإيمان والتصديق بالمسيح الدجّال.

وسُمي المسيح مسيحاً؛ لأنه يسيح في الأرض ويسرع فيها فيدخل جميع الأرض، إلا ما كان من مكّة والمدينة، فلا يدخلها؛ فهما ممنوعتان عليه كما جاء في الأحاديث الصحيحة(١)، ويدخل بقيّة الأرض كلّها كاملة، يعيث في الأرض فساداً.

وسُمّي دجّالاً من الدجل وهو شدّة الكذب، يسمّى كذّاباً كذباً شديداً ويسمّى دجّالاً؛ فسمّي دجّالاً لذلك، فهو يأتي ويدّعي الربوبية، ويجعل الله سبحانه وتعالى على يديه بعض الأشياء التي لا يستطيعها البشر؛ فيغتر به من الناس من ليس عندهم إيمان، ويسيرون خلفه، حتى إنه يُخرج كنوز الأرض فتسير خلفه، ومعه جنّة ومعه نار كما جاء في الأخبار الصحيحة، وكما قال عليه الصلاة والسلام: "فناره جنة، وجنته نار"(١) ومن أراد أن يشرب فليشرب من ناره ويغمض عينيه فهي حقيقةً هي ماء عذب، وأما جنّته فهي نار.

وأخبار المسيح الدجّال متواترة في الصحيحين، وهي كثيرة.

وهو من البشر ولكن أعطاه الله سبحانه وتعالى علامات يعرفها المؤمنون بعد أن حذّر منه جميع الأنبياء، ومنهم نبيّنا ﷺ وأكثر من التحذير، منه وبيان حاله وبيان صفاته؛ لأن فتنته عظيمة وسيُفتتن بها كثير من الناس، واليوم الناس يُفتتنون بأشياء أقل بكثير من هذا لضعف إيمانهم وقلّة علمهم؛ فما بالك لو ظهر أمامهم شخص كهذا بهذه الصفات التي يذكرها النبي ﷺ، فالحصانة منه تكون بالإيمان والعلم، فيتعلّم المرء

---

(١) أخرج البخاري(١٨٨١)، ومسلم(٢٩٤٣) عن أنس قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ..."».

ويعرف صفاته؛ حتى يتمكّن من التمييز بينه وبين غيره، وكذلك إيمانه يمنعه من اتباعه، هذا المسيح الدجّال هو في النهاية عندما يخرج يتّبعه اليهود ويتّبعه غيرهم من أنواع الكفرة والمنافقين ويعيث في الأرض فساداً كما ذكرنا إلى أن يظهر عيسى عليه السلام، فيقتله بباب لُد، كما صحّت الأخبار بذلك[٢].

وأنكر العقلانيون خروج المسيح الدجّال؛ الذين هم بدون عقول حقيقةً، أنكروا ظهور المسيح الدجّال بناءً على تكذيب الأخبار التي وردت في وصفه، وأحاديث الدجال مذكورة كما ذكرنا في الصحيحين وفي غيرهما، وهي متواترة.

وشبهتهم العظمى في ذلك هو: لماذا لم يذكر الدجال مع كلّ شرّه وفساده وفتنته العظيمة في القرآن؟

نقول لهم: لم يذكر في القرآن كي يبتلي الله سبحانه وتعالى أشكالكم ويُعرَف من يؤمن بالله سبحانه وتعالى ومن لا يؤمن؛ بينما ذُكر في السنّة؛ فيظهر من كان يكذّب بالسنّة، ويظهر من كان يؤمن بالسنّة فيأخذ بأحاديث الدجال، فإذا كنت تؤمن بالسنّة؛ ما الذي يمنعك من الإيمان بأحاديث الدجال، وإذا كنت تكفر بالسنّة؛ تظهر حقيقتك، ويبان أمرك، فهو امتحان واختبار من الله سبحانه وتعالى بذلك.

---

(١) أخرجه البخاري(٧١٣٠)، ومسلم (٧٩٣٤،٧٩٥) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٢٣] والإيمانُ بنزولِ عيسى ابن مريم عليه السلام، يَنْزِلُ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ، ويَتَزَوَّجُ، ويُصلِّي خَلْفَ القائِمِ من آل محمد ﷺ، ويموتُ، ويدفِنُهُ المسلمون**).

جاء في حديث الدجال الطويل- سنقرأه لكم إن شاء الله-؛ قال في حديث جابر[١]: "فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم" يعني أمير المؤمنين في ذلك الوقت، وهو محمد بن عبد الله الهاشمي وهو المهدي؛ يكون هو أمير المؤمنين في ذلك الوقت، فيقول لعيسى: "تعال صلِّ لنا، فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تَكْرِمَة الله هذه الأمة" يعني هذه تكرِمة من الله سبحانه وتعالى، أي: كرامة أكرم الله سبحانه وتعالى بها هذه الأمّة أن جعل أئمّتها منها ولا يؤمهم شخص من غيرهم؛ لذلك لا يقبل أن يتقدّم عيسى عليه السلام.

قال: (ويصلّي خلف القائم من آل محمد ﷺ) القائم من آل محمد ﷺ: هو محمد بن عبدالله الهاشمي الذي يخرج في آخر الزمان، فتبايعه رؤوس القبائل في مكّة، ثم بعد ذلك يفتح الله على يديه.

ثم يموت عيسى عليه السلام ويدفنه المسلمون.

أما قضيّة أنه يتزوّج؛ فهذه لم يرِد فيها خبر صحيح؛ فالله أعلم أيتزوّج أم لا يتزوّج، فبما أنه ما صحّ الخبر فيها في شيء؛ فنحن نسكت عن هذا.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٦).

وسنقرأ لكم شيئاً من أحاديث الدجّال، بشكل مختصر؛ حتى يكون عندكم إلمام ببعض هذه الأحاديث.

منها ما أخرجه الشيخان(١) من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ ذكر الدجّال بين ظهري الناس فقال: "إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجّال أعور العين اليمنى، كأن عينه عِنبة طافئة"، ففي هذا الحديث يبيّن النبي ﷺ علامة مميّزة في؛ فهو يدّعي الربوبية، ومع دعواه بالربوبية هو ناقص؛ حيث إنّه أعور، فهو غير قادر على إصلاح هذا الداء الذي فيه؛ فهو أعور وإن ربّكم ليس بأعور؛ إذاً فلا يمكن أن يشتبه الأمر عليكم؛ "هو أعور العين اليمنى، كأن عينه عِنبة طافئة" يعني كأن عينه منطفِئة وبارزة، وهي عوراء يعني هو لا يرى فيها.

وجاء في الحديث الآخر؛ حديث أنس(٢): "الدجّال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر" ثمّ تهجّاها: "ك ف ر يقرؤه كلّ مسلم"، كل مسلم يقرأ هذه الكلمة المكتوبة على جبينه؛ فتُقْرَأ؛ فلا يشتبه أمره على الناس.

وفي حديث حذيفة(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: "لأنا أعلم بما مع الدجّال منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض" أي: فيما تراه العين هو ماء أبيض "والآخر رأي العين نارٌ تأجّج" يعني: تراه العين ناراً؛ ترى أمامها ناراً؛ لكن الحقيقة خلاف ذلك، قال: " فإمّا أدرَكَنَّ أحدٌ؛ فليأت النهر الذي يراهُ ناراً" يعني: إذا أدرك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩) عن ابن عمر رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٣) وأصله عند البخاري.
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٠)، ومسلم (٢٩٣٤) واللفظ لمسلم.

أحدٌ الدجّال؛ فليأت النهر الذي يراه ناراً، ويترك النهر الذي يراه ماءً، "وليغمّض" يعني: يغلق عينيه حتى لا يخاف من شكل النار ومنظرها، "ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ" يعني: سواء كان يستطيع القراءة أو لا يستطيع؛ فإنه يقرأ هذا المكتوب عنده.

وجاء في حديث آخر طويل(١) ذُكر فيه خبر الدجّال قالوا: (يَا رَسُولَ اللهِ! ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ) يعني: ظننّاه قريباً؛ ما بقي شيء بيننا وبينه، قال: "غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ" أي: كل واحد هو مسؤول عن نفسه في ذاك الوقت، "وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ" شخص كان موجوداً في زمنه "فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ" يعني في منطقة هناك تكون بين الشام والعراق، "فَعَاثٍ يَمِيناً وَعَاثٍ شِمَالاً" يعني يذهب من ناحية اليمين ومن ناحية الشمال ويعيث فيها فساداً، "يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا"، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ يَوْماً؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: "لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: "كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ" يعني: كالمطر استدبرته الريح فهو سريع جداً، "فَيَأْتِي

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُراً، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ" يعني أن المواشي تأكل وتشرب وتسمن وتدُرّ عليهم من لبنها وخيرها، "ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ"، يعني يفتقرون، يصيبهم الفقر وتذهب عنهم جميع أموالهم وخيراتهم، هذه الفتنة العظيمة؛ ولفتنته هذه حذّر منها النبي ﷺ وبيّن حاله وأكثر من ذكره، قال: "وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ" يعني: ذكور النحل؛ أي: جماعات جماعات؛ فتخرج بالكامل وتتبعه كنوز الأرض، "ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُوذَتَيْنِ، وَاضِعاً كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ" يعني يطلب عيسى الدجّال "حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ..." إلى آخر الخبر.

فالشاهد منه: خبر الدجّال، وهذه أوصافه التي ذكرت في هذا الحديث وفي غيره من الأحاديث.

فقال المؤلف رحمه الله :(**[٢٤] والإيمانَ بأنَّ الإيمانَ قَوْلٌ وعَمَلٌ، وَنِيَّةٌ وإِصابةٌ، يَزِيدُ ويَنْقُصُ؛ يَزِيدُ ما شاء الله، ويَنْقُصُ حتى لا يبقى منه شيء**).

يبدأ المؤلف بتقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان.

ما هو الإيمان؟

الإيمان في اللغة: هو التصديق.

وأما في الشرع - وهو المقصود هنا-: فهو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعملٌ بالجوارح؛ هذا تعريفه عند أهل السنة والجماعة، وهم متّفقون على هذا، وتعريف الإيمان بما ذكرنا؛ أصل من أصول أهل السنة والجماعة.

بعض السلف يذكر التعريف على النحو الذي ذكرناه، والبعض يختصر؛ فيقول: (قول وعمل)، فيكون مقصوده بالقول والعمل هو ما ذكرناه: اعتقاد القلب ونطقٌ باللسان وعملٌ بالجوارح؛ فالمعنى واحد وإن اختلفت ألفاظ السلف، لكن في النهاية كلها مدارها على معنى واحد.

ويريدون من هذا أن يبيّنوا أن إيمان العبد لا يصح إلا بثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: الاعتقاد القلبي

والجزء الثاني: النطق باللسان

والجزء الثالث: العمل بالجوارح

هل النطق باللسان وحده يكفي؟

قال رسول الله ﷺ: " ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة "[١]، أي: من نطق بلسانه دخل الجنة، لكن هذا النطق وحده لا يكفي؛ لذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

لما ذكر الله سبحانه وتعالى قوم فرعون قال:{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ}[1] هنا جحدوا بها باللسان، مع أن الإيمان القلبي حاصل؛ إذن فالنطق باللسان لا بد منه، وعمل القلب أيضاً؛ إيمان القلب لا بد منه كذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال في المنافقين:{يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ}[2]، فإيمان المنافقين كان إيماناً بنطقهم وقولهم؛ بظاهرهم، وليس إيماناً قلبياً؛ فكانوا كفاراً وكانوا في الدرك الأسفل من النار.

إذن إيمان فرعون وقومه لم ينفعهم؛ لأنهم كانوا قد استيقنوا في نفوسهم ولكنهم من حيث الظاهر جحدوا واستكبروا على الحق، وإيمان المنافقين لم ينفعهم أيضاً؛ لأنه كان في الظاهر؛ باللسان، لكنه في الباطن كان مفقوداً غير موجودٍ.

إذاً لا بد من النطق باللسان والإيمان بالقلب.

والعمل بالجوارح أيضاً لا بد منه؛ فالله سبحانه وتعالى رتّب دخول الجنة على العمل، لا يمكن للعبد أن يدخل الجنة إلا بعمل، ولو تأملت جميع الآيات والأحاديث التي وردت في دخول الجنة؛ تجدها كلها قد رتب الله سبحانه وتعالى دخول الجنة فيها على العمل؛ فلا بد من العمل كي يدخل الشخص الجنة، فإن لم يكن عنده عمل إذاً ليس هناك دخول للجنة؛ وهذا الذي تدل عليه الأدلة الشرعية، وبهذا استدل السلف رضي الله عنهم على أن الأعمال لا بد منها أيضاً؛ فأدلة الكتاب وأدلة السنة عندما تذكر الإيمان؛ تذكر العمل.

ومن الأدلة التي تدل على أن العمل من الإيمان قول الله سبحانه وتعالى:{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}[3]، وقد اتفق المفسّرون على أن الإيمان هنا هو الصلاة؛ فسمّى العمل إيماناً.

---

(١) [النمل:١٤].

(٢) [الفتح:١١].

(٣) [البقرة:١٤٣].

وكذلك قال النبي ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون-أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق؛ والحياء شعبة من الإيمان"[(١)]، فدلّ ذلك على أن أعمال الجوارح من الإيمان.
وكما ذكرنا: الإيمان عند أهل السنة ثلاثة أجزاء؛ لا يصح إلا بهذه الأجزاء الثلاثة.

قال المؤلف: (ونية وإصابة)، انظر ماذا يقول المؤلف؟
يقول: (قول) يعني: قول اللسان، (وعمل)،أي: عمل القلب وعمل الجوارح، (ونية)، أي: النية القلبية، (وإصابة) يعني: إصابة السنة، هذه ألفاظ السلف-كما ذكرنا- ربما تجدها مختلفة؛ لكن في النهاية هي من حيث المعنى واحدة، يعني: أن الإيمان لا يصح إلا بنية، وإلا بعمل موافق لهدي النبي ﷺ؛ لأن العمل إذا لم يكن موافقاً لهدي النبي ﷺ ؛ يكون مردوداً على صاحبه؛ "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"[(٢)]، فمطلوب منك أن تعمل عبادة طاعة لله سبحانه وتعالى؛ لكن لا بد أن تكون هذه الطاعة على نفس ما كان عليه النبي ﷺ ، ولا بد من نية الإخلاص أيضاً: {ألا لله الدين الخالص}[(٣)]، {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين}[(٤)]؛ إذاً لا بد من نية الإخلاص؛ كي يُقبَل العمل.
قال: (ويزيد بالطاعة)، والدليل على زيادة الإيمان ونقصانه: أن الزيادة وردت في كتاب الله؛ فقال الله سبحانه وتعالى: {ويزيد الله الذين اهتدوا هدى}[(٥)]، وقال: {ويزداد

(١) أخرجه البخاري(٩)، ومسلم (١٥) عن أبي هريرة، واللفظ لمسلم.
(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).
(٣) [الزمر:٢].
(٤) [البينة:٥].
(٥) [مريم: ٧٦].

الذين آمنوا إيماناً}[١]، قال: {أيكم زادته هذه إيماناً}؛ إلى غير ذلك من الأدلة التي ساقها الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الإيمان[٢]، وأي شيء يزيد؛ فهو ينقص.

ومن أحسن الأحاديث التي وردت في بيان أن الإيمان يزيد وينقص حديث: "نافق حنظلة"[٣]، هذا الحديث يدلّ على أن الإيمان يزيد وينقص؛ وذلك أن حنظلة لقي أبا بكر في الطريق؛ فقال: (نافق حنظلة)، فقال له أبو بكر: (سبحان الله! ما تقول؟)، قال: (نكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ) أي: تصبح بالنسبة لهم كأنهم يرونها بأعينهم، قال: (فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيراً)، قال حنظلة: (فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيراً؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

فهذا الحديث يدل على أن القلوب تتغير إيماناً؛ فيزيد وينقص.

وكذلك ما جاء من قول النبي ﷺ بأنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان[٤]؛ يدل ذلك على أن الإيمان يضعف وينقص ويقلّ.

---

(١) [المدثر: ٣١].

(٢) كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصان، قبل الحديث رقم (٤٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٥٠).

(٤) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

قال المؤلف: (وينقص حتى لا يبقى منه شيء) يعني يبقى الإيمان ينقص؛ حتى لا يبقى منه شيء؛ فيتحول من الإيمان إلى الكفر، فإذا لم يبقَ من الإيمان شيءٌ؛ كفَرَ؛ فخرج من ملة الإسلام، وكان مخلداً في نار جهنم.

وينقص أيضاً حتى يبقى منه الشيء القليل كما تقدم: يخرج من النار من كان في قلبه أدنى أدنى حبة خردل من إيمان؛ يعني حتى يبقى معه أصل الإيمان فقط، وهذا يدل على أن الإيمان يزيد وينقص، وكما قال المؤلف: (وينقص حتى لا يبقى منه شيء).

وخالف في هذا الأصل الثابت عند أهل السنة: الخوارج والمرجئة.

أما الخوارج؛ فإنهم قالوا أصلاً كما قال أهل السنة: الإيمان اعتقاد وقول وعمل؛ لكنهم قالوا: إذا زال بعض العمل؛ زال الإيمان؛ لأن الإيمان عندهم شيء واحد لا يتجزأ، فإذا ذهب بعضه؛ ذهب كله؛ هذا أصلهم الذي بنوا عليه، وبناءً على ذلك؛ يكفِّرون بالكبائر، فمن وقع في كبيرة؛ فقد ذهب إيمانه.

أما المرجئة فبعضهم يدخل القول في الإيمان وبعضهم لا يدخله، فمن لا يدخل القول في الإيمان؛ يقول: الإيمان: التصديق فقط، والبعض الذي يدخل القول؛ يقول: التصديق مع القول، وكلهم متفقون على أن أعمال الجوارح ليست من الإيمان؛ هذا قول المرجئة.

والمرجئة يستدلّون بأدلة، والخوارج يستدلّون بأدلة، وكما قال العلماء: إذا أردت أن تردَّ على مرجئ؛ فاذكر له أدلة الخوارج، وإذا أردت أن تردَ على خارجي؛ فاذكر له أدلة المرجئة؛ لأن طريقة الجمع بين الأدلة والتوفيق بينها عند أهل السنة والجماعة؛ فإن الأدلة التي يستدلّ بها الخوارج تدل على أن الذنوب والمعاصي هذه تنقص الإيمان ولا تذهبه، والأدلة التي يستدل بها المرجئة تدل على أن من معه أصل الإيمان يخرج من النار ولا يبقى مخلّداً فيها، فآخر أمره يدخل الجنة، لكن الجمع ما بين الأدلة يدل على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وأن أصحاب الذنوب والمعاصي هؤلاء إما أن يعفو الله سبحانه وتعالى عنهم بداية أو أن يدخلوا النار، فيعذّبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، والباب يطول الكلام فيه، فيكفي هذا القدر في هذا الكتاب.

قال المؤلف رحمه الله: ([٢٥] وأفضلُ هذهِ الأُمَّةِ والأُمَمِ كُلِّها بَعْدَ الأَنبياءِ صلوات الله عليهم أجمعين: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان؛ هكذا رُوِيَ لنا عن ابن عمر؛ قال: (كُنَّا نقولُ ورسولُ الله ﷺ بين أَظْهُرِنا: إنَّ خَيْرَ هذهِ النَّاسِ بَعْدَ رسولِ الله ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان، ويسمعُ بذلكَ النَّبيُّ ﷺ فلا يُنْكِرُهُ).

ثم أفضلُ النَّاسِ بعد هؤلاء: علي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح؛ وكُلُّهم يَصْلُحُ للخِلافَةِ.

ثم أفضلُ النَّاسِ بَعْدَ هؤلاء: أَصْحابُ رسولِ الله ﷺ ، القَرْنُ الأوَّلُ الذي بُعِثَ فيهم: المهاجِرونَ الأَوَّلونَ والأنصارُ؛ وهُمْ مَنِ صلى القِبْلَتينِ.

ثم أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هؤلاءِ: مَن صَحِبَ رسولَ الله ﷺ يوماً أو شَهْراً أو سَنَةً، أقلَّ أو كَثُرَ، نَتَرَحَّمُ عليهم، ونَذْكُرُ فَضْلَهُم.

ولا نَذْكُرُ أحداً منهم إلا بِخَيْرٍ؛ لقوله ﷺ: "إذا ذُكِرَ أصْحابي فَأَمْسِكوا"، وقال سفيان بن عيينة: (من نَطَقَ في أصحابِ رسول الله ﷺ بكلمةٍ؛ فهو صاحِبُ هوى).

خير هذه الأمة وأفضلها وأفضل الأمم كلها بعد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين هو أبو بكر كما قال المؤلف، وفضائل أبي بكر الصديق كثيرة، وهذا الحديث الذي ذكره المؤلف هو الذي يُستدَلّ به على أن أبا بكر خير هذه الأمة بعد نبيّها، وأبو بكر هو الذي قال الله تعالى فيه: {ثاني اثنين إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}(١)، وأبو بكر هو أحب الرجال إلى النبي ﷺ كما سئل عليه الصلاة والسلام

(١) التوبة [٤٠].

وأجاب بذلك[(١)]، ففضائل أبي بكر الصديق كثيرة، والأمة متفقة على أنه خير هذه الأمة بعد نبيّها.

ثم يأتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفضائله مشهورة وكثيرة.

وبعده عثمان بن عفان ذو النورين، ولُقّب بهذا؛ لأنه تزوج ببنتي النبي ﷺ.

ثم يأتي بعد هؤلاء: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ففي الفضل هم بهذا الترتيب: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً، والحديث الذي ذكره المؤلف هو الحجة في ذلك كما ذكرنا.

قال: (ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: علي وطلحة والزبير وسعد وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، وكلهم يصلح للخلافة) هؤلاء هم بقية العشرة المبشرين بالجنة، والذين جاء فيهم قول النبي ﷺ: "أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بن عوفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بن أبي وقاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بن عمرو بن نفيل فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ"[(٢)]، هذا الحديث ذكر فيه النبي ﷺ هؤلاء الذين هم العشرة المبشرون بالجنة وهم أفضل أصحاب النبي ﷺ كما ذكرنا، فهم الأفضل بعد أبي بكر وعمر وعثمان، ثم علي بن أبي طالب، ثم البقية الذين ذُكِروا.

ثم قال: (وكلهم يصلح للخلافة)، قال هذا لأن الأربعة الأُوَل قد تولّوا الخلافة بموافقة بقية أصحاب النبي ﷺ ، فقد اتُّفِقَ على أنهم أهل للخلافة ويستحقّونها، أما البقية فقد تُرِكَ أمر الخلافة شورى بين هؤلاء المذكورون هنا؛ إلا القليل منهم فقط، الذين كانوا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٨٠)، وأبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٧)، وابن ماجه (١٣٣).

قد استُثنوا من أهل الشورى، فطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وسعيد أيضاً؛ هؤلاء كانوا في أصحاب الشورى الذين فوّض إليهم عمر رضي الله عنه اختيار الخليفة من بعده.

(ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: أصحاب رسول الله ﷺ ، القرن الأول الذي بعث فيهم: المهاجرون الأولون والأنصار، وهم من صلى القبلتين)، فأفضل الناس هم أصحاب النبي ﷺ وهم القرن الأول الذين قال فيهم النبي ﷺ: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"، فهذا يدل على فضل أصحاب النبي ﷺ وأنهم مقدَّمون على غيرهم.

وفضائل الصحابة كثيرة، منها قول الله تبارك وتعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ}(١)، وكذلك قوله الله سبحانه وتعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}(٢)، وقال: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ}(٣)، إلى آخر الآيات.

كل هذه الآيات وغيرها من الآيات تدلُّ على فضيلة أصحاب النبي ﷺ.

وكذلك الأحاديث؛ منها الحديث الذي ذكرناه، وكذلك قول النبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً؛ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه"(٤).

كل هذه النصوص تدل على فضل أصحاب النبي ﷺ وعلى مكانتهم ومكانة المهاجرين والأنصار؛ لذلك قال المؤلف هنا: (المهاجرون الأولون والأنصار، وهم من صلى

---

(١) [التوبة :١٠٠].

(٢)[الفتح:١٨].

(٣) [الحشر:٨].

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

القبلتين)، يعني من صلى إلى بيت المقدس- أي: أدرك الصلاة إلى بيت المقدس قبل أن يُنسَخ الحكم- وصلى إلى الكعبة، فهؤلاء هم الصحابة الأُوَل.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: من صحب رسول الله ﷺ يوماً أو شهراً أو سنة، أقل أو كثر، نترحم عليهم ونذكر فضلهم).

فاضَلَ المؤلف هنا بين أصحاب النبي ﷺ ؛ بين الأُوَلِ، ثم من جاء بعدهم؛ لأنه قد جاء في الآية قول الله سبحانه وتعالى: {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل...}[1] إلى آخر الآيات، فدلت هذه الآية على أن أصحاب النبي ﷺ أنفسهم يتفاوتون؛ خاصةً بين من أنفقَ من قبل فتح مكة، ومن أنفق وقاتل بعدها.

وبعضهم قال إن المقصود بالفتح هنا صلح الحديبية، وعلى كلٍّ: فالذين أنفقوا وقاتلوا بداية أفضل مكانة من الذين أنفقوا وقاتلوا بعد ذلك؛ لذلك يقول المؤلف هنا: (ثم أفضل الناس بعد هؤلاء) أي: بعد الفريق الأول: (من صحب رسول الله ﷺ يوماً أو شهراً أو سنة، أقل أو كثر)، فبمجرّد أن تثبت له الرؤية، تثبت له فضيلة الرؤية والصحبة؛ فيدخل في قول النبي ﷺ: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم".

قال: (نترحم عليهم ونذكر فضلهم)؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا}[2]، فالذين جاؤوا من بعدهم من أهل السنة يترحّمون على أصحاب النبي ﷺ ، ويذكرون فضلهم وينشرونه بين الناس؛ كي تثبت محبتهم في قلوب الناس.

---

(١) [الحديد:١٠].

(٢) الحشر [١٠].

قال :(ونكف عن زللهم)؛ لقول النبي ﷺ: "إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا"(١)، وما من إنسان إلا وله زلة وله خطأ يقع فيه، وقد أُمِرنا عندما يأتي الأمر عند زلّات أصحاب النبي ﷺ وأخطائهم أن نمسك وألا نتكلم، وما شجر بينهم لا نتحدث عنه ولا دخل لنا في الأمر؛ بل نمتثل لقول النبي ﷺ: "إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا".

قال: (ولا نذكر أحداً منهم إلا بخير؛ لقوله ﷺ: "إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا"، وقال سفيان بن عيينة: (من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى)، فأصحاب النبي ﷺ هم الطريق إلى شرع الله ودينه، ومن أراد أصحاب النبي ﷺ بسوء؛ فقد أراد أن يهدم دين الله وشرعه؛ لأنهم هم الذين بلَّغونا القرآن والسنة، فإذا طعنّا في أصحاب النبي ﷺ الذين هم الشهود الذين شهدوا على صحة دين الله وشرعه، وطعنا في عدالتهم؛ إذاً فقد أفسدنا وضيّعنا دين الله تبارك وتعالى؛ لذلك من تكلم في أصحاب النبي ﷺ ؛ فإنما أراد دين الله وشرعه، مع مخالفته وتكذيبه لكتاب الله ولسنة النبي ﷺ ؛ فإنه كذّب كتاب الله الذي برّأهم وعدّلهم، وردّه، ومع ذلك فهدفه من وراء طعنهم في أصحاب النبي ﷺ: هو هدم شريعة الله تبارك وتعالى، فمن تكلم في أصحاب النبي ﷺ ؛ فيُتّهم على دين الله مباشرة.

ومعاوية رضي الله عنه هو البوّابة التي يحاول أهل الضلال والفساد الدخول إلى أصحاب النبي ﷺ منها؛ فيبدؤون بالطعن في معاوية، ثم بعد ذلك يتدرّجون إلى بقية أصحاب النبي ﷺ ؛ لذلك من رأيته يطعن في معاوية بن أبي سفيان؛ فاعلم أنه يريد أصحاب النبي ﷺ ؛ ومن يريد أصحاب النبي ﷺ ؛ فاعلم أنه يريد دين الله وشرعه؛

---

(١) أخرجه الطبراني (١٠/ ١٩٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

هذا هو التسلسل؛ لذلك قال أبو زرعة الرازي رحمه الله - وهو أحد أئمة السلف-؛ قال: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب النبي ﷺ ؛ فاعلم أنه زنديق)[1]، وخصوصاً في زمننا هذا؛ لا بد من تطبيق هذه القاعدة بشكل عظيم، وعلى قاعدتها: من انتقص أحداً من أصحاب النبي ﷺ ؛ اتهمناه على دين الله؛ ففي زمننا خاصة الفتنة في هذه القضية قد عظمت وكبرت؛ وكلما كبرت الفتنة وعظمت في جانب معيّن؛ كان السلف يشددون فيها أكثر من غيرها؛ للقضاء على الفتنة التي تحصل .

قال المؤلف رحمه الله :(**[٢٦] والسَّمْعُ والطَّاعَةُ للأئمَةِ فيما يُحِبُّ اللهُ ويَرْضى.**
ومَنْ وَلِيَ الخِلافَةَ بإجْماعِ النَّاسِ عليه، ورِضاهُمْ به؛ فهو أميرُ المؤمنين، لا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَبيتَ ليلةً ولا يرى أن ليسَ عليه إمام؛ براً كان أو فاجراً).

هذه المسألة من المسائل التي عظم بها البلاء والفتنة في زماننا هذا؛ مسألة السمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى، يعني أنه يجب علينا أن نسمع وأن نطيع لأئمتنا؛ وهم حكّامنا المسلمون، (فيما يحب الله ويرضى) أي: في طاعة الله؛ فلا سمع ولا طاعة لهم في معصية الله؛ فإنما الطاعة في المعروف كما قال النبي ﷺ: "لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل"[2]، لكن إذا لم يأمر بمعصية؛ فيجب السمع والطاعة.

ولعظم البلاء في هذا الجانب؛ ركّز عليه النبي ﷺ كثيراً، وذكر الكثير من الأحاديث التي تدل على وجوب السمع والطاعة، وعدم جواز الخروج على الحاكم ؛ إلا أن نرى منه كفراً بواحاً.

---

(١) أخرجه الخطيب في الكفاية (ص٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٠٩٥) بهذا اللفظ، وأصله في الصحيحين بلفظ: «لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف»، أخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠).

لماذا أكثر من هذا؟ بل كانت هذه القضية من أواخر وصاياه ﷺ التي كانت في آخر حياته، فقال عليه الصلاة والسلام- كما في حديث العرباض بن سارية-: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ وَإِنْ أُمِّرَ عليكم عَبْدٌ حَبَشِيٌّ رأسه رأس زبيبة"(١)، هذه من آخر وصايا النبي ﷺ ، كان عليه الصلاة والسلام يوصي بهذه الوصايا؛ لعلمه بأن فتنة هذه الأمة ستكون من هذا القبيل؛ من قِبَلِ خروجهم على حكّامهم، وسيوضع السيف، وكما قال عليه الصلاة والسلام: "لن يرفع إلى قيام الساعة"(٢).

أول فتنة حصلت في هذه الأمة: فتنة الخروج على عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم تتابعت الفتن بعد ذلك؛ لماذا حصلت الفتنة؟

لأن هؤلاء الذين خرجوا على عثمان ألقوا بأحاديث النبي ﷺ التي فيها السمع والطاعة وعدم الخروج على الحاكم خلف أظهرهم ومشوا مع أهوائهم؛ فخرجوا على عثمان، ثم تتابعت الفتن بعد ذلك، ووضع السيف في هذه الأمة، فلن يُرفع إلى قيام الساعة.

لكن يجب علينا أن نتقيد بما أمرنا به النبي ﷺ ، وبما أمرنا به ربنا تبارك وتعالى؛ فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم:{ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}(٣)، وأولوا الأمر هم العلماء وأمراء المؤمنين والحكام فيهم.

وجاء في حديث عبادة بن الصامت قال: (بايعنا على السمع والطاعة في مَنْشَطِنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله)؛ هكذا بايعوا النبي ﷺ: ألا ينازعوا الأمر أهله، يعني لا ينازعون ولاة الأمور إذا تولّوا عليهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٣٧٣)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢). وأخرجه البخاري (٧١٤٢) من حديث أنس بلفظ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة».

(٢) أخرجه أحمد (٣٧/ ٧٨) وأبو داود (٤٢٥٢) وغيرهما.

(٣) النساء [٥٩].

قال : (إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان)، كفر بواح : أي: كفر واضح، صريح، لا يَخْتَلِفُ فيه علماء السنة؛ لا يختلفون في كون هذا الشيء الذي وقع فيه هذا الشخص كفراً، (عندكم فيه من الله برهان)؛ عندكم دليل أمام الله سبحانه وتعالى تقدّمونه، يُجَوِّزُ لكم الخروج على هذا الحاكم.

وفي حديث ابن عباس قال النبي ﷺ: "مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُ فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"(١)، أي: إلا مات كميتة أهل الجاهلية؛ أهل الجاهلية لا يعرفون الأمراء؛ فكل منهم يمشي على رأسه، كل قبيلة وكل جماعة يمشون على رؤوسهم وما عندهم أمراء، فإذا مات الشخص يموت على هذه الطريقة، ومن مات على هذه الطريقة؛ فهو متوعّد بالعذاب من الله تبارك وتعالى.

وفي حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: "السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ، ما لم يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ"(٢).

وفي حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ"(٣)، لاحظ هذه الأوصاف: (إِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ)؛ مع ذلك اسمع وأطع؛ وإن رأيتم أثرة، وإن رأيتم أموراً تنكرونها.

لماذا هذا كله؟

هذه كلها تصلح ردوداً على الخوارج وعلى الإخوان المفلسين وعلى غيرهم الذين يقولون نخرج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا أمرٌ قد أخبر النبي ﷺ به: بأنكم ستجدون أشياء منكرة وتجدون مخالفات شرعية؛ بل ربما الحاكم الذي ولّي عليكم لا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

(٣) تقدم تخريجه.

يصلح أن يكون حاكماً من الناحية الشرعية؛ لكن مع ذلك بما أنه مسلم؛ فيجب عليكم أن تسمعوا وأن تطيعوا.

هذا الجانب له أدلته الخاصّة به، أما أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي وردت في غير هذا الجانب؛ فتلك أدلة عامة تصلح في عمومها- في مواطن العموم لها-، أما هذه الأدلة؛ فهي أدلة خاصة نتعامل بها مع الحاكم المسلم، فإذا جاءت أدلة خاصة في موضع؛ فيجب التقيد بها وترك العام عندئذ في بقية الصور الأخرى.

وأما أن نأخذ بالعام ونترك الخاص؛ فهذا من عمل أهل الأهواء الذين يريدون أن يبرروا لأنفسهم أعمالهم حتى ولو كانت باطلة، هذه الأحاديث كلها مع ما فيها من وَصْفٍ بالأَثَرَةِ، ووصفِ الأمور التي ننكرها، وما فيها من تَوَلّي العبد الحبشي، والعبد الحبشي في الشرع لا يجوز له أن يحكم المسلمين؛ لأنه عبد رقيق مملوك، والمملوك لا يتحكم في تصرفاته؛ بل هو مملوكة تصرفاته لسيده؛ فكيف يأمر وينهى ويتحكم في الناس؟ لا يصح مثل هذا أن يكون حاكماً، ومن شرط الحاكم أن يكون حرّاً؛ لكن مع ذلك قال النبي ﷺ: "وإن أُمّر عليكم عبد حبشي"، فلو وُضِعَ عليكم في مدينتكم هذه حاكم من المسلمين، وكان عبداً حبشيّاً، فمع أن هذا لا يصح؛ لكن ماذا تفعل؟ اسمع وأطع.

هذا ما أخبر النبي ﷺ، لماذا هذا كله؟ دفعاً للمفسدة الأعظم، هذه التي بُيِّنَت لنا وذكرناها مفاسد؛ لكنها مقارنة بما سيحصل من نتائج الخروج؛ لا تذكر، هذه المفسدة أمام تلك المفاسد العظيمة التي فيها سفك للدماء، وانتهاك للأعراض، وضياع للأموال، إضعاف لشوكة المسلمين؛ بحيث تجعل دول المسلمين لقمة سائغة في أفواه الكفرة كي يتسلطوا عليها، هذه مفاسد كبيرة وعظيمة، فدفعاً لهذه المفاسد الكبيرة العظيمة؛ أمر النبي ﷺ بالسمع والطاعة والصبر، فقال عليه السلام: "اصبروا"، وقال: "ستجدون

من بعدي أثرة وأموراً تنكرونها" قالوا وما نفعل يا رسول الله؟ قال: "أدوا لهم الحق الذي لهم وسلوا الله سبحانه وتعالى الذي لكم"[(١)].

وفي حديث آخر قال: "اصبروا حتى تلقوني على الحوض"[(٢)]، مع أنهم قالوا للنبي ﷺ: أفلا نقاتلهم؟ قال: "لا؛ ما صلوا"[(٣)]، وقال في حديث آخر: "لا؛ إلا أن تروا كفراً بواحاً"[(٤)]، أي: أمور واضحة كعين الشمس.

ولا يترك هذه النصوص كلها ويلجأ إلى التلاعب بنصوص الشرع، بل يذهب إلى أحاديث موضوعة ومكذوبة ويخرجها بين الناس، حتى يبرر لنفسه الخروج؛ إلا رجل صاحب هوى قد أكل الهوى قلبه، والأحاديث والأدلة التي تدل على طاعة ولاة الأمور كثيرة جداً، ذكرنا بعضها وهو كافٍ إن شاء الله.

ثم قال: (ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين).

متى يصح أن يكون أميراً تجب له السمع والطاعة؟

في ثلاث أحوال:

الحالة الأولى: هي ما ذكرها المؤلف؛ قال: (من ولي الخلافة بإجماع الناس عليه)،ولا يفهم بـ(الناس) هنا العموم؛ بل (الناس) هنا: المقصود بهم أهل الحل والعقد، الذين يحلّون الأمور ويعقدونها؛ هؤلاء هم أهل الحل والعقد، بأيديهم زمام الأمور، يستطيعون حلها ويستطيعون عقدها- هذا معنى أهل الحل والعقد-، والذين هم كقادة الجيش مثلاً، رؤساء العشائر، الوزراء، العلماء؛ أمثال هؤلاء يسمَّون أهل حل وعقد؛ لأن لهم كلمة مسموعة عند من يتّبعهم ومن يسمع لهم، فعندهم جماعات تتبعهم وتسمع

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٢)، ومسلم (١٨٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

لهم، قائد الجيش عنده أفراد من الجيش يسمعون له، رئيس العشيرة عنده عشيرته تتبعه، العالم عنده الناس الذين يثقون به يتبعونه أيضاً، وهكذا ؛ هؤلاء هم أهل الحل والعقد في البلاد، هؤلاء إذا جمعوا كلمتهم على شخص وعيّنوه؛ يصبح حاكماً للمسلمين، تجب بيعته، ويجب السمع والطاعة له؛ هذه الطريقة هي الطريقة الأولى , وقد ثبتت بفعل عمر رضي الله عنه؛ حيث إنه ترك الأمر شورى من بعده بين جماعة اختارهم من أصحاب النبي ﷺ.

الحالة الثانية: استخلاف الحاكم السابق، أي: استخلاف الولي السابق لولي بعده؛ كما فعل أبو بكر الصديق مع عمر بن الخطاب؛ فقد استخلف أبو بكر الصديق عمر من بعده؛ فكان هو الخليفة؛ هذه الصورة الثانية التي يثبت بها ولي أمر المسلمين.

الحالة الثالثة: هي التغلب على المسلمين؛ يتغلب واحد من المسلمين عليهم ويتسلط عليهم بالقوة، بالسيف، ويستتب له الأمر ويرضخ الناس له ولإمارته؛ عندئذ يصبح أميراً يجب السمع والطاعة له.

هذه الطرق الثلاثة التي تثبت بها الإمارة للمسلم على المسلمين، فيقول المؤلف :(ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به؛ فهو أمير المؤمنين) وقلنا: الناس هنا المقصود بهم: أهل الحل والعقد.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**والحَجُّ والغَزْو معَ الإمام ماضٍ، وصَلاةُ الجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جائِزَةٌ، ويُصَلَّى بَعْدَها سِتُّ رَكَعاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتينِ؛ هكذا قال أحمدُ بن حنبل**).

(والحج والغزو مع الإمام ماض)،الحج معروف، والغزو الذي هو الجهاد.

هذه بعض أعمال الإمام وصلاحياته؛ فهو الذي يقوم على أمر الحج وعلى أمر الجهاد، واقامة الصلوات؛ هذه بعض أعمال الأئمة، ولهم أعمال وخصوصيات كثيرة عن بقية الناس، تجدونها في كتب الأحكام السلطانية، كـ"كتاب الأحكام السلطانية"، لأبي يعلى الحنبلي و للماوردي أيضاً، وكذلك: "السياسة الشرعية" لابن تيمية رحمه الله، وقد اعتنت هذه الكتب بذكر أعمال السلطان؛ من هذه الأعمال: أن يقوم على أمر الحج بترتيبه، وخروج الناس إليه، وكذلك على أمر الجهاد؛ تجهيز الجيوش ودعمها ماديَّاً ومعنويَّاً، وكذلك بدعم ترتيبها وتنظيمها وتولية القادة فيها، هذا كله من أعمال السلطان، وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "إنما الإمام جُنَّة، يُقَاتَلُ مِنْ وَرائِهِ، ويُتَّقَى به، فإنْ أَمَرَ بِتَقْوى الله وعَدَلَ؛ فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإن عليه منه"(١).

والشاهد: "إنما الإمام جُنَّة"، يعني: ستر وتغطية للمؤمنين، يحميهم ويدافع عنهم، ويُكَوِّنُ الجيوشَ التي تحفظ دماءهم وأموالهم وأعراضهم.

وقوله: "يُقاتَلُ من ورائه" يعني: يقاتل معه، فيكون المُقَدَّمُ في القتال، فهو القائد، "فيقاتل معه"؛ يقاتل معه كفاراً، وخوارج، والبغاة؛ هذا معنى: "يقاتل من ورائه".

"ويتقى به"، يعني: هو الذي يرجع إليه المسلمون؛ ليحفظ لهم دينهم وعِرْضَهُم، ويحقق لهم الأمن فيما بينهم.

فالجهاد والحج من عمل الإمام، والمسلمون يحجون مع الحاكم المسلم، ويجاهدون معه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٤١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقول المؤلف: (والحج والغزو مع الإمام ماض)، أي: باقٍ بين المسلمين، هذه سُنَّةُ نبيهم ﷺ، فالذي كان يتولى هذه الأمور هو النبي ﷺ، ثم تولاها من تولى الأمر من بعده من أصحابه، ثم بعد ذلك الأمراء الذين تولوا أمور المسلمين من بعدهم.

قال: (وصلاة الجمعة خلفهم جائزة)، أيضاً صلاة الجمعة وصلاة العيدين تُصلى خلف هؤلاء الأئمة، سواء كان الإمام برَّاً أو فاجراً؛ يصلى خلفهم ،على هذا كان أصحاب النبي ﷺ، فقد كانوا يصلون خلف الحجاج بن يوسف الجمعة والعيدين وغيرها من الصلوات، وعلى هذا كان الحال من عهد النبي ﷺ الى أن بدأت اغتيالات السلاطين والحكام والأمراء، ثم بعد ذلك صار الحكام يولون الناس ويستخلفونهم في إمامة الصلاة، فالأمر الأول: أن النبي ﷺ كان هو الذي يؤم المسلمين، ثم أمَّ بهم أبو بكر، ثم أمَّ بهم عمر حتى طعن رضي الله عنهم، وحاولوا قتل علي بن أبي طالب، وحاولوا قتل معاوية بن أبي سفيان، ثم بعد ذلك تغير الحال؛ وصار الحاكم يولّي شخصاً مكانه لإقامة الصلاة، سواء صلى هو نفسه أو صلى من وكله الإمام، فَيُصَلّى خلفهم الجمعة والأعياد كما ذكرنا.

قال: (ويُصلى بعدها ست ركعات) أي: يُصلى بعد الجمعة ست ركعات، فهذه من المسائل الفقهية، لكن أن يُصلى بعد الجمعة ست ركعات؛ هذا لم يثبت فيه دليل عن النبي ﷺ، نعم قاله الإمام أحمد؛ لكن لا يوجد دليل بذلك في سنة النبي ﷺ؛ إنما ثبتت السنة بصلاة ركعتين أو أربع ركعات فقط هذا الثابت عن النبي ﷺ، أما الست؛ فلم يثبت في ذلك شيء؛ فليس هذا العمل من السنة .

قال: (يفصل بين كل ركعتين) يعني: يصلي ركعتين، ركعتين، ركعتين؛ وليست ستاً متتابعة؛ هكذا قال أحمد بن حنبل.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٢٨] والخِلافَةُ في قُرَيْشٍ إلى أَنْ يَنْزِلَ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام**)

الخلافة في قريش؛ لأن النبي ﷺ قال: "لا يزالُ هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان"[(١)]، وفي رواية في الصحيح: «إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه، ما أقاموا الدين»[(٢)] يعني هذا عندما يكون الأمر شورى، ويريد المسلمون أن يعيّنوا حاكماً؛ ينبغي أن يكون من أوصاف هذا الأحكام: أن يكون قرشياً، لكن اذا تسلَّط حاكمٌ من الحكام، وأخذ الحكم بالغلبة؛ فيستقر الأمر له ويجب السمع والطاعة له، حتى وان لم يكن قرشياً؛ لقول النبي ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا، وإن اسْتُعْمِلَ عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة"[(٣)]، حتى ولو لم يكن قرشياً، أي: إن كان الأمر غلبة؛ فيسمع للأمير ويطاع سواء كان قرشياً أو غير قرشيٍّ، لكن إذا أراد المسلمون أن يختاروا حاكماً بمشورة؛ فينبغي على أهل الحل والعقد أن يراعوا هذا الوصف؛ أن يكون قرشياً، ثم في آخر الأمر، عندما ينزل عيسى عليه السلام؛ يكون الأمر في قريش؛ لأنه سيسبق نزول عيسى عليه السلام: خروج المهدي.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠١)، ومسلم (١٨٢٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٩) عن معاوية رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

والمهدي هو محمد بن عبد الله، وهو قرشي لأنه من بني هاشم، وبنو هاشم من قريش فهو من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب، فنهاية الأمر يكون في قريش كما ذكر المؤلف.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٢٩] ومن خَرَجَ عن إمامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلمين؛ فهو خارجِيٌّ، قدْ شَقَّ عَصا المسلمين، وخالفَ الآثارَ، وَمِيتَتُهُ مِيتَةٌ جاهِلِيَّة**)

لأن النبي ﷺ حذر من الخروج ومنع منه، وقد ذكرنا الأحاديث التي تدل على لزوم السمع والطاعة، وعلى عدم جواز شق عصا المسلمين أو الخروج على الحاكم المسلم، وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات؛ مات ميتة جاهلية"[١]، وهكذا أيضاً جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"[٢]، ومعنى أن يموت الشخص ميتة جاهلية: أنه يموت على صفة من صفات أهل الجاهلية الذين ما كانوا يعرفون السمع والطاعة لواحدٍ؛ إنما كانوا متفرقين ومتشتتين، وهذه صفة أهل الجاهلية؛ فهذا الذي ليس في عنقه بيعة؛ يفرق جمع المسلمين ويموت على هذه الصِّفة.

قال: (ومن خرج عن إمام من أئمة المسلمين)، فلا يجوز الخروج على إمام من أئمة المسلمين، فمن بايع إماماً من الأئمة؛ وجب عليه أن يلتزم بهذه البيعة.

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١) عن ابن عمر رضي الله عنه.

ولا يقولن أحد: أنا لم أبايع؛ لأن البيعة تكون من أهل الحَلِّ والعقد، فمتى حصلت البيعة من أهل الحل والعقد؛ لزمتك؛ لقول النبي ﷺ: "فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم"[(١)].

والعريف: هو الذي يكون مسؤولاً عن عشيرته أو عن أهل الحي، إما أنه مختار مثلاً في أهل الحي، أو رئيس العشيرة- شيخ العشيرة في عشيرته، أو قبيلته-؛ هؤلاء هم العرفاء، وهم الذين يرفعون إلى الحاكم، فإذا بايعوه؛ فقد حصلت البيعة ولزمتك وصار في عنقك بيعة، ولا يجوز لك نقض هذه البيعة.

قال: (ومن خرج عن إمام من أئمة المسلمين) ونقض البيعة؛ (فهو خارجيٌّ)، يعني: من الخوارج؛ الذين يخرجون على ولاة أمور المسلمين.

وهؤلاء الخوارج ليست عندهم مشكلة في شبهة من الشبهات، بحيث إنها إذا زالت انتهى الأمر عندهم؛ لا؛ فعند الخوارج فكرُ التكفير، فإذا كفروا الحكام؛ فيكفِّرون مَن بعد الحكام، ثم يستحِلُّون الدماء؛ هذا مبدؤهم؛ لذلك لا ينفع معهم نقاش أو مجادلة أو أن تزيل عنه هذا الفكر؛ لا، حتى لو حاول الحاكم أن يزيل عنهم ما عندهم؛ لن يفلح إلا أن يشاء الله أمراً، وإذا كان الخوارج قد كفَّروا علي بن أبي طالب، وعلي بن أبي طالب حكمه معروف، وكفروا معاوية بن أبي سفيان، وحكموا عليهم بالكفر بسبب أنهم حّكَّموا الرجال فيما زعموا، قالوا لعلي: أنت حَكَّمْتَ الرجال، {إن الحكم إلا لله}، وكفَّروا بقول الله تبارك وتعالى: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}[(٢)]، فكفروا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٠٧) عن مروان بن الحكم ومسور بن مخرمة رضي الله عنهم.
(٢) [المائدة:٤٤].

علي بن أبي طالب بذلك، ثم كفروا من تحت علي بالموالاة؛ هذه قاعدتهم دائماً: تكفير الحكام بـ: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}، وتكفير من تحت الحكام بأية: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم}[١]، فعلى ذلك يكفِّرون أكثر الناس، ويستبيحون دماءهم.

ولخطرهم وعظم شرهم على أمة الإسلام؛ أوصى النبي ﷺ بقتلهم قال: "لئن أدركتهم؛ لأقتلنهم قتل عاد"[٢]، قال: "فأينما لقيتموهم؛ فاقتلوهم"[٣]، هذه وصية النبي ﷺ؛ فهؤلاء القوم لا علاج لهم إلا هذا، هذه أفكار معشش في أدمغتهم ليس لها حل إلا القتل؛ حتى ينتهي شر وفساد هذه الطائفة.

هذا الذي أخبر به النبي ﷺ عنهم، وجاءت أوصافهم كثيرة في أحاديث النبي ﷺ؛ وأول ذلك في حديث أبي سعيد قال: (بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها)[٤] يعني قطعة من الذهب، مازالت بآثار التراب التي عليها؛ لم تنظف، (إلى رسول الله ﷺ، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر: الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيُّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلَابٍ، وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ، فغضبت قريش، فقالوا: أتعطي صناديد نجد وتدعنا؟)، أي: تعطي قادة نجدٍ وتدعنا نحن؟ قال: (فقال رسول الله ﷺ: "إني إنما فعلت ذلك

---

(١) [المائدة:٥١].

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦) عن علي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري ()، ومسلم (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لأتألفهم"، فجاء رجل كَثُّ اللحية، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، غائرُ العينين، ناتئ الجبين، محلوق الرأس)، هذه أوصافه: كَثُّ اللحية؛ أي: كثيرة، مُشْرِفُ الوجنتين؛ يعني: أعلى خده مرتفع عال، غائر العينين؛ يعني: عيناه داخلتان إلى الداخل، ناتئ الجبين؛ يعني: جبينه بارز ظاهر، محلوق الرأس، قال: (فقال: اتق الله يا محمد، قال فقال رسول الله ﷺ: "فمن يطع الله إن عصيته؟ أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟"، قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله- يرون أنه خالد بن الوليد-، فقال رسول الله ﷺ : "إن من ضئضئ" -يعني: من أصله- قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم" - يعني يخرج اتباع لهذا الرجل، على نفس الفكر والعقيدة التي هو عليها، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يعني: لا ينتفعون به، ولا يفهمونه على فهمه الصحيح ولا يعملون به، "يقتلون أهل الإسلام، ويَدَعونَ أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد").

لاحظ هنا الوصف الذي ذكرهم النبي ﷺ به، هذه علامتهم، قال: "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان"، فإذا رأيت قوماً يتسلطون على أهل الإسلام بالقتل وسفك الدماء، ويتركون أهل الأوثان، ويكون هذا هو شغلهم الشاغل؛ فاعلم أن هؤلاء الذين وصفهم النبي ﷺ.

ثم قال: "يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية"؛ الرمية: هي المرمية، أي: الصيد؛ سواء كانت من طير وغيرها-، إذا رُميت الرميّة بالسهم؛ يثقب هذا السهم أول الرمية ويخرج من آخرها، "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"، يدخل السهم

في البداية ثم يخرج ولا يعود؛ وبهذا كَفَّرَهم من كَفَّرَهم؛ قال: هم يخرجون من الدين أصلاً، فإذا خرجوا من الدين؛ لا يعودون إليه إلا أن يشاء الله سبحانه وتعالى.

قال: "لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"؛ وهذا الذي استدلَّ به من قال من العلماء بأن الخوارج يقتلون على كل حال، وقد اختلف العلماء فيهم على ثلاثة أقوال:

قول: أنهم كفار، وحكمهم حكم الكفار في القتال؛ فيقاتلون مقاتلة الكفار.

وقول آخر: بأنهم مسلمون، حكمهم حكم البغاة؛ فيقاتلون كما يقاتل البغاة.

والقول الثالث: أنهم ليسوا كفاراً ولا بغاة؛ بل هم لهم حكم مستقل، هم خوارج وحكمهم أن يقتلوا أينما وجدوا كما أمر النبي ﷺ؛ لأن البغاة قتالهم قتال ضرورة؛ لمنع بغيهم فقط ومنع تسلطهم؛ لأنهم يريدون أن يتسلطوا على الحاكم مثلاً، ويخرجوا عليه، فلدفع مفسدتهم يقاتلون، أو إذا تقاتلت قبيلتان مثلاً مع بعضهما وبغت إحداهما على الأخرى؛ فهذا يكون قتال البغاة، فهم يقاتلون لدفع مفسدتهم، فإذا انتهت شوكتهم؛ يُتَوَقَّفُ عن قتالهم؛ لا يُقتلون وترجع أموالهم إليهم؛ لا يؤخذ من أموالهم شيء.

أما الخوارج؛ فهؤلاء يقتلون كما أمر النبي ﷺ بقتلهم، وقد فَصَّل ابن تيمية رحمه الله ذلك تفصيلاً تاماً في موضوع التفريق بينهم وبين البغاة، وبعض العلماء لم يفرق بين الخوارج والبغاة وجعلهم شيئاً واحداً، وردَّ ابن تيمية هذا القول وفَصَّل في الأمر هناك تفصيلاً وافياً.

وفي رواية في الصحيح قال: "هم شر الخلق- أو: من أشر الخلق- يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق"، وأول من قاتلهم هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان قتال بينهم

وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فكان القتال بينهم دهرا حتى خرجت هذه الفئة فقتلهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه ،وهذا الذي قال فيه النبي ﷺ هو أدنى الطائفتين الي الحق يعني أقرب إلى الحق من الطائفة الثانية، وهذا مما يدلك على أن الطائفة الثانية معها شيء من الحق.

وفي رواية في الصحيح، قال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البريَّة"(١)، تنظر إلى أعمارهم؛ تجد غالبهم صغاراً في السن، كثير منهم تجدهم من خمسة عشرة سنة إلى ثلاثين سنة؛ هذا حال غالب الخوارج حتى في زماننا هذا؛ قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام؛ عقولهم صغيرة، أحلامهم خيالية، يقولون من خير قول البرية؛ إذا تكلموا يتكلمون بـ: قال الله، وقال رسول الله ﷺ "يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"، "فإذا لقيتموهم فاقتلوهم" هذه وصية النبي ﷺ فيهم: "فإذا لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن قَتْلَهم أجرٌ لمن قتلهم يوم القيامة".

وفي رواية عن علي رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: "يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٧)، ومسلم (١٠٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٦) وأصله عند البخاري.

لاحظ تنبيه النبي ﷺ على الحذر من الاغترار بما ترى من ظاهر حالهم، وليس هذا لهم فقط؛ بل حتى كثير من المبتدعة على هذا النحو؛ لا تغترَّ بما ترى من ظاهر الحال؛ إذا أظهر لك الوجه الآخر.

قال: "ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء" يعني: عندما تقارن قراءتك وعبادتك معهم؛ ستجد أنك لا شيء، "ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم، وهو عليهم" يقرؤن القرآن يظنون أن القرآن حجة لهم؛ وهو حقيقة حجة عليهم، "لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية".

قال علي: "لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ؛ لاتكلوا عن العمل"؛ يعني لاكتفوا بقتال الخوارج؛ ولاتَّكلوا عن عمل آخر.

وفي رواية في الصحيح[1] عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ: (أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه)، والحرورية هم الخوارج، كانوا خرجوا في منطقة الحروراء؛ فنسبوا إليها، (قالوا: لا حكم إلا لله)

انظر إلى حجتهم ما هي؟

حجتهم: قال الله، قال رسول الله ﷺ؛ لكنهم يفسرون القرآن والسنة على أهوائهم، وليس كما أنزلت على محمد ﷺ، أو على مراد الله، أو على مراد رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجها مسلم (١٠٦٦) وأصله عند البخاري.

قال: (قال علي: كلمة حق أريد بها باطل)، الكلمة في نفسها هي كلمة حق، هي كلمة مأخوذة من كتاب الله؛ لكن مغزاهم في الاستدلال بها باطل.

قال علي: (إن رسول الله ﷺ وصف ناساً؛ إني لأعرف صفتهم في هؤلاء: "يقولون الحق بألسنتهم؛ لا يجوز هذا منهم"- وأشار إلى حلقه) أي: لا يتجاوز الحلق، "مِنْ أبغض خلق الله إليه منهم أسود"، وفي هذا إشارات الى تقوية قول من يكفِّر هؤلاء القوم .

وفي رواية في الصحيح: "فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة".

إذاً علامتهم التي ذكرت هي قتل أهل الإسلام، ولقتل أهل الإسلام عندهم ذريعة يتذرعون بها؛ وهي التكفير، ولأجل أن يصلوا إلى تكفير المسلمين يتعلقون بمسألة {ومن يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}، ثم بعد ذلك إذا كفروا الحكام يكفرون من بعدهم بمسألة التولي، ويستدلون بأية: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم}.

قال ابن تيمية رحمه الله(١): (أن يقال: هذا مُعارَضٌ بمن يقول: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم النواصب، كالخوارج وغيرهم ويقولون) أي: الخوارج (أن من تولاه) أي علي بن أبي طالب (فهو كافر مرتد، فلا يدخل في الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويحتجون على ذلك بقوله: {ومن لم يحكم ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}، قالوا: ومن حَكَّمَ الرجال في دين الله؛ فقد حكم بغير ما أنزل الله؛ فيكون كافراً، ومن تولى الكافر؛ فهو كافر؛ لقوله: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم}، وقالوا: إنه هو وعثمان ومن

---

(١) "منهاج السنة" (٢٥٩/٧).

تولاهما مرتدون بقول النبي ﷺ :"ليُذادَنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال...."[1] إلى آخر الحديث، إذاً لاحظ هنا تكفيرهم لعلي بن أبي طالب بماذا كان؟ كان بالحكم بغير ما أنزل الله، وتكفيرهم للمسلمين من بعده كان بمسألة التولي، وانظروا اليهم الآن؛ هذا هو حالهم: حكام المسلمين عندهم كلهم كفار، وبناء على ذلك: من هم في الجيش، من هم في الأمن، من هم في الوزارات... إلى آخره؛ كلهم كفار، ومن يوالي هؤلاء فهو كافر، وبناء على ذلك يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم؛ هذا الذي نشاهده أمامنا اليوم تماماً، وانظروا الى حالهم في سورية سواء داعش أو جبهة النصرة أو غيرهم، على نفس الوتيرة، داعش تكفر من يقاتلها؛ لأنهم يقولون: نحن الإسلام، ومن قاتلنا قاتل الإسلام؛ فهو مرتد كافر، ومن قاتل مع الكفار فهو كافر؛ لأنه تولي الكفار، {ومن يتولهم منكم فإنه منكم}؛ وهذا ديدنهم.

قال الآجري في "الشريعة"[2] (باب ذم الخوارج وسوء مذاهبهم وإباحة قتالهم وثواب من قتلهم أو قتلوه)؛ قال: (لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء عصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة؛ فليس ذلك بنافع لهم، نعم ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون يُمَوِّهون على المسلمين) يعني يلبسون عليهم (وقد حذرنا الله تعالى منهم، وحذرنا النبي ﷺ، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٧)، ومسلم (٢٤٩) واللفظ لمسلم.
(٢) (٣٢٥/١).

والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج؛ يتوارثون هذا المذهب قديماً وحديثاً، ويخرجون على الأئمة والأمراء، ويستحِلُّون قتل المسلمين، فأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله ﷺ: هو رجل طعن على رسول الله ﷺ وهو يقسم الغنائم؛ فقال: اعدل يا محمد؛ فما أراك تعدل؛ فقال رسول الله ﷺ: "ويلك فمن يعدل إذا لم أكن أعدل"، فأراد عمر رضي الله عنه قتله)، وفي رواية: خالد بن الوليد؛ فهما روايتان (فمنعه النبي ﷺ من قتله، وأخبر أن هذا وأصحاباً له يحقر أحدكم صلاته مع صلاته ،وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين، وأَمَرَ في غير حديث بقتالهم، وبَيَّنَ فضلَ من قتلهم أو قتلوه، ثم إنهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قدموا المدينة فقتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد اجتهد أصحاب رسول الله ﷺ ممن كان بالمدينة في أن لا يقتل عثمان، فما أطاقوا على ذلك رضي الله عنهم، ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم يرضوا لحكمه، وأظهروا قولهم، وقالوا: لا حكم إلا لله، فقال علي رضي الله عنه:، كلمة حق أرادوا بها الباطل فقاتلهم علي رضي الله عنه، فأكرمه الله تعالى بقتلهم، وأخبر عن النبي ﷺ بفضل من قتلهم أو قتلوه، وقاتل معه الصحابة، فصار سيف علي رضي الله عنه سيف حق إلى أن تقوم الساعة).

وقال أيضاً[(١)]: (فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي، قد خرج على إمامٍ؛ عدلاً كان أو جائراً، فخرج وجمع جماعة وسَلَّ سيفه واستَحَلَّ قتال المسلمين؛ فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم؛ إذا كان مذهبه مذهب الخوارج، وقد روي عن رسول ﷺ فيما قلته أخبار لا يَدْفَعُها كثيرٌ من علماء المسلمين؛ بل لعله لا يختلف في العلم بها جميع أئمة المسلمين).

وقال أيضاً[(٢)]: (قد ذكرت من التحذير من مذهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله تعالى عن مذهب الخوارج، ولم يرَ رأيهم، وصبر على جور الأئمة وحَيْفِ الأمراء، ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله تعالى كشف الظلم عنه وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح، وحج معهم، وجاهد معهم كُلَّ عدو للمسلمين، وصلى معهم الجمعة والعيدين، فإن أمروه بطاعة فأمكنه؛ أطاعهم، وإن لم يمكنه؛ اعتذر إليهم، وإن أمروه بمعصية؛ لم يطعهم، وإذا دارت الفتن بينهم؛ لزم بيته وكَفَّ لسانه ويده، ولم يَهْوَ ما هم فيه، ولم يُعِنْ على فتنة، فمن كان هذا وصفه؛ كان على الصراط المستقيم ان شاء الله).

هذا بعض ما أردنا ذكره في مسألة في بيان حال وأوصاف الخوارج.

وقال المؤلف رحمه الله: (قد شق عصا المسلمين) لاشك أن من خرج على الإمام؛ فقد فرق جَمْعَ المسلمين، وشق عصاهم؛ وهذه من المفاسد التي تحصل عند الخروج على الحاكم؛ مفاسده كثيرة؛ منها هذه وهي شق عصا المسلمين ووضع السيف فيما بينهم، ثم بعد ذلك تنتهك الأعراض وتسفك الدماء وتضيع الأموال؛ هذه كلها مفاسد تحصل

---

(١) (٣٤٥/١).

(٢) (٣٧٠/١).

بسبب الخروج على الحاكم؛ لذلك حذر النبي ﷺ كثيراً وكثيراً جداً من هذا الأمر الذي سيكون بلاءً عظيماً على المسلمين.

قال: (وخالف الآثار) أي: خالف الأحاديث التي وردت بالأمر بالصبر وترك الخروج.

(وميتته ميتة جاهلية)؛ كما ذكرنا في الحديث الذي تقدم.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٣٠] ولا يَحِلُّ قِتالُ السُّلْطانِ، ولا الخروجُ عليه وإنْ جَارَ؛ وذلك لقول رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري: "اصبِرْ، وإنْ كانَ عَبْدَاً حَبَشيَّاً"، وقوله للأنصارِ: "اصبِروا حتى تَلْقَوْني على الحوضِ"، وليس من السُّنَّة قتالُ السُّلْطانِ؛ فإنَّ فيه فَسادُ الدُّنيا والدينِ**)

قوله: (ولا يحل قتال السلطان)؛ لما قدمنا من أحاديث (ولا الخروج عليه وإن جار) يعني: وإن ظلم لأن النبي ﷺ قال: "ستكون من بعدي أمراء فتعرفون وتنكرون.."[١]، وقال: "سترون بعدي أثرة..."[٢]، ذكر هذه الأشياء ،ثم ذكر في النهاية لزوم الصبر، وعدم الخروج إلا أن تروا كفراً بواحاً.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٤) عن أم سلمة رضي الله عنها

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٧٦)، ومسلم (١٠٥٩) عن أنس رضي الله عنه.

وأخرج البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١) عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه نحوه.

قال: (وذلك لقول رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري: "اصبر وإن كان عبداً حبشياً"[١]) ،يعني اصبر واسمع وأطع حتى وان كان الحاكم عليك عبدٌ حبشيٌ.

قال: (وقوله للأنصار: "اصبروا حتى تلقوني على الحوض"[٢]).

قال: (وليس من السنة قتال السلطان، فإن فيه فساد الدنيا والدين) هذا هو السبب الذي منع النبي ﷺ من الخروج على الحاكم من أجله؛ لأن الخروج على الحاكم فيه فساد الدنيا والدين، وقد رأيتم اليوم هذا كله، كنا نقرأه ونمتثل أمر النبي ﷺ دون أن نراه؛ واليوم قد رأيناه وعايناه؛ انظروا إلى حال اليمن، انظروا إلى حال مصر؛ تعرفون ذلك، حتى البلاد التي كان يحكمها كافرٌ؛ حالها قبل أن يحصل فيها ما حصل، أحسن حالاً مما هي عليه اليوم، انظروا إلى سورية وما يحصل فيها، ليبيا وما يحصل فيها، كان حكامها كفرة؛ لكن مع ذلك لو صبر الناس حتى خلصهم الله من هؤلاء الفَسدة؛ لكان الأمر أهون من الذي يحصل الآن في تلك البلاد؛ لأن من شروط الخروج على الحاكم الكافر: الاستطاعة والقدرة علي ذلك، وليس أن تخرج، ثم بعد ذلك تترجى الكفرة حتى يعينوك وتتنازل لهم عن كل ما يريدون من أجل أن يعينوك على غلبة هذا الحاكم؛ هذا ليس من الجهاد في شيء، ولا هو من الحق، وأنت ما حققت شيئاً في هذا الحال؛ وإنما خرجت من حكم شخص إلى آخر؛ على نفس الوضع.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٣٧) بلفظ: "إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع؛ وإن كان عبداً مُجَدَّعَ الأطراف"، وفي رواية: "عبداً حبشياً مجدَّع الأطراف".

(٢) علقه البخاري(٣٣/٥)، و(١١٩/٨)، وأخرج البخاري (٧٤٤١)، ومسلم (١٠٥٩) نحوه عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله؛ فإني على الحوض".

قال المؤلف رحمه الله: (**[٣١] ويَحِلُّ قِتالُ الخوارجِ إذا عَرَضوا للمسلمينَ في أَمْوالِهِمْ وأَنْفُسِهِم وأهليهم، وليس له إذا فارقوهم أَنْ يَطلُبَهم، ولا يُجْهِزْ على جَريحِهِمْ، ولا يَأْخُذْ فَيْئَهُمْ، ولا يَقْتُلْ أسيرَهُمْ، ولا يَتْبَعُ مُدْبِرَهُمْ**).

كما ذكرنا: قد حث النبي ﷺ على قتالهم وقتلهم، وليس له إذا فارقوهم أن يطلبهم، ولا يجهز على جريحهم ولا يأخذ فيئهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع مدبرهم؛ هذا على مذهب من يقول هم بغاة وحكمهم حكم البغاة؛ لأن هذا هو الفعل مع البغاة ، هذا إذا بغوا وخرجوا على الحاكم، فعندما يقاتلهم يفعل معهم هذا، في حال أنه تغلب عليهم، وفي حال أنهم فارقوه وتركوا قتاله؛ ليس له أن يطلبهم؛ ليس له أن يتبعهم وأن يقتلهم.

ولا أن يجهز على جريحهم، فمن كان فيهم جريحاً؛ فلا يجوز له أن يقتله، ولا أن يأخذ فيئهم؛ لا يأخذ الأموال التي تركوها، ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع مدبرهم؛ من فر منهم فلا يتبعه؛ بل يتركه؛ هذا العمل هو المناسب للبغاة، إذا وُجِدَ بغاةٌ وقاتلوا؛ فهذه الأحكام التي يجب أن تسري عليهم.

وقلنا: من قال بأن الخوارج لهم حكم البغاة فهذا هو التصرف معهم، أما من كفرهم أو جعلهم في القسم الثالث لا هم من الكفار ولا من البغاة؛ فهذا لا يقول بهذا القول الذي ذكر هنا؛ بل يقول: يقتلون كما أمر النبي ﷺ، وكما هو ظاهر النصوص الشرعية.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٣٢] واعلَمْ أَنَّهُ لا طاعةَ لِبَشَرٍ في معصيةِ الله عز وجل، ومنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الإسلامِ، ولا يُشْهَدُ على أَحَدٍ، ولا يُشْهَدُ له بِعَمَلِ خَيْرٍ ولا شَرٍّ؛ فإنَّكَ لا تَدْري بِمَ يُخْتَمُ له عِنْدَ المَوْتِ، تَرْجو له رَحْمَةَ الله، وتخافُ عليه، ولا تَدْري ما يَسْبِقُ له**

عِنْدَ المَوْتِ الى الله مِنَ النَّدَمِ، وما أَحْدَثَ اللهُ في ذلك الوَقْتِ إذا ماتَ على الإسلامِ، تَرْجوَ لهُ الرَّحْمَةَ، وتَخافُ عليه ذُنُوبَهُ، وما مِنْ ذَنْبٍ؛ إلا ولِلْعَبْدِ مِنْهُ تَوْبَةٌ).

لما حثَّ على الطاعة لولي الأمر؛ أراد أن يبيِّن هنا أن هذه الطاعة مقيَّدة وليست مطلقة؛ بل يطيعهم فقط في طاعة الله سبحانه وتعالى، أما إذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة لهم؛ لأن النبي ﷺ قال: "إنما الطاعة في المعروف"[1]، وكما قال عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة تقيِّد هذا الحكم، فنحن نطيعهم في طاعة الله سبحانه وتعالى، أما إذا أمروا بمعصية الله سبحانه وتعالى؛ فلا سمع لهم ولا طاعة عندئذ- يعني: فيما أمروا به من معصية.

قال: (ومن كان من أهل الإسلام، ولا يشهد على أحد ولا يشهد له بعمل خير ولا شر) يعني: شخص من أهل الإسلام لا يشهد عليه لا بخير ولا بشَرٍّ، ويريد المؤلف: بعد الموت؛ لأنه قال بعد ذلك: فإنك لا تدري بمَ يختم له عند الموت، ترجو له رحمة الله، وتخاف عليه، ولا تدري ما يسبق له عند الموت من الندم، وما أحدث الله في ذلك الوقت إذا مات على الإسلام، فترجو له الرحمة وتخاف عليه ذنوبه، وما من ذنب إلا وللعبد منه توبة.

خلاصة ما ذكره في هذا الباب؛ وهي عقيدة أهل السنة والجماعة: أنه لا يحكم على معين لا بجنة ولا بنار؛ إذ لا أحد يعلم ما يُختم للميت عندما يموت؛ هل يختم له بخير، أو يختم له بغير ذلك، وقد جاء في الحديث: أن أم العلاء قالت في عثمان بن مظعون: هنيئاً له،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠) عن علي رضي الله عنه.

وشهدت له بالخير، فقال لها النبي ﷺ: "وما يدريك أن الله أكرمه؟"[(١)]، وكذلك في حديث عائشة أنها قالت في طفل صغير مات: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، فقال لها النبي ﷺ: "أَوَ لَا تَدْرِينَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ، فَخَلَقَ لِهَذِهِ أَهْلًا وَلِهَذِهِ أَهْلًا؟"[(٢)]، وقال عليه الصلاة والسلام: "والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي؟"[(٣)]؛ فهذا يدل على أن المرء لا يحكم على شخص معين لا بجنة ولا بنار؛ ولكننا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء؛ فلا ندري ما الذي يختم للناس به، وما الذي ينتهي أمرهم عليه.

قال: (وما من ذنب إلا وللعبد منه توبة)، فأي ذنب يذنبه العبد يتوب الله سبحانه وتعالى عليه منه إذا تاب إلى الله قبل أن يموت؛ لأن "التوبة تَجُبُّ ما قبلها"[(٤)]؛ كما جاء في الحديث، والله سبحانه وتعالى يقول: {إن الله يغفر الذنوب جميعاً}[(٥)]، فكل الذنوب تُغْفَرُ مع التوبة.

وشرط التوبة أن تكون قبل الغرغرة، أو قبل أن تطلع الشمس من مغربها، فإذا كانت التوبة صادقة وحصلت دون توقيت؛ فالله سبحانه وتعالي يقبلها؛ من أيِّ ذنب؛ من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٧) عن أم العلاء.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٢) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٨٧) عن أم العلاء رضي الله عنها.

(٤) لا أصل له عن النبي ﷺ ، مع أن أكثر من واحد من الحفاظ ذكره عن النبي ﷺ ، إلا أنني لم أجد له أصلاً، وهذا ما قال الألباني رحمه الله في الضعيفة (١٠٣٩)، إلا أن معناه صحيح. والله أعلم (علي الرملي).

(٥) [الزمر:٥٣].

الشرك فما دونه، يعني من كل الذنوب تقبل التوبة، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى ورحمته بالعباد.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**[٣٣] والرَّجْمُ حَقٌّ**).

الرجم هو ضرب المرجوم بالحجارة حتى يموت، وهذا حد شرعي من حدود الزاني المحصن، والزاني المحصن: هو المتزوج اذا زنا؛ هذا حدُّه في الشرع؛ أنه يرجم حتى الموت؛ لعظم هذه المعصية وكثرة فسادها وضررها؛ حيث إنها تدخل الأنساب في بعضها، فتُفْسِدُ على الناس أنسابها؛ فلذلك شدَّد فيها الشارع؛ حتى ينهي هذا الفساد، فهذا الرجم حكم شرعي كان في بداية الأمر، نزلت آيته في كتاب الله: "والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة"، ثم بعد ذلك نُسخ هذا اللفظ وبقي الحكم، فَرَجَمَ النبي ﷺ، ورجم أصحابه رضي الله عنهم، وأجمع العلماء على هذا الحكم ولا ينكره مسلم؛ لأنه أمْرٌ مُجْمَعٌ عليه عند علماء الإسلام، لا ينكر هذا الحكم شخص مسلم؛ لذلك ذكره المؤلف هنا.

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لقد خشيت أن يَطولَ بالناس زمان حتى يقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله؛ فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإن الرَّجم حقٌّ على من زنى وقد أُحْصن؛ إِذَا قَامَتِ البَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الحَبَلُ أَوِ الِاعْتِرَافُ؛ أَلاَ وَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ)(١).

قال المؤلف رحمه الله: (**[٣٤] والمَسْحُ على الخُفَّيْنِ سُنَّةٌ**).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٢٩).

المسح على الخفين معروف، وهو رخصة رخص بها الشارع، وقد فعلها النبي ﷺ وفعلها الصحابة من بعده، وصارت شعاراً لأهل السنة، وأما أهل البدع من الرافضة ؛ فشعارهم إنكارها، وصارت فارقاً بين أهل السنة والرافضة، فأهل السنة متفقون عليها؛ وأهل البدع من الرافضة ينكرونها، ولما كان شعاراً فارقاً ما بين أهل السنة والرافضة؛ ذكرها المؤلف في كتاب "السنة".

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**[٣٥] وتقْصيرُ الصَّلاةِ في السَّفرِ سُنَّةٌ**)

يعني أن تصلي في السفر الظهر والعصر والعشاء ركعتين ركعتين؛ وهذا قد ورد في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ، قال الله تبارك وتعالى: {وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا}(١)، وكذلك ثبت في أخبارٍ كثيرة في "الصحيحين"(٢) أن النبي ﷺ كان يقصر الصلاة في السفر.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٣٦] والصَّوْمُ في السَّفرِ؛ من شاءَ صامَ، ومَنْ شاءَ أَفْطَر**)

وقد وردت أحاديث دلت على جواز الصوم وجواز الإفطار في السفر، فمن كان مسافراً؛ جاز له أن يصوم، وجاز له أن يفطر، وهي رخصة رَخَّصَ بها الشارع: {فمن

---

(١) [النساء:١٠١].

(٢) انظر :"صحيح البخاري": أبواب تقصير الصلاة، وما تحته من أحاديث، و"صحيح مسلم": كتاب صلاة المسافرين وقصرها، وما تحته من أحاديث.

شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفرٍ فعدة من أيام أخر}[١]، وثبت عن النبي ﷺ في "الصحيحين"[٢] أنه صام وهو مسافر وأفطر.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٣٧] ولا بَأْسَ بالصلاةِ في السَّراويلِ**).

السراويل معروفة، وكانت معروفة قديماً عندهم؛ وهي ثياب لها أكمام كالبنطال الذي نراه اليوم، وهنا يقول المؤلف: لا بأس بالصلاة بالسراويل، فبما أنها ساترة للعورة؛ فلا بأس بذلك، لكن منها ما هو واسع وهذا الصلاة به جائزة، ومنها ما هو ضيق؛ وهذا تكره الصلاة فيه.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٣٨] والنِّفاقُ: أنْ يُظْهِرَ الإسلامَ باللِّسانِ، ويُخْفِي الكُفْرَ بالضَّميرِ**).

النفاق قسمان: نفاق عقدي، ونفاق عملي.

وأصله: إظهار الخير وإبطان الشر.

والنفاق الاعتقادي: كفر مخرج من ملة الإسلام، وأصحابه في الدَّرْكِ الأسفل من النار.

والنفاق العملي: وهذا لا يكون كفراً؛ ولكن فاعله يكون قد أظهر الخير وأبطن الشر في أعماله، فله خصال ذكرها النبي ﷺ، وهي خصال النفاق العملي؛ قال عليه الصلاة

---

(١) [البقرة:١٨٥].

(٢) أخرج البخاري (١٩٥٥)، ومسلم (١١٠١): (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِبَعْضِ القَوْمِ: «يَا فُلاَنُ قُمْ فَاجْدَحْ لَنَا"...).

والسلام: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن؛ كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غَدَر، وإذا خاصم فجر"(١)، هذه كلها تجد فيها ظاهراً وباطناً، فهي أعمال تجد صاحبها يظهر الخير ويبطن الشر، وهي خصال من خصال المنافقين، لكنها لا تُخْرِجُ الشخص من الإيمان، إنما الذي يخرج من الإيمان: هو النفاق العقدي؛ وهو أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وهؤلاء كان منهم كثير في عهد النبي ﷺ؛ كانوا من أهل المدينة، ولم يكن منهم أحد من أهل مكة في عهده ﷺ وهو في المدينة؛ ولكن كان من أهل المدينة؛ لأن المهاجرين عندما هاجروا؛ ما كان يهاجر أحد ويخرج من تلك البلاد إلا أن يكون مؤمناً بحق ويفرّ بدينه، أما أهل المدينة؛ فآمن أكثرهم، ورؤوس القبائل التي في المدينة آمنوا؛ فبعضهم كان يظهر الإيمان ويبطن الكفر؛ لأنه لم يكن راضياً عن هذا الإيمان؛ فوُجد المنافقون في أهل المدينة؛ ومنهم عبد الله بن سلول؛ وغيرهم أيضاً؛ لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، وعندما فعلوا بعض الأفاعيل؛ ذُكِرَ للنبي ﷺ قتلهم؛ فقال: "لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"(١).

هذا ما يتعلق بالنفاق الاعتقادي والعملي.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٣٩] واعْلَمْ بأنَّ الدُّنيا دَارُ إيمانٍ وإسلامٍ، وأمَّةُ محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون في أَحْكامِهِمْ ومَوارِيثِهِمْ وذَبائِحِهِم والصلاةِ عليهم، ولا نَشْهَدُ لأحَدٍ بِحَقيقَةِ الإيمانِ؛ حتى يأتي بِجَميعِ شَرائِعِ الإسلام، فإنْ قَصَّرَ في شيء من ذلكَ؛ كان**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

ناقِصَ الإيمانِ، حتى يتوب، واعلم أن الإيمان إلى الله تعالى: تامَّ الإيمانِ أوْ ناقِصَ الإيمان؛ إلا ما أَظْهَرَ لك من تضييعِ شَرائِعِ الإسْلامِ).

قوله: (واعلم بأن الدنيا دار إيمان وإسلام) يعني أن الدنيا دار عمل وطاعة ظاهرة وباطنة.

قال: (وأمة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون) فهذه الدار دار عمل، والدار الآخرة دار جزاء، وأمة محمد ﷺ: كل من تشهَّد الشهادتين، ودخل في الإسلام؛ فهو مؤمن مسلم في ظاهر حاله، ويعامل معاملة المسلمين في ظاهر الحال، وحكمه حكم المسلمين في كل ما يختص به المسلم؛ كالتزويج مثلاً؛ فلا يزوج إن لم يكن مسلماً بمسلمة؛ لقول الله تبارك وتعالى: {ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا}[2]، وكذلك في المواريث؛ لقول النبي ﷺ: "لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم"[3]، وكذلك في الذبائح؛ تؤكل ذبيحة المسلم ولا تؤكل ذبيحة الكافر إلا أهل الكتاب، والصلاة عليه كذلك؛ فيصلى على المسلم؛ لا غير، فهم في حكم الدنيا: مسلمون، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأظهر الإسلام؛ فهو مسلم في ظاهر الحال.

قال: (ولا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان) ماذا يريد بحقيقة الإيمان؟

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) [البقرة:٢٢١].

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

يريد به هنا: كمال الإيمان، لا أصل الإيمان، فلا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان- يعني كماله- حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام، فإذا جاء بشرائع الإسلام كاملة؛ نقول هذا مؤمن كامل الإيمان، فإن ارتكب مخالفة يفسق بها؛ فنقول هو مؤمن ناقص الإيمان، وإذا ارتكب مكَفِّراً يخرجه عن الإسلام؛ فنقول هذا كافر؛ هكذا هو التفصيل في المسألة؛ وسياتي زيادة بيان من المؤلف.

قال: (فإن قَصَّر في شيء من ذلك) يعني: من شرائع الإسلام؛ كمن ترك الصيام مثلاً أو ترك الزكاة أو ما شابه، يُنْقِصُ إيمانه- فإن قَصَّر في شيء من ذلك-؛ (كان ناقص الإيمان حتى يتوب إلى الله سبحانه وتعالى)؛ فيرجع إلى تمام الإيمان.

قال: (واعلم أن إيمانه الى الله تعالى؛ تام الإيمان أو ناقص الإيمان؛ إلا ما أظهر لك من تضييع شرائع الإسلام) يعني: نحكم على الناس بظاهر حالهم، ولا علاقة لنا ببواطن الأمور؛ بواطن الأمور وحقائقها عند الله؛ الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلمها، وهو الذي يحاسب الناس عليها، نحن نحكم على الناس بما أظهروا لنا؛ لأن النبي ﷺ كان يعامل المنافقين على هذا، وكان يعامل الناس على هذا، فمن أظهر الإسلام؛ أُعطي أحكام الإسلام، ومن أظهر الكفر؛ أعطي أحكام الكفر، ومن نافق؛، نعامله على ما يظهر لنا ثم بعد ذلك أمره إلى الله سبحانه وتعالى؛ على هذا ديننا وشرعنا؛ نُعامل الناس على ما أظهروا لنا، وأمور الباطن إلى الله سبحانه وتعالى؛ لذلك قال: (واعلم أن إيمانه) يعني: الحقيقي؛ حقيقة ما يبطن إلى الله سبحانه وتعالى؛ سواء كان هذا الإيمان: (تام الإيمان أو ناقص الإيمان؛ إلا ما أظهر لك من تضييع شرائع الإسلام)؛ عندئذ تحكم عليه على ما حسب ما ضيَّعَ؛ من نقصان الدين.

ثم قال المؤلف: (**[٤٠] والصَّلاةُ على مَنْ ماتَ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ سُنَّةٌ؛ والمَرْجومُ، والزَّاني، والزَّانيةُ، والذي يَقْتُلُ نَفْسَهُ، وغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، والسَّكْرانُ، وغَيْرُهُمْ؛ الصَّلاةُ عليهِمْ سُنَّةٌ**)

يعني أننا نصلي على كل مسلم مات، بما أنه مسلم، هذا هو الضابط في الصلاة على الناس: إذا كان مسلماً ومات في ظاهر حاله على الإسلام؛ فهذا يُصلى عليه؛ لأنه من أهل القبلة، ومن ذلك: المرجوم، وهذه سنة النبي ﷺ، والذي كان عليه الصحابة، والأحاديث في هذا كثيرة: أن النبي ﷺ كان يصلي على الموتى من المسلمين سواء كانوا مرتكبين للمعاصي أو لا؛ من ذلك المرجوم الذي رُجِمَ بالزنى، فقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه صلى على الغامدية التي رجمت بالزنى[1]، فالزاني والزانية يصلى عليهما، وكذلك الذي يقتل نفسهن وإن ورد حديث أن النبي ﷺ قد امتنع من الصلاة على قاتل نفسه[2]؛ إلا أن هذا لا يدلُّ على أنه لا يُصلى عليه مطلقاً؛ فقد ثبت عنه ﷺ أنه ترك الصلاة على أقوام؛ منهم هذا الذي قتل نفسه، ومنهم الذي غلَّ من أموال الفيء[3]، وكذلك الذي كان عليه دين؛ امتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه؛ وقال:

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٥٩) أن بريدة رضي الله عنه.

(٢) أخرج مسلم في "صحيحه" (٩٧٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال : " أُتِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ".

(٣) أخرج مسلم في "صحيحه" (٢٧١٠) عن زيد بن خالد الجهني: (أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تُوُفِّيَ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ». فَتَغَيَّرَتْ وُجُوهُ النَّاسِ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». فَفَتَّشْنَا مَتَاعَهُ فَوَجَدْنَا خَرَزًا مِنْ خَرَزِ يَهُودَ لَا يُسَاوِي دِرْهَمَيْنِ).

"صلوا على صاحبكم"(١)، وكذلك الذي قتل نفسه؛ امتنع من الصلاة عليه، ولم يمنع الصحابة من الصلاة عليه.

إذاً الصلاة عليه مشروعة في أصلها ولابد؛ لأن الصلاة على المسلم واجبة وجوباً كفائياً؛ إذا قام به البعض سقط عن الباقي، لكن يجوز لأهل الفضل ولأهل الخير بين الناس، الذين عرفوا بالعلم والفضل أن يتركوا الصلاة على أمثال هؤلاء؛ ردعاً وزجراً لغيرهم؛ على أن يفعلوا كما كان النبي ﷺ يفعل؛ هذه الغاية- والله أعلم- التي كان النبي ﷺ يترك الصلاة على بعض الأشخاص لأجلها، فلا يقال: تُترك الصلاة عليهم مطلقاً؛ لأن الصحابة كانوا يصلون عليهم حتى وإن امتنع النبي ﷺ من الصلاة، لكن تترك بالنسبة لأهل الفضل وأهل الخير الذين لهم في نفوس الناس مكانة؛ مثل هؤلاء يتركون الصلاة على أمثال هؤلاء ليكون رادعاً وزاجراً لغيرهم، كما كان النبي ﷺ يفعل، لكن من كان من أهل القبلة؛ فلابد من الصلاة عليه؛ سواء كان من الزناة، أو من الذين يقتلون أنفسهم، أو من السكارى وغيرهم؛ الصلاة عليهم سنة؛ أي: سنة النبي ﷺ؛ هديه وطريقته.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٤١] ولا يَخرجُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ مِنَ الإسْلامِ؛ حتى يَرُدَّ آيَةً مِنْ كِتابِ اللهِ عز وجل، أو يَرُدَّ شيئاً مِنْ آثارِ رسولِ اللهِ ﷺ، أو يُصَلِّيَ لِغَيْرِ**

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٩) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

الله، أو يَذْبَحَ لِغَيْرِ الله، وإذا فَعَلَ شيئاً مِنْ ذلكِ؛ فَقَدْ وَجَبَ عليكَ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنَ الإِسْلامِ، فإِنْ لَمْ يَفْعَلْ شيئاً من ذلك؛ فهو مؤمنٌ ومسلمٌ بالاسم لا بالحقيقة).

قال: (ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله)، فمن ثبت له الإسلام بالنطق بالشهادتين، والإتيان بالإسلام الظاهر؛ كالصلاة وغيرها؛ يحكم له بالإسلام، ولا يجوز بعد ذلك إخراجه عن الإسلام إلا بدليل صحيح من الكتاب أو من السنة، وبعد أن تتحقق فيه الشروط وتنتفي الموانع، فمن ثبت أنه مسلم فلا يجوز لك تكفيره حتى:

تثبت أولاً أن الفعل أو القول الذي صدر منه كفر بالكتاب أو السنة أو الإجماع؛ وكفر مخرج من الملة؛ لأن الكفر كفران، فإذا أَثْبَتَّ أنه كفر مخرج من الملة بكتاب الله أو بسنة رسول الله ﷺ، أو بالإجماع؛ عندئذ يجب أن تتحقق فيه الشروط، وتنتفي عنه الموانع؛ حتى تُنَزِّلَ الحكم على المعين؛ ففرق بين أن تطلق الحكم إطلاقاً عاماً، وبين أن تُنَزِّلَهُ على الشخص المعين، يعني مثلاً: عندما تقول الشخص الذي يقول: اللهم أنت عبدي وأنا ربك؛ هذا كافر؛ هذا إطلاق للحكم بشكل عام؛ تقول: من قال هذا الكلام كفر، لكن عندما تريد أن تنزله على الشخص المعين؛ لابد أن تتحقق فيه الشروط، وتنتفي الموانع؛ لأن لتنزيل الأحكام على المعينين شروطاً ولها موانع، سواء كانت هذه الأحكام تكفيراً أو تفسيقاً أو تبديعاً، لابد أن تتحقق؛ حتى ننزل هذا الحكم على الشخص المعين، وقد ذكرنا في الدرس الثاني الشروط والموانع التي يجب أن تتحقق، فإذا تحققت؛ فعند ذلك ينزل الحكم على الشخص المعين، إذاً الأصل عندنا: أن لا نكفره حتى تثبت هذه الأمور.

وهذا كله الذي يذكره المؤلف هنا يريد من ورائه أن يضع حداً لمنهج الخوارج ومنهج المرجئة، كل هذه تفصيلات لردِّ منهج الخوارج ومنهج المرجئة، فالأمر كما قال موسى بن أبي عائشة- رحمه الله وهو أحد أئمة السلف-؛ قال: (ما أمر الله عباده بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، فإما إلى غلو وإما إلى تقصير)[1]؛ هذا الحال في كل أمور الشرع والدين، ومسائل التكفير فيها أناس أصحاب غلو ومجاوزة حد؛ وهم الخوارج، وفيها أناس أصحاب تقصير وتفريط؛ وهم المرجئة، وأهل السنة هم الوسط بين هؤلاء وهؤلاء؛ فلا تكفير مطلقاً، ولا عدم تكفير مطلقاً أيضاً؛ أحكام الله سبحانه وتعالى التي وردت في الكتاب والسنة هي التي نتقيد بها.

قال: (ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام؛ حتى يردَّ آية من كتاب الله عز وجل)؛ هذا سبب من أسباب الردة، وأسباب الردة كثيرة، كلها تثبت بقال الله قال رسول الله ﷺ أو إجماع العلماء على أن قول من الأقوال ردة، وما تكاد تجد كتاباً من كتب الفقه- خاصة الكبيرة منها-؛ إلا وتجد فيها كتاب الردة، ويذكرون هناك أسباب الردة، وأكثر من اعتنى بمسائل الردة: هم الأحناف؛ فتجد في كتب الأحناف إطالةً وتوسُّعاً أكثر من غيرهم.

إذن السبب الأول من أسباب الردة: هو رد آية من كتاب الله تبارك وتعالى؛ التكذيب بآية من كتاب الله؛ هذه ردة، وهذا محل إجماع: تكذيب ما في كتاب الله تبارك وتعالى، وقد قال عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل رضي الله عنه: (من كفر

---

(١) ذكره ابن القيم في الصلاة وأحكام تاركها (ص ١٥٩).

بحرف من القرآن؛ فقد كفر به أجمع)[١]، ونقلوا على ذلك إجماع العلماء لا خلاف بينهم: أن من ردَّ حرفاً متفقاً عليه من القرآن، وقال ليس من القرآن؛ فهو كافر.

قال: (أو يردَّ شيئاً من آثار رسول الله ﷺ)؛ حديثاً نبوياً ثابتاً قطعياً؛ فيكذب به؛ هذا يعدُّ أيضاً من الردة.

قال: (أو يصلي لغير الله)؛ فهو هنا صرف عبادة من العبادات لغير الله، قال الله تعالى: {وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا}[٢]، وقال: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً}[٣]، فصرف عبادة من العبادات لغير الله شرك.

قال: (أو يذبح لغير الله)؛ لأن الذبح عبادة، كما قال عليه الصلاة والسلام: "لعن الله من ذبح لغير الله"[٤]، وقال تعالى: {إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين}[٥].

قال: (وإذا فعل شيئاً من ذلك؛ فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام)، وجوباً؛ فتنزيل أحكام الله على الأشخاص واجب؛ لأن الكافر له أحكام في معاملتك له وفي تعاملهم مع أهل الإسلام، والفاسق له أحكامه، والمؤمن الصالح له أحكامه؛ كل شخص له أحكامه؛ فلابد من إعطاء كل شخص وصفه الذي يناسبه بدلالة الكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (١٥٩٤٦).
(٢) [الإسراء:٢٣].
(٣) [النساء:٣٦].
(٤) أخرجه مسلم (١٩٧٨) عن علي رضي الله عنه.
(٥) [الأنعام:١٦٢].

قال: (وإذا فعل شيئاً من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام)؛ بشرط: أن تتحقق فيه الشروط، وتنتفي الموانع.

قال: (فإذا لم يفعل شيئاً من ذلك فهو مؤمن ومسلم بالاسم لا بالحقيقة)، يعني فيما يظهر لنا هو مؤمن مسلم، وأما الحقيقة؛ فعلمها عند الله تبارك وتعالى.

وهذا الذي ذكره المؤلف أمثلة من أسباب الردة؛ وليست كلها؛ فأسباب الردة كثيرة كما ذكرنا، ومن أراد أن يطلع عليها؛ فيراجع كتب الردة في الكتب الفقهية، كـ "المغني" لابن قدامة.

إذاً هذا هو المنهج العدل والوسط ما بين منهج الخوارج ومنهج المرجئة، فلا غلو في تكفير الناس، ولا تفريط في ذلك؛ بحيث نُعَطِّلُ أحكام الله سبحانه وتعالى ونخلط ما بين الكافر والمؤمن. والذي ينزل هذه الأحكام على المعينين هم العلماء لأنهم هم الذين يعلمون ما تقدم كله، وأما الجاهل فلا يجوز له الدخول في هذا الأمر العظيم الذي تترتب عليه أحكام عظيمة يتعلق بها الولاء والبراء والدماء والأعراض.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٤٢] وَكُلُّ ما سَمِعْتَ مِنَ الآثار شيئاً مِمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ عَقْلُكَ، نحو قول رسول الله ﷺ: "قُلوبُ العِبادِ بَيْنَ أِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصابِعِ الرَّحْمنِ عز وجل"، وقوله: "إنَّ الله يَنْزِلُ إلى السَّماءِ الدُّنْيا"، ويَنْزِلُ يومَ عَرَفَةَ، وينزلُ يومَ القيامةِ، وإنَّ جهنمَ لا يَزالُ يُطْرَحُ فيها حَتَّى يَضَعَ عليها قَدَمَهُ جل ثناؤه، وقول الله تعالى**

للعبدِ: "إنْ مَشَيْتَ إليَّ هَرْوَلْتُ إليكَ"، وقوله: "خلقَ اللهُ آدمَ على صُورَتِهِ"، وقول رسول الله ﷺ: "رأيتُ ربي في أَحْسَنِ صُورَةٍ"؛ وأشْباهِ هذه الأحاديثِ؛ فَعَلَيْكَ

بالتَّسْليمِ والتَّصْديقِ والتَّفْويضِ والرِّضى، ولا تُفَسِّرْ شيئاً مِنْ هذهِ بِهواكَ؛ فإنَّ الإيمانَ بهذا واجبٌ، فمَنْ فَسَّرَ شيئاً مِنْ هذا بِهواهُ، وَرَدَّهُ؛ فَهُوَ جَهْمِيٌّ).

هذه الفقرة لتقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، والمقصود بالأسماء والصفات: أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته، فعقيدة أهل السنة في ذلك: أنهم يثبتون ما أثبت الله لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ ولا يحرِّفون شيئاً من ذلك، ولا يعطلون ولا يشبهون الله سبحانه وتعالى بخلقه.

ويريد المؤلف هنا أن يلزم بالإيمان بمثل هذه الصفات؛ فواجب عليك أن تؤمن بها، وأن تصدق بها، وأن لا تكون معطلاً ولا ممثلاً، وقد ذكرنا فيما تقدم في كل مسالة من المسائل أنك تجد غلاة، وتجد مفرطين؛ والغلاة في هذا الباب هم المعطلة، والمقصِّرون المفرِّطون هم الممثلة.

أما المعطلة فغلوا في التنزيه؛ حتى نفوا عن الله سبحانه وتعالى الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه، فعطلوا صفات الله سبحانه وتعالى؛ فالله يصف نفسه بصفة، وهم يقولون: لا ليست هذه الصفة له؛ هؤلاء هم المعطلة، يزعمون أنهم ينزهون الله سبحانه وتعالى عن النقائص، فإذا قال الله: {بل يداه مبسوطتان}(١)؛ قالوا: ليس له يدان، فهو يخبر عن نفسه أن له يدين، وهم يقولون ليس له يدان.

لماذا؟

---

(١) [المائدة:٦٤].

لأنهم شبهوا يد الله سبحانه وتعالى بيد المخلوق؛ فإن أصل كل معطل أنه مشبه، ما الذي أوصله الى التعطيل؟ أوصله أنه شبه؛ فجعل يد الله سبحان وتعالي كأيدي خلقه، وأدرك حرمة هذا وعظمه وأن فيه وصف الله سبحانه وتعالى بالنقص؛ فأراد أن يفرَّ منه؛ فلجأ إلى التعطيل؛ فعطل؛ فوقع في المحذور الثاني.

انظر! حين يريد أن يهرب؛ فإنه يهرب إلى الطرف الثاني مباشرة؛ هذه هي طريقتهم؛ لذلك تجد العلماء يقولون: كل معطل أصله مشبه، وقع في التشبيه، فأراد أن يفر منه؛ فَفَرَّ الى التعطيل؛ هذه حقيقتهم؛ تجدهم في كل صفة من صفات الله سبحانه وتعالى- أو أكثرها- ينفونها، لا يثبتونها، مع أن أخبار صفات الله سبحانه وتعالى كثيرة ومتواترة في الكتاب والسنة، وما تجد في خبر واحد أن الله سبحانه وتعالى قال هذه الصفات لا أريد ظاهرها، وليست لي حقيقة؛ ما تجد هذا أبداً، ولو أن هذا مراد الله؛ لبيَّن لنا ذلك، لكنه سبحانه وتعالى قال: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}[١]؛ نفي واثبات؛ هكذا يكون التنزيه: لا إفراط ولا تفريط، اعتدال، توسط؛ فلا تعطل كتعطيل المعطل، ولا تشبه كتشبيه المشبه، وكن معتدلاً كاعتدال أهل السنة.

وقد عرفنا التعطيل؛ وهو أن يقول الله سبحانه وتعالى: له يد، وأنت تقول ليس له يد.

وأما التشبيه؛ فتقول: له يد كيدٍ، له يد كيد فلان؛ هذا تشبيه، وهو محرم أيضاً، الله سبحانه وتعالى يقول: {ليس كمثله شيء}؛ اذاً لا يجوز أن تمثل صفات الله بصفات المخلوقين، ويقول: {وهو السميع البصير}؛ إذاً لا يجوز لك أن تعطل صفة السمع وصفة البصر له؛ وقد أثبتها لنفسه؛ إنما تقول: له سمع وله بصر يليق بجلاله وعظمته، ونحن لنا

---

(١) [الشورى:١١].

سمع وبصر يليق بنقصنا؛ وبهذا تكون قد حققت معنى الآية كاملة، ولم تأخذ طرفاً من الآية وتترك الطرف الآخر؛ هكذا تكون مؤمناً ومُسَلِّماً لما أراد الله سبحانه وتعالى من معان.

هذا المعنى الذي أراده المؤلف من قوله: "قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء"[1]؛ نثبت لله الأصابع، ولا يلزم من كون القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن: المماسة كما يدعون؛ لا؛ فإنك تجد القمر مثلاً ما بين السماء والأرض؛ وليس مماساً لها؛ ولله المثل الأعلى؛ فنقول: لله أصابع حقيقية تليق بجلاله وعظمته، هل هي كأصابعنا؟ لا؛ نعوذ بالله، تنزه الله سبحانه وتعالى عن هذا، أصابعنا أصابع مخلوقين، وأصابع الله سبحانه وتعالى أصابع رب العالمين، فرق بين هذا وهذا، كما تقول: الله موجود، ونحن موجودون، هل وجود الله كوجودنا؟ لا؛ فرق.

الله له ذات ونحن لنا ذوات؛ هل ذات الله كذاتنا؟ لا.

فكما تقول في هذا؛ قل في البقية على نفس الوتيرة

قال: (فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضى) تسلم بما جاء عن الله وعن رسول الله ﷺ، وتصدق بكل ما فيها من معان.

(والتفويض) تفويض الكيف؛ هذا المقصود هنا؛ تصدق بالمعنى وتفوض الكيف؛ فالله له سمع وله بصر، تؤمن بهذا المعنى، لكن على ما ذكرنا من غير تشبيه، وتفوض الكيفية؛ فلا تقول: كيف يسمع؟ كيف يبصر؟ لا؛ لا على علاقة لك بهذا؛ الله أعلم،

---

(١) أخرجه أحمد (١٢١٠٧)، والترمذي (٢١٤٠) عن أنس رضي الله عنه.

والقاعدة التي ذكرها لنا الإمام مالك بن أنس: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة)، هذه قاعدة قعدها لنا الإمام مالك رحمه الله؛ فالاستواء معلوم: أي المعنى، الاستواء معلوم لا يجهله أحد يفهم اللغة العربية، معناه العلو، والكيف مجهول لا نعلمه، الله أعلم؛ لأن الله سبحانه الذي أخبر عن نفسه ونحن لا ندرك صفات الله إلا بما أخبرنا الذي أخبر عن نفسه؛ فنحن لا نرى الشيء الغائب عنا؛ فكيف ندركه؛ إما أن نراه، أو أن يوصف لنا، فلم نرَ الله، ووصف لنا نفسه بهذا؛ إذاً نؤمن بما وصف لنا نفسه به، ولا نغير ولا نبدل.

هل ذكر لنا الكيفية؟

لا لم يذكر؛ فنسكت عنها؛ هذه طريقتنا في التعامل مع الأمور الغيبية، ما سكت الله عنه؛ نسكت عنه، وما ذكره لنا؛ نؤمن به ونصدق.

وهناك فرق بين تفويض الكيف وتفويض المعنى؛ فانتبه، عندما تقول: أفوض المعنى: يعني أنك لا تثبت ما أثبت الله لنفسه، تقول الاستواء؛ لا أدري ما هو الاستواء، أفوض معناه إلى الله تعالى؛ هذا هو تفويض المعنى، وهذا باطل؛ هو تجريد للألفاظ من معانيها، تسمع: {بل يداه مبسوطتان}؛ تقول: ما أدري معنى اليدين.

كيف لا تعرف معنى اليدين!؟ معنى اليدين معروف في اللغة العربية.

يحب الله ويرضى الله سبحانه وتعالى، ألا تعرف معنى يحب الله ويرضى الله سبحانه وتعالى؟ كل هذا معروف في اللغة العربية.

فلا تقول: أفوض المعنى، وعلى هذا السلف رضي الله عنهم، وقد سئل أبو العالية الرياحي عن الاستواء؛ فقال: (العلو والارتفاع)، وهو من أئمة السلف؛ من التابعين، أخذ عن سبعين من أصحاب النبي ﷺ، هذه طريقتهم، إذاً ما كانوا يفوضون المعنى؛ إنما يفوضون الكيف، كما قال الإمام مالك تماماً: (الاستواء معلوم)؛ أين تفويض المعنى إذا؟

فهذه طائفة من أهل البدع، يفوضون المعنى، وتسمى: المفوضة، وهي فرقة من فرق الأشاعرة، والأشاعرة قسمان: أشاعرة مفوضة وأشاعرة محرِّفة؛ يسمونهم مؤولة، وكلهم يريدون أن يتخلصوا من الصفات التي أثبتها الله لنفسه؛ لكنهم اختلفوا في الطريقة، فالمفوض يقول لك: نحن نجهل، لا ندري، ونسبوا هذا المعنى للسلف؛ لذلك عندهم السلف جهال ما يفهمون؛ لذلك من قواعدهم أنهم يقولون: مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم، ولم يعطوا السلف قدرهم الذي يستحقونه في العلم والمكانة، السلف عندما سكتوا عن أشياء؛ سكتوا بعلم، والخلف عندما تكلموا فيما تكلموا؛ فإنما تكلموا بسبب الجهل، مسائل كثيرة يسكت عنها العالم، والجاهل يتكلم فيها، ليس معنى أنه تكلم أنه عالم؛ أحياناً يكون العكس؛ لذلك ينسبون هذا المنهج- الذي هو منهج الجهل، عقيدة الجهل- ينسبونها إلى السلف، وينسبون العلم إلى أنفسهم؛ وإنما بسبب جهلهم وقعوا في هذا.

اذاً الأشاعرة قسمان: مفوضة ومحرفة، فعندما تسمع عن بعض السلف كلمة: "من غير تفويض"؛ فلا يعني تفويض المعنى؛ وإنما تفويض الكيف، وفرق بين هذا وهذا.

(والرضى) أي: الرضى بما جاء عن الله سبحانه وتعالى.

قال: (ولا تفسِّر شيئاً من هذه بهواك) هذا المعنى الذي ذكره موضحاً هنا؛ تجده في بعض المواطن الأخرى غير موضح؛ فيستدل بها المفوضة؛ يقولون: انظر كيف هو مذهب السلف؟ يأتون لقول الإمام أحمد وغيره حين يقول: (نثبت الصفات من غير تفسير، من غير معنى)؛ فيقولون: انظر هذا هو منهج السلف: (يقولون من غير تفسير، ومن غير معنى)؛ هذا من جهلهم.

لكن ما المقصود هنا؟

مقصود السلف عندما يقولون: (نثبت الصفة من غير معنى) أو (من غير تفسير): أي: من غير معنى الذي تذهب إليه الجهمية، ومن غير تفسير كتفسير الجهمية الذين يفسرون بالهوى؛ لذلك بيَّن هنا وقال: (ولا تفسر شيئاً من هذا بهواك) على مزاجك، كيفما يخطر على بالك، و كما تحب أنت وتهوى؛ لا؛ بل التفسير يكون على ما جاء به السلف رضي الله عنهم، على حسب المقتضيات العربية، لا يخرجون عن ذلك، أما أن تأتي لليد؛ فتقول: بمعنى القوة، والإرادة: النعمة، والمحبة: بمعنى إرادة الإنعام، والرضا: بمعنى إرادة الأنعام، وما شابه؛ هذا كله باطل، هذا تفسير بالهوى.

قال: (ولا تفسر شيئاً من هذه بهواك؛ فإن الإيمان بهذا واجب) واجب عليك أن تؤمن بصفات الله كما جاءت.

قال: (فمن فسَّر شيئاً من هذا بهواه، ورَدَّه؛ فهو جهمي)، وقد عرفت معنى جهمي، يعني: من أتباع جهم بن صفوان، والجهم بن صفوان هذا أحد رؤوس الضلال الذين حرفوا الصفات، ولم يثبتوا معانيها، فنفوا عن الله تبارك وتعالى الأسماء والصفات، وهو

أول من أظهر القول بخلق القرآن- أن القرآن مخلوق-، وقال بنفي الأسماء والصفات، وقال إن الإيمان مجرد المعرفة بالقلب؛ هذه من ضلالاته وضلالته كثيرة.

والسلف كانوا يطلقون الجهمية على كل من حرف الصفات، فتارة تجدهم يعممون فيقولون: الجهمية ويدخلون في ذلك كل من حرف الصفات، وتارة يفصلون ويفرقون بين الجهمي والمعتزلي والأشعري؛ لأنهم على درجات؛ منهم من ينفي أسماء الله وصفاته كلها فلا يثبت لله اسماً ولا صفة؛ وهؤلاء هم الذين يسمون بالجهمية، قد كفرهم علماء السلف؛ لأن مقتضى قولهم: أنه لا يوجد إله؛ فلا أسماء ولا صفات؛ إذاً لا شيء، ومنهم من يثبت الأسماء ولا يثبت الصفات؛ وهؤلاء المعتزلة، وأيضاً كفرهم جمعٌ من علماء الإسلام، ومنهم من يثبت الأسماء وبعض الصفات؛ وهم الأشاعرة، وهناك فرق أخرى؛ لكن هذه أشهر الفرق؛ الذين خلطوا في أسماء الله وصفاته وجحدوها وحرفوها عن معانيها الصحيحة.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٤٣] ومَنْ زَعَمَ أنه يرى رَبَّهُ في دارِ الُّدنيا؛ فهو كافِرٌ بالله عز وجل**)

لأن العلماء مجمعون على أن الله سبحانه وتعالى لا يُرى في الدنيا؛ إنما يرى في الآخرة، أما في الدنيا؛ فلا، فإذا كان موسى عليه السلام وهو من أفضل خلق الله تبارك وتعالى قال: {رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرَّ مكانه فسوف تراني...}[١] إلى آخر الآية، فهذا موسى قد مُنِع من الرؤية، وقال له: {لن تراني} أي: في الدنيا، وعلى ذلك أجمع العلماء: أنه لا أحد يمكنه أن يرى ربه في

(١) [الأعراف:١٤٣].

الدنيا، واختلفوا في النبي ﷺ أرأى ربه عندما أسري به أم لا؟ هذه المسألة محل خلاف، فهو الوحيد الذي اختلفوا فيه؛ والصحيح: أنه لم يره بعينه.

قال المؤلف: (**[٤٤] والفِكْرَةُ في الله بِدْعَةٌ؛ لقول رسول الله ﷺ: "تَفَكَّروا في الخَلْقِ ولا تَفَكَّروا في الله"؛ فإنَّ الفِكْرَةَ في الرَّبِّ تَقْدَحُ الشَّكَّ في القَلْبِ**).

يعني التفكر في ذات الله والتفكر في كيفية أسماء الله وصفاته وأفعاله هذا محظور ممنوع؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: {ولا يحيطون به علما}(١)، فلا يجوز لأحد أن يتفكر في ذات الله؛ فالشيطان يتدرج بالعبد إلى أن يوصله إلى المحظور، حتى إن النبي ﷺ عندما ذكر له بأن أحدهم يبقى يتدرج به الشيطان حتى يقول: هذا الله خلق كل شيء من خلق الله سبحانه وتعالى؟ أو كيف وجد الله سبحانه وتعالى؟ أو بهذا المعنى؛ قال النبي ﷺ :"ولينته"(٢)، يعرض عن هذا التفكير الذي يطرأ على ذهنه، ولا يسترسل في هذه الأمور، ولا يتفكر فيها؛ إنما يكون التفكر في المخلوقات، يتفكر في خلق الله سبحانه وتعالى، تتأمل فيها؛ يزيد إيمانك ويعظم؛ هذا الذي أمرنا بالتفكر فيه.

---

(١) [طه:١١٠].

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤)، ولفظه: " يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته ".

وأما حديث: "تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الله"[(١)]؛ فلا يصح، وطرقه لا تقويه عندي، وربما يصح موقوفاً. والله أعلم

قال المؤلف رحمه الله: (**[٤٥] واعْلَمْ أَنَّ الهوامَّ، والسِّباعَ، والدَّوابَّ؛ نحو الذَّرِّ، والذُّبابِ، والنَّمْلِ؛ كُلُّها مَأْمورَةٌ، ولا يَعْلَمونَ شيئاً إلا بإذن الله تعالى**) .

الهوام: كالطيور، والسباع: كالأسود والنمور وما شابه، والدواب؛ كل ما دبَّ على وجه الأرض، والذر: المقصود به النمل الصغير.

قال: (كلها مأمورة)، أي: مأمورة أوامر كونية، فما أمرها الله سبحانه تفعله كوناً، وهي لا تعلم شيئاً إلا ما علمها الله سبحانه وتعالى، كما قال الله سبحانه: {الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى}[(٢)]؛ هدى المخلوقات كل إلى طريقه وعمله الذي يعمله، هداه وعلمه ما يحتاج إليه من كيفية الحصول على المطعم والمشرب، وكيف يأكل وكيف يشرب وكيف يرعى أبناءه ... إلى آخره، وقال الله سبحانه وتعالى: {ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}[(٣)]، أي: أعطى كل شيء صورته، ثم هداه لما يصلحه من مطعم ومشرب وغير ذلك من أموره؛ كله يعلمه الله سبحانه، وهو الذي عَلَّمَ هذه الدواب كيف تسير في حياتها.

---

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (٣٢٤) بعد أن ذكر طرقاً للحديث: وأسانيدها ضعيفة، لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى صحيح، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا: لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله، فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله. انتهى، وخرجه وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٨٨).

(٢) [الأعلى:٢-٣].

(٣) [طه:٥٠].

قال المؤلف رحمه الله: (**[٤٦] والإيمانُ بِأَنَّ الله تعالى قَدْ عَلِمَ ما كانَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ، وما لَمْ يَكُنْ، وما هو كائِنٌ؛ أَحْصاهُ وَعَدَّهُ عَدَّاً، ومَنْ قالَ: إِنَّهُ لا يَعْلَمُ إلا ما كان، وما هو كائِنٌ؛ فقد كفرَ بالله العظيم**).

هذه الفقرة لإثبات علم الله تبارك وتعالى

وأن الله سبحانه عالم بكل شيء كما قال في كتابه: {والله بكل شيء عليم}[1]، وهذا لا يستثنى منه شيء؛ فالله عالم بكل شيء؛ ما حصل، وما لم يحصل، وما لم يحصل لو حصل كيف سيحصل، وكل هذه الأمور يعلمها الله سبحانه وتعالى، ولا يخفى عنه علم شيء.

قد علم الله ما كان من أول الدهر؛ من أول هذا الكون، ما قد كان وحصل؛ علمه الله سبحانه وتعالى، وما لم يكن كذلك يعلمه الله، وما هو كائن- أي: وما هو حاصل-؛ أيضاً يعلمه الله سبحانه وتعالى، فلا يخفى عنه علم شيء؛ وكل شيء أحصاه وعده عداً.

وقد جاء في الحديث أيضاً: "أن الله سبحانه وتعالى، أمر القلم أن يكتب؛ فكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة"[2]، وقال: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء "[3]، فكل شيء كائن بعلم الله تبارك وتعالى ولا يفوته علم شيْء.

---

(١) [البقرة:٢٨٢].

(٢) أخرجه أحمد (٣٧/ ٣٧٨)، وأبو داود (٤٧٠٠)، وغيرهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

قال: (ومن قال إنه لا يعلم ما كان وما هو كائن؛ فقد كفر بالله العظيم) يريد من هذا بعض الطوائف كالقدرية؛ قالوا بأن الله سبحانه لا يعلم إلا ما حصل، سواء حصل في الحاضر أو في الماضي مباشرة، أما ما سيحصل من أمور غيبية ستأتي؛ فهذا لا يعلمه الله؛ وهذا كفر بالله العظيم؛ فإنكار علم الله أو بعض علم الله تبارك وتعالى كفر؛ لأن صاحبه مكذب بكتاب الله، وواصف ربه تبارك وتعالى بالنقص العظيم؛ فوصفُه بالجهل نقص عظيم، وهذا كفر واضح وبواح، وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: (ناظروا القدرية بالعلم، فإن هم أجابوا؛ خصموا، وإن أنكروا؛ كفروا)[(١)].

قال المؤلف رحمه الله: (**[٤٧]: ولا نِكاحَ إلا بولِيٍّ وشاهِدَيْ عَدْلٍ وصَداقٍ؛ قَلَّ أو كَثُرَ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ لها وَلِيٌّ؛ فالسُّلْطانُ وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ له**).

هذه من المسائل الفقهية التي أدخلها المؤلف في الكتاب، ولمّا جاءت فيها نصوص واضحة وصريحة، وخالفها البعض؛ أدخلها المؤلف في هذا الكتاب، فقال: لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل، وحديث: "لا نكاح إلا بولي"[(٢)]؛ حديث صحيح ثابت، ولا يصح النكاح بامرأة إلا أن يكون وليها حاضراً موافقا على هذا النكاح، فالوليُّ شرط في صحة النكاح- ونعني ولي المرأة؛ لا ولي الرجل؛ فالرجل لا يحتاج إلى ولي عند النكاح، ولكن المرأة هي التي تحتاج الولي-؛ فلا يصح النكاح إلا بولي، ووليها يكون عادة أبوها أو جدها وأخوها أو ابنها؛ أي: عصبتها من الرجال.

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣٢/ ٢٨٠)، وأبو داود (٢٠٨٥)، وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري.

"لا نكاح الا بولي"؛ هكذا جاء لفظ الحديث عنه ﷺ، وأما لفظ: "وشاهدي عدل"[(١)]؛ ففي صحتها نزاع بين العلماء.

قال: (وصداق قَلَّ أو كثر)، الصداق هو المهر؛ فسواء قل هذا المهر أو كثر؛ لابد منه، فهو واجب، فلابد من تسمية مهر، أكَّد عليه النبي ﷺ في عدة أحاديث، فلا بدَّ من تسمية مهر للمرأة ولو ديناراً واحداً، لكن لا تتوقف صحة العقد عليه؛ يعني: لو أن شخصاً تزوج امرأة، ولم يسم لها المهر؛ فالعقد صحيح ،لكن بعد ذلك يُلْزَمُ بمهر المثل، يعني: عادة كم يكون مهر المرأة التي تزوجها بين النساء؟ فيلزم بمهر كهذا.

لكن الأصل أن يسميَ مهراً قبل عقد الزواج، وكما ذكرنا: إذا لم يسمِّ مهراً؛ لا يكون العقد باطلاً، لكن لابُدَّ من مهر؛ سواء قَلَّ هذا المهر أو كثر، وقد قال عليه الصلاة والسلام لرجل أراد أن يتزوج: "التمس ولو خاتماً من حديد"[(٢)].

قال: (ومن لم يكن لها ولي؛ فالسلطان ولي من لا ولي له) يعني: إن لم يكن للمرأة ولي؛ فعندئذ يقال: السلطان وليّ من لا ولي له.

وهذا يحصل خاصة في بلاد الغرب بين المسلمين كثيراً؛ إذ تكون المرأة بلا ولي لها من أقرباء مسلمين؛ فعندئذ يقال: "السلطان ولي من لا ولي له" إذا كان السلطان مسلماً، كما قال النبي ﷺ في حديث عائشة: "لا نكاح إلا بولي"، وفيه: "والسلطان ولي من

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٠٧٥) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٢١)، ومسلم (١٤٢٥) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

لا ولي له"[1]، فإن لم يكن للمرأة ولي؛ فيُرْفَعُ أمرُ زواجها الى الوالي، ويقوم مقامه اليوم: القاضي؛ فهو يزوجها. وإذا كانت المرأة في بلاد الكفار فتنظر لها رجلاً مسلماً يزوجها. وقد ذكرنا أن هذه المسألة من المسائل الفقهية.

قال المؤلف: (**[٤٨] وإذا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلاثاً؛ فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ، لا تَحِلُّ لَهُ حتى تَنْكِحَ زَوْجَاً غَيْرَهُ**).

إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً، بمعنى أنه طلقها الطلقة الأولى، ثم بعد ذلك أرجعها، ثم طلقها الثانية، ثم أرجعها، ثم طلقها الثالثة؛ فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره؛ لقول الله تبارك تعالى: {الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان}[2] الطلاق مرتان، ثم بعد المرتين؛ إما أن يمسكها بمعروف أو أن يسرحها بإحسان؛ فالطلقة الثالثة هي الفاصلة بين الرجل والمرأة، فإذا طلقها الثالثة؛ فلا تحل له، ولا يجوز له إرجاعها أو زواجها مرة رابعة؛ إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره؛ نكاح رغبة، وليس تحايلاً ولفاً ودوراناً؛ فيتزوجها رجل يريدها حقيقة زوجة له، ثم بعد ذلك إن طلقها أو مات عنها؛ عندئذ يجوز للرجل الأول أن يتزوجها من جديد؛ هذا في حال أن تكون الطلقات متفرِّقات؛ لكن إن كانت الطلقات متتابعة؛ فيقول لها أنت طالق، طالق، طالق؛ هذه مسألة اختلف فيها العلماء، والخلاف فيها حاصل بسبب حديث عند مسلم في "صحيحه": أن ابن عباس قال: كَانَ الطَّلَاقُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَسَنَتَيْنِ مِنْ

---

(١) لفظه عند أبي داود (٢٠٨٣)، والترمذي(١١٠٢): " أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهَا، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَالْمَهْرُ لَهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا، فَإِنْ تَشَاجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ".

(٢) [البقرة:٢٢٩].

خِلَافَةِ عُمَرَ، طَلَاقُ الثَّلَاثِ وَاحِدَةً، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِنَّ النَّاسَ قَدِ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أَنَاةٌ، فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ، فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ)[١]، هذا الحديث هو سبب الخلاف بين العلماء؛ هذه الثلاث المتتابعة تقع ثلاثاً أم تقع واحدة، هذا الخلاف حاصل بسبب هذا الحديث الذي ذكرناه، وظاهر الحديث يدل على أن سنة النبي ﷺ: أن الثلاث تقع واحدة؛ وهو الصحيح إن شاء الله.

قال: (وإذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً؛ فقد حَرُمَتْ عليه، لا تحل له؛ حتى تنكح زوجاً غيره) وكما ذكرنا لابد في هذا النكاح من أن يكون النكاح حقيقياً، وليس نكاحاً من أجل التحايل، فهذا الرجل الذي يأتي ويتزوج المرأة من أجل أن يحلها لزوجها الأول؛ هذا يسمى: التيس المستعار، وهذا النكاح يعتبر نكاحاً غير صحيح، ولا تحلُّ به للرجل الأول، ولابد من الدخول أيضاً؛ لأن النبي ﷺ قال للمرأة التي رغبت بالرجوع لزوجها الأول: "حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك"[٢]؛ إذاً لابد من الدخول.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٤٩] ولا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله ويَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسولُهُ؛ إلا بِإِحْدَى ثَلاثٍ: زِنا بَعْدَ إحْصانٍ، أَوْ مُرْتَدٍ بَعْدَ إِيمانٍ، أَوْ قَتَلَ نَفْساً مُؤْمِنَةً بِغَيْرِ حَقٍّ؛ فَيُقْتَلُ به، وما سِوى ذلكَ؛ فَدَمُ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ حرامٌ أَبَداً حتى تَقومَ السَّاعَةُ**).

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٢).

(٢) أخرجه البخاري(٢٦٣٩)،ومسلم (١٤٣٣) عن عائشة رضي الله عنها.

هنا يركِّز المؤلف على حرمة دم المسلم وعدم جواز سفكه، وقد جاء في أحاديث كثيرة ما يدل على حرمة دم المسلم، فإذا كان الرجل يشهد الشهادتين؛ فالأصل فيه أنه مسلم، لا يجوز سفك دمه، ولا يجوز تكفيره إلا ببينة واضحة، أما تكفيره؛ فهذا موضوع آخر، وأما سفك دمه؛ فيحرم؛ لأن الأصل في دم المسلم التحريم؛ لما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا"(١)، فإذاً دماء المسلمين محرمة، والله سبحانه وتعالى قال: {ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذاباً أليما}(٢)، فتبين هذه الآية عظم دم المسلم.

وقال النبي ﷺ: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"(٣)، فسمى قتل المسلم كفراً.

وقال ﷺ: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"(٤)، فسمى هنا أيضاً قتال المسلم كفراً، فهذا الذنب ليس سهلاً؛ أن تسفك دم المسلم، وتتهاون فيه، إذا أردت أن تتورع؛ فتتورع عن قتله، ولا تتورع بقتله، إذا أردت أن تتورع؛ فتتورع عن تكفيره، لا أن تتورع عن وصفه بالإسلام، هكذا التورع.

ذكر لنا بعض الاخوة الثقات في سورية، يقول: (إن أحد الخوارج اختلف هو وصاحبه في كفر أحد المسلمين، وأراد أن يقتل مسلماً؛ هذا يقول: هو كافر، وهذا

---

(١) أخرجه البخاري(٦٧)، ومسلم(١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.
(٢) [النساء:٩٣].
(٣) أخرجه البخاري(١٢١)، ومسلم(٦٥) عن جرير رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري(٤٨)، ومسلم (٦٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

يقول: ليس كافراً، فقال الأول: أنا أتورع فيه وأكفره لله)، هو يتقرب إلى الله ويتورع فيه؛ فيكفره، من أجل أن لا يقع في الإثم كفره، هذا الحال وهذه الفوضى الموجودة الآن في الساحة، فالأصل عندنا: أن المسلم محرَّم تكفيره إلا بدليل واضح من الكتاب والسنة، محرَّم سفك دمه للأدلة التي عرضناها، والتي تدل على حرمة قتل المسلم، وجاء في الحديث أيضاً: أن النبي ﷺ قال فيمن شهد الشهادتين: أنه لا يحل قتله إلا بإحدى ثلاث(١)، حتى عثمان رضي الله عنه عندما اجتمعوا عليه وأرادوا قتله؛ قال لهم: إني سمعت النبي ﷺ يقول: "من شهد الشهادتين لا يحل قتله أو فقد حرم ماله ودمه إلا بإحدى ثلاث"، قال وإني لم أرتكب شيئاً من هذه الثلاث(٢).

قال: (زنا بعد احصان) الذي تزوج ودخل بالمرأة؛ يسمى محصناً، فهذا إذا زنا؛ فحدُّه في الشرع الرجم، فيقتل.

قال: (أو مرتد بعد إيمان)؛ لقول النبي ﷺ: "من بدَّل دينه فاقتلوه"(٣)، فهذا يحل دمه لأنه غَيَّر دينه.

قال: (أو قتل نفساً مؤمنة بغير حق؛ فيقتل به).

---

(١) أخرجه البخاري(٦٨٧٨)، ومسلم(١٦٧٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرج أحمد في مسنده(٤٥٢): حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُغِيرَةَ بْنَ مُسْلِمٍ أَبَا سَلَمَةَ ، يَذْكُرُ عَنْ مَطَرٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ عُثْمَانَ أَشْرَفَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ مَحْصُورٌ، فَقَالَ: عَلامَ تَقْتُلُونِي؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، يَقُولُ: " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاثٍ: رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ فَعَلَيْهِ الرَّجْمُ، أَوْ قَتَلَ عَمْدًا فَعَلَيْهِ الْقَوَدُ، أَوِ ارْتَدَّ بَعْدَ إِسْلامِهِ فَعَلَيْهِ الْقَتْلُ "، فَوَاللهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلا إِسْلامٍ، وَلا قَتَلْتُ أَحَدًا فَأُقِيدَ نَفْسِي مِنْهُ، وَلا ارْتَدَدْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

(٣) أخرجه البخاري(٣٠١٧) عن ابن عباس رضي الله عنه.

هؤلاء الثلاث يجوز قتلهم، وأما غير هؤلاء، بما أنه مسلم يشهد الشهادتين؛ فيبقى دمه على التحريم للأدلة التي تقدمت.

ولعظم حرمة دم المسلم نهى النبي ﷺ عن الخروج على الحاكم المسلم؛ لأن من أعظم المفاسد التي تترتب على الخروج على الحاكم المسلم سفك دماء المسلمين، فدم المسلم أمره عظيم عند الله سبحانه وتعالى، قال النبي ﷺ :"لزوال الدنيا أهون عند الله من سفك دم مسلم"(١)، إذاً دم المسلم عند الله عظيم، فينبغي على الإنسان أن يتورع عنه تورعاً شديداً، ويجتنب الاشتراك في أمر فيه سفك لدماء المسلمين، حتى إن أول ما يحاسب عليه العباد يوم القيامة عند الله بعد الصلاة، فيما يتعلق بالمعاملات؛ هي الدماء؛ لعظمها، قال عليه السلام: "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء"(٢)، وأما في العبادات؛ فأول ما يحاسب عليه هو الصلاة؛ لعظمها، فيحاسب على ما هو أعظم أولاً، فينبغي على المسلم أن يتورع عن دم المسلم بقدر ما أمكنه.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٥٠] وكُلُّ شي مِمَّا أَوْجَبَ اللهُ عليهِ الفَناءَ يَفْنى؛ إلا الجَنَّةَ والنَّارَ والعَرْشَ والكُرْسِيَّ والصُّورَ والقَلَمَ واللَّوْحَ؛ ليس يفنى شيء من هذا أبداً، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ الخَلْقَ على ما أماتَهُمْ عليه يَوْمَ القِيامَةِ، ويُحاسِبُهمْ بِما شَاءَ؛ فَريقٌ في الجَنَّةِ، وفَريقٌ في السَّعيرِ، ويقولُ لسائِرِ الخَلْقِ مِمَّنْ لَمْ يُخْلَقْ لِلْبقاءِ: كونوا تُراباً**).

---

(١) أخرجه النسائي(٣٩٦٨)، والترمذي (١٣٩٥) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه مرفوعاً، وأخرجه النسائي (٣٩٨٨) موقوفاً على ابن عمرو.

(٢) أخرجه البخاري(٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

كل شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى؛ لقول الله تبارك وتعالى: {كل من عليها فان}[(١)]، لكن هذا العموم دخله التخصيص، فهو عموم مخصوص؛ لذلك قال المؤلف في لفظه: (وكل شي من مما أوجب الله عليه الفناء)، إذن ليس كل شيء على الإطلاق يفني؛ بل مما أوجب الله عليه الفناء، فمما لا شك فيه أن الجنة والنار لا تفنيان: {خالدين فيها أبداً}[(٢)]، {عطاء غير مجذوذ}[(٣)]، هذه الأدلة التي دَلّت على بقاء الجنة وبقاء النار؛ كلها تدل على أن الجنة والنار لا تفنيان، إذاً هذا مما تخصص به الآية.

وكذلك العرش؛ لأن العرش هو سقف الجنة، فبقاء الجنة؛ بقاء للعرش.

والكرسي والصور والقلم واللوح؛ العلماء يذكرونها على هذا النحو، وهذا يحتاج إلى مزيد بحث عن أدلة هذه المذكورات، فنسَلِّم نحن الآن مع العلماء فيما ذكروه، ولم يسعفني الوقت للبحث عن أدلة هذه المذكورات، وأما الجنة والنار والعرش؛ فأمرها واضح.

قال المؤلف: (ليس يفنى شيء من هذا أبداً)؛ وعليه أهل العلم.

قال: (ثم يبعث الله الخلق على ما أماتهم عليه يوم القيامة)، أي: يبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه من أعمال، فمن مات على الكفر؛ يبعث على الكفر، ومن مات على الإيمان؛ يبعث على الإيمان.

قال: (ويحاسبهم بما شاء) الناس في الحساب أنواع؛ البعض من المؤمنين من لا يحاسب مطلقاً؛ فيدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، ومنهم السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة

---

(١) [الرحمن:٢٦].

(٢) [النساء:٥٧].

(٣) [هود:١٠٨].

بغير حساب ولا عذاب، ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً، وهذا عَرْضُ الأعمال؛ يعرض عليه عمله فيقال له: فعلت كذا وكذا، مجرد عرض، من عرِضَ عليه عرضاً؛ فهذا لا يهلك، أما من نُوقِشَ الحساب؛ فقد جاء في الحديث: "من نوقش الحساب عذب"(١)، فمن حصل له نقاش لحسابه؛ فيُعَذّب، والكافر لا يحاسب حساب موازنة؛ وإنما يقرر بأعماله، يقال له: فعلت كذا وكذا، ويؤخذ به الى جهنم-أعاذنا الله وإياكم-.

قال: (فريق في الجنة) بعد ذلك (وفريق في السعير)؛ يعني: فريق يذهب إلى الجنة وفريق النار وأدلة هذا كثيرة.

قال: (ويقول لسائر الخلق ممن لم يخلق للبقاء: كونوا تراباً) بقية الخلق، يعني: البعض يذهب إلى الجنة وهم المؤمنون، والبعض يذهب إلى النار وهم الكافرون، والمؤمنون الفسقة الذين يدخلون النار يخرجون منها إلى الجنة؛ وأما الذين خلقوا لغير البقاء كالحيوانات مثلاً؛ فهؤلاء يقال لهم: كونوا تراباً، كما جاء في آية: {ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا}(٢)، هنا قال أهل العلم: إذا رأى الكافر ما يحصل لهذه الحيوانات عندما يفصل الله سبحانه وتعالى بينها ويقتص لبعضها من بعض، يقول لها كوني تراباً؛ كما جاء في الحديث، فإذا رأى الكافر ذلك؛ قال: يا ليتني كنت تراباً.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٥١] والإيمانُ بِالْقصاصِ يَوْمَ القِيامَةِ بَيْنَ الخَلْقِ كُلِّهِمْ؛ بني آدمَ والسِّبَاعِ والهَوامِّ، حتى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ، حتى يَأْخُذَ اللهُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ؛ لأَهْلِ الجَنَّةِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) [النبأ:٤٠].

مِنْ أَهْلِ النَّارِ، ولأَهْلِ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، ولأَهْلِ الجَنَّةِ بَعْضهمْ مِنْ بَعْضٍ، ولأَهْلِ النَّارِ بَعْضِهم مِنْ بَعْضٍ)

معنى القصاص في هذا الموطن: أخذ حقوق بعضهم لبعض.

قال: (والإيمان بالقصاص) واجب (يوم القيامة بين الخلق كلهم؛ بني آدم والسباع والهوام) يعني الطيور، (حتى للذرة من الذرة) يعني النملة الصغيرة عندما تعتدي على النملة الصغيرة؛ سيُقتص من المعتدية للمظلومة، (حتى يأخذ الله) عز وجل (لبعضهم من بعض؛ لأهل الجنة من أهل النار، ولأهل النار من أهل الجنة، ولأهل الجنة بعضهم من بعض، ولأهل النار بعضهم من بعض)؛ الكل، كل من له حق عند غيره؛ سيأخذ حقه، حتى لو كان كافراً له حق عند مسلم؛ سيأخذ حقه من المسلم؛ ما يظلم أحدٌ يوم القيامة؛ كل واحد يأخذ حقه كاملاً لقوله ﷺ: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقادَ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء"[(١)]، الشاة القرناء التي لها قرون، عندما تعتدي على الشاة التي لا قرون لها، يقتص للتي لا قرون لها من التي لها قرون؛ وهي المعتدية، وجاء في الحديث: "إن الله ينادي يوم القيامة فيقول: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ" واللطمة هي ضربة الكف، حتى هذه فيها قصاص، قال: (قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟)،أي: ليس معنا شيء، عراة حتى الثياب غير موجودة؛ إذا كيف يكون

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

القصاص؟ بماذا يعطون التعويض؟ فقال النبي ﷺ: "بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ"[١]، إذا جاء الشخص ليس عنده حسنات وعنده سيئات؛ يؤخذ من سيئات الآخر وتوضع عليه؛ بهذا يحصل القصاص، إذا كان عنده حسنات يؤخذ من حسناته ويُعْطى المظلوم، إذاً الحساب ليس بالدرهم ولا الدينار؛ إنما بالحسنات والسيئات؛ هذا يدفع المرء الى أن يبتعد تماماً عن ظلم العباد؛ أنت يوم القيامة بحاجة الى جزء من الحسنات، وتجدها يوم القيامة، وتذهب أمامك حسناتك.

جاء في الحديث: "يأتي المرء ومعه جبال من الحسنات، ويأتي وقد لطم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا ...إلى آخره"[٢]، ثم بعد القصاص وأخذ الحقوق لا يبقى معه شيء؛ فيُلْقى في النار.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٥٢] وإِخْلاصُ العَمَلِ للهِ**).

هذا شرط من شروط قبول العمل، العمل عند الله سبحانه الذي هو الطاعة؛ لا يقبل إلا بشرطين:

الشرط الأول: إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى، المقصود بالعمل العبادة؛ أيُّ عمل تتقرب به إلى الله؛ فهو مقصود هنا، وهذا العمل الذي تتقرب به إلى الله يجب أن

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٠٤٢) عن عبد الله بن أنيس.

(٢) أخرج مسلم في "صحيحه" (٢٥٨١): عن أبي هريرة: " أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ".

يكون خالصا لله؛ يعني أن يكون لله، ولا يكون لغيره معه أيُّ جزء من هذا العمل؛ لا شيءٌ قليل ولا شيء كثير، تعمل العمل وتريد به وجه الله فقط، ولا تريد به أيَّ قُرْبَةٍ لأي شخص آخر غير الله سبحانه وتعالى؛ فلا يقبل الله سبحانه وتعالى أن يعمل العمل له ولغيره؛ لا يقبل العمل إلا أن يكون له وحده؛ لذلك قال الله سبحانه وتعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين}(١) يعني مخلصين له العمل، أعمالهم وقرباتهم تكون لله وحده ولا يكون فيها شيء لغيره، {ألا لله الدين الخالص}(٢)، وغير الخالص ليس لله سبحانه وتعالى، {ليبلوكم أيكم أحسن عملا}(٣)، قال الفضيل بن عياض: (أخلصه وأصوبه)(٤)، جمع ما بين الشرط الأول والثاني في هذا الوصف للعمل، وجاء في الحديث القدسي: قال النبي ﷺ فيه: "قال الله سبحانه وتعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركه"(٥)، فلا يقبل الله منك أن تعمل العمل له ولغيره؛ يقبل منك أن تعمل العمل له وحده تبارك وتعالى؛ هذا الدليل الأول.

ومما ينقض هذا: الرياء؛ وهو أن تعمل العمل لكي يراك الناس فيمدحونك، ويثنون عليك؛ هذا يفسد عليك العمل؛ فأنت ما عملت العمل لله وحده؛ إنما عملت العمل لله وليراك الناس ويثنوا عليك، إذن عملك ليس خالصاً؛ بل مشوب بمشوبة الشرك؛ فلا يقبل عند الله سبحانه وتعالى .

---

(١) [البينة:٥].

(٢) [الزمر:٣].

(٣) [هود:٧].

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخلاص والنية (٢٢)، ومن طريقه الثعلبي في "تفسيره" (٩/٣٥٥).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الشرط الثاني: شرط المتابعة، لا يكفي أن يكون العمل قربة لله سبحانه وتعالى، وقربة لله وحده وليس معه غيره؛ حتى يكون مما أمر الله به أو جاء في سنة المصطفى ﷺ؛ فالله أراد منا: أن نعبده، وأراد منا أن نعبده وحده، وأراد منا أن نعبده كما شاء هو؛ هذه الثلاث نقاط بها يصلح العمل، ويكون مقبولاً؛ وإلا فلا، أن تعبد الله وأن تعبده وحده ولا تعبد معه غيره، وأن تعبده كما يحب لا كما تحب أنت؛ هذا معنى المتابعة؛ وهي أن تعبد الله كما شرع؛ لذلك قال النبي ﷺ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"، يعني مردود على صاحبه، أنت تعمل العمل قربة لله، تتقرب به، وتستحسن، وتخترع من عندك أفعالاً وأقوالاً تتقرب بها، ثم في النهاية تضرب في وجهك؛ بلا فائدة، ترد عليك ،ما استفدت منها شيئاً؛ لأنها ما كانت على هدي المصطفى ﷺ؛ "من عمل ليس عليه أمرنا فهو رد"؛ مردود على صاحبه.

والنفر الثلاثة الذين أرادوا أن يتعبدوا لله سبحانه وتعالى ويزيدوا في العبادات، ظنوا أن هذه الطريقة حسنة، ظناً من عندهم ليس عندهم آثار من علم، ولكن ظناً منهم أن هذا العمل سيقربهم إلى الله أكثر؛ هل نيتهم الصالحة شفعت لهم؟ ما نفعتهم في هذا الموطن، أرادوا أن يتقربوا إلى الله بفعل عبادات عظيمة؛ قال أحدهم: أصوم ولا أفطر، وقال الثاني: أصلي ولا أنام، وقال الثالث: لا أتزوج النساء؛ فقال النبي ﷺ: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"(١)؛ هذه النتيجة، فلا يأتين

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) عن أنس رضي الله عنه، واللفظ للبخاري، ولفظ مسلم: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ".

أحد يقول: والله النية طيبة يا شيخ؛ الحمد لله المهم النيات، لا؛ النية وحدها لا تكفي، نيتك الطيبة الحسنة ما تنفعك إذا لم يكن عملك على نفس ما شرع الله سبحانه وتعالى، على نفس هدي النبي ﷺ؛ هذا هو الشرط الثاني ليكون العمل مقبولاً عند الله تبارك وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٥] والرِّضا بِقَضاءِ اللهِ**).

الواجب أن تكون صابراً على ما قدره الله عليك من أمور في هذه الحياة، فالصبر على البلايا والمصائب واجب، قال تعالى: {وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون}(١)، وقال: {واصبروا وصابروا ورابطوا}(٢)، فنحن مأمورون بالصبر. الصبر على أقدار الله المؤلمة واجب، والتَّسَخُّط محرم، والرضا بقضاء الله- وهي مرتبة أعلى من الصبر- مستحبة؛ ينالها أهل الإيمان الذين ارتفع إيمانهم وعلا، فالواجب عليك أن تصبر، وأما الرضا فأمر زائد.

وبعض العلماء يقولون: الرضا والصبر شيء واحد؛ لكن الصحيح هو ما ذكرناه؛ أن الصبر هو الواجب، والرضا أمر زائد، الرضا على أقدار الله سبحانه وتعالى وما قدر الله عليك وما قضى.

فالرضا بقضاء الله مستحب، والصبر على قضاء الله واجب.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٥٤] والصَّبْرُ على حُكْمِ اللهِ**).

---

(١) [البقرة:١٥٦].

(٢) [آل عمران: ٢٠٠].

ذكرنا الصبر والرضا، وأن الرضا أعلى مرتبة من الصبر، والصبر واجب على أحكام الله تبارك وتعالى؛ الأحكام الكونية والأحكام الشرعية، الأحكام الشرعية؛ تصبر عليها، تصبر على فعلها وعلى طاعة الله بها، الأحكام الكونية؛ ما قضى الله سبحانه وتعالى وقدر عليك من أمور تصبر عليها؛ سواء كانت مؤلمة أو غير ذلك.

قال المؤلف: (**[٥٥] والإيمانُ بِأَقْدارِ اللهِ كُلِّها؛ خَيْرِها وشَرِّها، حُلْوِها وَمُرِّها**).

الإيمان بأقدار الله كلها واجب؛ وهو ركن من أركان الإيمان، قال عليه السلام: "وتؤمن بالقدر خيره وشره"[(١)]، ولا يكون العبد مؤمناً بالقدر؛ حتى يؤمن بأربع مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم، أي: أن الله سبحانه وتعالى علم كل شيء؛ لا يفوته شيء.

المرتبة الثانية: الكتابة؛ كتب عنده مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

المرتبة الثالثة: المشيئة؛ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهي الإرادة الكونية.

المرتبة الرابعة: الخلق، فالله خالق كل شيء، وكل شيء هو خلق لله سبحانه وتعالى؛ حتى أفعال العباد مخلوقة لله تبارك وتعالى.

قال: (**[٥٦] والإيمانُ بِما قالَ اللهُ عز وجلَّ، قَدْ عَلِمَ اللهُ ما العِبادُ عامِلونَ، وإلى ما هُمْ صائِرونَ، لا يَخْرُجونَ مِنْ عِلْمِ اللهِ، ولا يَكونُ في الأَرَضينَ والسموات إلا ما عَلِمَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ**).

---

(١) أخرجه البخاري(٥٠)، ومسلم (١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٨) عن عمر رضي الله عنه.

كل هذا تأكيد لعلم الله، قد علم ما العباد عاملون؛ فأفعال العباد كلها معلومة لله عز وجل؛ خلافاً للمعتزلة ومن وافقهم من القدرية، الذين يقولون: العباد يفعلون بأنفسهم، والله سبحانه وتعالى لا يعلمها ولا يخلقها، وهذا قول باطل كفري.

قال: (وإلى ما هم صائرون) علم الله سبحانه وتعالى إلى ما هم صائرون؛ علم من هو إلى الجنة أنه إلى الجنة، وعلم من هو إلى النار؛ فإلى النار.

قال: (لا يخرجون من علم الله) لا يخرج أحد من علم الله تبارك وتعالى ،كل الناس، كل الخلق؛ يعلم الله سبحانه وتعالى أمرهم بالكامل.

قال: (ولا يكون في الأرضين والسماوات إلا ما علم الله عز وجل) الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٥٧] وتَعْلَمَ أَنَّ ما أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وما أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيصيبَكَ**).

هذا من الإيمان بالقدر، ما كتب الله عليك فهو كائن ولابد، وهذا جزء من حديث ابن عباس: "واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك؛ لم يضروك إلا بشيء إلا قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"(١).

قال: (واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك)؛ لأنه غير مكتوب عند الله سبحانه وتعالى؛ فلا يمكن أن يحصل، فكل شيء بأقدار الله سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٦٩)، والترمذي (٢٥١٦) عن ابن عباس رضي الله عنه.

والإيمان بأقدار الله يريح العبد ويطمئنه، فمن آمن بهذا؛ اطمأنت نفسه، ولا يشغل نفسه بما هو آت؟ وماذا سيحصل؟ وهل سانجو أم لن أنجو؟... إلى آخره من بلايا الدنيا؛ بل يدعو الله سبحانه وتعالى ويعمل ويتوكل على الله.

قال : (**[٥٨] ولا خالِقَ مَعَ اللهِ عز وجل**)

الله خالق كل شيء ولا يوجد معه خالق؛ هذا من الإيمان بربوبيته عز وجل، وفيه رد على الذين يقولون بأن العباد يخلقون أفعالهم بأنفسهم كالمعتزلة والقدرية؛ هذا قول كفري- نعوذ بالله منهم-.

قال المؤلف: (**[٥٩] والتَّكْبِيرُ على الجَنائِزِ أَرْبَعٌ، وَهُوَ قَوْلُ مالكِ بن أنسٍ، وسفيانَ الثَّوْرِيِّ، والحسنِ بنِ صالحٍ، وأحمدَ بن حنبل، والفقهاء، وهكذا قال رسول الله ﷺ**).

مالك بن أنس هو إمام دار الهجرة ،من أتباع التابعين، إمام أهل السنة في المدينة في زمنه، وسفيان الثوري أيضاً إمام أهل السنة في زمنه في الكوفة، والحسن بن صالح بن حي، أحد الفقهاء، كان يرى السيف؛ كان يرى رأي الخوارج؛ لكنه فقيه، وأحمد بن حنبل معروف؛ إمام أهل السنة في زمانه.

وهكذا قال رسول الله ﷺ، وهكذا فعل عليه الصلاة والسلام؛ كان يكبر على الجنائز أربع تكبيرات، وعليه جمهور أهل العلم، وبعضهم نقل الإجماع؛ ولا إجماع؛ لأنه قد صح

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه في "صحيح مسلم"[1]: أنه قال بأن النبي ﷺ قد كبر خمس تكبيرات وفعل ذلك زيد بن أرقم، مما يدل على أنه غير منسوخ عنده، ومن ادَّعى النسخَ؛ يحتاج أن يثبت المتقدم من المتأخر، فالصحيح أن الأربع تكبيرات والخمس: سنة، ولا يصح أكثر من ذلك.

قال المؤلف: **([٦٠] والإِيمانُ بِأَنَّ مَعَ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ، حتى يَضَعَها حيثُ أمَرَهُ الله عز وجل).**

نزول الماء من السماء من أمر الله؛ أمر لا شك فيه، قال تعالى: {وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض}[2]، هذا لا إشكال فيه، لكن أن ينزل مع كل قطرة ملك ويضعها حيث أمره الله عز وجل؛ فهذه لا نعلم عليها دليلاً لا من الكتاب ولا من السنة؛ إنما وردت فيها بعض الآثار عن التابعين، ولا يصح فيها شيء مرفوع، وهذه أمور غيبية لا تعلم إلا بنص شرعي؛ من كتاب أو سنة أو إجماع، ولا نعلم فيها كتاباً ولا سنة صحيحة ولا إجماعاً.

قال المؤلف: **([٦١] والإِيمانُ بِأَنَّ رسولَ الله ﷺ حينَ كَلَّمَ أَهْلَ القَليبِ؛ يَوْمَ بَدْرٍ -أي: المشركين- كانوا يَسْمَعون كَلامَهُ)**

---

(١) (٩٥٧): عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: كَانَ زَيْدٌ يُكَبِّرُ عَلَى جَنَائِزِنَا أَرْبَعًا، وَإِنَّهُ كَبَّرَ عَلَى جَنَازَةٍ خَمْسًا، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُكَبِّرُهَا».

(٢) [المؤمنون:١٨].

لا شك في ذلك، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ عندما مات صناديد قريش وكبارهم؛ شيبة وعتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وبعض هؤلاء الصناديد الكبار من رؤوس قريش، لما قتلوا يوم بدر، ألقوا في القليب- بئر مهجورة-؛ فأخذ النبي ﷺ يكلمهم ويقول لهم: "هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني الله حقاً"، فقال عمر رضي عنه: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم؛ غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليَّ شيئاً"(١) ،يعني هم يسمعون الآن، والنبي ﷺ إذا قال أمراً؛ فهو حق، وهذه معجزة من معجزاته ﷺ وكرامة أكرمه الله تبارك وتعالى بها، فنؤمن بها كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، مع اعتقادنا أن أصحاب القبور لا يسمعون إلا قَرْع نعال الناس عندما ينصرفون عنهم(٢).

قال المؤلف رحمه الله: (**[٦٢] والإيمانُ بِأَنَّ الرَّجُلَ إذا مَرِضَ؛ آجَرَهُ اللهُ على مَرَضِهِ**).

لاشك في هذا أيضاً؛ لكثرة الأحاديث التي وردت في ذلك منها قوله ﷺ: " عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٠)، من حديث عبد الله بن عمر، وأخرجه مسلم (٢٨٧٣) من حديث عمر بن الخطاب.

(٢) أخرج البخاري في "صحيحه" (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠) عن أنس رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ... ".

خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ "[١]، وجاء في حديث آخر أنه قال: "يؤجر حتى على قدر الشوكة يشاكها يؤجر عليها"[٢]، وهذه أحاديث كثيرة وردت في ذلك تدل على أن المريض يؤجر، وجاء في الحديث أيضاً أن النبي ﷺ قال: "اكتبوا له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً"[٣]، فإذا مرض العبد أو سافر؛ كُتب له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً؛ وهذا من أجره؛ أن يكتب له ما كان يعمل من أعمال صالحة، فيأخذ الأجر وهو مريض نائم، وأجره ماض، هذا من عظم كرم الله تبارك وتعالى على عباده.

قال: (**[٦٣] والشَّهيدُ يَأْجُرُهُ اللهُ على شَهادَتِهِ**)

الشهيد له فضائل كثيرة، والشهيد هو الذي قُتِلَ في المعركة وهو يقاتل الكفار؛ سواءً قُتِلَ في المعركة أو قتل بعد ذلك بسبب إصابة أصيبها وهو في المعركة؛ كذلك يعتبر شهيداً؛ له أحكامه المستقلة؛ لا يُغسَّل ولا يُكفَّن ولا يُصلى عليه ويدفن بملابسه، فيبعث يوم القيامة على حاله التي دفن عليها بملابسه، ويُبعث ودمه له رائحة كرائحة المسك، وهذه من فضائله ومناقبه، وإذا مات؛ يُغفر له كل ذنبٍ إلا الدَّيْن كما جاء في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب رضي الله عنه.

(٢) أخرج البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢) عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا".

(٣) أخرج أحمد في "مسنده" (٦٨٢٥) عن عبد الله بن عمرو: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُبْتَلَى بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ، إِلَّا أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحَفَظَةَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ: اكْتُبُوا لِعَبْدِي مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ صَحِيحٌ، مَا دَامَ مَحْبُوسًا فِي وَثَاقِي".

الحديث[١]، ويشفع في سبعين من أهل بيته، ويكون له سبعون من حور العين في الجنة، ويكون له فضائل كثيرة، وهذه الفضائل خاصة بالشهيد؛ لكن شهادة حقيقية.

والشهيد من مات لتكون كلمة الله هي العليا، لا أن يذبح المسلمين ويقتلهم، ويقول أنا شهيد؛ هذا خارجي وليس شهيداً، هذا في جهنم نعوذ بالله منها، فالمقصود بالشهيد هنا: من مات لتكون كلمة الله العليا، يقاتل الكفار ولا يقاتل المسلمين، هذا هو الشهيد الذي يستحق هذه المناقب.

وهناك شهادة أخرى أيضاً ذكرها النبي ﷺ لما سألهم: ما تعدون الشهيد فيكم؟ فذكروا له فقال: "إن شهداء أمتي إذاً لقليل"[٢]، ثم ذكر أن المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم، فذكر سبعة؛ كل هؤلاء من الشهداء، لكن هؤلاء لا يأخذون أحكام الشهيد المتقدمة، لهم فضل وأجر؛ لكن ليس كفضل شهيد المعركة.

قال المؤلف- رحمه الله-: (**[٦٤] والإيمانُ بِأنَّ الأطْفالَ إذا أَصابَهُمْ شيءٌ في دارِ الدُّنْيا يَأْلَمونَ؛ وذلِكَ أَنَّ بَكرَ ابنَ أُخْتِ عَبْدِ الواحدِ قال: لا يَأْلَمونَ؛ وَكَذَبَ**).

أي: يجب الإيمان والتصديق بأن الأطفال إذا أصابهم شيءٌ يُؤلِمهم في دار الدّنيا؛ كضربٍ وغيره؛ يألمون، يعني: يتألّمون.

وهذا أمر مَحسوس مُشاهد لا يحتاج إلى نقاش ومجادلة فيه، إذا ضَربت الولد الصغير؛ فإنه يشعر بالألم، يصرُخ، يبكي؛ هذا أمرٌ لا إشكالَ في حقيقته؛ لكن أهل البدع دائماً يُشوّشون، ويخرجون بأشياء شاذّة ومُخالفة؛ هذا الرجل- بكر ابن أخت عبد الواحد

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٩١٥)، وانظر البخاري (٦٥٣) و(٢٨٣٠)، ومسلم (١٩١٤) و(١٩١٦).

بن زيدٍ البصري- من الخوارج؛ خرج بهذه البدعة المُحدَثة والسفسطة الزائدة، وقال بأن الأطفال إذا أصابهم شيءٌ في الدّنيا لا يألمون، وهذا كما علِمنا مُخالف لِمَا هو مشاهدِ مَحسوس، وذِكْرُ هذا القول يُغني عن ردِّه ، ويكفي في بيانِ ضلال من خالفَ فيه وقرّرَ هذا الكلام .

لكن هذا يُبيّن لنا أنّ المؤلف يذكر في كتابه هذا ما حصلَ في وقتِه، أو قبلَهُ من البدع؛ فيذكر أصول أهل السنة التي تُخالف البدع التي تحصل من قِبَل أهلها.

قال المؤلّف ـ رحمه الله ـ : (**[٦٥] واعْلَمْ أَنَّهُ لا يَدْخُلُ أحدٌ الجَنَّةَ إلّا بِرَحْمَةِ الله، ولا يُعَذِّبُ اللهُ أحداً إلّا بقَدْرِ ذُنوبِهِ، وَلَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السمواتِ والأرضِ؛ بَرِّهِمْ وفاجِرِهِمْ؛ عَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظالمٍ لهم، لا يَجوزُ أَنْ يُقالَ لله عز وجل: إنَّهُ ظالِمٌ؛ وإنَّما يَظْلِمُ مَنْ يَأْخُذُ ما لَيْسَ له، والله لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ، والخَلْقُ خَلْقُهُ، والدَّارُ دارُهُ، لا يُسْأَلُ عمّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْأَلونَ، ولا يُقال: لِمَ وكيفَ؟ ولا يَدْخُلُ أَحَدٌ بَيْنَ اللهِ وبَيْنَ خَلْقِهِ**).

قال: (واعلم أنه لا يدخلُ أحد الجنّة إلّا برحمة الله، ولا يُعذّب الله أحداً إلّا بقَدْرِ ذنوبه)، هذا من فضل الله ومن عدلِه عز وجل؛ فإدخال الله تبارك وتعالى الناس الجنة هذا من فضله وتكرّمه عليهم، وعذاب من يستحق العذاب من الناس في نار جهنم، وإدخاله نار جهنّم؛ هذا من عَدْل الله، فبعدل الله سبحانه وتعالى يُدخل من يستحقّ النار النّار، وبفضله يُدخل من يستحق الجنة الجنّة.

وقوله: (ولا يدخل أحد الجنّة إلّا برحمة الله): يعني أعمال العباد ليست هي التي تدْخل النّاس الجنة؛ بل الناس يدخلون الجنة برحمة الله سبحانه وتعالى وفضله، أمّا الأعمال؛ فسبب لدخول الجنة، لا يمكن لأحد أن يدخل الجنة إلّا أن يأتي بالسَّبب؛ وهو العمل،

لكن هذا العمل ليس ثمناً لدخول الجنّة؛ فدخول الجنة يحصل برحمة الله سبحانه وتعالى للعباد؛ فقد قال النبي ﷺ: "لن يُدْخِلَ أحداً عَمَلُه الجنة"، يعني: عمله لن يكون ثمناً لدخوله الجنّة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "لا، ولا أنا؛ إلاّ أن يتغمَّدني الله بفضل ورحمة"(١)، فدخول الجنة يكون برحمة الله سبحانه وتعالى؛ برحمة الله وفضله يدخل من يستحق الجنة الجنة.

قال الله تبارك وتعالى: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}(٢)، وفي الحديث: "لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله"(٣)، فالباء الأولى في الآية: {بما}: باء السببية، والباء الثانية في الحديث: "بعمله" باء العوض: الثمنيَّة؛ هذا الفرق بينهما؛ يعني لن يكون عمل أحدكم عِوضاً وثمناً لدُخول الجنة؛ ولكنّ عملُه سببٌ لدخول الجنة، فعلَّقَ الله سبحانه وتعالى دخول الجنة على سبب وهو العمل، فإذا عمِلت؛ دخلت الجنة، وإن لم تعملْ؛ لن تدخل الجنّة، ودخولك الجنة أصلاً هو بفضل الله سبحانه وتعالى وتكرُّماً منه.

قال : (ولو عَذّب أهل السماوات والأرض برّهم وفاجرهم ؛ عذّبهم غير ظالِم لهم)، لو حصل هذا وعذَّبَ الله سبحانه وتعالى أهل السماوات والأرض جميعاً؛ من كان صالحاً منهم ومن كان فاجراً؛ يُعذّبهم وهو غير ظالم لهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على العباد من النِّعم الشيء العظيم والكثير، وواجبٌ عليهم أن يشكروا؛ ولكن من شكر منهم لا يستطيع أن يأتي بشكر النعم التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها عليه؛ فالتقصير

---

(١) أخرجه البخاري(٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة، وفي الباب أيضاً عن عائشة وغيرها رضي الله عنهم جميعاً.

(٢) [النحل:٣٢].

(٣) ولم يخرجه الشيخان بهذا اللفظ؛ وإنما هو عند أحمد(٧٤٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده زياد المخزومي.

حاصلٌ، فلو عذبهم الله سبحانه وتعالى؛ يُعذبهم وهو غير ظالم لهم، وهذا معنى الحديث الذي ورد عن النبي ﷺ [(١)]؛ ولكنّ الله سبحانه وتعالى بفضله ورحمته لا يُعذب أهل الإيمان الذين يُختمُ لهم على خير.

قال: (لا يجوز أن يُقال لله عز وجل: إنّه ظالم) أبداً؛ لا يجوز أن يُوصف الله سبحانه وتعالى بالظلم؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قال: {وَمَارَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}[(٢)]، وقال :{وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}[(٣)]، وقال في الحديث القدسي :"يا عبادي! إنّي حرّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً؛ فلا تظالموا"[(٤)]؛ فالله سبحانه وتعالى قد حرَّم الظُلم على نفسه؛ فلا يظلِمُ أحداً من العباد.

هذه تجعلها نصب عينيك وتحفظها جيّداً ؛ أيُّ شبهة بعد ذلك ترِدُ عليك في القدر؛ فتذكّر هذا؛ أيّ شيء؛ تذكَّر هذه الآيات وهذه الأحاديث، واتّهم عقلك، وآمِن بعد ذلك بكل ما أخبرَ النبي ﷺ به من مسائل القضاء والقدر، واعلم أنّ ربّك ما كان بظلّام للعبيد، ولا يظلم أحداً، وآمِنْ بأنّ الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء ويُضلّ من يشاء، ثم بعد ذلك ما يَرِد على عقلك من أسئلة؛ فاطردها، ولا تسترْسِل معها؛

---

(١) أخرج أحمد في "مسنده" (٢١٥٨٩)، وأبو داود (٤٦٩٩) عن ابن الديلميّ؛ قال: لَقِيتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِي. قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ، كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَبَلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، لَدَخَلْتَ النَّارَ» قَالَ: فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِثْلَ ذَلِكَ.

(٢) [فصلت:٤٦].

(٣) [الكهف:٤٩].

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

فكما سيأتي معنا إن شاء الله: بأنّ القدر سِرُّ الله في خلقه، لا تتجاوز، لا تبحث عن أشياء لا عِلمَ لك بها، وآمن بأن الله سبحانه وتعالى أفعاله كلّها لِحكمة؛ رُبّما تُدرِك أنت الحكمة، ورُبّما لا تُدركها، فتؤمنُ بأن الله ليس بظلام للعبيد، وأن من عذّبه الله لم يُعذّبه إلّا وهو يستحق العذاب، ومن رحمه فرَحِمه بفضله؛ تؤمن بهذا كلّه حتّى تكون بحقٍّ مؤمناً بقدر الله سبحانه وتعالى.

قال :(وإنّما يَظلِم من يأخذ ما ليس لَهُ) يعني من الذي يكون ظالماً؟

الذي يعتدي بِأخذ ما ليس حقاً لَه هو من يكون ظالماً؛ والله سبحانه وتعالى لا يأخذ ما ليس لَه.

والظُّلم أصلاً تعريفهُ: وَضْعُ الشيء في غير موضعِه، والله سبحانه وتعالى لا يضع شيئاً في غير موضعه؛ لذلك لا يقعُ الظلم منه أبداً؛ وكلّ ما في هذا الكون هو ملكٌ لَه؛ فلا يأخذ إلّا ما هو ملك لَه؛ فلا يقع الظّلم منه، وإن كان قادراً على الظلم ولكنه لا يفعله لكماله تبارك وتعالى ولأنه حرمه على نفسه.

قال: (وَالله لَه الخلقُ والأمر؛ والخلقُ خلقهُ، والدّار دارُه)؛ {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}[(١)]؛ كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه، الخلق كلّه؛ كل المخلوقات في هذا الكون له سبحانه وتعالى؛ وهو خالقها وهو مُوجدها.

(والأمر لَه): الأمر الكوني، والأمر الشرعي لَهُ سبحانه.

الأمر الكوني: كل ما وُجد على وجه هذه البسيطة؛ فهو من أمره الكوني.

الأمر الشرعي: ما وُجد في شرعه؛ من تحريم وتحليل، أوامر ونواه؛ كلّه لله.

---

(١) [الأعراف:٥٤].

(والخلق خلقُه)؛ هو الذي خلق الخلق، وهو الذي أوْجدهم من العَدم، وهو المالك لهم.

(والدّار دارُه) : سواء دار الدّنيا، أو دار البرزخ ، أو دار الآخرة؛ كلّها لله سبحانه وتعالى.

قال: ({لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَل وَهُمْ يُسْأَلُونَ}[(١)])؛ لا أحد يسأل الخالق ماذا تفعل في خلقِك؛ فالخلق خلقُه؛ كلّهم مملوك له؛ فلا أحد يسأله لم فعلت كذا، والخَلق هم يُسألون؛ الله سبحانه وتعالى يَسأل الخلق؛ لأنهم مِلكٌ لَه، ويسألُهم عمّا يفعلون.

قال: (ولا يُقال لِم؟ ولا كَيف؟)، لا تعترض ولا تُورد الإيرادات والأسئلة: لمَ فعل كذا؟ وكيف فعل كذا؟ ولمَ لم يفعل كذا؟ لِم هَدَى فلاناً وأضلّ فلاناً؟ وكيف رزق فلاناً ولم يرزق فلاناً؟ كل هذه الأسئلة باطلة ليست من حقّك؛ {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }، نؤمن بأنّه تبارك وتعالى لا يفعل فعلاً إلّا لِحكمة بالغة، من وراءِها تحقيق المصالح ودرء المفاسد، ونؤمن بأنه لا يظلم أحداً؛ ويكفينا هذا، ثم اشغل نفسك بعد ذلك بما أمرك الله به ؛ وهو أن تتعلم وأن تعمل.

قال: (ولا يدخُل أحدٌ بين الله وبين خلقه)؛ أبداً؛ لا أحد يدخل بين الله وبين خلقه ويسأل ويستفسر: لم فعل كذا؟ الله سبحانه وتعالى يفعل في عباده ما يشاء.

قال المؤلف ـ رحمهُ الله ـ :(**[٦٦] وإذا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ على الآثارِ وَلا يَقْبَلُها، أوْ يُنْكِرَ شيئاً مِنْ أخبارِ رَسولِ الله ﷺ؛ فاتّهِمْهُ على الإسْلامِ؛ فَإنَّهُ رَجُلٌ رَديءُ المَذْهَبِ والقَوْلِ، ولا يُطْعَنُ على رسولِ الله ﷺ ولا على أصْحابِهِ رضي الله عنهم؛ لأنّا إنّما عَرَفْنا**

---

(١) [الأنبياء:٢٣].

اللهَ وعَرَفْنا رسولَه وعَرَفْنا القُرْآنَ وعَرَفْنا الخَيْرَ والشَّرَّ والدُّنْيا والآخِرَةِ بالآثارِ؛ فإنَّ القُرْآن إلى السُّنَّةِ أَحْوَجُ مِنَ السُّنَّةِ إلى القُرْآنِ)

قال: (إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار، ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ ؛ فاتهِمه على الإسلام)، المقصود بالآثار: السُّنن؛ أقوال النبي ﷺ، أفعالُه، تقريراتُه، ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام.

ونسمع بهذا كثيراً؛ وبالذات اليوم بالذات؛ يقول لك: اترُكنا من السنة وأتنا بالقرآن! يقول النبي ﷺ: "لا أَلْفِينّ أحدكم مُتَّكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري ؛ مِمَّا أَمرت به أو نَهيتُ عنه؛ ويقول: بيني وبينكم كتاب الله؛ ألا إنّي أوتِيتُ الكتاب ومثلَه معه"[(١)]، الذي هو مثل القرآن: السنة.

وقال الله تبارك وتعالى :{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}[(٢)]؛ فالسنة وحيٌ من الله مثل القرآن؛ بل إذا فُقِدت السنّة لا يُمكنُك أن تفهم القرآن؛ لذلك بعض السلف قالوا: (السنّة قاضية على القرآن)[(٣)]، لا يُمكن أن تستغني عن السنة؛ فكيف ستُفسّر: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ }؟ يأتيك رجلٌ يقول لك: اترُكْني من كل العادات التي وُجدنا عليها الناس؛ أنا لا أؤمن إلّا بدين، بشرع؛ قال الله :{وَأَقِيمُوا الصَلَاةَ }؛ كيف أصلي؟ أثبِت لي؛ لن تجد الفجر ركعتين، والظهر أربعاً، والعصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً، والعشاء أربعاً؛ أين هذا في القرآن؟! أين تفاصيل هذه الأحكام التي حكم الله سبحانه وتعالى بها في القرآن؛ من صلاةٍ وصيام وزكاة وحج؟

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٨٦١) وأبو داود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣) عن أبي رافع.

(٢) [النجم:٣].

(٣) أخرجه الدارمي في "سننه" (٦٠٧)،وابن بطة في "الإبانة الكبرى" (٨٩)، والخطيب (ص ١٤)؛ كلهم عن يحيى بن أبي كثير؛ قوله: (السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ الْقُرْآنُ بِقَاضٍ عَلَى السُّنَّةِ).

كل هذا الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن؛ فسَّره كلام النبي ﷺ، قال الله سبحانه وتعال: {وأنزلنا إِلَيْكَ الذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلْنّاسِ مَا نُزِّل إِلَيْهِمْ}(١)؛ فالنبي ﷺ مُبيِّن عن الله سبحانه وتعالى، وقال الله تبارك وتعالى: {وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}(٢)، فمن يأخذ بالقرآن ويُكذّب بالسنة؛ فهو مُكذّب للقرآن؛ إذ لو كنت مصدّقاً بالقرآن حقّاً؛ كنتَ أخذتَ بهذه الآيات، وابن مسعود رضي الله عنه لمّا احتج على المرأة احتج عليها بهذه الآية؛ لمّا جاءت وقالت لَه: إنّي لا أرى النهي عن النّمص في القرآن، فقال: لو أنّك قرأته لوَجدته، قالت: والله لقد قرأتُه من أوّله إلى آخره؛ ولا أجد فيه النّمص، فقال لها: ألم تقرئي قول الله تبارك وتعالى: {وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}؟.

ها هو موجود في القرآن؛ فكل السنة داخلة في هذه الآية ومُلزمة للعباد بها.

{وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}(٣)، كيف نُطيع الرّسول ﷺ ؟

بأوامره الموجودة في سنّته ﷺ.

{فَلَا وَرَبّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتّى يحَكِمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمّ لَا يجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلّمُوا تَسْلِيمًا}(٤)، كيف سنُحَكّم النبي ﷺ ؟

نحكّم سنَّته.

---

(١) [النحل:٤٤].
(٢) [الحشر:٧].
(٣) [النساء:٥٩].
(٤) [النساء:٦٥].

وقد نقل العلماء الاتفاق على أنّ طاعة الله تكون بطاعة كتابه، وطاعة الرسول ﷺ تكون بطاعة سنّته، {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً}(١)، فترك سنتِه مُشاقة له عليه الصلاة والسلام، والأدلة في هذا المعنى كثيرة.

وقد أجمعَ العلماء على أنّ تارِكَ السُنّة المُكذّب بها كافر، خارج من ملّة الإسلام؛ فالمُبطِل لشريعة الله، ليس عنده شريعة؛ لذلك قال المؤلف :(وإذا سمِعت الرّجل يطعن على الآثار ولا يقبلُها أو يُنكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ)؛ولو شيئاً واحداً أو اثنان من الأخبار الثابتة الحق؛ يُنكرُها ويرُدّها؛ كأخبار الدّجال، وأخبار نزول عيسى عليه السلام، وأخبار خروج المَهدي، وأخبار الحوض، وأخبار الشفاعة، وغير ذلك مما ورد في الأحاديث؛ (فاتّهِمه على الإسلام) ؛ اتهِمْه بأنّه رجل مُنافق يريد أن يهدم دين الله تبارك وتعالى؛ واحذرْه

قال: (فإنّه رجل رديء المَذهب والقول)؛ يعني: مذهبه ودينه الذي يمشي عليه رديءٌ سيّء، مُفسد، قوله هذا الذي يُنكر به سنة النبيّ ﷺ رديء فاسد.

قال: (ولا يُطْعَن على رسول الله ﷺ ولا على أصحابه رضي الله عنهم)، فمن طعَنَ على رسول الله ﷺ؛ كفر.

قال الله تبارك وتعالى :{قُلْ أَبِاللهِ وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُون لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }(٢)، وسبب نزول هذه الآية؛ كما رواه ابن عمر رضي الله عنه: أن رَجُلاً

---

(١) [النساء:١١٥].

(٢) [التوبة:٦٥].

فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ يَوْمًا: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ؛ لَا أَرْغَبَ بُطُونًا وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: {إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ}،وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "{أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ}"(١).

وهؤلاء كانوا يعنون النبي ﷺ وأصحابه، هم مسلمون! لكن يمزحون! مثلما يسميها بعض الشباب اليوم: جلسة أُنْس ! يستأنسون بالاستهزاء بمن؟ بالنّبي ﷺ وبأصحابه.

فنزلت هذه الآية: {قُلْ أَبِاللهِ وُآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُون لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}؛ كانوا مؤمنين؛ وكفروا بهذا القول، بهذا الفعل الذي فعلوه، جاء الرّجل يلتمِس الأعذار؛ ويقول: {إنّما كنّا نخُوض ونلْعب}، ماكنّا نريد أن نكفر، ولم نكن نظنّ أنّ الأمور ستصل إلى هذا المَوْصل، كنّا نخوض ونلعب؛ نمزح ونُمشي الوقت!

{أَبالله وآياته ورسوله}؟! ما وجدتم شيئاً تمزحون به إلّا هذا!

لو عَظُم الإيمان في النّفوس؛ ما وصل إلى هذا المَوصل؛ {قد كفرتم بعد إيمانكم}؛ فهذا حال الذي يطعن في النبي ﷺ ويطعن في أصحاب رسول الله ﷺ؛ فحقيقة مُؤدّى الذي يطعن في أصحاب النبي ﷺ هو الطعن في دين الله، وقصده الدين؛ شريعة الله، يريد أن يهدِمها، لكنه ما وجد السبيل للناس! لو جاء للعامة وقال لهم: إنّ دينكم فاسد؛

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٨٢٦/٦) من حديث ابن عمر، وقال الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند من أسباب النزول" (ص١٠٩): " الحديث رجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان وأخرجه الطبري من طريقه (ج١٠ ص١٧٢)، وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم من حديث كعب بن مالك".

لضربوه حتى يقتلونه، لكن لو جاءهم بالتسلسل؛ رويداً رويداً؛ فسيكون الأمر عندهم مقبولاً أكثر؛ كيف؟

تعالوا أولاً نبدأ بمعاوية رضي الله عنه؛ لماذا؟

لأن معاوية صار بينه وبين علي بن أبي طالب حروبٌ، والنّاس لها عاطفة من ناحية علي بن أبي طالب؛ لأنه ابن عم النبي ﷺ، زوج فاطمة، قريب من النبي ﷺ؛ الذي يُعاديه فيه مشكلة، إذاً النفوس مُتقبلة للطعن في معاوية، وفيمن مع مُعاوية؛ كعَمْرو بن العاص، فأوّل ما يبدأ لك بهؤلاء.

فَمَن سمِعته يطعن في هؤلاء؛ فاعلم أنّه قدْ ارتقى على الدرجة الأولى من درجات السُّلم، ويريد دين الله؛ لكنه يبدأ معك بالتدرّج واحدة واحدة؛ هذا هو السبيل الذي يمكن أن يجد من نفسِك قَبولاً له؛ لأن هناك نفوساً تميل قليلاً؛ فيبدأ في معاوية، وعَمرو بن العاص، ثم بعد ذلك يبدأ يرتقي إلى أن يصل إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعاً؛ وهذا الذي ترَوْنه الآن؛ الذي سمِعناه من الذين بدأوا بمعاوية وعمرو؛ وصلُوا إلى أبي بكر وعمر، ثمّ بعد ذلك يُهْدَم دينُكم بالكامل؛ سواء كنت تشعُر أو لا تشعُر؛ ولكن دينك انتهى.

كيف؟ من الذي أوصل لك السنّة والقرآن؟ كيف وصلك القرآن؟ من الذين بلّغوك القرآن؟ الصحابة هم الذين حمّلوا القرآن وبلّغوه لِمن بعدهم، فإذا كان الصحابة كُفّاراً؛ فهل يُقبَلُ خبر الكافر ونقلُه؟ لا يُقبل؛ إذاً قرآنُكم باطل.

أرأيت كيف يكون التدرجِ ؟! هذا التدرّج أوصل إلى هذا؛ لذلك فالرافضة تدرّجوا هذا التدرجِ، ووصلوا إلى أن القرآن محرّف؛ بهذه الطريقة، تدرَّجوا واحدة واحدة؛ إلى

أن وصلوا إلى أنّ القرآن محرّف؛ وضعَه الصحابة، غيَّروا وبدّلوا الذي يُريدونه؛ لأنّهم كفّار! هذه طريقتهم، وهكذا يقولون.

إذاً الذي يطْعن في واحد من أصحاب النبي ﷺ؛ فإنّما يريد في النّهاية إلى أن يصِل إلى هَدم شريعة الله سبحانه وتعالى؛ ومن هنا جاء قول أبي زُرعة الرّازي ـ رحمه الله ـ: أن من طَعن على واحدٍ من أصحاب النبي ﷺ؛ فهو زنديق[(١)]، بواحد فقط؛ فهو زنديق؛ لأنه يريد أن يصل إلى هذا.

السلف كانوا فُطناء، وليسوا أغبِياء كبعض من هُم اليوم مَوجودون؛ بدعوى حُسن الظن؛ فأوصلهم حسن الظن إلى الغباء والسذاجة، حقيقة هذا ما عاد حسن ظن؛ هذا صار غباءً، سذاجة؛ يُحسن الظن بمن يُفسد دين الله سبحانه وتعالى، وهو يقول لك: أحسن الظن، الأصل حُسن الظن.

فابقَ أحسِن الظن؛ حتى يُدمِّر الدين وهو يقول لك: أحسن الظن، إلى متى تحسن الظن؟

إحسان الظن واجب فيمن أظهر لك الخير، أمّا من أظهر لك الباطل؛ فهذا يجب عليك أن تُحذِّر منه، وأن تحذَره، وأن تحفظ دين الله سبحانه وتعالى منه.

---

(١) أخرج الخطيب البغدادي في "الكفاية" (ص٤٩) بإسناده إلى أبي زرعة؛ قال: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة".

قال: (ولا يُطعنُ على رسول الله ﷺ، ولا على أصحابه رضي الله عنهم ؛ لأنّا إنّما عرفْنا الله، وعرفْنا رسوله، وعرفنا القرآن، وعرفنا الخير والشرّ، والدنيا والآخرة ؛بالآثار)؛ كل هذا الدين؛ الشرع الذي عرفناه؛ من أين؟ من الآثار؛ قال الله، قال رسول الله ﷺ.

قال: (فإنّ القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن)؛ انظر إلى ما وصلَ؟ وهذه الكلمة قد أُثِرت عن أكثر من واحد من السلف؛ قالوا: السنة قاضيةٌ على القرآن،

القرآن أحوج إلى السنة من السنّة إلى القرآن.

وبعض السلف يقول: أنا لا أجرأُ على هذه الكلمة؛ لكن القرآن والسنّة لا يفترقان.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٦٧] والكَلامُ والجِدالُ والخُصومَةُ في القَدَرِ خاصَّةً؛ مَنهِيٌّ عَنْهُ عِنْدَ جَميعِ الفِرَقِ؛ لأنَّ القَدَرَ سِرُّ الله، ونهى الرَّبُّ جَلَّ تعالى الأنبياءَ عَنِ الكلامِ في القَدَرِ، ونهى النبيُّ ﷺ عَنِ الخُصومَةِ في القَدَرِ، وكَرِهَهُ أصْحابُ رسولِ الله ﷺ، وكَرِهَهُ التَّابِعونَ، وكَرِهَهُ العُلَماءُ وأَهْلُ الوَرَعِ، ونهوا عَنِ الجِدالِ في القَدَرِ، فَعَلَيْكَ بِالتَّسْليمِ والإقْرارِ والإيمانِ، واعْتِقادِ ما قالَ رسولُ الله ﷺ في جُمْلَةِ الأشْياءِ، واسْكُتْ عَمَّا سِوى ذَلِكَ**)

الكلام: الأخذ والرد، المُجادلة: يُجادل الشخص تتكلّم معه ويردُّ لك الكلام، والمجادلة

والخصومة بمعنى؛ لأن المجادلة أصلاً تؤدّي إلى الخصومة فيما بين الطرفَين عندما يتجادلان، وهذا أصلاً قد نُهي عنه في دين الله؛ نهى عنه السلف وحذّروا منه كثيراً، وحذّروا من مخالطة أهل البدع، ومن الخصومة والمُجادلة معهم في الباطل؛ لأنّ ذلك

يُؤدّى إلى إمراض القلوب، وإضعاف عقيدة الولاء والبراء؛ فلذلك نهى السلف عن ذلك

قال: (في القدر خاصَّة)؛ النهي فيه أشد.

قال: (منهيٌّ عنه عند جميع الفِرق) وليس فرقة واحدة من الفِرق؛ (لأن القدر سرُّ الله)؛ هذا هو السبب، مهما جادلت وخاصمت وتناقشت، في النهاية؛ ستصل إلى باب مَسدود، لن تصِل إلى شيء، وستبقى في حيرة وضياع، فلا يجوز لك أن تخوض في هذا الذي هو سرّ الله في خلقِه.

قال: (ونهى الرَّب جل وعلا الأنبياء عن الكلام في القدر) نهى جميع الخلق؛ ومنهم الأنبياء عن الكلام في القدر والخوض فيه.

قال: (ونهى النبيُ ﷺ عن الخصومة في القدر، وكرِهَه أصحابُ رسول الله ﷺ رضي الله عنهَ، وكرِهه التابعون، وكرِهه العلماء وأهل الورع، ونهوا عن الجدال في القدر)؛ فكلّهم متفّقون على عدم جواز الخوض في مسائل القدر؛ لأنّ القدر سرّ الله في خلْقه.

هذه الكلمة:-القدر سرُّ الله في خلقه- وإن كانت جاءت في حديث؛ لكنه ضعيف(١)؛ غير أن علماء الإسلام عليها؛ على تقريرها وعلى إقرارها

---

(١) قال ابن القيسراني في "تذكرة الحفاظ" (٣٨٣): "لا تَكَلَّمُوا فِي الْقَدَرِ, فَإِنَّهُ سِرُّ اللَّهِ. . .» الْحَدِيثَ. رَوَاهُ الْهَيْثَمُ بْنُ جَمَّازٍ الْحَنَفِيُّ، عَنْ عِمْرَانَ الْقَصِيرِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَالْهَيْثَمُ لا شَيْءَ فِي الْحَدِيثِ.

وقال السيوطي في "الزيادة على الموضوعات" (٧٣٨/٢): " شعبة عن سليمان التيمي عن أنس مرفوعًا: (لا تفشوا الكلام في القدر فإنّه سّر الله، ولا تجادلوا أهل البدع، فإنّ الشيطان يريد بكم الغيّ، واللّهُ يريد بكم الخير).

قال الخطيب: لا أصل لهذا الحديث عند ذوي المعرفة بالنقل فيما نعلم، وقد وضعه محمد بن عبدٍ إسنادًا ومتنًا، وله أحاديث كثيرة تشابه ذلك، وكلُّها تدلّ على سوء حاله وسقوط رواياته.

وقال الدارقطني : محمد بن عبدٍ بن عامر السمرقندي يكذب ويضع".

قال: (فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان) هذا الواجب عليك في مسائل القدر؛ تؤمن بأنّ الله سبحانه وتعالى قد علِم كلَّ شيء، كتب مقادير كل شيء قبل خمسين ألفَ سنة، وأنّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما أصابك لم يكن لِيُخطئك، وأنّ ما أخطأك لم يكن لِيُصيبك؛ وأنه خالق أفعال العباد، كل هذه مسائل القدر؛ تؤمن بها وتُسلِّم كما جاءت، كما أُمرنا، فما جاءك من مسائل القدر قدْ نُصَّ عليه في القرآن والسنة تُسلِّم وتؤمن به، وغير ذلك تسكت وتتوقّف، ولا تزِدْ على ذلك؛ فالمسألة خطيرة، وكما أننا ذكرنا نؤمن بهذه التي ذكرناها؛ نؤمن بحكمة الله تبارك وتعالى في أفعاله، ونؤمن بأنّ الله ليس بظلّام للعبيد.

قال: (واعتقاد ما قال رسول الله ﷺ في جملة الأشياء) كل الأشياء التي ذُكرت في مسائل القدر؛ وجب عليكَ أن تؤمن بها؛ قدّر الله سبحانه وتعالى رِزق المرء، قَدَّر لَه شقي أم سعيد، قَدَّر له حياته ومتى يموت؛ كل هذا نؤمن به ونصدّق، نؤمن بِكل ما تقدم، ونسكت عمّا سوى ذلك؛ هذه عقيدة أهل السنة، هذه طريقتهم في التعامل مع مسائل القدر.

وقد تقدم الكلام في القدر، وكيف يكون الإيمان به؛ لكن المقصود هنا تقريرُه: هو عدم الخوض والجدال والمخاصمة في مسائل القدر.

ثم قال المؤلف ـ رحمه الله ـ :(**[٦٨] والإيمانُ بِأَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أُسْرِيَ بِهِ إلى السَّماءِ، وصَارَ إلى العَرْشِ، وكَلَّمَ اللهَ تعالى، ودَخَلَ الجَنّةَ، واطَّلَعَ إلى النّارِ، ورأى الملائِكَةَ، وسَمِعَ كَلامَ اللهِ عز وجل، ونُشِرَتْ لَه الأنبياءُ، ورأى سُرادِقاتِ العَرْشِ والكُرسيِّ وجميعَ ما في السّماوات وما في الأرَضينَ في اليَقَظَةِ، حَمَلَهُ جِبْريلُ على البُراقِ**

حَتَّى أَدَارَهُ فِي السّماوات، وفُرِضَتْ عليه الصَّلواتُ الخَمْسِ في تِلْكَ الليلةِ، وَرَجَعَ إلى مَكَّةَ لَيْلَتَهُ، وذلِكَ قَبْلَ الهِجْرَةِ).

الإيمان بأنّ رسول الله ﷺ أُسريَ به إلى السماء واجب؛ يعني يجب عليك أن تؤمن بالإسراء والمعراج، قال تعالى: {سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَام إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ}(١)، والإسراء: هو السير في الليل، والمِعراج: هو الصُعود، والنبي ﷺ أتاه جبريل وهو في مكّة، وأخذه على الدّابة التي تُسمّى البُراق، وانطلقت من مكّة إلى بيت المقدِس؛ مسافة طويلة؛ أكثر من ألْفَي كيلو، لكن الدّابة هذه كانت دابّة عظيمة وسريعة؛ إذا مدّت قائمتها؛ تصِل إلى بُعدِ نَظرِها، فوصلت إلى بيت المقدس وربطها النبي ﷺ في حَلَقة البيت، في المكان الذي يربط الأنبياء، ودخل المسجد وصلى بالأنبياء- كما جاء في حادثة الإسراء والمعراج- وقال البعض بأنه صلى بهم بعد رجوعه، ثم صعد جبريل بالنبي ﷺ إلى السّماء الدّنيا، ووجد فيها الأنبياء، ثمّ السّماء الثانية، والثّالثة، والرّابعة والخّامسة، والسّادسة، والسابعة؛ فوصل إلى السّماء السّابعة، وكلَّمَ الله تبارك وتعالى، وكلّمه ربُّه تبارك وتعالى، وشرع الله الصّلوات الخمس؛ كلّ هذا مذكور في حديث الإسراء والمِعراج وهو في الصحيحيْن(٢)؛ نؤمن بهذا كلّه، ونؤمن أنّ النّبي ﷺ رأى الجنة ورأى ما فيها، ورأى النار ورأى ما فيها، وكُل ما ذُكِر في هذا الحديث في الصحيحيْن، نؤمِن ونصدّق به، وبما صحّ من أخبار النّبي ﷺ

---

(١) [الإسراء:١].

(٢) أحاديث الإسراء والمعراج: أخرج البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) عن أبي ذر.
والبخاري(٣٢٠٧) ، (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤) عن مالك بن صعصعة،
والبخاري(٧٥١٧)، ومسلم (١٦) عن مالك بن أنس.

في هذا؛ ونُؤمن أنّه حقٌّ، وأن الله سبحانه وتعالى أَسْرى بنبيه بِجسدِهِ وروحِه حقيقةً لا مناماً كما تدّعيه بعض الفِرق، ويدعون أن الإسراءُ بِرُوحِه لا بجسده، المنام لا ينكره الكفار؛ ما كانُوا يُنكرون المنامات، ولمّا أُسرِيَ بالنبي ﷺ أنكروا عليه هذا؛ لمّا قال لهُم هذا الأمر، وصاروا يستهزئون ويضحكون من هذا الكلام، كيف حصل هذا الأمر الخارج عن المُعتاد؛ كيف يحصل أمر كهذا ! حتى طلبوا منه أمارة- علامة على صِدقِه في ذلك-؛ فقالوا لَه: صِف لَنا بيت المقدس، وهم يعرفون أنّ النبي ﷺ ما وصل إلى بيت المقدِس ولا يعرف أوصافَه، قالوا له: صِف لنا بيت المقدس؛ علامة على صِدقك، فجاءهُ جبريل ببيت المَقدس أمامه؛ يراه ويصِفه مباشرة؛ فوصفه لهُم؛ فبَانَ صِدقُه فيما ذكر ﷺ؛ فلِذلك كل ما وَرد من روايات فيها أنّ هذه القصة كانت في مَنام؛ هي روايات باطلة، والرّوايات الصّحيحة أن الإسراء كان بِرُوحه وجسده؛ فنؤمن بذلك كلِّه.

قال: (وصَار إلى العرش) يعني وصل النبي ﷺ إلى عرش الرّحمن، وكلَّمَ الله تعالى؛ كما جاء في أحاديث الإسراء، (ودخل الجنّة) كما جاء فيها أيضاً.

قال: (واطَّلَع إلى النّار)، لاحظ قوله: (ودخل الجنّة واطّلع إلى النّار)؛ ما دخل النار واطلع على ما فيها، وأمّا الجنّة فدخلها.

قال: (ورأى الملائكة، وسمِع كلام الله عز وجل، ونُشِرَت لَه الأنبياء، ورأى سُرادِقاتِ العرش والكُرسيِّ) يعني رأى النبي ﷺ ما حول العرش، وما حول الكرسي.

قال: (وجميع ما في السّماوات، وما في الأرَضين في اليقظة)؛ كل هذا رآه في اليقظة وليس في المنام، وإسراؤه كان في اليقظة لا في المنام.

قال: (حَملَه جبريلُ على البُراق حتى أَدَارُه في السّماوات، وفُرِضت عليه الصَّلوات الخمس في تلك الليلة)، في تلك الليلة فُرِضت الصلوات الخمس، وكان أوّل ما فُرضت خمسين صلاة؛ فرضها الله عليه لما كان في السّماء السّابعة، فأخبره الله سبحانه وتعالى بذلك، وأنّه فرض على هذه الأمّة خمسين صلاة، فنزل النّبي ﷺ، فلقِيَه موسى وقال لَه: إنّي أعرف أمّتك لا يقدرون على ذلك فارجع إلى ربّك واطلُب منه أن يُخفّف؛ فرجع وخفّف، وصار هذا الرجوع أكثر من مرّة؛ إلى أن خفّف إلى خمس صلوات ولهُنّ أجر خمسين صلاة- فضلاً و مِنّةً من الله سبحانه وتعالى لِهذه الإمّة-، تُصلي خمس صلوات؛ لكن أجرها: خمسين صلاة.

قال: (وفُرِضت عليه الصّلوات الخمس في تلك الليلة، ورجع إلى مكّة ليْلته، وذلك قبل الهجرة)؛ هذا كلّه كان قبل هجرتِهِ إلى المدينة ﷺ.

قال المؤلّف رحمه الله :(**[٦٩] واعْلَمْ أنَّ أَرْواحَ الشّهَداءِ في حَواصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ في الجَنَّةِ، وتَأْوي إلى قَنادِيلٍ تَحْتَ العَرْشِ، وأَرْواحُ الفُجْارِ الكُفَّارِ في بِئْرِ بِرْهوت؛ وَهْيَ في سِجّين**).

هكذا جاء في الحديث[(١)]؛ أنّ الشهداء أرواحهم تكون في أجساد طيور في الجنّة؛ تسرَح وتتنعّم في الجنّة؛ وهذا في أرواح الشُّهداء.

---

(١) أخرج مسلم في "صحيحه" (١٨٨٧): عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩]؛ فقَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: " أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ..".

قال: (وتأوي إلى قَناديلَ تحت العَرش) هكذا جاء في نفس الحديث.

قال: (وأرواح الفُجّارِ والكفّار في بئر برهوت؛ وهي في سجّيل)، هذا ورد في حديثٍ ضعيف؛ لا يصِح(١).

والصحيح أنّ أرواح الكُفّار في قبورهم يُعذبون؛ كما صحّت بذلك الأخبار عن النّبي ﷺ(٢).

والرّوح تُطلقُ في اللّغة؛ ويُرادُ بها حياة ذواتِ الأرواح؛ فالحياة على قسمَين:

حياة حركةٍ: وهذه تكون في ذوات الأرواح.

وحياة نُمُوٍّ: وهذه تكون في الأشجار والنباتات؛ وهذا التقسيم ذكره ابن القيّم رحمه الله(٣).

انظروا إلى الشجرة الآن؛ عندما تقطعْها تيْبس وتموت؛ هذه حياة؛ لكن لا روح فيها، وأمّا الحَيوان والإنسان إذا مات خرجت روحه؛ ففيه روح، كذلك الجنين في بطنِ أمّه قبل الأشهر الأربعة تكون فيه حياة، من قِبَلِ حياة الأشجار والنّباتات؛ لأنّه لا روح

(١) أخرجه البيهقي في "البعث والنشور" (١٠٣٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وفي إسناده مبهم

وأخرجه ابن حبان في "صحيحه"، وقال الشيخ الألباني: "ضعيف، والظاهر أنه من الإسرائيليات".

وأخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٩١١٨) من حديث علي رضي الله عنه.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله في "تحقيق الآيات البينات" (٩١): " وأما فقرة أرواح الكفار فلم ترد في حديث مرفوع وإنما هي آثار موقوفة ساقها ابن القيم (١٠٦ – ١٠٧) وكلها ضعيفة الإسناد، نعم وقع مرفوعاً في مؤلف لأبي سعيد الخراز كما في " مجموع الفتاوى " لابن تيمية (٤ / ٢٢١) لكن الخراز هذا صوفي مشهور بيد أنه في الرواية غير معروف ...".

(٢) كما في حديث البراء الآتي.

(٣) "تحفة المودود بأحكام المولود" (ص٢٤٦، ٢٦١).

فيه، ثم تدبُّ فيه الرّوح بعد الأشهر الأربعة؛ عندئذ تُصبح حياته كحياة بقيَّة البشر، أمّا قبل ذلك؛ فتكون حياتُه كحياة النباتات والأشجار؛ لا روح فيها وإنّما هي نُمُو؛ يمو، يكبُر لكن لا روح فيه.

قال المؤلْف رحمه الله : (**[٧٠] والإيمانُ بِأنَّ المَيِّتَ يُقْعَدُ في قَبْرِهِ وتُرْسَلُ فيه الرُّوحُ؛ حَتّى يَسْأَلَهُ مُنْكَرٌ ونَكيرٌ عَنِ الإيمانِ وشَرائِعِهِ، ثُمَّ تُسَلُّ رُوحُهُ بِلا أَلَمٍ**).

يُشير في هذا إلى حديث البَرَاء بن عازب(١)، الذي ذكر فيه بأنّ الميّت إذا وُضِع في قبرِه، جاءه ملكان فأجلساه، فسألاهُ: من ربّك، وما دينك، وماذا تقول في هذا النّبي الذي بُعث فيكم؟ فإذا كان رجلاً صالحاً؛ قال: رَبِّيَ الله، وديني الإسلام، ونبيّ محمّد ﷺ؛ والجواب على هذا السؤال يكون على حسب العلم والعمل والإيمان في الدّنيا، وليس مجرّد جريدة يحفظُها وينتهي الأمر؛ لا، حتّى لو كان حَفِظَ الحديث بالكامل، ولم يؤمن ولم يعمل؛ لن يُجيب؛ الإجابة تكون على حسب العلم والإيمان والعمل، فإذا كان من أهل الإيمان والعمل؛ أجابَ بهذا الذي ذكرنا، وإذا لم يكن كذلك؛ فيقول : (ها، ها؛ لا أدري)، ثم بعد ذلك: ينعَّم المؤمن، ويُوسّع لَه في قبره، ويُفتَح له باب إلى الجنة، ويبقى في نعيمه إلى أن تقوم السّاعة، وأما الكافر فيُعذَّب في قبرِه؛، يُضغط عليه قبره ويُضَيّق عليه، ويُفتح لَهُ باب إلى النّار، ويبقى يُعذّب إلى أن تقوم الساعة؛ هكذا ورد في الحديث.

وهذان المَلَكان؛ جاء في رواية عند التّرمذي(٢) بأنّ اسمها: (مُنكرٌ ونكير) .

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٣٥٧)، وأصله في الصحيح.
(٢) (١٠٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: (ثُمّ تُسلُّ روحُه بلا ألمٍ)؛ كما جاء[(١)] بأن روحَه تخرج منه بلا ألم؛ بخلاف الكافر، إذا خرجت روحه؛ تُخرج بألمٍ شديد، كما لو أنّ صُوفاً قد التفَّ على شَوكٍ ثم نُزِع الصُّوف من الشَّوك.

قال: ([٧١] **ويَعرِف المَيّتُ الزّائر إذا زارَه، ويَتَنَعَّمُ المُؤْمِنُ في القَبْرِ، ويُعَذَّبُ الفاجِرُ كيف شاءَ اللهُ تعالى**).

قوله: (ويَعرِف المَيّتُ الزّائر إذا زارَه)، ولا يصحّ في ذلك شيء عن النّبي ﷺ؛ أحاديثه كلّها ضعيفة[(٢)]، قال الله: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ المَوْتَى}[(٣)]، هذا الذي يصح كدليل على المسألة؛ قول الله سبحانه وتعالى: { إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ المَوْتَى}، وقوله: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ }[(٤)]، والأصل أنّ الذي في القبر لا يسمع ولا يعلمُ شيئاً مِمَّا هو خارج القبر؛ اللهم إلّا قَرَع نِعال الذين يُشيّعونه عندما يُدخلونه في القبر ويذهبون؛ لأنهم يُصبحون كأنهم على السطح من أعلى؛ فيسمع قَرْعَ نِعالهم فقط. وما ورد خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم من إسماع بعض المشركين تبكيتاً لهم[(٥)].

هذا الذي وردَ به النَّص، وهذه الأمور الغَيبية- أمور القبر وما يحصل فيه- كلُّها أمور غيْبيّة لا تُقاس على أمور الدّنيا، ما ثبتتْ به الأخبار؛ أثبتْناه، وما لم تثبُت به الأخبار؛

---

(١) كما جاء في حديث البراء بن عازب الطويل.

(٢) انظر الضعيفة للألباني (٤٤٩٣).

(٣) [النمل:٨٠].

(٤) [فاطر:٢٢].

(٥) انظر "الآيات البينات في عدم سماع الأموات" للألوسي بتحقيق الألباني رحمهم الله.

لم نُثبِته؛ هذه عقيدتُنا في ذلك؛ لأن هذه المسائل بالنسبة لنا غَيْبِيَة، لا نعلم عنها شيئاً؛ فلا يصح شيء في أنّ الميّت يسمع من هم خارج القبر.

وهذه المسألة- سماع الميّت للزّائر- هي من ذرائع المشركين؛ الذين يُشركون ويعبدون الأولياء، ويعبدون القبور، يتذرّعون بهذا؛ يقولون قد ثبت سماع الميّت؛ فإذاً نحن ندعوه ونتقرّب إليه وهذا باطل؛ سواء قلنا بأنّه يسمع أو لا يسمع؛ فكلّ هذا الذي ذكروه باطل؛ لأنّه حتّى لو كان يسمع؛ فلا يجوز لك دعاءه؛ لأنّه إذا كان يسمع فإنّ الله سبحانه وتعالى ذكر لنا أنّه يسمع، ولم يذكر لنا أنّنا ندعوه ونسألُه، هذه الحال- هذا لو سلّمنا بأنّه يسمع- ولكنّه على كل حال لا يسمع، والأحاديث التي تدلّ على أنه يسمع ضعيفة لا يصحّ منها شيء.

قال: (ويتنعَّمُ المُؤمن في القبر، ويُعذِّب الفاجِرُ كيف شاء الله) كما ذكرنا في حديث البراء بأنَّه يفتح عليه باب إلى نار جهنّم، وكذلك المؤمن يُفتح لَه باب إلى الجَنّة، والكافر يُعذَّب، والمؤمن يُنعَّم وهو في قبره على ما جاء في حديث البراء، وغيره من الأحاديث الصّحيحة. والله أعلم

قالَ المؤلف - رحمهُ الله - (**[٧٢] والإيمانُ بأنَّ اللهَ هُوَ الذي كَلَّمَ موسى بنَ عِمْرَانَ عليه الصلاة والسلام يَوْمَ الطُّورِ؛ وموسى يسمعُ من الله الكلامَ بصَوته، وقع في مسامعهِ منه، لا من غيرِهِ، فمن قالَ غير هذا؛ فقد كَفَرَ بالله العظيم**).

يؤمنُ أهل السُّنَّة والجماعة بأنَّ الله سبحانهُ وتعالى يتكلَّم كلاماً حقيقياً، ومعنى الكلام الحقيقيّ أنَّه بحرفٍ وصوت، يتكلَّمَ بحرفٍ وصوت فيسمعهُ من أرادَ الله سبحانه وتعالى له أن يسمعه؛ هذه عقيدةُ أهل السنة والجماعة، ومِمَّن كلمه الله سبحانه وتعالى وسمع كلامه: موسى بن عمران، الذي قالَ اللهُ سبحانه وتعالى فيه: {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ

الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}[١]، هذا ما يشيرُ إليه المؤلف من قوله: (يوم الطُّور)؛ فكلَّم الله سبحانه وتعالى موسى وسَمِعَ موسى كلام ربِّهِ تبارك وتعالى، قال الله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا}[٢]، وقالَ أيضاً: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}[٣]، إذن فقد كلَّمَ الله سبحانه وتعالى موسى كلاماً حقيقياً، وموسى سمع كلام الله تبارك وتعالى الذي تكلَّم به بحرف وصوت؛ على هذا عقيدة أهل السنة والجماعة وقد قدَّمنا القولَ في مسألة الكلام، وفي هذا ردٌّ على أهل البدع الذين ينفون صفة الكلام عن الله تبارك وتعالى، ويقولون الله سبحانه وتعالى لا يتكلم؛ لأنه إذا قلنا بأنه يتكلم يلزم من ذلك التشبيه بالمخلوقين.

هذا كلام باطل مردود؛ ولا يلزم؛ فكلام الله كلام يليق بجلاله وعظمته، وكلام المخلوق يليق به وقدمنا القول مُفَصَّلًا فيما تقدَّم من دروس.

قال: (وقعَ في مَسامعهِ مِنهُ) أي من الله سبحانه وتعالى، وقع في مسامع موسى كلام الله سبحانه وتعالى.

وهو كلامٌ من الله لا من الشجرة، ولا من جبريل، ولا من محمّد ﷺ، ولا شيء من هذه الأقوال الباطلة التي يُدندن بها أهل الباطل، القرآن هذا كلام الله؛ تكلم به، وجبريل ومحمد ﷺ مبلّغان؛ بلّغا كلام الله تباركَ وتعالى، والكلام يُضاف إلى قائله؛ فلا يصح أن نقول بأن القائل: { أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا }[٤] أنَّه محمد أو جبريل أو الشجرة ؛

---

(١) [مريم:٥٢].
(٢) [النساء:١٦٤].
(٣) [الأعراف:١٤٣].
(٤) {طه:١٤}.

هذا كلام لا يصدر إلا من رب العالمين تبارك وتعالى، فالكلام كلامه تبارك وتعالى لا من غيره، فمن قالَ غير هذا الذي هو مُقَرَّر عند أهل السُّنَّة ودلَّت عليه أدلة الكتاب والسنة؛ فقد كفر بالله العظيم، هذا القول كفر؛ القول بأن الله لا يتكلَّم، أو أن القرآن مخلوق ليس بكلام الله سبحانه وتعالى: كفر لا خلافَ في ذلك؛ لكن تنزيل الحكم على المُعيَّن هذا يحتاج إلى تحقّق الشروط وانتفاء الموانع؛ لكن هذا القول كفر ورِدَّة عن الإسلام؛ لأنه تكذيب لكتاب الله ولسنة الرسول ﷺ ولِما أجمعَ عليه سلف الأمة رضي الله عنهم.

قال المؤلف- رحمه الله -: (**[٧٣] واعْلَمْ أنَّ الشَّرَّ والخَيْرَ بِقَضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ**)

كلُّ ما يقعَ في هذا الكون من خيرٍ وشرٍ بتقدير الله سبحانه وتعالى، قد قدَّر الله مقادير كل شيء حتَّى تقومَ السَّاعة؛ من ذلك الخير والشر، الإيمان والكفر، الصحة والمرض والجوع والعطش والشبع والرّي؛ كل ذلك، حتى الحياة والموت؛ كل ذلك مُقَدَّر عند الله تبارك وتعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}(١)، وقال النَّبي ﷺ: "كلُّ شيء بِقدر حتى العْجَز والكَيْس"(٢)

وقد تقدَّم القول في مسألة القدر.

قال المؤلف - رحمه الله - : (**[٧٤] والعَقْلُ مَوْلُودٌ، أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسانٍ مِنَ العَقْلِ ما أَرادَ اللهُ عَزَّ وجل، يَتفاوَتون في العُقولِ مِثْلَ الذَّرَّة في السَّماواتِ، ويُطْلَبُ مِنْ كُلِّ إِنْسانٍ**

---

(١) [القمر:٤٩].

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٥) عن ابن عمر رضي الله عنه.

مِنَ العَمَلِ على قَدْرِ ما أَعْطاهُ مِنَ العَقْلِ، ولَيْسَ العَقْلُ باكْتِسابٍ؛ إنَّما هو فَضْلٌ مِنَ اللهِ عز وجل).

قوله: (العقل مولودٌ) يعني مخلوق.

العقل آلة الإدراك، ويُطلق أحياناً على الفَهم، والمُراد هنا: آلة الإدراك، وهو مخلوق، وهو جزء من الإنسان، والإنسان مخلوق كله.

قال: (أُعطِيَ كل إنسان من العقل ما أراد الله عز وجل) أَعطى الله سبحانه وتعالى كل إنسان قدراً من العقل، فالناس يتفاوتون فيه؛ لذلك قال يتفاوتون في العقول، لاحظ قول النبي ﷺ في النساء: "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن"(١)، فنُقصان العقل هذا يدل على أن الناس تتفاوت في العقول.

قال: (مثل الذَّرة في السّماوات) يعني يتفاوتون تفاوتاً عظيماً.

قال: (ويُطلب من كل إنسان من العمل على قَدْر ما أعطاه من العقل) فالعقل هو مناط التكليف، هو الذي يتعلّق به التكليف، فعلى قدر ما عندك من العقل؛ تُكلَّف، فالمجنون مثلاً لا عقل له؛ فلا يكلف البتَّة، الصغير المولود حديثاً لا يُكلَّف البتَّة؛ لأن مناط التكليف غير موجود، المُميِّز الذي حصل عنده التمييزَ وكَبُر في سنه شيئاً قليلاً وصار يحسن يتوضأ ويصلي؛ تُقبل منه أعماله؛ لكن من ناحية التكليف لا يُكلَّف حتى يصل إلى سن البلوغ، سن البلوغ هذا يكون عقله قد وصلَ لدرجة يستطيع معها إدراك الأحكام الشرعيَّة وما يترَّتب على الأحكام الشرعيَّة؛ لذلك يُكلَّف في هذا السّن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٥) عن ابن عمر رضي الله عنه.

وهو سن البلوغ؛ فالعقل ينمو؛ يزيد، ويزيد إدراك الانسان حتى يصل إلى ما أراد الله سبحانه وتعالى أن يعطي العبد منه؛ ثم يتوقف.

والناس يتفاوتون ما بين ذكي وبليد؛ ويوجد ذكي وأذكى، وهكذا؛ يعني قدرتهم على التفكير؛ العقول التي آتاهم الله سبحانه وتعالى تتفاوت؛ فالله سبحانه وتعالى لا يكلف إنساناً لم يعطه قوة في الإدراك وآلة كاملة في العقل؛ لا يكلفه مثلاً أن يكونَ عالماً بالشريعة، وأن يتعلَّم جميع أحكام الشريعة التي لا يدركها عقله بالكامل؛ يكفيه أن يأخذ من الشريعة ما أوجب الله عليه، فما أوجبَ الله على العباد؛ يدركه جميع الناس حتى الذين عندهم عقول ليست بذات الدرجة العالية من الذكاء؛ يستطيعون أن يدركوا ويفهموا القدر الذي أوجب الله سبحانه وتعالى عليهم تعلّمه.

قال: (ويُطلَب من كل إنسان من العمل على قدرِ ما أعطاهُ من العقل، وليس العقل باكتسابٍ؛ إنَّما هو فضل من الله عز وجل)

يعني لا يتمكن الشخص إذا نوى أن يكون عنده عقل زائد، أن يسعى حتى يكون عندهُ عقل زائد؛ هذا لا يحصل؛ لأن العقل لا يُدرك بالاكتساب، لا يكون منك بعمل؛ لا يحصل عندك بعمل؛ وإنما هو فضل من الله يَمُنُ به على من يشاء من خلقه، ويعطي كلاً على حسب حكمته تبارك وتعالى.

هذا معنى أن العقل ليس باكتسابٍ وإنما هو فضل من الله تبارك وتعالى يتفضَّلُ بهِ على من يشاء من خلقه.

قال المؤلف - رحمهُ الله -: (**[٧٥] واعْلَمْ أَنَّ اللهَ فَضَّلَ العِبادَ بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ في الُّدنيا والآخِرَةِ؛ عَدْلاً مِنْهُ، لا يُقالُ: جارَ ولا حابى، فَمَنْ قالَ: إنَّ فَضْلَ اللهِ على المُؤْمِنِ**

والكافِرِ سواءٌ؛ فهوَ صاحِبُ بِدْعَةٍ؛ بَلْ فَضَّلَ اللهُ المؤْمِنَ على الكافِرِ، والطَّائِعَ على العاصي، والمَعْصومَ على المَخْذولِ؛ عَدْلاً منه؛ هُوَ فَضْلُهُ يُعْطيه مَنْ يَشاءُ، ويَمْنَعُهُ مَنْ يَشاءُ).

هذه المسألة مُتعلقة بمسائل القدر.

يقول المؤلف: (واعْلَم أن الله فضَّلَ العباد بعضهم على بعض في الدنيا والآخرة)؛ فالمؤمن أفضل من الكافر، والمؤمنون يتفاوتون؛ بل إنَّ الأنبياء يتفاضلون، قال الله سبحانه وتعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ}[١]، والنَّاس أيضاً يتفاضلون، قال النبي ﷺ: "خيرَ النَّاس قرني، ثمَّ الذين يَلونهُم ثمَّ الَّذين يَلونهُم"[٢]، وأفضل هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر ثمَّ عمر ثم عثمان؛ تفاضلهم هذا تفاضل دنيوي وتفاضل أخروي؛ فالنَّاس عند الله يتفاضلون.

قال: (عدلاً منه)، هذا التفاضل الذي جعله الله سبحانه وتعالى بين العباد، وجعلَ فلاناً أفضل من فلان؛ إنما هو بعدله تبارك وتعالى هذا بعدله، ليس فيه ظلمٌ لأحد؛ بل هو عدل من الله؛ فاللهُ لا يمنع حقاً لِأحدٍ؛ فيُعطي الله سبحانه وتعالى مِن فضله مَن شاء من عباده، وبما أنَّ ما يعطيهِ فضلاً وتكرماً منه، فإذا أعطى شخصاً ومنع آخر؛ لا يكون في ذلك شيء من الظلم والجَور، أعطى أبا بكر من الفضل ما لم يعطِ زيداً من الناس؛ هل يُقال ظلم زيداً؟! لا؛ لأن الفضل الذي منَّ به على أبي بكر هو فضله وكرم منه ليس مِلكاً لا لزيد ولا لأبي بكر، فلمَّا تفضَّلَ به على أبي بكر؛ ليس لزيدٍ أن يقول

---

(١) [البقرة:٢٥٣].

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

منعتني حقي؛ لأن هذا فضله يعطيه من يشاء من عباده، ولا يكون ظالماً لأحدٍ بذلك؛ فهو يتصرَّفُ في ملكهِ ويعطي من فضله؛ فليس لأحد عنده حق يطالب به.

أما المُعتزلة فيقولون: يجب على الله أن يَعدِل بين الناس، وأن يُعطيهم سواء، وأن يجعل هذا مثل هذا، فإذا أغنى هذا؛ أغنى هذا، وإذا أعطى هذا ما يجب من الإيمان؛ يجب عليه أن يعطي هذا من الإيمان؛ هذا باطل، هذا ملك لله سبحانه وتعالى يتفضلَّ على من يشاء ويمنع من يشاء، ولا أحد يوجب على الله سبحانه وتعالى شيئاً؛ إلا ما أوجبَ هو على نفسه؛ ليس لأحد أن يوجب عليه شيء من ملكه وفي ملكه، ليس لأحدٍ أن يتدخل في هذه الأمور؛ فهو تبارك وتعالى يعطي ويمنع لحكمة؛ فمن ناحية الجزاء يُجازي بعدل؛ وأما العطاء؛ فهذا فضل منه يمُنّ به على من يشاءُ من خلقه.

قال: (لا يُقال جارَ ولا حابى) جارَ يعني ظَلَم، لا يُقال ظَلَم ولا حابى؛ يعني: اختص البعض دون البعض بما هو حق للآخر؛ لا يُقال هذا؛ فهذا لا يصدر من الله سبحانه وتعالى، لا يحصل ظلم منه.

قال: (فمن قالَ إن فضل الله على المؤمن والكافر سواء؛ فهو صاحب بدعة)، وهذا القول قول المعتزلة، الذين يقولون: الله سبحانه وتعالى ليس هو الذي يهدي، ولا هو الذي يُضِل؛ ما أعطاه للمؤمن وما أعطاه للكافر واحد؛ سواء، وليس له تصرف في أفعال العباد، والعبد هو يخلق فعله بنفسه، ففَضْلهُ على الكافر كفضلهِ على المؤمن؛ لم يعطِ للمؤمن من الإيمان أكثر من الكافر، ولم يتفضَّل به على المؤمن أكثر من الكافر؛ هذا ما يقوله المعتزلة وهو باطل وكَذِب على الله تبارك وتعالى؛ والله سبحانه وتعالى هو الذي يَمنُّ على عبادهِ بالهداية، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء؛ قال الله تبارك وتعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ

ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}[(١)]، وقالَ :{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ}[(٢)]؛ يعني لو أرادَ أن يجعلكم جميعاً مسلمين على دينٍ واحد؛ لجعلكم؛ ولكنه يهدي من يشاء إلى دين الحق؛ ويضلُّ من يشاء بحكمته تبارك وتعالى.

قال: (بل فضَّلَ الله المؤمن على الكافر)، يعني الله سبحانه وتعالى بفضله أعطى المؤمن الإيمان؛ فتفضَّلَ على المؤمن وفضَّلَهُ على الكافر. {أفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون}[(٣)]، إذن فضَّل اللهُ سبحانه وتعالى أهل الإسلام على أهل الكفر.

قال: (والطَّائع على العاصي) فضلٌ مِنه تبارك وتعالى أن جعل الطائع المُستجيب لأمر الله تبارك وتعالى والمنتهي عن نهيه؛ جعله أفضل من العاصي.

قال: (والمعصوم على المخذول) يعني فضل الذي عصمهُ عن المعصية عن الذي خذله ولم يعصمه عنها.

قال: (عدْلاً منهُ) كلُّ هذا يفعله عدلاً منه تبارك وتعالى؛ فلا يظلم أحداً.

قال: (هو فضلهُ يعطيه من يشاء ويمنعهُ من يشاء) هذه الخلاصة: فضل الله سبحانه وتعالى يعطيه من يشاء من خلقه ويمنعه من يشاء.

---

(١) [الأنعام:١٢٥].

(٢) [النحل:٩٣].

(٣) [القلم:٣٥].

قالَ - رحمهُ الله - : (**[٧٥] ولا يَحِلُّ أَنْ تَكْتُمَ النَّصِيحَةَ أَحَدَاً مِنَ المُسْلمينَ؛ بَرَّهُمْ وفاجِرَهُمْ في أَمْرٍ مِنْ أُمورِ الدِّينِ، فَمَنْ كَتَمَ؛ فَقَدْ غَشَّ المُسْلمينَ، ومَنْ غَشَّ المُسْلمينَ؛ فقدْ غَشَّ الدِّينَ، ومن غشَّ الدين؛ فقد خانَ اللهَ ورسولهَ والمؤمنين**)

النَّصيحة مأخوذة من النُّصح؛ قالوا: أصله تخليصُ العسل من الشمع وما يشوبه؛ فتخليص الشيء مِمَّا يعكِّر صفوه؛ هذا معنى النُّصح، فالنصيحة المقصودة هنا هي: أن تكون صادقاً في بيانك للحق وإظهاره، وفي أداء ما أوجب الله عليك ناحية الدَّين وتجاه ربّ العالمين، وتجاه نبيه ﷺ، وتجاه المسلمين، قال ﷺ: "الدِّينُ النَّصيحة الدِّينُ النَّصيحة الدِّينُ النَّصيحة"[1]؛ فجمعَ الدّين كلّه في النَّصيحة؛ كما قال: "الحجُّ عرفة"؛ فالركن الأساسي والأصلي لهذا الدين هو النصيحة، (قُلنا لمن يا رسول الله؟ قال : "لله") كيف تكون النَّصيحة لله؟

أن تؤمن بحقوق الله سبحانه وتعالى، وأن تؤديها كما أُمرت؛ تكون ناصحاً لله سبحانه وتعالى.

أن تؤمن بروبيته؛ أنه الخالق الرازق المُدبر، أن تؤمن بألوهيته؛ أنه المعبود بحق وأن غيره لا يستحق العبادة، أن تؤمن بأسمائه وصفاته؛ تثبت ما أثبت لنفسه وتنفي ما نفى عن نفسه، وتسكت ما سكت عنه؛ بهذا تكون ناصحاً لله سبحانه وتعالى.

أن تطيعهُ فيما أمركَ به، وتنتهي عما نهاك عنه، وتؤمن بشرعه ودينه؛ هذا كله من النصيحة لله سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه مسلم(٥٥) عن تميم الداري رضي الله عنه، وعلقه البخاري في "صحيحه".

قال ﷺ: "ولكتابه" النَّصيحة للقرآن: حفظه من الخلل، ونقله للآخرين، قام بها من قبلنا فحفظوه حتى وصل إلينا على الصورة التي هو عليها؛ فبقيَ على ما هو عليه منذ نزل على محمد ﷺ إلى يومنا هذا؛ هذا من النصيحة.

شَرْحهُ وتفسيره وتعليمه للناس من النصيحة، العمل بما فيه من النَّصيحة، إخلاص العمل بما فيه وفهمهُ على وجهه الصحيح وعدم التلاعب به؛ كل هذا من النصيحة لكتاب الله

قال النبي ﷺ :"ولرسولهِ"؛ كيف تكون النصيحة لرسوله ﷺ؟

بأن تؤمنَ به، وتصدقه فيما يبلغ، وأن تطيعه في أوامره، وتجتنب نواهيه، أن تدافع عنه إذا أُسيء إليه، وتذّب عنه؛ كل هذا من النصيحة لرسول الله ﷺ.

قال: "ولأئمة المسلمين"؛ وهم الأمراء والولاة الذين يقومونَ بما يجب عليهم ناحية المسلمين؛ واجباتهم كثيرة سيسألهم الله سبحانه وتعالى عنها؛ يَلزمك أن تنصح لهم، أن تكون معيناً لهم على طاعة الله سبحانه وتعالى، أن تبين لهم الحق من الباطل إذا كان عندك بيان؛ تنصحهم فيما بينك وبينهم ليس على الملأ كي لا تُهيِّج الناس عليهم؛

نصيحتك لهم تكون خاصَّة بالسّر؛ حتى لا يكون من ورائها مفاسد؛ تنصحهم بالسر وتبيّن لهم الحق وما يجب عليهم باللّطف واللّين؛ حتَّى تكون نصيحتك مسموعة منهم، تدعو لهم بالهداية والتوفيق وباتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فهدايتهم خير لأنفسهم وللنّاس جميعاً؛ هذا أيضاً من النَّصيحة لهم، لا تُهيّج النَّاس عليهم؛ من النصيحة لهم أيضاً؛ كل هذا من النصيحة لولاة أمر المسلمين.

ولا تنزع يداً من طاعة، ولا تخرج عليهم، ولا تتبَّع أخطاءهم وتنشرها بين الناس حتَّى تُهيّج الناس عليهم؛ هذا من الغش وليس من النَّصيحة؛ هذه واجباتك فيجبُ عليك أن تلتزم بها.

عليهم واجبات أيضاً، إن حصلت عليها في الدّنيا؛ الحمد لله، إن لم تحصل عليها؛ فسل الله سبحانه وتعالى أن يعطيك إياها وأن يعوضك خيراً؛ كما أرشدنا النبي ﷺ: " فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ "[(١)]، وفي رواية قال :"أدّوا ما عليكم واسألوا الله ما لكم"[(٢)]، الكلام واضح: ستجدونَ منكراً، ستجدون أمراء يؤثرون أنفسهم بالأموال والخيرات ويمنعونكم ذلك؛ كيف يكون التّصرف ؟!

تؤدي الحق الذي أوجبه الله عليك، وتسأل الله ما لَك؛ هكذا تكون النّصيحة لأئمة المسلمين .

وأما النصيحة لعامةَّ المسلمين: أن تُبيّن لهم الحق، وأن تُرشِدهم إليه، وأن تحذّرهم من الباطل، إذا وضعتَ نفسَك في مقام أهل العلم؛ فقد وَجب عليك أن تُبيّن لهم الحق: من التَّوحيد، واتباع السنة، ومن الطّاعات، وأن تُحذّرهم من كل ما يُنافي ذلك؛ من الشرك، ومن البدع والضّلالات، ومن المعاصي والذنوب، فإذا وضعتَ نفسك في مقام أهل العلم؛ وَجبَ عليك البيان، وأن تُرشد النّاس إلى خير ما تعلَمُه لهم، وأن تُحذّرهم من شرِّ ما تعلمه عليْهم؛ فتكون مُبيّناً وموضّحاً للناس شرع الله ودينه؛ حتّى تبقى الأمور كلّها صافية، نقية، واضحة، وبعد ذلك: كلٌّ يَختار لنفسه؛ فأنت ليس عليك

---

(١) أخرجه البخاري(٣١٦٣)، ومسلم(١٠٥٩) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري(٣٦٠٣)، ومسلم(١٨٤٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

هداية الناس؛ إنما واجبُك أن تبلِّغ: {إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا البَلاغ }[1] فقط؛ فبلّغ وبيِّن؛ لكن لا تغش الناس لا تخدعهم؛ تظهر لهم بصورة النّاصح وحقيقةً أنت متّبعٌ لهواك؛ تجمع المال، أو تحبّ أن تُجمع وتُكتّل الناس من حولك، وأن تجعل نفسك شيخاً يُسمَع لك، أو أن تجمع الأموال باسم السُّنَّة، أو باسم الدّين؛ كل هذا إن فعلته؛ فهو من الغِش والخيانة والخداع للإسلام وللمسلمين؛ لا تكون ناصحاً؛ بل تكون غاشاً مُخادعاً، وإثمك عظيم عند الله سبحانه وتعالى؛ فإنك وضعتَ نفسك في مقام، وأظهرْتَ نفسك في صورة، وأنت كاذبٌ فيها، وأمنك الناس، وأمّنوك على أمر ووثِقُوا بك؛ وأنتَ تكون مُخادعاً وغاشاً؛ وخاصَّة إذا كان أمرُك في فتنة؛ تضع النّاس في فِتن؛ فتكون سبباً في سَفك دِماءهم، وذهاب أموالِهم، وهم يعملون من وراء فتوى منك! وأنت كاذب؛ إنّما تريد من وراء ذلك الجاه أو المال أو الرياسة ـ نعوذ بالله من الخِذلان ـ ؛ هذا كلّه من الغِش والخداع ؛ النصيحة بخلاف هذا؛ النصيحة: أن تُبيّن لهم الحق؛ ما أراد الله منهم؛ هذا هو الحق؛ هذا الذي ينبغي عليك أن تفعله للنّاس؛ سواء وافق أهواءهم أو لمْ يُوافق؛ هذا ليس شُغلك؛ الواجب عليك أن تُبيّنَ للناس ما أمرهم الله به وما نهاهم عنه وما أرادَه منهم فقط؛ أحبّوا أم كرِهوا؛ أنت تكون أدَّيت ما أوجب الله سبحانه وتعالى عليك، وتكون ناصحاً بحق؛ أعجبهُم أم لمْ يُعجبهم؛ هكذا تكون النّصيحة للمسلمين.

ومن النَّصيحة للمسلمين: أن تُبيّن لهم داعية الحقّ من داعية الضلال؛ حتّى يتّبعوا المُحق ويحذروا من الضَّال المُضل؛ هذا من أعظم النصح، فكلُّ ما يترتب على ذلك بعد ذلك؛ من مسائل توحيد وشِرك ومعاص وبدع وسنن؛ هل سيأخذونها من هذا

---

(١) [الشورى:٤٨].

أو من هذا؛ هذا أساس النّصيحة، أساس النصيحة وأوْلاها: أن تُبيّن لهم داعية الحقّ من داعية الضَّلال؛ حتّى يُميّزوا، ثمّ بعد ذلك: تكون قد أدّيْت ما عليك.

قال ـ رحمه الله ـ :(**[٧٧] واللهُ سُبْحانَهُ وتعالى سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَليمٌ، يَداهُ مَبْسُوطَتانِ، قَدْ عَلِمَ أَنَّ الخَلْقَ يَعْصَونَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، عِلْمُهُ نافِذٌ فِيهِمْ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ عِلْمُهُ فيهم أَنْ هَداهُمْ للإِسْلامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ كَرَماً وَجُوداً وتَفَضُّلاً؛ فَلَهُ الحَمْدُ**)

يؤمنُ أهل السُّنَّة بكل ما جاء في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصّفات، وهذه ثلاثة أسماء ذكرها المؤلّف؛ قال: (والله سبحانه وتعالى سميعَ بصيرٌ عليم)؛ كلّها تدلّ على عِلم الله تبارك وتعالى، وعلى إحاطته بالأمور: سميعٌ : نسمّيه سميعاً لأنه سمّى نفسه بذلك، نسميه بصيراً لأنه سمّى نفسه بذلك، نسمّيه عليماً كذلك، وكلّ اسم يتضَّمن صفة، يعني كل اسم يدل على صفة؛ فالسميع: اسمٌ يدل على صفة السمع، والبصير: اسمٌ يدل على صفة البصر، والعليم : اسمٌ يدل على صفة العلم، وهكذا جميع أسماء الله التي وردت في الكتاب والسُّنَّة؛ كل اسم معه صفة، ولكنّ الصفات أوسع من الأسماء؛ أكثر؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بأشياء كثيرة، وكل اسم معه صفة؛ إذاً فالصّفات أكثر من الأسماء.

وكما ذكرنا: عقيدتنا في الأسماء والصفات: كلُّ اسمٍ سمّى الله به نفسه في الكتاب أو في السنة نُسميه به، وكل صفة وصف الله بها نفسه؛ نصِفه بها، وغير ذلك نسكت عنه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى سكت عنه، فما سكت عنه نسكت عنه، وما قالهُ نقولهُ؛ هذه عقيدتنا في الأسماء والصفات.

قال: (يداهُ مبسوطتان)، الله سبحانه وتعالى يوصف بصفة اليديْن؛ فيُقال: لَه يدان حقيقيتان تَلِيقَان بجلاله وعظمته، وليستا كأيدي المخلوقين؛ لذلك نُثبت لله سبحانه وتعالى الصفة من غير تكييفٍ ولا تمثيل؛ فلا يُقال كيف يده ؟!

نقول: الله أعلم؛ الكيف هذا نُفوّض أمره إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأنه أخبرنا أن لهُ يداً ولم يُخبرنا كيف؛ هذا دينُنا، هذه عقيدتنا؛ وُقوفٌ مع الكتاب والسنة، أمور غيبية لا تُدرك بالعقل، لمْ نرها، ولا نعرف لها مُشابهاً؛ فكيف نُدرِكها؟! لا يُمكن إدراكُها إلا بالخبر، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأن له يديْن، ولم يُخبرنا عن كيفيتِها؛ فنؤمن بأن لَه يديْن ونسكتُ عن الكيفية.

من غير تكييفٍ ولا تمثيل؛ فلا نقول لله يديْنِ مثل أيدينا، أو مثل يد فلان؛ لا التمثيل منفي؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال :{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وُهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}[1]، أثبت لنفسه الاسم، وأثبت لنفسه الصّفة؛ وقال: {ليس كمثله شيء}؛ إذاً نُثبِت بأنّ له اسماً وله صفةً ليست مُماثلةً لصفات المخلوقين؛ فقط.

ولا تحريفٍ ولا تعطيل : لانُحرّف الأسماء؛ فلا نقول معنى اليديْن هنا النعمة، كما تقوله بعض الفرق الضالة؛ لأن هذا تحريف.

وفي قوله تعالى: {بَلْ يدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}[2] جاءت بالتثنيَة، وجاءت أيضاً في آية أخرى: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تُسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيْ}؛ ومع التثنية؛ لا يصحّ تفسيرها بالقوة ولا النعمة؛ فلا يقال: بل قوتاه، أو بل نعمتاه؛ فنعمه كثيرة لا تُحصى، وقوته عامة.

---

(١) [الشورى:١١].

(٢) [المائدة:٦٤].

وفي قوله عز وجل: {ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي}(١)؛ كَرَّم الله آدم وخلقه بيديْه؛ فلا وجه لتحريف هذه الآية أبداً؛ لا بالقوّة، ولا بالإرادة، ولا بغير ذلك؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى خلق جميع خلقه بقدرته وقوته وبإرادته؛ فإذا قلت بأن القدرة والإرادة هي المقصودة في هذه الآية؛ نقول لك: وما ميزة آدم ؟! وأين الفضل الذي تفضَّلَ به الله على آدم بأن ميّزه وفضله على بقية الخلق!

أي: كأنّ الله سبحانه وتعالى يقول لإبليس ما منعك أن تسجد لمن شرّفتُه بأن خلقتُه بيدي على بقية خلقي ؟ شرَّفهُ عليه، وفضله عليه وعلى بقية مخلوقاته بأن خلقه بيديْه، فعندما تقول بإرادته أو بقوّته؛ معنى ذلك أنك قد نفيْت ميزة آدم على بقيّة خلقِه؛ وهذا باطل؛ فلا نُحَرِّف الصفة ولا نعطّلها، فإذا كانت الصفة تدل على معنى؛ نُثبت المعنى ولا نُعطّلَه عن معناه كما يفعل البعض يقول: نثبت لله يدين ولا نعرف معناها؛ هذا تعطيل للصفة! هذا باطل! بل نعرف معنى اليدين على مُقتضى اللغة العربية؛ ولكن نُؤمنُ بأنَّها صفة تليق بجلال الله وعظمته؛ هذه عقيدة أهل السنّة في جميع صفات الله تبارك وتعالى.

{ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، أثبَت لِنفسه اليديْن؛ فنُثبِتُ له اليدين.

قال: (قد علِم أن الخلق يعصُونه قبل أن يخلقهم) الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء؛ لا يفوته علم شيء، وعلِم ما الخلقُ فاعلون قبل أن يُوجدوا؛ {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيُسْفِكُ الدِّمَاءَ}، فإذا كانت الملائكة قدْ علِمت أنّ الخلق الذين سيخلُقهم الله سيفعلون هذا؛ فعِلْم الله من باب أولى، قالوا: {أَتَجْعلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

---

(١) [ص:٧٥].

الدِّمَاءَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَالَا تَعْلَمُونَ}[(١)]؛ أعلم أنه سيكون في الأرض من يُفسد فيها، ومن يسفك الدماء، وأعلم أنه سيكون فيها شهداء، وسيكون فيها أهل طاعة، وسيكون فيها أنبياء، وسيكون فيها صالحون أيضاً؛ فَعَلِمَ الله سبحانه وتعالى أنَّ الخلق سيعصونه؛ قبل أن يخلقهم حاصِلٌ هذا العلمِ.

(عِلمهُ نافذٌ فيهم) أي أنه يعلم منهم كلّ شيء.

قال: (فلم يمنعهُ علمه فيهم أن هداهم للإسلام) أي: مع علمه بهذا الذي سيحصل؛ مع ذلك هداهم ووفقهم للإسلام- الذين وفقهم إلى ذلك؛ يعني المسلمين-؛ هذا إذا قلنا الهداية هنا هي هداية توفيق؛ لأن الهداية هدايتان: هداية توفيق، وهداية إرشاد - بيان للطريق، وتوضيح-؛ الأولى: منفيةٌ عن النَّبي ﷺ ، والثانية : مُثبتة له.

الأولى خاصة بالله سبحانه وتعالى {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءِ}[(٢)]؛ فالهداية بيد الله سبحانه وتعالى؛ يهدي من يشاء من خلقه، يُوفّقهم- بمعنى التّوفيق-؛ فنفى عن نبيه ﷺ هذه الهداية وأثبتها لنفسه، وفي الآية الأخرى قال: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[(٣)]؛ فأثبتَ لَلنبي ﷺ الهداية؛ لكن الهداية المُثبتة هنا هي هداية الإرشاد؛ يعني: تُبيّن للنَّاس طريق الحق؛ فهما هدايتان تُذْكَران في الكتاب والسنّة.

إن قلنا هنا الهداية هي هداية التوفيق؛ فنقول: هداهم للإسلام، يعني: وفَّق من أراد أن يُوفّقه للإسلام من المسلمين.

---

(١) [البقرة:٣٠].

(٢) [القصص:٥٦].

(٣) [الشورى:٥٢].

وإن قلنا: هداية إرشاد؛ فيكون المراد: بيّن لهُم الدّين الحق وأوضحَه.
قال: (ومنَّ به عليهم كرماً وجوداً وتفضُّلاً؛ فلَه الحمد) وهذا ممّا يجعل القول الأقوى: أن معنى الهداية هنا: أنّه وفّق من المسلمين للإسلام، ومَنَّ به عليهم كرماً وجوداً وتفضلاً سبحانه وتعالى.

قال المؤلف- رحمه الله-:(**[٧٨] واعْلَمْ أَنَّ الْبِشارَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ ثَلاثُ بِشاراتٍ؛ يقال: أَبْشِرْ يا حبيب الله برِضا الله والجنة، ويقال: أبشر يا عبد الله بالجنّة بعد الانتقامِ[١]، ويقال : أبشر يا عدوَّ الله بغَضَبِ الله والنّار؛ هذا قول ابن عباس - رضي الله عنه**).
يعني هذه البِشارات على حسَب المقامات؛ على حسب نوع النّاس؛ منهم كافر، ومنهم مؤمنٌ طائع، ومنهم مؤمن عاصٍ؛ هذه ثلاث حالات للناس.
البِشارة الأولى: (قال أبشر يا حبيب الله برضا الله والجنة) هذه للمؤمن للطائع.
البشارة الثانية: (ويقال : أبشر يا عبد الله بالجنّة بعد الانتقام) هذه للمؤمن العاصي الذي أراد الله أن يُعذّبه.
البشارة الثالثة: (ويقال: أبشر يا عدوَّ الله بغضب الله والنّار) هذه للكافر؛ فهي ثلاث؛ لِثلاثة أنواع من النّاس؛ فالإنسان عند الموت يُبشّر إمّا بالخير، أو بالشر كما قال النّبي ﷺ وسلم: "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ" قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: "لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ

---

(١) هما نسختان للكتاب؛ نسخة: "الإسلام" ونسخة: "الانتقام"؛ ولعل: "للانتقام" أصوب.

لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"[1].

وفي قبره أيضاً يأتيهِ المَلَكان، ثمّ بعد ذلك إمّا يُبشّرانه بالجنَّة أو بالنّار على حسب الإجابة.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : **([٧٩] واعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَنْظُرُ إلى الله تعالى في الجَنَّةِ: الأَضِرّاءُ، ثمّ الرّجالُ، ثمّ النّساءُ؛ بأعيُنِ رؤوسهم كما قال رسول الله ﷺ:"إنّكم سَتَرَوْن ربكم كما تَرَوْن القمر ليلة البدر لا تُضامّون في رؤيته"[2]، والإيمان بهذا واجبٌ، وإنكارُهُ كُفْرٌ).**

إنكار رؤية الله يوم القيامة كفرٌ؛ لأنّه تكذيبٌ لكتاب الله ، وتكذيبٌ لسنّة رسول الله ﷺ وأدلتها كثيرة واضحة صريحة، ولا يردُّها ويُنكرها إلّا كافر؛ هذا معنى ما ذكر المؤلّف.

ومسألة رؤية الله والتّفصيل فيها فقد تقدّم معنا.

وأما مسألة التفصيل التي ذكرها المؤلف هنا عند قوله: (أوّل من ينظرُ إلى الله تبارك وتعالى في الجنّة الأضِرّاء، ثم الرجال، ثم النساء)؛ فهذا لا نعرف عليه دليلاً، كذلك

---

(١) أخرجه البخاري(٦٥٠٧) ، ومسلم (٢٦٨٣)عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

وأخرجه مسلم(٢٦٨٤) عن عائشة رضي الله عنها.

وأخرج مسلم (٢٦٨٥) نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري(٥٥٤)، ومسلم(٦٣٣) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

الشُرّاح الذين وقفتُ على كلامهم؛ لم يذكر أحد منهم دليلاً على هذا الكلام؛ بل صرَّح الشيخ أحمد النّجمي رحمه الله وقال :"لا أعرفُ دليلاً على هذا الكلام".

وقوله في النهاية :(والإيمان بهذا واجب والإنكار كفر)؛ وهذا عائد على أصل رؤية المؤمنين لله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ :(**[٨٠] واعْلَمْ أنّها لمْ تَكنْ زَنْدَقَةٌ، ولا كُفْرٌ، ولا شُكوكٌ، ولا بِدْعَةٌ، ولا ضَلالَةٌ، ولا حِيرَةٌ في الدِّينِ؛ إلّا مِنَ الكَلامِ وأَهْلِ الكَلامِ، والجَدَلِ، والمِراءِ، والخُصومَةِ، والعُجْبِ؛ وكيف يجترئ الرَّجُلُ على المِراء والخُصُومَةِ والجِدالَ والله تعالى يقول: {ما يُجَادِلُ في آيات الله إلا الذي كفروا}[1]؛ فعليك بالتسليمِ والرِّضى بالآثارِ والكَفِّ والسُّكوتِ**)

هذا أصلٌ عظيم عند أهل السُّنَّة والجماعة، وقد تقدّم القول فيه؛ لأن الأصل عندهم أن تسمع الأخبار، وأن تؤمن، وأن تسلِّم، ولا تجادل، ولا تُورد الأسئلة والشبهات على ما جاءكَ من أخبار؛ بل تُصدّق وتسلّم وتسكت، ولا تُجادل وتُخاصم وتماري فيما جاءك من أخبار؛ فالشبهات تنقدح في القلوب بسبب المُجادلة بالباطل، وسماع أهل الباطل؛ لذلك حرص السلف كثيراً على عدم مجالسة أهل البدع وعدم السّماع لهم؛ لماذا؟

---

(١) [غافر:٤].

لأن الأمرَ يرجع إلى فساد دينِك؛ فالنَّبي ﷺ يقول :" المرء على دين خليلهِ، فلينظر أحدكم من يُخالِل"[١]، لماذا المرء على دين خليله ؟

لأنّه إذا جالسَه؛ خالطه وكلّمه وذكر له من الشبُهات- إذا كانت عنده- ما ذكر؛ تعلق في قلبه ويتشرّبها؛ فالمرء يكون على دين خليله؛ يتأثّر به ولا بدّ، هذا أمر مُشاهد معلوم؛ المرء يتأثر بصديقه، بصاحبه الذي يُماشيه؛ فلذلك حُذِّر من هذا، وجاء في الحديث أيضاً أنّ النّبي ﷺ قال :" مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ"[٢]، فأمر الشبهات خطير، والمُجالِس لأهل البِدع خطير على نفسه وعلى النّاس أيضاً؛ لذلك قال من قال من السلف: "من يُجالسُ أهل البدع أشدُّ علينا من أهل البدع"[٣]؛ لأنه عندما يُجالس أهل البدع سيحمل أفكارهم ويبدأ ببثِّها بين أهل السُّنَّة، وإذا رآه النّاس جالساً عند أهل البدع؛ اغتروا به وتبِعوه على مجالسته؛ فيُولّد ذلك فساداً عريضاً، وما انتشرت الشبهات والبدع في هذا الزمن بهذا الشكل الذي نراه اليوم؛ إلّا بتهاون الناس في هذا الجانب؛ حتّى إنك تكاد تجد هذا الأصل ميّتاً؛ حتى عند من يدعي السنة في هذه البلاد بالذات؛ لا يعرفون التفريق بين سنّي وبِدعي؛ يجالسون كل أحد! يخالطون كل أحد؛ لذلك تكاد تجد اثنتين وسبعين فرقة في واحد! في زماننا هذا تُجالس بعض

---

(١) أخرجه أحمد(٨٠٢٨)، والترمذي(٢٣٧٨)، وأبو داود(٤٨٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي بعض ألفاظ الروايات: "من يخالط".

(٢) أخرجه أحمد(١٩٨٧٥)، وأبو داود(٤٣١٩) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن بطة في "الإبانة الكبرى" (٤٨٦) عن ابن عون.

الناس تجد في رأسه اثنتين وسبعين فرقة؛ عقائد مُخلّطة، مناهجٌ من أفسد ما يكون؛ ويقول لك أنا سلفي؛ سلفية ماذا هذه؟!

هذا الذي نعيشه اليوم كله بسبب التفريط في هذا الأصل: عدم مُجالسة أهل البدع؛ عدم مخالطتهم، عدم الكلام معهم في مسائل الدّين؛ فأنت لا تأمن على نفسك؛ القلوب ضعيفة، والشبّه خَطّافة.

أئمة كانوا في زمانهم يُرجع إليهم في مسائل العلم والدْين، عندما يأتيهِم مبتدعٌ يطردُونه أو يقومون من المجلس ويقولون: القلوب ضعيفة والشُبه خَطّافة، واليوم بعض الشباب تجده يذهب إلى مواقع أهل البدع، أو مواقع المبتدعة ورؤوس الضلال، يفتح عليها ويدخلها ويقرأ! ثم يأتيك بكل أريحيَة ويقول لك: يا شيخ! فلان قال كذا وكذا!

من أين جئت بهذا؟! قال: من موقع فلان- المبتدع-!!!

كيف تُبيح لنفسك أن تدخل موقعه ؟! كيف وقفت على هذه الشبهة أنت أصلاً، ولماذا جعلتها تطرق قلبك؟

انظر كيف تلّبس عليك الأمر وحملتها وجئت بها مباشرة تركض؛ هذه هي النتيجة، لولا أنّها وقعت في قلبك وما استطعت أن تردّها؛ ما أتيْت بها.

فالحذر باركَ الله فيكم في هذا الباب.

وقد قدّمنا الكلام في مسألة المجادلة والمُخاصمة والمِراء فيما تقدَّم وتحدَّثنا عنها.

قال: (وما جاءت الحيرة والبدع والشكوك إلّا من الكلام وأهل الكلام) أهل الكلام هؤلاء أفسدوا دين الله، من بعد القرون الثلاثة الأولى التي أثنى عليها نبيُّنا ﷺ؛ بدأت تظهر قرون هؤلاء المتكلّمين، ثم ّنشروا بِدعَهم وضلالاتهم وانتشرت بين النّاس، وصارت بدعُهم تكاد تكون هي الدِّين؛ لولا أن الله سبحانه وتعالى قد تكفّل بحِفظ

هذا الدّين، وصار مَنْ يتكلم في دين الله ويُثنى عليه ويُرفع: هو من رؤوس المتكلِّمين! يُسمّى بالألقاب العريضة؛ حتى نحن كنّا نغتر به في بداية الطلب ببعضهم؛ تسمع: (سلطان العلماء)؛ لقب عظيم! ترجع إليهِ؛ تجدهُ على أفسد ما يكون من عقائدهم؛ عقائد أهل البدع والضلال، من أين جاء هذا؟

من التلبيس؛ حتَّى بعض من تُحسِن به الظن؛ فيُبجّل ويُعظم أمثال هؤلاء، فأنت تقول: إذا كان مثل هذا الذي نأخذ عنه العلم يُعظّم هؤلاء؛ فما المعنى بعد ذلك؟ إذن هم عظماء!

وهذا نفسه الذي حصل مع الدارقطني والهَروِي؛ عندما التقى الدّارقُطني بالباقِلّاني، وكان معه أبو ذرٍّ الهَروِي، عظم الدّارقطني الباقلّاني وقبّل رأسه، فلمّا رأى الهروِي هذا المنظر وهو يُعظّم الدّارقُطني، قال: إذن ما يفعل الدّارقطني معه هذا الشيء إلّا لأن الرّجل عظيم؛ فأخذ عنه الأشعرية.

هذا هو تعظيم أهل البدع والضلال وما يُوصل إليه؛ فلا تستهينوا باركَ الله فيكم بهذا الأصل الذي كان عليه السلف الصّالح رضي الله عنهم، كانوا يُشدّدون فيه، ولا يتهاونون؛ تجالس المبتدع؛ إذن تُلحَق به، تُنصَح، فإن نُصِحت فالحمد لله، ما نصحت؛ تلحق به؛ فأنت ضرر على الشباب الذين هم من حولك، لا يصلح أن تجلس معنا؛ اذهب عند المبتدع وخُذ منه كلامه كما تشاء؛ لكن لا تُلبِّس على النَّاس، ولا تخدع النّاس بنفسك.

قال المؤلّف رحمه الله :(**[٨١] والإيمانُ بأنّ الله يُعَذِّبُ الخَلْقَ في النّارِ؛ في الأَغْلالِ والأَنْكالِ والسَّلاسِلِ؛ والنَّارُ في أَجْوافِهِمْ، وفَوْقَهُمْ، وتحتهم؛ وذلك أن الجهمية منهم هشام الفُوَطي قال :إنّما يُعذّب الله عند النار؛ رداً على الله ورسوله ﷺ**)

لماذا ذكر المؤلف هذا وهو من الأمور المُسلَّمات؟

وأحاديث الشفاعة طافحة بمثل هذه الأخبار: أن الناس يُعذَّبون في نار جهنّم، ومنهم من هو في الدَّرك الأسفل من النّار؛ كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن المنافقين، وذكر في حديث الشفاعة الصراط والأغلال والسّلاسل والكلاليب؛ كل هذا مذكور في

أحاديث مشهورة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النبي ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: "لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ"(١)؛ فكيف البقية الآخرون؟ وعن العباس بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: "هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ"(٢)، والنّار دركات بعضها أشدُّ من بعض على حسبِ نوع الكفر، وعلى حسب الذنوب؛ هذه أخبارها كثيرة في سنّة النّبي ﷺ؛ ثمّ يأتي هذا المتفلسف ويتفلسف ويقول: يُعذِّب الله عند النار لا بها؛ فلا يدخلون النّار؛ إنّما يكونون قريبين منها!

---

(١) أخرجه البخاري(٣٨٨٥)، ومسلم(٢١٠).

(٢) أخرجه البخاري(٣٨٨٣)، ومسلم(٢٠٩).

هذا باطل من باطل المعتزلة والجهمية؛ هذه الفرق أفسدت دين الله سبحانه وتعالى؛ يتكلمون في الدين بعقولهم وبما يحلوا لهم، لا ينظرون إلى أدلة الكتاب والسنة، ولا يرفعون بها رأساً.

أصل الإيمان: الإيمان بالأمور الغيبية؛ إذا جاءك الخبر عن الله وعن رسول الله ﷺ؛ لا تُعمل عقلك وتبقى تُقلّب في الخبر يميناً وشِمالاً حتّى تُزيحَه عن معناه الذي أراده الله، وأراده رسوله ﷺ.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٨٢] واعْلَمْ أَنَّ صَلاةَ الفَرِيضَةِ خَمْسُ صَلواتٍ؛ لا يُزاد فيهنَّ، ولا يُنقَصُ في مَواقِيتِها، وفي السَّفرِ ركعتانِ إلّا المَغربَ، فَمَنْ قال: أَكْثَرَ مِنْ خَمْسٍ؛ فَقَدِ ابْتَدَعَ، ومَنْ قالَ: أَقَلَّ مِنْ خَمْسٍ؛ فَقَدِ ابْتَدَعَ، لا يَقْبَلُ اللهُ شيئاً منها إلّا لِوَقْتِها؛ إلّا أن يَكونَ نسياناً؛ فإنّه مَعْذورٌ، يأتي بها إذا ذَكَرَها، أَوْ يَكونَ مُسافِرَاً؛ فَيَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلاتَيْنِ إنْ شاءَ**).

الصَّلاة فريضة من فرائض الله وهي الرُّكن الثّاني من أركان الإسلام؛ كما جاء في الحديث الذي في الصحيحين: "بُنِيَ الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، والحج وصوم رمضان"(١)، فالصَّلاة هي الرّكن الثّاني من أركان الإسلام، وهي واجبة بإجماع المسلمين، ووُجوبُها أمر معلوم من الدين بالضرورة، ومن أنكر وجوبَ الصلاة؛ كفر.

---

(١) أخرجه البخاري(٨)، ومسلم(١٦) عن ابن عمر رضي الله عنه.

وأدلة وجوب الصلاة كثيرة في الكتاب والسُّنَّة؛ منها ما ذكرناه آنفاً، وحديث الأعرابي الذي سأل النبي ﷺ: ماذا افترض الله عليه من الصلاة؟ قال : "خمس صلوات في اليوم والليلة"، قال: هل عليّ غيرها؟ قال: "لا؛ إلّا أن تَطوَّعْ "(١).

وقال النّبي ﷺ أيضاً لِمُعاذ حين بعثه إلى اليمن :"... فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ"(٢).

ولما نزل جبريل إلى النبي ﷺ علَّمهُ أوقات خمس صلوات(٣).

وحين أُسْرِيَ بالنّبي ﷺ؛ فرضَ الله عليه هذه الصلاة؛ فرضَ عليه خمس صلوات، كانت خمسين ثُمَّ نزلت إلى خمسِ صلوات.

قال: (لا يُزادُ فيهنَّ، ولا يُنْقَصُ في مواقيتِها)، لا تزيد على هذه الخمس التي فرضها الله سبحانه وتعالى على العباد، فلا يزاد في الفرائض اليومية الخمسة التي فرضها الله سبحانه وتعالى، فمن زاد فيهنّ؛ فقد ابتدَع؛ كما قال المؤلف.

قال: (ولا يُنقصُ في مواقيتِها)، أي أنهّا تُؤدَّى في مواقيتها ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى جعل لهذه الصلوات مواقيت محدّدة ؛ وقال: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً}(٤)، ونزلَ جبريل على النّبي ﷺ وصلّى لَه في أوّل وقت الصلّوات، وصلّى لَهُ أيضاً آخر الوقت؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَمَّنِي جِبْرِيلُ عِنْدَ الْبَيْتِ، فَصَلَّى بِي الظُّهْرَ

---

(١) أخرجه البخاري(١٦)، ومسلم (١١) عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري(١٣٩٥)، ومسلم(١٩) عن ابن عباس رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري(٥٢١)، (٣٢٢١)، (٤٠٠٧)، ومسلم(٦١٠) عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه.
(٤) [النساء:١٠٣].

حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، فَكَانَتْ بِقَدْرِ الشِّرَاكِ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْفَجْرَ حِينَ حَرُمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَى الصَّائِمِ، ثُمَّ صَلَّى الْغَدَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْفَجْرَ فَأَسْفَرَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا وَقْتُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، الْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ"(١).

إذاً فالصّلوات الخمس مؤقتة بوقت، لا يجوز أن تُصلّيها قبل وقتها ولا بعد وقتها؛ إنّما تصلى في أوقاتها المُحدَّدة لها شرعاً.

فمن صلَّاها؛ أي: أدّاها خارج وقتِها؛ سواءً قبل أو بعد؛ فصلاته باطلة مَردودةٌ عليه.

ومن تركها إلى أن خرج وقتُها؛ لا تُقبل منه، إن كان معذوراً؛ فيُصلّيها متى ذكرها كما جاء في الحديث: "مَنْ نَسِيَ صَلَاةً، أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا"(٢)، أمّا إذا لم يكن معذوراً فلا ينفعُه أن يصلّيها بعد أن أخرجها عن وقتها متعمّداً؛ لأنّ الصلاة كما ذكرنا مطلوبة منك أن تؤدّيها في وقتها المُحدَّد لها شرعاً، فإذا تركتها وأخرجتها عن وقتها؛ لا تُقبل منك عندئذٍ.

قال: (وفي السفر ركعتان) يعني صلاة الفريضة في الحضر تُصلَّى بعدد الركعات التي فُرِضت بها، كما جاءت في السنة: الظّهر أربع ركعات، العصر أربعة، المغرب ثلاثة،

---

(١) أخرجه بطوله: أحمد(٣٠٨١)، والترمذي(١٤٩)، وأبو داود(٣٩٣) عن ابن عباس رضي الله عنه. وفي الصحيحين نحوه من رواية غير ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري(٥٩٧)، ومسلم(٦٨٤) عن أنس رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

العشاء أربعة، والفجر ركعتان؛ تصلّى على هذه الصّورة كما فرضها الله سبحانه وتعالى في الحضر، أمّا في السفر؛ فقد فرضها الله علينا ركعتين ركعتين؛ الظّهر ركعتيْن، العصر ركعتين، العشاء ركعتين، أما المغرب والفجر فكما هما في الحضر؛ المغرب ثلاثة، والفجر ركعتان؛ فكل الصلوات تصلى في السفر ركعتين؛ إلاّ المغرب تُصلّى ثلاثة، والفجر في السفر يبقى كما هو في الحضر.

قال: (فمن قال: أكثرُ من خمس؛ فقد ابتدع، ومن قال: أقلّ من خمس؛ فقد ابتدع) من قال الصّلوات المفروضة في اليوم والليلة أكثر من خمس صلوات؛ فقد جاء ببِدعة جديدة خالف بها أدلّة الشّرع التي ذكرناها، وغيرها من الأدلّة التي وردت في ذلك.

ومن نقصها عن ذلك كذلك؛ أيضاً قد ابتدع في دين الله ما ليس منه؛ كما يقوله بعض أهل البدع الذين يقولون بأنّ الصلوات المفروضة ثلاث صلوات فقط؛ هذا من البِدع والضَّلالات التي ضلّوا بها عن جادة الصّواب.

وقد ذكر المؤلف هذه المسائل؛ لأنّها من المسائل التي وردت فيها أدلّة مُحكمة واضحة صريحة، والأمّة قد عَلِمت هذه المسائل، وهم عليها إلى يومنا هذا، فمن خالفها؛ فهو مبتدعٌ ضال.

قال: (لا يقبلُ الله شيئاً منها إلّا لوقتها) لا يقبل الله سبحانه وتعالى شيئاً من هذه الصلوات المفروضات؛ إلّا أن تُؤدّى في وقتها المُحدد لها.

قال: (إلّا أن يكون نِسياناً؛ فإنّه معذور؛ يأتي بها إذا ذكرها) أي: إلّا إذا كان الشخص الذي أخرجها عن وقتِها ناسياً؛ فهو معذور كما ذكرنا في الحديث :"من نام عن صلاةٍ أو نسيَها؛ فليُصلّها متى ذكرها؛ لا كفّارة لها إلّا ذلك"[(١)]؛ كما جاء في الرّواية.

---

(١) بهذا اللفظ النوم والنسيان مع قوه لا كفارة لها إلا ذلك لم أجدها في الصحيحين ولا السنن.

قال: (أو يكون مُسافراً؛ فيجمع بين الصَّلاتيْن إن شاء) يعني يجوز له أيضاً أن يجمعَ بين الصلاتين؛ فيصلي مثلاً الظهر والعصر مع بعضهما في وقت الظّهر، أو في وقت العصر، ويُصلّي المغرب والعشاء مع بعضهما في وقت المغرب، أو في وقت العشاء؛ فيُصلّي الظهر أربع ركعات، ثمّ يسلّم، ثمّ يصلّي العصر أربع ركعات ثم يسلم ؛ إمّا جمع تقديم في وقت الظّهر، أو جمع تأخير في وقت العصر، ويُصلّي المغرب ثلاث ركعات ويسلم، ثمّ يصلّي العشاء أربع ركعات؛ إمّا جمع تقديم، أو جمع تأخير؛ هذا إذا كان في الحضر.

وإذا كان لَه عذر في الحضر؛ فيجوز لَه أن يجمع ما بين الصلوات بالصُّورة التي ذكرنا، وأمّا إذا كان مسافراً؛ فيُصلّي الظّهر ركعتين والعصر ركعتين كذلك إمّا جمع تقديم، أو جمع تأخير، والمغرب يُصلّيه ثلاث ركعات، والعشاء يُصلّيها ركعتين؛ إمّا جمع تقديم أو جمع تأخير؛ هذا الذي جاء في السُّنن الثّوابت عن النَّبي ﷺ؛ فيجوز الجمعُ في السّفر، وكذلك يجوز الجمع في الحضر لِمن كان معذوراً؛ لحديث ابن عبّاس: "جمع النبي ﷺ في المدينة من غير خوف ولا مطر"، قالوا : ماذا أراد من ذلك؛ قال : أراد ألّا يُحرِج أمّته"(١)، هذا حديث يدلّ على جواز الجمع في الحضر إذا كان هناك حرج على المرء أن يُصلّيَ الصّلوات في أوقاتها المحدّدة لَها.

ثمّ قال المؤلّف رحمه الله: (**[٨٣] والزَّكاةُ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ والتَّمْرِ والحُبوبِ والدَّوابِ؛ على ما قال رسول الله ﷺ، فإنْ قَسَّمَها؛ فَجَائِزٌ، وَإِنْ دَفَعَهَا إلى الإمامِ؛ فجائز. والله أعلم**).

---

(١) أخرجه مسلم (٧٠٥) وأصله عند البخاري.

الزكاة هي الرُّكن الثّالث من أركان الإسلام؛ وهي واجبةٌ بالاتفاق؛ بالإجماع، ووجوبها كما ذكرنا متّفق عليه، وجاحدُها كافر؛ لأنَّ وجوبها ثابتٌ بالكتاب والسنّة وبإجماع الأمّة، يعلمُهُ العامَّةُ والخاصة؛ فلا يجوز جحْدُها؛ فَجَحْدُها كفرٌ، وهي فريضة من فرائض الله كما ذكرنا، والرّكن الثّالث من أركان الإسلام.

والزكاة تكون في الذّهب، وفي الفضّة، وكذلك ما يقوم مقامها؛ كالأوراق النَّقديَّة؛ فالأوراق النّقدِيّة أيضاً مثل الذهب والفضّة.

قال: (والتمر والحبوب) يعني: في الحبوب وفي الثّمار؛ كما ثبتت به السنّة؛ لأنّ النبي ﷺ أرسل لِمُعاذ أن يأخذ الزكاة من التمر ومن الزبيب ومن القمح ومن الشعير(١).

وكذلك أُخذت الزكاة من الدّواب؛ من الأبل، والبقر، والغنم؛ كل هذا ثَبتت به السُّنن في الصّحيحيْن وفي غيرها من كتب السّنّة.

قال: (على ما قال رسول الله ﷺ) هكذا أمر النّبي ﷺ، وهكذا علّم أصحابه، وهكذا فعل أصحابُهُ من بعده.

قال: (فإن قسَّمها؛ فجائز، وإن دفعها إلى الإمام؛ فجائز) يعني من كانت عليه الزّكاة، إذا تولّى هو تقسيمُها وصرفُها في مصارفها التي نُصَّ عليها في كتاب الله تبارك وتعالى؛ فجائز وتُجْزيء عنه، وإذا أعطاها للإمام؛ أجزأت عنه أيضاً؛ سواءً كان الإمام برّاً، أو فاجراً؛ لأنّه يكون قد أدّى ما أُمر به، وأدّى ما عليه.

قال المؤلف رحمه الله: (**[٨٤] واعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ الإِسْلامِ: شَهادَةُ أَنْ لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله**).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٧١٨٦)، وأحمد (٢١٩٨٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٨)، وغيرهم.

يعني إذا أراد المرء أن يدخلَ في الإسلام؛ فأوّل ما يبدأ به من ذلك: الشهادتين؛ شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله؛ وهذا الركن الأوّل من أركان الإسلام، لا يكونُ الشخص مسلماً إلّا بالإتيان به؛ أن يشهد الشهادتين.

ومعنى شهادة أن لا إله إلّا الله: إقرارٌ باللسان بِما هو في قلبك؛ تُصدّق به وتؤمن به، وتُقرُّ به بلسانك، وتعتقدُه؛ بأنّه لا معبود بحقٍّ إلّا الله، {ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وأَنّ مَا يدْعُونَ مِن دُونِهِ البَاطِل}[(١)]، فمعنى شهادة أن لا إله إلّا الله: أنّه لا معبود بحقٍ إلّا الله، فإذا شهِدت بذلك؛ فمعناه أنّك تُقرُّ به بِلسانك معبّراً عمّا في قلبك من الاعتقاد الجازم بأنّهُ لا معبود بحقٍّ إلّا الله تبارك وتعالى.

(وأن محمّداً عبده ورسوله): كذلك تُقرّ بلسانك بما تعتقده في قلبك، من أنّ محمد بن عبد الله بن عبد المُطّلب الهاشمي القرشي رسول؛ أرْسله الله تبارك وتعالى إلى النّاس؛ كي يُخرجهم من الظّلمات إلى النّور، وكي يُبلّغهم رسالة الله تبارك وتعالى، وتؤمن بما جاء به؛ تُصدّق بما جاء به، وتُطيعه فيما أمر، وتجتنب ما نهى عنه وزجر، وأنتَ تعتقد كذلك بأنّه عبدٌ لله خاضع مُتذلّل، ورسول لله.

وهذه العبودية والرّسالة التي تعتقدها للنبي ﷺ تبتعد بها عن الإفراط والتفريط، فإذا آمنت بأنّ محمداً عبدٌ لله تبارك وتعالى؛ لا تُعطيه شيئاً من معنى الرّبوبية، ولا شيئاً من معنى الألوهية؛ فلا تعتقد فيه أنّه يتصرف في الكون، لا تعتقد فيه أنّه ينفع ويضُر من دون الله تبارك وتعالى، ولا تعتقد فيه أيّ معنى من معاني الرّبوبية، ولا تعتقد أيضاً أنّه يستحقّ أن يُعبد مع الله تبارك وتعالى؛ فلا تخضع وتتذلّل عند قبره، ولا تدعوه

---

(١) [لقمان:٣٠].

وترجوه أن يرزُقك الولد، أو يرزقك الرزق النّافع؛ لا شيء من ذلك، ولا تذبح له، ولا تنذُر له؛ لا تصرف شيئاً من العبادة لَه؛ هذا كلّه معنى أن تقول: محمّد عبدٌ لله تبارك وتعالى.

وبقولك: رسوله: أنت تُنزّلُه منزلته التي أنزلهُ الله تبارك وتعالى؛ فهو يختلف عن النّاس بالرّسالة؛ باصطفاء الله تبارك وتعالى لهُ بأن جعله رسولاً؛ فنُحبّه ونحترمه، ونُصدّقه، ونطيعه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا بذلك، ولأنّ الله اصطفاه بالرّسالة؛ فبِذلك نبتعد عن الإفراط والتّفريط في حقِّه ﷺ، فهاتان الكلمتان تنفِيان الإفراط والتّفريط؛ فلا نتجاوز الحد في حقّه، ولا نُنزله منزلة لم ينزله الله تبارك وتعالى فيها، وفي نفس الوقت لا نهضمه حقّه؛ فلا نُعطيَه إياه، ونجعله كالناس أو أقل من الناس.

وهذا الباب- باب الإفراط والتّفريط- قد ضلّ فيه أناس كُثر؛ فعيسى عليه السّلام- مثلاً- أفرط فيه قوم فجعلوه إلهاً مع الله تبارك وتعالى، جعلوه ابناً لله، أو جعلوا له حقاً في الرّبوبية أو في الألوهية؛ وهؤلاء النصارى.

وقسم آخر: فرّطوا في حقّه فجعلوه ابن زنا! وهم اليهود.

والتّوسّط في حقه: أن يكون عبداً لله ورسولاً؛ أن تؤمن بذلك، فبذلك تنفي الإفراط والتّفريط في حقّ الأنبياء والرّسل.

قال :(**[٨٥] وأنّ ما قالَ اللهُ؛ كما قالَ، ولا خُلْفَ لِما قالَ، وهوَ عِنْدَ ما قالَ**)

فقول الله تبارك وتعالى كلّه حق؛ {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً}(١)، {وَمَنْ أَصدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً}(٢)، فقول الله سبحانه وتعالى صدق وحقّ.

(وهو كما قال): لَا يتغيّر ولا يحصل خلافه.

(وهو عند ما قال)، فما قاله من وَعدٍ أو وعيد؛ فهو عنده؛ ما وعد به؛ فهو حاصل ولا بدّ.

والوعيد يرجع إليه، إن شاء أتمّه، وإن شاء تركه؛ فأمر الوعيد إلى الله تبارك وتعالى.

قال: ([٨٦] والإيمانُ بِالشَّرائِعِ كُلِّهَا)

شرائع جميع الأنبياء؛ نؤمن بها، نصدّق بها؛ تصديقاً لكتاب الله تبارك وتعالى، وطاعةً لأمر الله تبارك وتعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَ الأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَ مَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِم لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}(٣)، إذن نؤمن بكل هذه الشّرائع التي أمر الله تبارك وتعالى بالإيمان بها، فنُؤمن ونصدّق بأنّ هذه الشّرائع مُنزلة على أصحابها من الأنبياء الذين ذُكروا؛ لكنها منسوخة بشريعة نبيّنا ﷺ؛ فنحن مُلْزَمون بالعمل بشريعة محمّد ﷺ، لا بتلك الشّرائع، لكن إذا جاءت شريعة في تلك الشّرائع، لم يُخالفها ما هو في شريعة النّبي ﷺ؛ فالصّحيح أنها شريعة لنا مالَم يأتِ ما ينسخُها من شريعة النّبي

---

(١) [النساء:٨٧].

(٢) [النساء:١٢٢].

(٣) [البقرة:١٣٦].

عليه الصّلاة والسّلام؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أمر نبيَّه بالاقتداء بهُدى هؤلاء الأنبياء، بشرط أن تثيبت أنها شريعة بطريقة صحيحة.

قال المؤلف رحمه الله :(**[٨٧] واعْلَمْ أنَّ الشِّراءَ والبَيْعَ حلالٌ، إذا بِيعَ في أَسْواقِ المُسْلمينَ، على حُكْمِ الكِتابِ والسُّنَّة، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْخُلَهُ تَغْريرٌ، أَوْ ظُلْمٌ، أَوْ غَدْرٌ، أَوْ خِلافٌ للقرآنِ، أو خِلافٌ للعِلْمِ**)

الأصل في البيع والشراء: الحِلُّ؛ لأنّ الله تبارك وتعالى قال: {وَأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}(١)؛ فالبيعُ حلالٌ، وما وُجِد في أسواق المسلمين لا نسأل عنه؛ لأنّ الأصل في الأشياء الحِل، لا نعني بذلك أنّك تجد خمراً وتعرف أنّه خمر وتقول لا نسألُ عنه؛ لا؛ بل المقصود من ذلك إن وجدت لحماً؛ لا تحتاج أن تسأل عنه هل ذُبِح على الطريقة الإسلامية أم لم يُذبح على الطريقة الإسلامية، وما شابه، إن وجدت مثلاً صناعة معيّنة من الصناعات كالبسكويت وغيره؛ فلا تحتاج أن تسأل عما فيه من مواد وما ليس فيه من مواد.. إلخ، فإذا علِمت أنّ أسواق المسلمين لا تُدخل مثل هذه الأشياء؛ فعندئذ ما تجده في أسواق المسلمين؛ لا تسأل عنه، لكن إذا كانت أسواق المسلمين لا تختلف عن أسواق الكفّار؛ عندئذ تحتاج أن تسأل وتحتاط لدينك.

قال: (على حُكم الكتاب والسنّة) يعني إذا كان المسلمون يبيعون على حكم الكتاب والسنّة في أسواقهم؛ فعندئذ لا نحتاج أن نسأل، والحلُّ هو الأصل في ذلك.

---

(١) [البقرة:٢٧٥].

قال: (من غير أن يَدخله تغريرٌ، أو ظلم، أو غدر، أو خلاف للقرآن، أو خلاف للعلم)، قال الله: {ولَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ}(١)، وقال النبي ﷺ:"من غشّنا فليس مِنّا"(٢)، وقال: "لا يحِلّ مال امرئٍ مسلم إلّا بطيب نفس منه"(٣)، وقال: "لا تظالموا"(٤).

ونهى النبي ﷺ عن بيع الغرر، وأمر بالنّصيحة والوفاء بالعهد؛ كل هذه من الآداب التي ينبغي مُراعاتها عند البيع والشّراء؛ فالظلم مُحرَّم، والتغرير بالمسلمين والخداع لهم محرّم، والغش محرّم، والظّلم كذلك، الغدر، والخيانة كذلك؛ كلها محرّمة لا يجوز فعلها بين المسلمين، فالأصل في البيع والشّراء الحل؛ إلّا إذا احتوى على شيءٍ من المذكورات؛ فعندئذٍ يصير محرّماً.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ :(**[٨٨] واعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أنه يَنْبَغي لِلْعَبدِ أَنْ تَصْحبَهُ الشَّفَقَةُ أَبَدَاً ما صَحِبَ الدُّنيا؛ لأنَّه لا يدَري على ما يموتُ، وبِمَ يُخْتَمُ له، وعلى ما يَلْقى اللهَ عزَّ وجلَّ؛ وإنْ عَمِلَ كُلَّ عَمَلٍ مِنَ الخيرِ، وينبغي للرَّجُلِ المُسْرِفِ على نَفْسِه أَنْ لا يَقْطَعَ**

---

(١) [البقرة:١٨٨].

(٢) أخرجه مسلم (١٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٦٩٥)، والدارقطني في "سننه"(٢٨٨٦)،والبيهقي في "سننه"(١١٥٤٥)، وفي "الشعب" (٥١٠٥)، وأبو يعلى في "مسنده" (١٥٧٠) عن أبي حرة الرقاشي عن عمه، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وكذا ضعيف ابن معين أبا حرة.

وأخرجه الدارقطني(٢٨٨٥) من حديث أنس، وقال الذهبي في "تنقيح التحقيق": "إسناده واه".

وأخرجه أحمد من حديث عمرو بن يثربي، وجاء من حديث ابن عباس، وأبي حميد

وقد صححه الشيخ الألباني "في الإرواء" (١٤٥٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

رَجاءَهُ مِنَ اللهِ تعالى عِنْدَ الموتِ، ويُحْسِنَ ظَنَّهُ بالله، ويَخافَ ذُنُوبَهُ؛ فإنْ رَحِمَهُ اللهُ؛ فَبِفَضْلٍ، وإِنْ عَذَّبَهُ؛ فَبِذَنْبٍ) .

هنا يتحدّث المؤلف عن الخوف والرجاء؛ ينبغي على المؤمن أن يبقى سائراً في هذه الدّنيا ما بين الخوف والرّجاء؛ يخاف من الله تبارك وتعالى، ويرجوه؛ وكما قال أحد علماء السّلف: "ينبغي أن يكون الخوف والرّجاء بالنسبة للعبد كجناحَيْ طائر"(١)، ما معنى هذا؟

يعني ألّا يُغَلِّب جانب الخوف؛ فيقع في اليأس والقنوط من رحمة الله تبارك وتعالى؛ {إِنَّهُ لَا يَيْأَسْ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ}(٢)، {وَمن يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبه إلا الضَّالُونَ}(٣)؛ فالخوف الشديد الذي يُغلّبه المرء مع عدم التعديل بالرّجاء يصل به إلى القُنوط من رحمة الله واليأس؛ وهذا مُحرّم؛ لا يجوز لَه أن يقع في مثل ذلك.

وكذلك تغليب جانب الرّجاء على جانب الخوف؛ يُوقعهُ في الأمن من مَكر الله تبارك وتعالى؛ {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}(٤)؛ فيخشى على نفسه من أن يمكُر الله تبارك وتعالى به عندما يُغيِّبُ جانب الرّجاء؛ فيأمن من مكر الله سبحانه وتعالى؛ فيقع فيما حرّم الله، ولرُبّما يؤدّي به إلى الكفر بالله تبارك وتعالى؛ فلذلك ينبغي على المسلم أن يكون في درجة مُتوسّطة بين الأمرين؛ فيكون له الخوف والرِجاء كجناحي طائر؛ يعني متساوِيَين، لا هذا يغلب، ولا هذا يغلب؛ حتى يبقى

---

(١) هذا القول منسوب لأبي علي الروذباري؛ قال: "الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ كَجَنَاحَيِ الطَّائِرِ، إِذَا اسْتَوَيَا اسْتَوَى الطَّيْرُ وَتَمَّ طَيَرَانُهُ، وَإِذَا نَقَصَ أَحَدُهُمَا وَقَعَ فِيهِ النَّقْصُ، وَإِذَا ذَهَبَا صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ".

(٢) [يوسف:٨٧].

(٣) [الحجر:٥٦].

(٤) [الأعراف:٩٩].

دائماً معتدلاً؛ فلا يقع في اليأس، ولا يقع في الأمن من مكر الله تبارك وتعالى، لكن عندما يجد من نفسه أنّه في موقف قد غلب جانب على جانب آخر؛ يحاول أن يُعدّل الميزان بينهما ؛حتى لا يقع في المحظور.

قال بعض العلماء: "إذا كان على فراش الموت غلّب جانب الرّجاء"؛ لأنه في الغالب في مثل هذا المُوطن؛ تعلو كفة الخوف؛ لذلك يحاول أن يُغلّب جانب الرَّجاء على جانب الخوف حتى يعتدلا.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ (**[٨٩] والإيمانُ بأنَّ الله تعالى أطْلَعَ نبيّهُ ﷺ على ما يَكونُ في أُمَّتِهِ إلى يومِ القيامةِ**)

الأصلُ أنّ الغيب لا يعلمهُ إلّا الله: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض الغَيْبَ إِلَا اللَّهَ}(١)، في خمس لا يعلمهنّ إلّا الله تبارك وتعالى، فالأصل عندنا أن الغيب لا يعلمه إلّا الله تبارك وتعالى؛ إلا ما شاء الله لمن ارتضى من رسول؛ {عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدا إِلّا مَنْ ارْتَضّى مِنْ رَسُول}(٢)؛ فيُطلع على غيبه من يشاء من خلقه، وليس جميع الغيب؛ إنما على من يشاء من أمور الغيب؛ فيُطلع من شاء من خلقه على ما يشاء من أمور الغيب،؛ أمّا كل أمور الغيب فلا يعلمُها إلّا الله سبحانه وتعالى، ولم يُطلِع عليها أحداً ككُل؛ لكن بعض أمور الغيب يُطلعُ الله عليها من يشاء من خلقه؛ هكذا كما استثنى في كتابه الكريم، وقدْ أطلع نبيَّهُ عليه الصلاة والسلام على ما سيحصل إلى يوم القيامة، وعَلِمَ النبي ﷺ ذلك؛ فقد أخرج البخاري في "صحيحه"،

---

(١) [النمل:٦٥].
(٢) [الجن:٢٦].

وكذا مسلم في "صحيحه" من حديث حذيفة بن اليمان[(١)]، وكذلك أخرج مسلم من حديث عَمرو بن أخطب[(٢)]، وجاء أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري[(٣)]، ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله جميعاً؛ قالوا: "قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه إلى قيام السّاعة إلّا حَدَّث به"، وبعضهم قال: "حدّثنا من بدء الخلقِ إلى قيام السّاعة"[(٤)]، وبعضهم قال: "فأخبرنا بما هو كائنٌ، حفظه من حفظه ونسِيهَ من نسيَه"[(٥)]، والبعض قال: "فأعلمُنا أحفظنا"[(٦)]؛ فيتبيّن هنا من روايات هؤلاء الجمع من أصحاب النبي ﷺ أنّ النّبي ﷺ أخبرهم بالأمور التي ستحصل إلى قيام السّاعة؛ وهذا مصداق ما ذكره المؤلف - رحمه الله-.

قال المؤلّف ـ رحمه الله ـ : (**[٩٠] واعْلَمْ أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال :" سَتَفْتَرِقُ أُمَّتي على ثَلاثٍ وسَبْعينَ فِرْقَةً؛ كُلُّها في النَّارِ إلّا واحِدَةٌ؛ وهيَ الجَماعَةُ"، قيل: مَنْ هُمْ يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليهِ اليَوْمَ وأَصْحابي"**)

---

(١) البخاري (٦٦٠٤)، ومسلم(٢٨٩١) واللفظ لمسلم.
(٢) (٢٨٩٢).
(٣) أخرجه الترمذي(٢١٩١)، وأصله عند مسلم، وأخرج ابن منده في "الإيمان" (٢/٩١١) حديث عمرو بن أخطب، وقال: "وَرُوِي عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ. أَتَمَّ مِنْ هَذَا مِنْ وجُوهٍ فِي أَسَانِيدِهَا مَقَالٌ".
(٤) أخرجه البخاري (٣١٩٢) عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَامَ فِينَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ.
(٥) حديث حذيفة عند مسلم(٢٨٩١).
(٦) حديث عمرو بن أحطب عند مسلم(٢٨٩٢).

هذا لفظُ حديث النبي ﷺ؛ وهو حديث صحيح، لم يضعِّفْهُ أحد إلّا طائفتين من الناس:

طائفة هم من أهل الخير من أهل العلم؛ ولكن زلّتْ أقدامُهم، فلم يفهمُوه فهماً صحيحاً؛ فضعّفوه.

والطّائفة الثّانية: هم من الفرق التي ذكرها النبي ﷺ؛ فأرادوا أن يُنجُّوا أنفسهم من هذا الحديث؛ فضعّفوه كي يتخلصوا منه.

هذه حال الذين ضعّفوه: إمّا زلّة عالم، أو هو مبتدع من تلك الفِرق، أراد أن يُدافع عن نفسه فضعَّف الحديث؛ هذه طريقة معروفة عند أهل البدع، إذا رأوْا خطراً عليهم في جانب من جوانب الشّريعة؛ يحاولون التّخلّص من هذا الجانب؛ كما يفعلون في علم الجرح والتّعديل؛ فتجدهم يحاربون هذا العلم، ويحاولون أن يُورِدوا عليه أنواعاً من الشبُهات؛ ماذا يَريدون من ذلك؟

لمّا أُصيبوا بنارِه، واكتووا بها؛ أرادوا أن يتخلّصوا منه كي يُنجّوا أنفسهم ممّا حصل عليهم من التّحذير؛ وهكذا طريقتُهم.

كذلك فعلوا في هذا الحديث، الحديث صحيح لا غُبار عليه؛ فهو في كتب السّنن عند أبي داوود وغيره؛ قال فيه النبي ﷺ:"ستفترق أمّتي ..." إذاً الكلام في أمة محمّد ﷺ؛ أمّة الإجابة لا أمّة الدّعوة، أمّة الإجابة يعني من هم من المسلمين لا من الكفار، إذاً فالطائفة إذا كانت كافرة؛ فليست معدودة من الثنتيْن والسّبعين المذكورة في هذا الحديث؛ إنّما تُعدُّ في الحديث الطّوائف المسلمة لا الطّائفة الكافرة .

قال: "ستفترق أمّتي إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة"، وجاء في رواية أخرى : "افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النّصارى إلى إحدى أو ثنتيْن وسبعين فِرقة، وتفترق أمتي إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة؛ كلّها في النّار"(١)، كل هذه الفِرق الثِنتَين والسّبعين في النّار؛ إلّا فرقة واحدة فقط.

هنا أراد النّبي ﷺ أن يُبيّن لنا الطَّريق كي ننجو من أن نكون من تلك الفِرق؛ فقال: "هي الجماعة"(٢)، وفي رواية "قيل من هم يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي"(٣)، هما روايتان؛ فتلك رواية، وهذه رواية ثانية، تُفسّرُ إحداهما الأخرى، وتُبيّنُ المعنى المُراد من الجماعة.

المُراد من الجماعة: جماعة المسلمين الذين كانوا على عهد النّبي ﷺ، ومن سار على نهجهم؛ يعني أصحاب النّبي ﷺ: "ما أنا عليه وأصحابي"، ومن خالف هذا الطَّريق؛ كان من الثِنتين والسّبعين فِرقة الهالكة، يُبيّن لنا هذا المعنى الحديث الآخر؛ الذي "خطَّ فيه النّبي ﷺ خطّاً مستقيماً، ثمّ خطَّ على جانِبَيه خطوطاً، ثمّ قال: "هذا صِراط الله المستقيم وعلى جانِبَيه طُرُقاً؛ على كلّ طريق منها شيطانٌ يدعو إليه، واقرؤوا إن شئْتُم: {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد(١٦٩٣٧)، وأبو داود(٤٥٩٧) عن معاوية رضي الله عنه، وابن ماجه(٣٩٩٢) عن عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي(٢٦٤١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

سَبِيلِهِ}[١]"[٢]، إذاً هذا الحديث بنفس المعنى تماماً: طريق الحق واحد وطرق الضلال كثير، وعلى كل طريق من طرق الضلال هذه: دُعاة.

كم تكون مجموعات دعاة الضلال؟ كُثر؛ فلا تستغرب عندما تسمع العلماء يقولون: احذر من فلان، وفلان، وفلان، فيقول السامع: ما تركتم أحداً يا شيخ! - هذه الكلمة تسمعها عادةً- : ما تركتم أحداً!

هذا النبي ﷺ يخبرك: أنَّ طُرُق الضلال كثيرة، وأن الدُعاة الذين سيكونون عليها أيضاً كُثر؛ وقد جاء في الحديث الآخر من حديث حذيفة قال فيه النبي ﷺ عندما سُئِل: هل بعد هذا الخيرِ من شر؟ قالَ : "نعم؛ دُعاةٌ على أبوابِ جهنَّم، من أجابهم؛ قذفوه فيها"[٣]، وقالَ عليه الصلاة والسلام: " إنَّ الله لا يَقبضُ العلمَ انتزاعاً من صُدورِ الرِّجال؛ وإنَّما يقبض العلمَ بقبضِ العلماء؛ فإذا لم يُبقِ عالماً اتَّخذَ النَّاسُ رؤوساً جُهَّالا فسُئِلوا فأفْتَوا بغير علم فضَّلوا وأضَلُّوا"[٤].

تصوَّرْ قوله: "فإذا لم يُبق عالماً؛ اتَّخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً"، إذن الآن أعداد العلماء الربَّانيين أمام الرّؤوس الجهال ماذا يأتي؟

تصوّر أنه نفى؛ فقال: "فإذا لم يُبْقَ عالماً"، أو: "إذا لم يَبْقَ عالِمٌ"؛ كم سيكون العدد؟ عدد قليل جداً هم من الباقين من علماء الهدى؛ الذين يَهدون الناس إلى صراط مستقيم؛ إلى طريق الحق، وأما أهلُ الباطل الذين يتكلَّمون بجهل؛ فهم كُثُر؛ هذا ما

---

(١) [الأنعام:١٥٣].

(٢) أخرجه أحمد (٤٤٣٧)، والدارمي (٢٠٨)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

يدل عليه حديث النبي ﷺ وهذا الذي نعيشه في زماننا هذا، تسمع الذين يتكلمون في دين الله تجده مهندساً، كهربائياً، شخصاً ما له علاقة نهائياً؛ يدرس الفيزياء والآخر مدرس كيمياء؛ وهكذا !

هؤلاء؛ ما علاقتهم بالدين، وبالشريعة؟

هذا أعجبه لسانه أو طريقتهُ البهلوانية؛ فظهر على الشاشات؛ فصار إماماً يُتَّبع ويُسمَع لقوله؛ هذا الحاصل اليوم! انظروا إلى من هم في السّاحة الآن؛ تعرفون حقيقة الأمر.

فضلاً عمن هم علماء في الشريعة؛ ولكنهم علماء سوء؛ علماء ضلال، هؤلاء موجودون، هؤلاء مِن أوّل من تُسَعَّر بهم النار يوم القيامة؛ كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ [(١)]: "إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه..."؛ ومنهم: "عالِم لا يعمل بعلمه؛ قال:"... وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ"، إذاً عندما يكون عندنا جمعٌ كهذا؛ ماذا نفعل؟

لا تُورد على ذهنك: ما أبقيْتم أحداً ؛ لأن السّاحة هكذا؛ هو أمرٌ مُقدَّر من عند الله سبحانه وتعالى؛ أن يكثُر عُلماءُ السوء، عُلماء الضلال الذين يتكلَّمون في دين الله بجهل؛ لذلك واجبك أن تبحث عن عالم الحق الذي يرشدك إلى طريق الهدى، لا يريد منك دنيا، لا يبحث عن مال، لا يبحث عن سياسة تصل به إلى الرّفعة؛ لا يريد غير

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

وجه الله سبحانه وتعالى، وَيرشدك إلى ما يعتقِده من الحق، ولا تحكم أنت على أقوالهم من باب ما تهوى، أو من باب ما يستحسنه عقلك، وتقول هذا على خير وهذا ليس على خير؛ ما هكذا يحكم على الأمور.

أو أنك تحكم على النَّاس من ألسنتهم، أو من طريقتهم البهلوانية؛ كل هذا لا ينفعُك عند الله سبحانه وتعالى؛ انظر من يريد من وراء تعليمك وجه الله سبحانه وتعالى، من يحرص على اتِّباع سُنَّة النَّبي ﷺ، واتِّباع منهج أصحابِ النّبي ﷺ، ولا يرتضي طريقاً بديلاً عن هذه الطريق؛ هذا الذي تمسّك به، وتأخذ عنه أمرَ دينك وأنت مطمئن.

فهذهِ الأُمَّة كما ذكر النّبي ﷺ: "ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كُلُّها في النَّار إلّا واحدة، قالوا : من هي يا رسول الله؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي"؛ إذاً هذا هو طريق الحق؛ طريقُ الحقِّ واحد وطرق الضَّلال كثيرة؛ كما وصف لنا النبي ﷺ، فإذا أردتَ أن تنجو؛ فاعرف طريق الحق هذا واسلكه، وطريق الحق هذا هو طريق الصَّحابة، كما دلَّ على ذلك هذا الحديث، وكما دلَّ على ذلك قول الله تبارك وتعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ}(١)، هؤلاء الصَّحابة من السَّابقين الأوَّلين قد وصلوا إلى مرضاةِ الله تبارك وتعالى؛ سَلكوا طريقاً بها وصلوا إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى، وقلنا طريق الحقِّ واحد؛ إذن هذه الطريق التي سَلكها الصَّحابة هي طريق الحق وغيرها طُرق الضَّلال،

---

(١) [التوبة:١٠٠].

فإذا أردتَ النَّجاةَ؛ فاسلُك الطريق التي سَلكها أصحابُ النبي ﷺ، الذين رضيَ الله تبارك وتعالى عنهم وأَعَدَّ لهم جنَّات تجري تحتها الأنهار.

ومن أيضاً؟

من اتَّبعهم بإحسان؛ فدينُنا دين اتِّباع لا دين ابتداع؛ هناك فرق عظيم بين أن تخترع وتبتدع ديناً من عندك وتعبد الله بهواك وبعقلك، وبينَ أن تعبُدَ الله كما أراد الله تبارك وتعالى منك.

كيف تعرِف العبادة التي أَرادها الله منك؟

بأن تسلك الطريق الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ، لا يكفيكَ أن تَدَّعِي أنّك على الكتاب والسُّـنَّة؛ بل لا بُدَّ أن تَتَّبِع، إذا لم تكن مُتَّبعاً؛ فأنتَ مُبتدع شئتَ أم أبيت؛ إذا لم تكن متبعاً لطريقِ الصَّحابة؛ فأنت مبتدع شئتَ أم أبيْت؛ لأنك ستُخالفهم، ستخرجُ عن طريقهم؛ وتكون قد ابتدعتَ في دين الله ما ليسَ منه.

قال الله تبارك وتعالى: {وَمَنْ يُشاقِق الرَّسُولُ مِنْ بَعْدِ مَا تَبيَّنَ لهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينُ}[(١)]، لاحظ كلّه توجيه إلى الاتباع لا الابتداع؛ لذلك الآن عندما تأتي وتفهم دين الله من كلام أصحاب النبي ﷺ؛ تجد هذا الكلام كله مَنشأه واحد، مصدره واحد؛ "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم"[(٢)]؛ كلمة قالها عبدالله بن مسعود: (اتَّبِعوا ولا تَبتدعوا فقد كُفيتم) كفاكُم أصحاب النَّبي ﷺ بيان طريق الحق؛ فلستَ بحاجة إلى أن تخترع شيئاً جديداً، واحكم نفسَك على الاتِّباع لا على الابتداع؛ لا تجعل

---

(١) [النساء:١١٥].

(٢) أخرجه الدارمي في سننه (٢١١)، والمروزي في السنة (٧٨)، وغيرهما.

نفسَك مُبتدعاً؛ اجعل نفسك متبعاً؛ فهذا هو دين الله تبارك وتعالى، لا يُمكنكَ أن تصلَ إلى ما أرادَ الله منك إلا عن طريق أصحاب النَّبي ﷺ؛ بذلك تكون متَّبعاً بحق؛ وبذلكَ تنجو من أن تكونَ من الثِنتَين وسبعين فرقة الهالكة.

طبعاً نحن عندما نقول: اثنتان وسبعون فرقة هالكة؛ لا يلزم من ذلك أن كلَّ فردٍ منهم لا بُدَّ أن يدخل النّار؟ لا؛ فهناكَ أسباب تمنع من دخول النّار؛ عشرة أسباب ذكرها ابن تيمية - رحمه الله- ، وليس الآن موطِن ذِكرها ؛ لكن منها مثلاً: أن تغلب حسناتهم سيئاتهم، ومن ذلك عفو الله؛ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}(١)، فإذا لم يكُن الواقع فيه المرءُ شركاً؛ سيعفو الله سبحانه وتعالى عنه إن شاء؛ لكن المهم أنه سالك في طريق يستحقّ بها العذاب، فأنتَ إذا أردتَ النجاة؛ فاسلك طريقَ أصحاب النبي ﷺ.

وليس كل مخالفة يكونُ بها الشخصُ خارجاً عن جماعة المسلمين؛ فهناك مخالفات لا يكون الشخصُ خارجاً بها عن جماعة المسلمين؛ يعني مثلاً إذا ارتكبَ معصية؛ لا يكونُ بذلك مبتدعاً خارجاً عن جماعة المسلمين، كذلكَ إذا خالف في مسألةٍ ليس فيها أدلة مُحْكَمة ووقع في بدعة ولكن نتيجة لِوجود غمُوض في أدلة المسألة؛ مثل كل هذا لا يخرج من جماعة المسلمين؛ إنما يخرج من جماعة المسلمين إذا ابتدع بدعة خالف فيها الأدلة المُحْكَمة من كتاب الله أو من سُنَّة رسول الله ﷺ؛ ومن ذلك مسائل الاعتقاد؛ مسائل الاعتقاد لا شك أدلتها مُحكمة واضحة صَريحة، إذا كان الانسان

---

(١) [النساء:٤٨].

مُنصِفاً؛ سيعرف أنَّ هذه الطريق هي التي كان عليها أصحاب النّبي ﷺ في مسائل الاعتقاد؛ فلا يخرج عنها.

قال المؤلف - رحمه الله- : (**[٩١] هكذا كانَ الدينُ إلى خِلافَةِ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه ؛ الجَمَاعَةُ كُلُّها، وهكذا في زَمَنِ عُثْمَانَ، فلمَّا قُتِلَ عثمانُ رضيَ الله عنه؛ جاءَ الاخْتِلافُ والبِدَعُ ، وصارَ النَّاسُ أَحْزاباً، وصاروا فِرَقاً ؛ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ ثَبَتَ على الحقِّ عِنْدَ أَوَّلِ التَّغْيِيرِ، وقالَ بهِ وعَمِلَ به ودعا الناسَ إليه**).

كان الحقُّ واضحاً جلياً ظاهراً، ليس للحق إلَّا طريق واحد، ليس إلَّا هَدي واحد؛ كلّهم عليه؛ أصحاب النَّبي ﷺ؛ في عهد النَّبي ﷺ، في عهد أبي بكر رضي الله عنه، في عهد عمر رضي الله عنه.

استمرت الأمور على هذا الحال، كانت تظهر أحياناً بعض فرق المبتدعة؛ ولكنّهم مقبورون لا يستطيع المرء منهم أن يرفع رأسه في ذاك الزمن؛ لأن الحق ظاهر وناصع وقوي؛ فما كانوا يستطيعون الكلام، فإذا خرج واحد منهم؛ عُذِّب مباشرة؛ على مستوى أنه يسأل الشخص في أمور ليس له فيها شُغل؛ كما هو الحال مع صبيغ، في عهد عمر بن الخطاب؛ فإن صبيغاً كان يسأل عن بعض مسائل في القرآن ويشغل نفسه بها؛ فلمَّا سمع به عمر، وجاء إليه، فسأله عمر: من أنت ؟ فقال: عبد الله صبيغ، ثم ضربه بالدِّرَّة ضرباً شديداً، حتى قال: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِي فَاقْتُلْنِي قَتْلًا جَمِيلاً، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ تُدَاوِيني فَقَدْ وَاللَّهِ بَرِئْتُ. فَأَذِنَ لَهُ إِلَى أَرْضِهِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ أَلَّا يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّجُلِ،

فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنْ قَدْ حَسُنَتْ هَيْئَتُهُ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ أَنْ يَأْذَنَ لِلنَّاسِ يُجَالِسُونَهُ(١).

فلمَّا مات عمر جاءُوه له وقالوا له: قد جاء وقتُك، قال: قد أدّبني العبد الصّالح.

هكذا كانوا؛ عندما يرفعَ رأسه-كحال صبيغ- مباشرة يُؤدب وينتهي أمرُه

إلى عهد عثمان- رضي الله عنه -؛ في ذاكَ الوقت خرج عُبَّاد الدِّرهم والدينار؛ الذينَ يريدونَ الدنيا.

فلما أخذوا من الدنيا ما أرادوا؛ خرجوا على عثمان رضي الله عنه، ورموهُ بالتُّهم الباطلة التي ذَبَّها هو عن نفسه، وفَنَّدَ لهم شُبهاتهم؛ ما أبقى لهم شيئاً، لكنهم مع ذلك؛ أصرّوا وقتلوهُ رضي الله عنه؛ وبِقتل عثمان: وُضع السيف في هذه الأُمَّة، وكما قال النَّبي ﷺ " إذا وُضِعَ فيها السَّيفُ لا يُرْفَعَ إلى قيام الساعة"(٢).

وبدأت الفتن وبدأ رؤوس أهلِ البِدع والضَّلال بالظهور، وبنشر بِدَعهم بين النَّاس؛ ويُحرِّفونَ دين الله سبحانه وتعالى، وكَثُرت الفتن وكَثُرت الضلالات

ومن أراد الحق وأراد الهداية: لزم طريق النبي ﷺ وابتعدَ عن الفِتن؛ فاجتنبها ولَزِمَ ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ؛ فينجيه الله سبحانه وتعالى من تلك الفِتن إن شاء.

ومن كان مفتوناً؛ وقع في الفتن، وضاع.

من ذاك الزّمن بدأت البدع تظهر؛ ظَهرت بِدعة القدرية، وبِدعة الخوارج، وبِدعة الرّفض، وغيرها من البدع، وصار لأهل البدع شوكة وقوة؛ حتَّى صار يمتحن أهل

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١٤٦)، والآجري في الشريعة (١٥٣) وغيرهما.

(٢) أخرجه أحمد(٣٧/ ٧٨)، وأبو داود (٤٢٥٢) ، والترمذي (٢٢٠٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، من حديث ثوبان، وأصله في مسلم (٢٨٨٩).

السُّنَّة يمتحنون بهم، ففي عهد الإمام أحمد، امتُحن أهل السنة؛ جُلِدوا، قُتلوا، شُرّدوا إلى أن نصرهم الله سبحانه وتعالى على عدوهم.

الشاهد: أن البدع والضلالات ظهرت من تلك الأوقات، وبدأت تنتشر؛ والأمر كما قال ﷺ: "خيرُ النَّاس قرني ثُمَّ الذين يَلُونهم ثُمَّ الذين يَلُونهم"[(١)]، فذكر ثلاثة قرون كانت فيها السُّنَّة عزيزة قويّة متينة، والبدع مُهانة مغلوبة، ثم بعد القرون الثلاثة الأولى بدأ يظهر أهلُ البِدع وصارت تكون لهم قُوَّةٌ وشَوْكة.

قال : (فلمَّا قُتِلَ عثمان رضي الله عنه؛ جاء الاختلاف والبِدَع) انتشرت الاختلافات وانتشرت الضَّلالات بين الناس وصارَ النَّاسُ أحزاباً؛ جماعات.

الحزب ما هو؟ ومتى يكون الشخص حزبياً؟

إذا والى الشخصُ وعادى على غيرِ الكتاب والسُّنَّة؛ فهو حزبي.

كلُّ جماعة تُوالي وتُعادي؛ إمَّا على شخص، أو على كلام مُعين يُوالون ويعادون عليه؛ فهم حزب، عندئذٍ تفرَّقوا إلى أحزاب، وسيأتي الحديث عن مسألة التّفرُّق.

قال: (وصاروا فِرقاً، فمن الناس من ثبت على الحق عند أوّل التغيير) أول الفتن؛ إمّا أن تثبت على الحق، أو أن تزيغ عنه، والمطلوب منك أنتَ: أن تمَسَّك بالكتاب والسنة وبما كان عليه أصحاب النّبي ﷺ، وتنظر إلى علماء السُّنَّة الذين يتمسكون بالسُّنَّة في وقت الفتن بالذات، وترجع إليهم؛ تستشيرهم وتسألهم في أمر هذه الفتن وماذا تصنع، لا تمشِ على رأسك؛ لئلا تضيع.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

قال: (وقالَ به وعَمِلَ به) أي: بالحق، (ودعا الناس إليه) أي: إلى الحق.

قال المؤلف - رحمه الله - (**[٩٢] فكانَ الأَمْرُ مُسْتَقِيماً حتى كانت الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ في خلافةِ بني فُلانٍ؛ انقَلَبَ الزَّمانُ وتَغَيَّرَ النَّاسُ جداً، وفَشَتِ البِدَعُ، وكَثُرَ الدُّعاةُ إلى غيرِ سبيلِ الحَقِّ والجماعَةِ، ووقعتِ المِحْنَةُ في كلّ شيء لم يتكلم به رسول الله ﷺ ولا أحدٌ من الصحابة**)

بقي الأمر مستقيماً؛ ثم بعد القرون الثلاثة الأولى التي ذكر النبي ﷺ خيرِيَّتها؛ تغير كما قال: (في خلافة بني فلان انقلب الزمان) ولم يرد أن يذكرهم؛ خشية الفِتنة.
قال: (انقلب الزّمان، وتغيَّر النَّاسُ جداً، وفَشَتْ البدع) وهذا كان في عهد العباسيين (وكَثُرَ الدعاة إلى غيرِ سبيل الحقّ والجماعة، ووقعت المحنة في كلّ شيء) في كل مسائل الدّين؛ وقعت المِحنة.

قال: (في كلِّ شيء لم يتكلم به رسول الله ﷺ ولا أحدٌ من الصحابة)
علماء السلف علماء السُّنَّة كالإمام أحمد وغيره كانوا يتكلمون بالسُّنَّة، وإذا ظهرت بِدعة لم يتكلَّم بها النَّبي ﷺ ولا أصحابه؛ حاربها الإمام أحمد، وحاربها أهل السنة، ووقعت المحنةُ عليهم؛ ولكن نصرهم الله تبارك وتعالى في آخر الأمر.

قال المؤلف : (**[٩٣] ودعوْا إلى الفُرقةِ، وقدْ نَهى اللهُ عزّ وجل عَنِ الفُرْقَةِ، وكفَّرَ بعضُهُمْ بَعْضاً، وكُلٌّ دعا إلى رَأْيِهِ وإلى تَكْفيرِ منْ خَالَفَهُ؛ فَضَّلَّ الجُهَّالُ والرِعاعُ ومنْ لا**

عِلْمَ لَهُ، وأطمعوا الناسَ في شيء من أَمْرِ الدُّنْيا، وخَوَّفوهم عِقابَ الدُّنيا؛ فاتَّبَعَهم الخَلْقُ على خَوْفٍ في دينهم، ورَغْبَةً في دُنياهم)

هذا حال الناس في الفتن؛ دعا أهل البِدع إلى الفرقة، وهذا حال أهل البدع دائماً؛ يدعونَ إلى الفُرقة وإلى الاختلاف؛ كلُّ طائفة منهم تريدُ الغلبة لها، تريدُ السلطة لها؛ فيدعون النّاس إلى التفرّق وإلى الاختلاف.

قال: (وقد نهى الله عز وجل عن الفُرقة)؛ قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}(١)، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ}(٢)، {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}(٣)؛ فقد نهانا الله عن التَّفرُّق وأمرنا بالاجتماع؛ لكن على أي شيء؟

ليسَ مُجرد اجتماع كما حاول البعض أن يفعل ؛ مجرّد أن نجتمع فقط؛ لا؛ بل الاجتماع المأمورون به هو اجتماعٌ على الكتابِ والسُّنَّة، {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيْعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}، إذن اجتمعوا على الكتاب والسُّنَّة؛ نُوالي ونُعادي في الكتاب والسُّنَّة، نحب ونَبغض في الكتاب والسنة؛ على هذا نجتمع، أمَّا على الضَّلال؛ فلا نجتمع، نحن ندعو أهل الضَّلال الذين فرَّقوا الأمَّة إلى أنْ يتركوا ضَلالَهُم ويجتمعوا معنا على الحق؛ هكذا يكون الاجتماع؛ وهذا الاجتماع الذي أمر الله سبحانه وتعالى به

{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} حبل الله الذي هو واصلٌ بيْننا وبين الله، وهو الكتاب والسُّنَّة نعتصم بهما؛ نتمسك بهما، ونتركُ كلَّ ما خالفهما.

---

(١) [آل عمران:١٠٥].
(٢) [الأنعام:١٥٩].
(٣) [آل عمران:١٠٣].

{وَلَا تَفَرَّقُوا} لا تتفرقوا عن كتاب الله وعن سُنة رسول الله ﷺ، فمن ابتدعَ في دينِ الله بِدعة؛ فقد فرَّق الأُمة، وشتَّتَ شملها كما قال عليه الصّلاة والسلام: "ستفترق هذه الأمَّة إلى ثلاث وسبعين فرقة".

قال: (وكَفَّر بعضهُم بعضاً) هذا حال أهل البِدع والضَّلال؛ الخوض في مسائل التكفير؛ فيكفِّر بعضهم بعضاً من أجل أن يستبيحوا لأنفسهم أموال المسلمين وأعراضهم ودمائهم، وقد حرَّمها الله سبحانه وتعالى: "إنَّ أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام كَحُرمة يَومِكم هذا في شَهركم هذا في بلدكم هذا"(١)؛ لكنّهم أرادوا أن يأخذوا من هذه الأشياء التي فيها منفعة لهم في دنياهم- ولم يجعل الله لهم من سبيلٍ عليها بِما أنهم مسلمون- فيكفرونهم، ويستحلّون مع تكفيرهم كل شيء؛ فيستحلّونَ المال،، ويستحلُّون العرض ويستحلُّون الدم؛ كل شي يُصبح حلالاً، فمن أجل أن يُعطوا لأنفسهم هذا المجال؛ يكفّرون المسلمين.

قال: (وكلٌّ دعا إلى رأيه وإلى تكفير من خالفه) هذه طريقتهم؛ يدعونَ إلى آرائهم وإلى بِدعهم وإلى تكفير من خالفهم.

قال: (فضَلّ الجّهال والرّعاع ومن لا علم له) من يضيع في هذا؟ يضيعُ بهذا عامّة النَّاس؛ الجُهّال والرعاع ومن لا علم عنده؛ يضيعون بين أقدام هؤلاء القوم، يسمعونهم؛ فيظنّونهم دُعاة هدى؛ لأن الواحد منهم يكون بعيداً عن دين الله خائضاً في أمر دُنياه،

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

لا يتعلّم شرع الله ودينِه، فإذا جاءت الفتنة؛ تجده يتلقّفُه أوّل داعٍ ويذهب به فوراً، يذهب بدينه ودنياه!

فهؤلاء هم الذين يضلّون؛ لأنّهم يسمعون لأهل البدع، لا يتعلمون السنة والبدعة، ولا يعرفونَ الفرق بين داعية الهُدى وداعية الضَّلال؛ فيضيعون في هذه المتاهات.

قال: (وأطْمَعوا الناس في شيء أمر من الدنيا)

كيف يستغلّون العامَّة؟ هؤلاء دُعاة الضَّلال يستغلون العامة بإطماعِهم في أمور الدنيا؛ تعالَ معنا، قاتِل معنا، سنعطيك من المال، نعطيك من الجاه مراتب.

الآن بعض الفِرق الموجودة بيننا هنا، عندما يريدونَ أن يستقطبوا الأطفال والصِّبْيَة؛ ماذا يفعلون؟ إمَّا أنهم يستقطبونهم بالمال، أو برحلات سباحة، رحلات كرة قدم، وعندما يكبُر الولد قليلاً؛ يُصَدِّرونه مباشرة في حَلَقة، ويُصبح هو الرّئيس؛ جاه، رياسة؛ هذه أمور الدنيا التي يستغلّون بها عامَّة الناس الذين لا علم عندهم؛ لا يعرفون الحق من الباطل، هو يعرف الدّنيا: مُلهيات، وينصرف معها.

قال: (وخَوَّفوهم عقاب الدنيا؛ فاتَّبَعَهُم الخلق على خوف في دينهم ورغبة في دنياهم).

قال المؤلف :(**[٩٤] فَصَارَتِ السُّنَّةُ وأَهْلَ السُّنَّةِ مَكْتومينَ، وظَهَرَتِ البِدْعَةُ وَفَشَتْ، وكَفَّروا مِنْ حَيْثُ لا يعلمون؛ من وجوهٍ شتّى، ووضعوا القياسَ، وحَمَلوا قُدرة الرّب وآياته وأَحْكَامَهُ وأَمْرَهُ ونَهْيِهِ على عُقولِهِمْ وآرائِهِمْ، فما وافقَ عُقولَهُمْ قَبِلوه، وما خالفَ**

عقولَهُمْ؛ رَدُّوهُ؛ فصارَ الإسْلامُ غَريباً، والسُّنَّةُ غَريبَةً، وأهلُ السُّنَّةِ غُرباءُ في جَوْفِ دِيارِهِمْ)

قال: (فصارت السُّنَّة وأهل السُّنَّة مكتومين، وظهرت البدعة وفشت) في ذاك الزّمان،

بعد القرون الثلاثة الأولى، عندما حلّت المِحَن في النَّاس؛ فصارت السُّنة وأهل السُّنَّة مكتومين، وصار الظّهور لأهل البِدع؛ خاصَّة عندما يكون الحُكّام الذين يحكمون في زمن معيّن يميلون إلى أهل البِدع؛ فيُظِهرون أهل البدع، ويُخفون أهل السّنة، ويُسكِّتونهم.

قال: (وظهرت البدعة، وفشت وكَفروا من حيث لا يعلمون من وجوهٍ شتّى، ووضعوا القياس، وحملوا قُدرة الرَّب وآياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهم، فما وافق عقولهم؛ قَبِلوه، وما خالف عقولهم؛ ردّوه ؛ فصار الإسلام غريباً والسُّنَّة غريبة، وأهل السُّنَّة غُرباء في جَوْف دِيارهم)

صارت السُّنَّة وأهل السُّنَّة مكتومين، ظهرت البدع، وظهر أهل البدع، اختفى أهل السّنة، وظهرت البِدعة وفشت.

قال: (وكَفَّروا من حيث لا يعلمون من وجوهٍ شتّى) أي من وقع منهم في مكفر كالجهمية ومن شابههم.

قال: (ووضعوا القياس) القياس: يعني القياس العقلي في الأمور الغيبية، كصفات الله سبحانه وتعالى، أعظم الفتن كانت في ذاك الوقت الذي يتحدّث عنه المؤلّف في هذا

الجانب؛ فكانوا يحكمون على الله سبحانه وتعالى بعقولهم، وقاسوا الله سبحانه وتعالى على عِباده، فصاروا ينفون عنه ما أثبت لِنفسه.

قال: (وحملوا قُدرة الرَّب وآياته، وأمره ونهيه على عقولهم) يعني جعلوا عقولهم هي الحاكمة على الله وعلى أمره وعلى صفاته، فما رأت عقولهم بأنّه يصلحُ لله؛ نسبوهُ إليه، وما رأت عقولهم أنّه لا يصلح له؛ نفَوْه عنه؛ مع أنّه أثْبَته لنفسه.

هكذا جعلوا أنفسهم حُكّاماً على الله تبارك وتعالى، فما وافقَ عقولهم؛ قبِلوه، وما خالف عقولهم؛ ردّوه؛ هذه طريقة الجهمية بصفة عامّة؛ جهمية، معتزلة، أشاعرة، ماتريديّة، الكُلّابية؛ كلّهم على هذه الطّريقة؛ حكموا على الله سبحانه وتعالى بعقولهم؛ فجعلوا عقولهم هي الحاكمة على الله، فما أجازوه على الله بعقولهم؛ أثبتوه، وما لم يُجيزوه على الله بعقولهم؛ رفضُوه؛ فصارَ الإسلام غريباً كما قال النبي ﷺ "بدأ الإسلامُ غريباً، وسيعود غريباً فطوبى للغرباء"[١].

قال: (والسُّنَّة غريبة، وأهل السّنة غُرباء في جَوف دِيارهم) حين تنتشر البدعة وتنتشر الضّلالات؛ يظهر عالم السّنة، ويدعو إلى السّنة؛ فيكون هو الغريب، وهو الآتي ببدعة؛ فتُصبح السّنّة بدعة والبدعة سُنَّة؛ وهذا الذي حصل في زمن الإمام أحمد مع الجهمِيّة، عندما أظهروا القول بخلق القرآن وامتحنوا النّاس على ذلك، وتَبنّى هذا القول أحد أمراء العبّاسيين؛ فامتحن النّاس على ذلك، فقتلوا من قتلوا من العلماء، وعذّبوا من عذّبوا؛ حتّى رفعَ الله سبحانه وتعالى هذه المِحنة، وثبّتَ فيها من

(١) أخرجه مسلم (١٤٥).

ثبَّتَ من أهل السّنّة؛ ومنهم الإمام أحمد، ونصر الله على يدَيْه السّنة، ورفع الله ذِكره إلى يومنا هذا.

نسأل الله أن يُثبّتنا وإيّاكم على الحق.

قال المؤلّف رحمه الله: (**[٩٥] واعْلَمْ أنَّ المُتْعَةَ -مُتْعَةَ النِّساءِ- والاسْتِحْلالَ: حَرامٌ إلى يَوْمِ القِيامَةِ**)

المُتعة عند علماء الشّريعة تُطلَق على مُتعة النّساء، وعلى مُتعة الحج.

المُتعة في الحج: هي أن تعتمر وتتحلّل في أشهر الحج، ثمّ بعد ذلك تأتي بأعمال الحج.

وكلامُنا هنا عن المُتعة الثّانية؛ وهي مُتعة النّساء، وليست الأولى؛ لذلك قيّدها وقال: متعة النّساء؛ كي يُخرج مُتعة الحج.

فقال: (واعلم أنّ المتعة -متعة النّساء- والاستحلال حرامٌ إلى يوم القيامة)؛ يعني: استحلال الفروج التي حرّمها الله تبارك وتعالى؛ ومنها متعة النساء: حرام إلى يوم القيامة.

ومُتعة النّساء كانت في أوّل الإسلام؛ وذلك بأنّ يتزوج الرّجل المرأة وقتاً محدوداً، على أن يُعطِيَها شيئاً مُقابل هذا الزّواج، يتزوجها يوماً، أو يومين، أو ثلاثة أو أكثر؛ ويُعطيها شيئاً، ثمّ يترُكها بعد ذلك؛ يعني هو نكاح استمتاع؛ لِذلك سُمّيَ نكاح المُتعة.

وكان هذا جائزاً في بداية الإسلام؛ لأنّ الشريعة عندما جاءت في بداية الأمر جاءت بالتدريج؛ كما هو الحال في الخمر مثلاً وتحريمه؛ لم يُحَرَّم مباشرةً؛ إنما في البداية حُرّم عليهم أن يُصلّوا وهم سكارى، ثمّ بعد ذلك حُرِّم الخمر، بعد أن تدرّج معهم في التّحريم؛ كذلك هنا أيضاً لم يُحَرَّم الزّنا مباشرةً؛ بل تدرّج معهم في التحريم بهذه الطّريقة؛ فحُرِّمت

هذه الطريقة في النّكاح؛ حرّمها النّبيّ ﷺ في غزوة خَيْبر، ثمّ أباحها يوم فتح مكّة؛ فهي قد مرَّت بمراحل:

المرحلة الأولى: أُحِلّت، ثمّ حُرِّمت يوم خيبر، ثمّ أُبيحت يوم فتح مكّة، ثمّ حُرِّمت تحريماً مؤبّداً؛ جاء في حديث سبرة الجُهني أنّه كان مع رسول الله ﷺ فقال: "يا أيّها النّاس! إنّي قد كُنت أذِنتُ لكم في الاستمتاع من النّساء، وإنّ الله قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهنّ شيءٌ فلْيُخلِ سبيله، {وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً}[1] "[2]، أي: من كانت عنده امرأة نكَحها بالمتعة؛ فلْيترُكها، {ولا تأخذوا مما آتَيْتُموهُنَّ شيْئاً}؛ أي: ما أعْطيتها مُقابل هذه المُتعة؛ لا تأخذ منه شيئاً، وفي لفظ: "أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكّة، ثمّ لم نخرج منها حتّى نهانا عنها".

إذاً كان استقرار الأمر على تحريم هذا النّكاح؛ الذي هو نكاح المُتعة، وصار صورة من صُوَر الزّنا بعد ذلك؛ لأنّه محرّم ونكاح باطل لمن عمِلَه، وأجمع المسلمون بعد ذلك على تحريم هذا النّكاح وأنّه نكاح باطل، ولم يُخالف في هذه المسألة إلا الرّافضة الشيعة الجَعفريّة، الرافضة هم الذين خالفوا في هذا، ويتعاملون به إلى يومنا هذا؛ فصار شعاراً فارقاً ما بين أهل السنة والرّافضة؛ وخلافهم طبعاً لا عبرة به، ولا ينقُض الإجماع؛ لأنّهم ليسوا من المسلمين أساساً.

---

(١) [البقرة:٢٢٩].

(٢) أخرجه مسلم(١٤٠٦).

قال المؤلف- رحمه الله-: (**[٩٦] واعْرِفْ لِبَني هاشِمٍ فَضْلَهُمْ؛ لِقَرابَتِهِمْ مِنْ رسول الله ﷺ، واعْرِفْ فَضْلَ قُرَيْشٍ والعَرَبِ وَجَميعِ الأَفْخاذِ، فَاعْرِفْ قَدْرَهُمْ وَحُقُوقَهُمْ في الإِسْلامِ، وَمَوْلى القَوْمِ مِنْهُمْ، وتَعَرَّفْ لِسائِرِ النَّاسِ حَقَّهُمْ في الإِسْلامِ**)

يعني أعطي النّاس حقوقهم ونزلهم منازلهم؛ فكلّ واحد من النّاس قد أعطاه الله سبحانه وتعالى في الإسلام حقّه؛ فتعلّم شرع الله كي تعرف حقّ فلان فتُعطِيَه إيّاه؛ فالمسلم لَه عليك حق؛ الهاشمي لَه عليك حق لهاشِميّته، العربي لَه عليك حق، القُرشي لَه عليك حق، جارُك لَه عَليك حق، أخوكَ لَه عَليك حق، كل واحد من النّاس لَه حق جعله الله سبحانه وتعالى لَه عليك؛ ووجبَ عليك أن تعرِف لَه حقّه، وأن تُعطِيَه إيّاه.

قال: (اعرِف لبني هاشم فَضلهم): مَكانتهم؛ لقول النبي ﷺ: "إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ"(١)، إسماعيل لَه أولاد ومنهم كنانة، كنانة اصطفاه الله من أولاد إسماعيل؛ يعني اجتباه واختارَه، واصطفى من كنانة قريش، واصطفى من قريش بني هاشم، واصْطفى النبي ﷺ من بني هاشم؛ فالنّبي ﷺ خيارٌ من خيارٍ من خيار؛ هو مصطفى ومُنتخَب من بين هؤلاء النّاس جميعاً، ففي هذا الحديث يتبيَّن لَنا فَضل العرب، وفضل قريش، وفضل بني هاشم، هذا التفضيل، والأفضَليّة، والفضل؛ كلّه للجنس وليس للأشخاص؛ فالنّاس يتفاضلون أساساً في دين الله تبارك وتعالى، كلّما كان العبد أقرب إلى الله سبحانه وتعالى؛ كان أفضل من غيره؛ فالتّفاضُل يحصل

---

(١) أخرجه مسلم(٢٢٧٦) عن واثلة بن الأسقع.

بالإسلام ؛ كما قال النبي ﷺ: "أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى"(١)؛ بتقوى الله سبحانه وتعالى؛ يعني بالصّلاح؛ "كلكم لِآدم، وآدم من تراب"(٢)،

هذا الكلام عن الأشخاص؛ لا فضل لِزيد على عَمرو إلّا بتقوى الله سبحانه وتعالى؛ فتقوى الله هي الفاصلة بين النّاس في التفضيل، رُبّ رجلٍ عجميّ أفضل من آلاف العرب، ورُبّ رجل عربي أفضل من آلاف العجم؛ على حَسب قُربه وبُعده من ربّه تبارك وتعالى؛ الفاصل ما بين الناس: هو تقوى الله سبحانه وتعالى؛ البُعد والقرب من دين الله سبحانه وتعالى؛ لكن الكلام هنا من حيث الجنس كأجناس؛ شعوب أو قبائل؛ نقول: الجنس كما قال النبّي ﷺ؛ وهنا يُستشكل هذا الأمر على بعض إخواننا؛ لذلك أحبّ أن أقرأ لَه كلام هذا العالم العجمي ليس عربيّاً؛ هو عجمي فجيّد أن يأتي الكلام منه هو بالذات حتّى لا يبقى في النّفوس شيء، هذه المسألة بالذات راجعني فيها كثير من إخواننا العجم؛ لأنّهم فهموها بشكل خاطئ، فنحن نقرأ ما كتبه الشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني في هذه المسألة؛ وهو كلام نفيس حقيقةً من عالم ربّاني في

---

(١) أخرجه أحمد(٢٣٤٨٩) في مسند رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال أبو نضرة: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ..."، وفي "شعب الإيمان" (٤٧٧٤): من حديث أبي نضرة عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ ...".

(٢) أخرجه أحمد(٨٧٣٦)، وأبو داود(٥١١٦)، والترمذي(٣٩٥٦) عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ».

هذه المسألة، يقول بعد أن ذكر حديث: "إذا ذلَّت العرب ذلّ الإسلام "؛ وهو حديث مكذوب ليس بصحيح[1]؛

قال: "ولولا أنّ في معناه ما يدلّ على بُطلانه؛ لاقتصرتُ على تضعِيفه" يعني: لولا أنّ الحديث نفسه فيه من المعنى ما هو باطل لضعّفه ومشى؛ لكن فيه معنى باطلاً؛ فأراد أن ينبه عليه.

فقال :"ذلك لأن الإسلام لا ينطبق عزُّه بالعرب فقط؛ بلْ قد يُعزّه الله بغيره من المؤمنين؛ كما وقع ذلك زمن الدّولة العثمانية ولا سيّما في أوّائلِ أمرها؛ فقد أعزّ الله بهم الإسلام حتّى امتدّ سُلطانه إلى أواسِط أوربا، ثمّ لما أخذوا يحيدون عن الشّريعة إلى القوانين الأوربية؛ يستبدلون الأدنى بالذي هو خير؛ تقلّص سلطانُهم عن تلك البلاد و غيرها، حتّى لقد زال عن بلادهم أيضاً؛ فلم يبق فيها من المظاهر التي تدلّ على إسلامهم إلا الشيء اليسير؛ فذلّ بذلك المسلمون جميعاً بعد عزّهم، ودخل الكفار بلادهم واستذلّوهم إلّا قليلاً منها، وهذه وإن سلِمت من استعماره إيّاها ظاهراً؛ فهي تستعمرها بالخفاء تحت ستار المشاريع الكثيرة كالاقتصاد و ونحوِه؛ فثبت أنّ الإسلام يعزُّ ويذُل بعزّ أهله وذلّهم؛ سواء كانوا عرباً أو عجماً، ولا فضل لِعربي على عجميٍّ إلّا بالتّقوى؛ فاللهم أعِزّ المسلمين، وألهِمهم الرّجوع إلى كتابك وسنة نبيّك؛ حتّى تعِزّ بهم الإسلام.

بَيْد أن ذلك لا ينافي أن يكون جنس العرب أفضل من جنس سائر الأمم؛ فهذا هو الذي أؤمن به وأعتقده وأدين الله به، وإن كنت ألبانياً؛ فإني مسلم ولله الحمد؛ ذلك

---

(١) أخرجه أبو يعلى(١٨٨١) عن جابر بن عبد الله، وقد حكم عليه الشيخ الألباني رحمه الله بالوضع في "الضعيفة" (١٦٣).

لأن ما ذكرته من أفضلية جنس العرب؛ هو الذي عليه أهل السنّة والجماعة، ويدلّ عليه مجموعة من الأحاديث الواردة في هذا الباب؛ منها قوله ﷺ: "إن الله اصطفى من ولد إبراهيم: إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل: بني كِنانة، واصطفى من بني كِنانة: قريش، واصطفى من قريش: بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم"(١) رواه أحمد والترمذي وغير ذلك مما ذكر من تخريجه.

ثمّ قال :"ولكن هذا ينبغي أن لا يحمِل العرب على الافتخار بجنسه؛ لأنّه من أمور الجاهلية التي أبطلها نبينا محمد العربي ﷺ على ما سبق بيانُه، كما ينبغي ألّا نجهل السّبب الذي به استحقّ العربُ الأفضليّة؛ وهو ما اختُصُّوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم، الأمر الذي أهّلهم إلى أن يكونوا حملة الدّعوة الإسلامية إلى الأمم الأخرى، فإنّه إذا عرف العرَبِي هذا، وحافظ عليه؛ أمكنه أن يكون مثل سلفِه عُضواً صالحا في حمل الدّعوة الإسلامية، أمّا إذا هو تجرّد من ذلك؛ فليس لَه من الفضل شيء؛ بل الأعجمِيّ الذي تخلّق بالأخلاق الإسلامية هو خير منه دون شكّ ولا ريب؛ إذ الفضل الحقيقي إنّما هو اتباع ما بُعث به محمّد ﷺ من الإيمان والعلم به؛ فكل من كان فيه أمْكَن؛ كان أفضل، والفضل إنّما هو بالأسماء المحدّدة في الكتاب والسنّة؛ مثل: الإسلام، والإيمان، والبر، والتقوى، والعلم، والعمل الصّالح، والإحسان ونحو ذلك؛ لا بمجرّد كَون الإنسان عربيّاً أو أعجميًّا؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وإلى

(١) أصله عند مسلم من حديث واثلة بن الأسقع -وقد تقدم تخريجه- دون لفظ الاصطفاء الأول، وهو بهذا اللفظ عند الترمذي(٣٦٠٥)، وغيره.

هذا أشار بقوله :"من بطّأ به عمله لمْ يُسرع به نسبُه" رواه مسلم[(١)]، ولهذا قال الشاعر العربي:

لسنَا وإن أحسابُنا كُرمَتْ 	يوماً على الأحسابِ نتَّكلُ

نبني كما كانت أوائلُنا تبني 	ونفعل مثلما فعلوا

وجملة القول: إنّ فضل العربي إنّما هو لِمزايا تحقَّقت فيه، فإذا ذهبت بسبب إهمالهم لإسلامهم؛ ذهب فضلُهم، ومن أخذ بها من الأعاجم؛ كان خيراً منهم؛ " لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ إلّا بالتّقوى"، ومن هنا يظهر ضلال من يدعو إلى العروبة، وهو لا يتّصف بشيءٍ من خصائصها المُفضّلة؛ بل هو أوربي قلباً وقالباً"[(٢)] انتهى

وفي هذا الكلام ما يكفي ويشفي إن شاء الله في هذه المسألة.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ :(**[٩٧] واعْرِفْ فَضْلَ الأَنْصارِ وَوَصِيَّةَ رَسولِ اللهِ ﷺ فِيهِمْ، وآلَ الرّسولِ؛ فلا تَسُبَّهُمْ، واعْرِفْ فَضْلَهُمْ وكَراماتِهِمْ، وجِيرانُهُ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ؛ فَاعْرِفْ فَضْلَهُمْ**)

الأنصار هم الأوس والخزرج الذين كانوا في المدينة، وهؤلاء نصروا النّبي ﷺ وأعانوه، وأعزّ الله بهم الإسلام؛ لذلك كانت لهم مَزيّة وفضل؛ وبهذا يتفاضل النّاس، كلّما كان الإنسان أكثر نفعاً لدين الله؛ كان أعظم وأقرب من غيره، قال النّبي ﷺ: "آية الإيمان حبّ الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار"[(٣)]، لماذا كان هذا هكذا ؟

---

(١) (٢٦٩٩) عن أبي هريرة .

(٢) "السلسلة الضعيفة" (١/ ٣٠٢-٣٠٤).

(٣) أخرجه البخاري(١٧)، ومسلم(٧٤) عن أنس رضي الله عنه.

لأن الأنصار- كما ذكرنا- قد نصر الله بهم الدّين، وأعزّ بهم الإسلام ونصروا نبيّه ﷺ، فمن أبغضهم أبغضَهم لذلك، ومن أحبّهم أحبّهم لذلك، فبِمحبّتك للنبي ﷺ، وبمَحبّتك لدينه؛ تحبّ من ينصُره، ومن يُعينه؛ فبذلك تكون مُحباً للأنصار؛ لذلك آية الإيمان- يعني علامته التي تدلّ عليه-: حبّ الأنصار، وآية النّفاق بُغض الأنصار، عندما تبغض الأنصار وتكرهُهم؛ لماذا؟

لأنّهم نصروا النّبي ﷺ وأعانوه وأعزّ الله بهم الإسلام؛ إذاً فأنت في حقيقة الأمر تُبطن الكفر، وتُظهر الإيمان؛ وهذا معنى النّفاق، فآيته وعلامته التي تُظهرك وتُبيّنُك للنّاس؛ أنّك تُبغض الأنصار.

ومن هذا الحديث أخذ علماء السّلف رضي الله عنهم الامتحان بالأشخاص؛ فهو أصلٌ عندنا في ذلك؛ تمتحن النّاس بالأشخاص، إذا عُرف الرجل بالعلم والفضل والتقوى والصلاح في بلاده، وعُرف بالسّنّة والدّعوى إليها ومحاربة من يُخالفها؛ امتحن العلماءُ النّاس به؛ كي يعرفوا السنّي من البِدعي؛ لذلك ما زال السّلف على هذا؛ كانوا يمتحنون النّاس بالإمام أحمد بن حنبل، إذا دخل الشخص إلى بغداد؛ يقولون له: ماذا تقول في أحمد؟ فإذا أثنى عليه خيراً؛ فهو صاحب سنّة، وإذا ذكره بسوء؛ فهو صاحب بدعة، وكذلك كانوا يفعلون مع حمّاد، والأوزاعي، والفَزاري، وابن المبارك، وغيرهم من أئمة السنة، ذكروا الكثير؛ قالوا: إذا رأيت الشّامي يذكر الفزاري أو الأوزاعي بخير؛ فهو صاحب سنّة، وإذا رأيته يذكرهم بسوء؛ فهو صاحب بدعة؛ كذلك ابن المُبارك عند الخرساني، وحمّاد في البصرة؛ وهكذا؛ فكانوا يمتحِنون النّاس بهؤلاء الأئمة.

لكن الامتحان لا يكون بأيّ شخص يظهر؛ يقول: فلان سني، فلان بدعي، فلان مبتدع فلان كذا؛ خلاص يُمتحن النّاس به؛ لا؛ لا بد أن يشتهر بين أهل العلم بالعلم بالخير، بالفضل، بالصّلاح، بالتديُّن، بالاعتدال، بالإنصاف، بالسنّة، إذا اشتهر عند أهل العلم بهذا؛ عندئذٍ امتحنوا النّاس به، ودليل الامتحان ما ذكرناه من حديث: "آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النّفاق بغض الأنصار"، وكذلك قوله ﷺ :"وأوصيكم بالأنصار فإنّهم كَرشي وعيبتي، وقد قَضَوا الذي عليهم، وبقيَ الذي لهم؛ فاقبلوا من مُحسنهم، وتجاوزوا عن مُسيئهم"(١)؛ هذه وصيّة النّبي ﷺ بالأنصار، ومعنى كرشي وعَيبتي: أنهم بِطانتي وخاصتي، ومَوضع سرّي وأمانتي؛ فاستَوْصوا بهم خيراً.

وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه- قبل موته بقليل- أوصى الخليفة الذي يأتي من بعده أن يستَوْصي بالأنصار خيراً؛ لماذا؟

لِما قدّموا للإسلام وللنبي ﷺ من نُصرة ومؤنة؛ لذلك حصلوا على هذا الفضل وهذه المكانة، وهذه الوصيّة من النبي ﷺ؛ فنحن نحب الأنصار ونتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى بذلك، ونعرف لهم فضلَهم ومكانتَهم.

وكانوا من سُكّان المدينة، وخرج الكثير منهم منها؛ لكن بقي إلى الآن بعض القبائل الأصيلة في المدينة، وليسوا الأكثر أو الأغلب هناك؛ فقد اختلطت المدينة؛ ولكن مازالت توجد قبائل من الأنصار الأصلية في المدينة، ويوجد من هُم هنا في الشّام، وكما يوجد في اليمن؛ فقد تفرّقوا.

---

(١) أخرجه البخاري(٣٧٩٩)، ومسلم(٢٥١٠) عن أنس رضي الله عنه.

قال: (وآل الرّسول فلا تسُبّهم، واعرِف فضلهم وكراماتهم) آل الرّسول؛ المقصود بآل الرسول ﷺ هنا: كلُّ من حَرُمت عليه الزّكاة فهو من آل الرّسول ﷺ؛ يعني بنو هاشم كلّهم يشملهم هذا الوصف أنّهم من آل رسول الله ﷺ؛ وأزواجه ﷺ منهم؛ فالواجب احترامهم ومعرفة قَدرهم، ومعرفة وَصيّة النّبي ﷺ واحترامها فيهم؛ فقد جاء عن النبي ﷺ في خطبته في غدير خُمّ؛ عن زيد بن أرقم؛ قال: قال رسول الله ﷺ:"أمّا بعد ألا أيّها النّاس؛ فإنّما أنا بشر يُوشك أن يأتِيَ رسول ربّي فأُجيب؛ وأنا تاركٌ فيكم ثقلَيْن؛ أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنّور؛ فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به"، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: "وأهل بيتي؛ أذَكِّرُكم الله في أهل بيتي، أُذكِّرُكم الله في أهل بيتي، أُذكِّركم الله في أهل بيتي"(١)، هذه وصيّة النّبي ﷺ؛ فنعرف لهم فَضلهم ومَكانتهم، ونحترِمهم، و لا نُسيء إليهم، ولا نسُبّهم؛ بل نحبُّهم ونحترِمهم.

هذا كلُّه في المسلمين منهم؛ لأنّ الذي ليس مُسلماً منهم؛ فهذا ليس من أهل بيت النبي ﷺ- وإن كان نسباً منهم-؛ فإنّ النّبي ﷺ قال :"أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي- يَعْنِي فُلَانًا- لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ"(٢).

قال: (وجيرانه من أهل المدينة؛ فاعرِف فضلَهم) يعني المسلمين الذين سكنوا المدينة وصبروا على شِدّتها؛ اعرف لهم فضلهم.

---

(١) أخرجه مسلم(٢٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري(٥٩٩٠)، ومسلم(٢١٥) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ واللفظ لمسلم.

وبالجملة أصحاب النّبي ﷺ سواءً كانوا من المهاجرين أو من الأنصار أو من غيرِهم، بِما أنّهم صحِبوا النّبي ﷺ؛ فلهم فضلُهم، ولهم مكانتُهم، نُحبّهم ونحترِمُهم ونعرف لهم قدرَهم، ولا نسبّهم، ولا نذكرهم بسوء؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد ذكرهم في كتابه، وذكرهم النّبي ﷺ في سُنّته، وأثنوا عليهم خيراً؛ فالواجب علينا أن نتّبع ما أمر الله تبارك وتعالى به في حقهم، وما أمر النّبي ﷺ؛ قال الله تبارك وتعالى: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارَ}(١)، وقال جلّ في عُلاه: {لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَجَرَة فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً}(٢)، وقال أيضاً :{مُحَمَّدُ رَسُولَ اللهِ وَالذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ... }(٣)، إلى آخر الآيات، والآيات في هذا كثيرة، وقال سبحانه وتعالى في الإنجيل :{كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الكُفَّارَ }، استنبط الإمام مالك ـ رحمه الله ـ أنّ كل من يبغض أحداً من أصحاب النّبي ﷺ فهو كافر؛ لأن الله تعالى قال :{لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّار} فمن يغْتاظ من أصحاب النّبي ﷺ؛ فهو كافر بنص هذه الآية.

(١) [التوبة:١٠٠].
(٢) [الفتح:١٨].
(٣) [الفتح:٢٩].

وقال النّبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي؛ فلَو أنّ أحدَكم أنفق مثل أُحدٍ ذهباً؛ ما بلَغ مُدّ أحدِهم ولا نصيفَه"[١]، انظروا! لماذا ذكر النفقة بالذّات؛ لأنّهم بالنفقة كانوا يعينون دعوة النبي ﷺ، ويُعينون النّبي ﷺ على نشر الإسلام بإنفاقِهم؛ فمُدُّ أحدِهم- حفنة يده- هذه؛ أنت لَو أنفقتَ مثل أحد، هذا الجبل الضخم الكبير من الأموال؛ ما بَلغْت مُدّ أحدِهم؛ لأنّ هذا المد قد أعان الله سبحانه وتعالى به على نُصرة النّبي ﷺ ونُصرة الإسلام في أول أمره، والأمر عندما يكون في وقت الشدّة والضّنك، وتكون الحاجة إليه أكبر؛ يكون أجرُه ومثُوبتُه أعظم،

وكذلك عندما يكون الأمر في نُصرة الدين في بداية ظهوره؛ يختلف عن النفقة عندما يقوَى الدّين وينتشر بين النّاس، وكذاك النفقة من الشّخص الفقير الذي عنده قِلّة في ذات يده؛ ليست كالنّفقة التي يُنفِقها صاحب الأموال الكبيرة؛ هذا الذي هو فقير ويُنفق المال الذي عِنده؛ تكون حاجَتُه لهذا الدّينار الذي يُنفِقه أعظم من حاجة الغني الذي يُنفِق ألف دينار؛ فنفقة الدّينار هذه تكون أعظم أجراً من الألف؛ لأن صاحب الألف عنده مكانها آلاف، أمّا صاحب الدّينار؛ فرُبّما لا يكون عنده غيره؛ فيكون أجرُه أعظم عند الله سبحانه وتعالى؛ فلِهذا كانت نفقة الصحابة رَضي الله عنهم، في عهد النّبي ﷺ أعظم من نفقة من جاء بعدَهم، ونُصرة هؤلاء وجهادُهم مع النّبي ﷺ أعظم من جهاد من جاء بعدَهم؛ هذا كلّه من فضل الصّحابة وما اختاره الله سبحانه وتعالى لهُم؛ فلذلك نعرف لهم قدرَهم ولا نذكرهم إلّا بالخير.

---

(١) أخرجه البخاري(٣٦٧٣)، ومسلم(٢٥٤١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وأخرجه مسلم(٢٥٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ونسكت عمّا شجر بينهم؛ فما وقع بينهم من خلافات لا علاقة لنا بها؛ هذه أمرها إلى الله سبحانه وتعالى؛ لكن نحن نعلم وعلى يقين بأنّهم عُدول ثقات، وأنّهم يريدون الله واليوم الآخر، وقد أثنّى الله سبحانه وتعالى عليهم في كتابه، هم بشر يجتهدون، ويصيبون ويُخطئون؛ فرُبّما يُصيبون في اجتهادهم ورُبّما يخطئون؛ فمعنى ذلك أننا لا نذكرهم إلّا بخير؛ هذا الذي أوجبه الله علينا، وهذا الذي أمرنا به النّبي ﷺ: "إذا ذُكِر أصحابي فأمسِكوا"[(١)]؛ تذكّر هذا دائماً: "إذا ذُكر أصحابي فأمسِكوا"، وتذكّر فضلهم، وأنّ الله قد أعدّ لهم محلّاً ومكاناً في جنّات النّعيم؛ إذاً فهُم قد ماتوا على خير، وماتوا على التّوحيد، وعلى السنّة؛ حيث إنّ الله سبحانه وتعالى قد قَبِلَهمْ، ورَضِيَ بهم، ورضي عنهم، وأعدّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار؛ فلا دخلَ لك أنت بعد ذلك، ما عليْك إلّا أن تسكت ولا تتدخّل فيما شجر بينهم - رضي الله عنهم.

ويُعجبني أثر عن أحد السّلف رضي الله عنهم؛ فقد قال أبو القاسم ابن أخي أبي زرعة الرازي: "جاء رجل إلى عمي أبي زرعة، فقال له: يا أبا زرعة! أنا أبغض معاوية، قال: لم؟ قال: لأنه قاتل علي بن أبي طالب، قال: فقال له عمي: "إن رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم؛ فأيش دخولك أنت بينهما رضي الله عنهم أجمعين "[(٢)].

أي: أنت ما لك علاقة؛ ربّ معاوية ربّ رحيم، وخصم معاوية- الذي هو علي- خصم كريم؛ أنت أيش دخلك بينهم؟

---

(١) صححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" (٣٤) بمجموع طرقه.

(٢) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٤١/٥٩).

وكما قال أحد السّلف الآخرون: "فتنة عصم الله منها سيُوفنا؛ فلْنعصم منها ألسِنتنا"[١].

لا علاقة لنا بِما شجر بينهم والله يفصل بينهم ، نحن نعمل بِما أمر به النّبي ﷺ:"إذا ذُكر أصحابي فأمسِكوا"

عندنا أدلّة يقينيّة لا شكّ فيها ، أنّهم مَرضيٌّ عنهم ، وأنّهم في الجنة ؛ إذاً ما بقي لنا كلام بعد ذلك.

ثمّ قال المؤلّف ـ رحمه الله ـ :(**[٩٨] واعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ لَمْ يَزالوا يَرُدُّونَ قَوْلَ الجَهْمِيَّةِ، حتّى كان في خِلافَةِ بَني العَبّاسِ؛ تكلَّمَتِ الرّوَيْبِضَةُ في أَمْرِ العامَّةِ، وطَعَنوا على آثارِ رَسولِ الله ﷺ، وأَخَذوا بالقِياسِ والرَّأْيِ، وكَفَّروا مَنْ خالَفَهُمْ**)

أهل العلم من أهل السنّة لم يزالوا من قديم الزّمان من العصور الأولى، من القرون الثلاثة المُفضّلة، وما بعدها من أهل الخير؛ يَرُدّون قول الجهميّة من يوم أن خرجوا.
الجهميَّة: أتباع الجهم بن صفوان، وجهم بن صفوان هذا: أحد دعاة الضلال أحد دعاة الكفر الذين أخذوا عن الجعد بن درهم، والجعد بن دِرهم هذا أخذ عن طالوت اليهودي، وطالوت أخذ عن لَبيد بن الأعصم؛ يهودي؛ فأصل دينهم مأخوذ عن اليهود؛ تعلّموا على أيديهم، واليهود أرادوا أن يفعلوا في دين الإسلام ما فعلوه في دين النّصارى؛ فهذا حالُهم دائماً: الإفساد في الأرض؛ فهم مُفسدون في الأرض؛ فحاولوا أن يُفسدوا دين الإسلام عن طريق مرضى القلوب كالجعد بن دِرهم، والجهم بن صفوان ومن شابَهم

---

(١) تنسب إلى ابن المبارك، ولم أقف عليها في كتاب مسند.

أخذوا الشبهات عن هؤلاء اليهود وبدأوا ببثّها ونشرها بين المسلمين!

لو جاءك يهودي؛ وقال لك: دينُك باطل؛ تَرجُمه بالحجارة؛ لكن عندما يأتيك بالشبهات ويُركّبها في رأسك؛ يأخذك من دينك ويُخرجك منه وأنت تضحك- كما يُقال؛ فرح بما تفعل!- كيف؟! من خلال الجهل؛ عندما يكون المرء جاهلاً؛ يستطيع من أراد مكراً بالإسلام أن يُلبّس على الجاهل، وأن يُقنِعه بأشياء هي مُخالفة لدين الله وشرعه؛ كما سيأتي كلام المؤلّف ـ رحمه الله.

فالجَهم بن صفوان هذا كانت عقيدته الكلام في ربّ العالمين، لم يكفه أن يتكلّم في العلوم الشْرعية المُختلفة؛ حتّى تجاوز ذلك إلى الكلام في ربّ العالمين، وتكلّم في الله بعقله الفارغ المريض بالخرافات والخزعبلات؛ فأخذ ينفي عن الله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه من أسماء وصفات؛ فيقول: ليس برحمن، ولا رحيم، ولا لَهُ يد، ولا كذا، ولا كذا، ولا كذا، ولا فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا يسار، ولا كذا، ولا شيء! نفيٌّ كلّه!

قالوا له في النهاية: أنت مالَكَ رب؛ لأنك أنت تنفي كل شي؛ يعني لو أرادوا منك أن تصِف العدم؛ ما استطعت أن تصِفه بأكثر مما تصِف رَبّك؛ يعني أنت في النّهاية تعبد عدماً شيئاً معدوماً غير مَوجود؛ لا كذا ولا كذا ولا كذا ولا كذا ! إيش بقي؟!

ما بقيَ شيء؛ إذاً حقيقةً أنت تعبد شيئاً معدوماً غيرَ مَوجودٍ، وعابد الصنم أفضل حالاً منك؛ لأنه يعبد على الأقل شيئاً مَوجوداً؛ وأنت تعبد شيئاً غير مَوجود؛ هذه حقيقة مقالة الجهم بن صفوان؛ وعنده ضلالات كثيرة:

ففي باب الإيمان؛ هو: من غلاة المُرجئة.

في باب القدر هو: جبريٌّ.

في الأسماء والصّفات: من المعطّلة .....الخ

عنده ضلالات كثيرة ومختلفة؛ لذلك يقول المؤلّف هنا :(لا يزال أهل العلم يردّون قول الجهميَة) في كلّ ما خالفوا فيه السنّة؛ (حتّى كان في خلافة بني العبّاس)، أي: لا زال العلماء يردّون على الجهميَة، ويردّون أقوالهم ولا يَرْتضونَها؛ إلى أن جاء وقت خلافة بني العباس- في آخِرها تقريباً، وليس في مطلعِها؛ ففي أوّلها كانت خيراً لا بأس بها؛ لكن بعد ذلك حصل فيها الخلل-، ففي خلافة بني العباس؛ جاء بعض الجهميَة مثل ابن أبي دُؤاد وكان وزيراً للمأمون؛ فلبَّس عليه في أمر دينه، وجعله يصِل إلى القول بخَلق القرآن، وأنّ القرآن مخلوق- وهي إحدى مقالات الجهميَّة- فتبنّى المأمون هذا القول؛ وهو قول كفري- أن تقول القرآن مخلوق- والقرآن كلام الله؛ فأنت تقول بأن القرآن مخلوق، أو أن الله سبحانه وتعالى لا يتكلّم! هذا الذي يريدُونه؛ يريدون نفي صفة الكلام عن الله سبحانه وتعالى؛ فتبنّى المأمون هذه المقالة، وصار يمتحن العلماء بها، فمن قال بأنّه مخلوق؛ تركَه، ومن لم يقل بأنه مخلوق؛ عذّبه؛ حتّى مات وعذب كثير من العلماء على يدِيه، وقال من قال ذلك؛ تقِيّةً؛ حتى يخرج ويسلم منه، وثبت الإمام أحمد، ومحمّد بن نوح، أمّا محمّد بن نوح فمات رحمه الله، وأمّا الإمام أحمد فثبت وثبّته الله سبحانه وتعالى إلى أن مات المأمون،

فالإمام أحمد ثبت على القول بأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وكان السّلف جميعاً يقولون: من قال القرآن مخلوق؛ فهو كافر؛ فالمقولة مقولة كفرية، وكانوا يردّون عليهم؛ حتّى امتحن المأمون النّاس بذلك، ونشر هذه البدعة وهذه الضلالة، وقوّى شَوكة أهل البِدع والضلال؛ هذا كُلّه حصل متى؟

بعد القرون الثلاثة التي قال فيها النبي ﷺ: "خير النّاس قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم"، ظهرت البدعة وانتشرت وصار لها قوّة، قبل ذلك كانت مَوجودة؛ لكنّها مَطموسة، ما كانت لهم قوّة، لكن بعد هذه القرون الثّلاثة؛ قَوِيت وصارت لهم شَوكة وقوّة وضعُفت شَوكة أهل السنّة.

قال: (حتّى كان في خلافة بني العبّاس) أي: حتّى جاء الوقت، وصار وقت خلافة بني العبّاس.

قال: (تكلمت الرُوَيْبِضة)؛ جاء في الحديث لمّا ذكر النّبي ﷺ علامات السّاعة؛ قال : "ويتكلّم الرُويْبضة"، قالوا : ومن الرُّوَيبِضة يا رسول الله؟ قال: "الرّجل التافِه يتكلّم في أمر العامّة"[(١)]؛ هذا هو الرُويبضة.

الرُويبضة هو أصلاً: الإنسان التافِه الحقير الذي لا يساوي- كما نقول اليوم-: قشرة بصلة؛ يتكلّم في أمر العامة.

الكلام في أمر العامة خطير وعظيم، لا يتكلّم فيه إلّا رجلٌ عظيم من علماء السنة الراسخين في العلم؛ هم الذين يتصدّرون للكلام في أمور العامّة، التي يترتّب عليها مصالح ومفاسد كبيرة؛ كالدّماء مثلاً، والتّكفير- تكفير الحُكّام وما شابه-؛ هذا كلّه يُرْجَعُ فيه إلى العلماء الرّاسخين في العلم؛ لأنّ مصالحها ومفاسدها كبيرة؛ سترجع على المجتمعات، ورُبّما على المسلمين ورَبّما، على دين الله تبارك وتعالى؛ فلِذلك يُرجع فيها إلى العلماء الرّاسخين، وليس أيّ أحد يتكلّم في أمور عظيمة كهذه؛ لذلك ذكر النّبي ﷺ أنّ من

(١) أخرجه أحمد(٧٩١٢)، وابن ماجه(٤٠٣٦) عن أبي هريرة، بلفظ: "وينطق فيها الرويبضة"، قيل: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: "السفيه يتكلم في أمر العامة"، وعند ابن ماجه: "الرجل التافه في أمر العامة".

علامات السّاعة الرُّوَيبِضة يتكلّم في أمر العامّة؛ يعني رجل تافِه حقير، ما يُساوي شيئاً؛ يأتي ويتكلّم في المسائل العِظام، فهذا الرّجل الرويبضة، جاء وتكلّم في مسائل العقيدة؛ في مسائل عظيمة، لبّس فيها على المأمون، وامتحن النّاس في ذلك الوقت، وهو ابن أبي دؤاد الذي التصق بالمأمون، ولبَّس عليه في هذه القضيّة.

قال : (وطعنوا على آثار رسول الله ﷺ) كل ما جاء في السّنة عن آثار النّبي ﷺ؛ طعنوا فيه، وتركوه، ولم يأخذوا به في مسائل الاعتقاد، هؤلاء القوم جاؤوا لِيُفسِدوا دين الله سبحانه وتعالى، ويُفسدوا على المسلمين عقائدهم؛ فلِذلك كان عندهم أصل: أن العقيدة؛ الكلام في ربّ العالمين لا يؤخذ من الكتاب والسنّة.

إذن من أين يُؤخذ ؟! هذه مسألة غيبيَة؛ نحن لم نرَ الله سبحانه وتعالى، ولا نعرف كيْفِيتَه، ولا نعرف عنه إلّا ما أخبر به في كتابه وفي سنّة النّبي ﷺ في مسائل الأسماء والصّفات.

قالوا: لا؛ نحن نتكلّم فيه بالأمور العقلية، فما تُثبتُه عقولنا؛ نُثبته، وما تنفيه عقولُنا؛ ننفيه.

طيّب من أين لكم؛ عقولكم هذه من أين تأتي بالكلام على ربّ العالمين؟

قاسوه على البشر- هذه شبهتُهم-؛ قاسوا الله على البشر؛ ثم ّقالوا: لا يليق أن الله سبحانه وتعالى يُشبه البشر؛ فعكسوه، فكلّ ما صار لائقاً بالبشر؛ صاروا ينْفُونه عن الله سبحانه وتعالى؛ هذه طريقتهم.

وما أثبت الله لنفسه في الكتاب والسنّة؛ يُحرِّفونه، إذا كان في السنّة، وجدوا سُنناً كثيرة تُثبت ما يُنفونه؛ طيب ماذا يفعلون فيها؟

قعّدوا قواعد! ماهي؟

القاعدة الأولى: التضعيف؛ يضعّفون الأحاديث؛ هذا الجزء الذي يستطيعون تضعيفه.

وأما الجزء الذي لا يستطيعون تضعيفه؛ فيقسم إلى قسمَيْن:

آحاد، ومتواتر

الآحاد: لا نأخذ به في العقيدة لأنه آحاد ليس يقينيّاً !

المتواتر: هو الوحيد الذي نأخذ به في العقيدة، وإذا خالف العقل نرُدّه بالتّأويل.

القرآن: لا نستطيع أن نُضعّفه؛ إذن نرُدّه بالتأويل؛ يعني لا كتاب وسنّة؛ خلاص.

بهذه الطريقة أراحوا أنفسهم من القرآن ومن السنّة؛ وبقِيَت عقولهم هي الحاكمة على رَبّ العالمين؛ هذه هي عقيدتهُم، وهذا هو فكرُهم؛ الجهميّة، المعتزلة، الأشاعرة، الماتوريدية، الكُلّابيَة؛ كلّهم على نفس الوتيرة؛ هذا هو أصلهم الذي يجتمعون عليه: تقديم العقل على النّقل، فمن قدّم العقل عن النقل؛ فهو ضالّ مُضِل منُحرف؛ بل هو قاب قوسين أو أدنى من الكُفر.

قال: (وأخذوا بالقياس والرّأي، وكفّروا من خالفهم) أخذوا بالقياس؛ القياس العقلي؛ قاسوا الله على خلقه، ثمّ أرادوا أن يَفرّوا من ذلك؛ فعكسوا؛ فوَقعوا في التّعطيل.

والرّأي: العقل فقط؛ المجرّد؛ حكموا به على الله سبحانه وتعالى.

ولمْ يَكتفوا بهذا؛ بل من خالفهم أيضاً كفّروه، فمن قال: القرآن كلام الله غير مخلوق؛ فهو عندهم كافر؛ لأنه مُشبِّه، والمُشبّهة كفّار عندهم.

هذه هي قاعدتهم دائماً: من أثبت لله ما أثبت لنفسه في القرآن أو في السنّة؛ فهو كافر؛ يعني عندهم: القرآن والسنّة ظاهرُهما الكفر، وحتّى نصّ بعضهم على هذا: ظاهر القرآن والسنّة كفر.

قال المؤلف : (**فَدَخَلَ في قَوْلِهِمْ: الجاهِلُ، والمُغفَّلُ، والذي لا عِلْمَ لَه، حتى كَفَروا مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمونَ، فَهَلَكَتْ الأمّةُ مشنْ وجوهٍ، وكَفَرَتْ مِنْ وُجوهٍ، وتَزَنْدَقَتْ مِنْ وُجوهٍ، وَضَلَّتْ مِنْ وُجوهٍ، وَتَفَرَّقَتْ وابْتَدَعَتْ مِنْ وُجوهٍ؛ إلا مَنْ ثَبَتَ على قولِ رسول الله ﷺ، وأَمْرِهِ وَأَمْرِ أَصْحابِهِ، وَلَمْ يَتَخَطَّ أَحَدَاً مِنْهُمْ، وَلَمْ يُجاوِزْ أَمْرَهُمْ، وَوَسِعَهُ ما وَسِعَهُمْ، وَلَمْ يَرْغَبْ عَنْ طَرِيقَتِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ كانوا على الإسْلامِ الصَّحيحِ، والإيمانِ الصَّحيحِ؛ فَقَلَّدَهُمْ دِينَهُ واسْتَرَاحَ، وعَلِمَ أَنَّ الدِّينَ إنَّما هو بِالتَّقْليدِ؛ والتَّقْليدُ لأَصْحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ**)

هذا حال كل فتنة تدبّ في أمّة محمّد ﷺ: مَن أوّل من يدخل فيها، ويستلطفها، ويفرح بها؟

هؤلاء المَوصُوفون: الجاهل، والمُغفّل، والذي لا علم عنده؛ هذا مباشرة عندما يأتيه الكلام يدخل فيه؛ لأنه ليس عنده المناعة التي تمنعُه من الدّخول في هذا الضّلال.

ما هي هذه المناعة؟

هي العلم، عندما يكون عنده علم، وتكون عنده بصيرة؛ لا تلتبِس عليه الأمور، لا تتلقّفُه الشُبه؛ بل يَصُدّها بما آتاه الله من العلم، أمّا الجاهل؛ فتجده مباشرةً يدخل في هذه الشبهات.

انظروا إلى أفكار الخوارج اليوم! أين تنتشر؟ لاحظوا أنتم، ركّزوا ولاحِظوا:

تونس من أكثر الدّول التي ينتشر فيها فكر الخوارج؛ لأنّها من أكثر الدّول التي فيها جهل عظيم بشريعة الله، طبعاً السبب أشياء؛ لا نُريد أن نذكرها الآن؛ المهم في الموضوع: أنّه شعب قد جُهِّل بشريعة الإسلام عمداً؛ كان يُجهّل تجهيلاً بشريعة الإسلام

ودين الله، ويُبعد عن الشريعة عمداً؛ حتّى وصلوا إلى هذه الحال، والآن ما الذي حصل؟

ماذا حصل مع الشباب الذين هم فارِغون؛ ما عندهم شيء؛ عندهم جهل شديد؟ جاءهم هؤلاء؛ أصحاب هذا الفكر، مباشرة: الشباب عندهم حَمِيَّة وحماسة، وفيهم جهل؛ خلاص؛ إذا اجتمع هذان الأمران مباشرة هم مع الخوارج؛ حمّيّة وحماسة، مع جهل بعلم الشرع؛ إذن مباشرة إلى فكر الخوارج.

هذا من أعظم أسباب انتشار فكر الخوارج؛ سواء كان في تونس أو غيرها، يوجد في دُول ثانية؛ لكن الآن تجد جموعاً كبيرة من أهل تونس، من شباب تونس موجودين في الخوارج؛ ما السبب؟ هو هذا: أنّك تجدهم من أكثر النّاس جهلاً لشريعة الله؛ لا علم عنده، وأما من فتح الله عليه وتعلّم؛ فيكون عنده مانع من الدّخول في هذه الأفكار المُضلَّة المُفسدة

قال: (حتى كفروا من حيث لا يعلمون)؛ كفروا وهم لا يَدرُون؛ هم يقولون أقوالاً كفرية، ويُقرِّرون أشياء كفريّة، ويظنُّونها توحيداً.

قال: (فهلكت الأمّة من وجوه، وكفرت من وجوه، وتزندقت من وجوه)، الزندقة: التي هي النّفاق.

قال: (وضلت من وجوه ، وتفرّقت وابتدعت من وجوه)، وجوه كثيرة من شتّى الأفكار والأقوال التي تجدها اليوم في السّاحة؛ أشياء من الأمور التي تعجب لها؛ أقوال كفرية منتشرة بين النّاس، عقائد، مناهج تنتشر بين المسلمين وتمضي؛ لماذا؟

لِعموم الجهل الموجود بين المسلمين اليوم؛ ما في عندهم مناعة تمنعهم من الوقوع في هذه الضلالات، انظر منذُ متى كانت أفكار ماركس، ولينين، وأفكار هؤلاء القوم تنتشر بين المسلمين؟

في زماننا هذا الذي عمّ فيه الجهل؛ هذه المنظمة التي بدأت تنتشر وبقوّة بين المسلمين؛ الماسونية؛ كيف تنتشر مثل هذه المنظمة، وتدعو إلى الكفر بين أهل الإسلام؟!

من الجهل المَوجود عند النّاس؛ لا يعرف كُوعَهُ من بُوعِهِ في دين الله، وعندما يأتيه شخص يُلقي عليه شبهتين؛ مباشرةً ينجرِف معه؛ هذا حال النّاس اليوم للأسف؛ فلذلك قال المؤلف هذا الكلام، وهذا في زمنه؛ ففي زماننا الأمر أشد وأعظم.

قال: (إلّا من ثبت على قول رسول الله ﷺ) هذا هو طريق النّجاة؛ من أراد أن ينجو بنفسه فليتمسك بما كان عليه النبي ﷺ، وبِما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ وليْلزم علماء السنّة الذين يدعون إلى هذا المنهج؛ لا يُريدون من وراء دعوتِهم لا نصرة حزب، ولا نصرة سلطة، ولا يريدون من وراء ذلك مالاً ولا دنيا؛ وإنما يريدون أن ينصحوا لِدين الله وللمسلمين؛ هؤلاء الذين تأخذ عنهم دينك، أنت تستقرئ وتنظر إلى أحوال الناس وتعرف؛ هذا إذا لم تكن تعرف من هم العلماء، أما إذا كنت تعرف وقد أُرْشِدتَ ووفّقك الله؛ فالْزَم علماء السنّة وتحرَّ أقوالهم؛ خصوصاً في الفِتن؛ الفتن أمرُها عظيم؛ لا يستطيع أن يفتي فيها أي أحد، ولا يستطيع الشخص أن يرى الحق من الباطل بنفسِه فيها؛ حتى يرجع إلى أهل العلم الراسخين في العلم، هم يعرفون، نظرتهم أعظم من نظرتك، هم قد قرؤوا وعرفوا، وهذه الفتن التي تمرّ بك قد مرّت من قبل على أمّة محمّد ﷺ؛ فهم يعرفونها قبل أن تأتي، بِما علمهم الله إيّاه، ويُنزّلونها على القواعد الشرْعيَة

المعروفة، لا يُعمِلون هوى ولا شهوة نفس؛ إنّما قال الله، قال رسول الله ﷺ؛ هذا مِنظارهم فقط، فإذا عرَفت ذلك؛ فالزم طريقهُم، ولا تُحسِن الظنّ بنفسك؛ أنت ما زِلت جاهلاً، لا تتعلّم كلمتَين، ثم تظن أنّك أصبحت عالماً؛ أنت ما زِلت جاهلاً؛ إذاً مرجعُك إلى العلماء؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قال: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }[(١)]؛ هذا هو الطّريق الذي تنجو به؛ ثم أنت اختَر لِنفسك.

قال :(إلّا من ثبت على قول رسول الله ﷺ وأمره وأمرِ أصحابه، ولم يتخطَّ أحداً منهم، ولم يُجاوز أمره، ووَسِعه ما وسعهم) فإذا قالوا شيئاً؛ نقوله، وإذا سكتوا عن شيء؛ نسكتُ عنه، وإذا نفوا شيئاً؛ نَنْفيه؛ هذه هي طريقتُهم، لا تتكلم بشيء عن الله وفي دين الله لم يتكلّم به علماؤك وأئمتُك، وخصوصاً أصحاب النّبي ﷺ، ومن سارَ على نهجِهم.

قال: (ولم يرغب عن طريقتِّهم ومذهبهم) لم يزهد فيها ويتركها.

قال: (وعلم أنّهم كانوا على الإسلام الصحيح، والإيمان الصّحيح؛ فقلّدَهم دينه واستراح) من كان على ذلك، وعلم أنّهم كانوا على الإسلام الصحيح، والإيمان الصحيح، فقلّدهم دينهم واستراح كما قال ابن مسعود : "اتّبعوا ولا تبتدِعوا فقد كُفِيتُم"؛ كفاكم أصحاب النّبي ﷺ بيان هذا الدّين، وإظهار الحق من الباطل؛ فامشوا على ما هم عليه.

قال: (وعَلِم أنّ الدّين إنّما هو بالتقليد، والتقليد لأصحاب محمّد ﷺ)

المقصود بالتقليد هنا: التقليد الصّحيح وهو الاتّباع؛ واستعمال اللّفظ الشرعي أفضل وهو الاتباع : {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالّذِين اتَّبَعُوهُمْ

(١) [النحل:٤٣].

بِإِحْسَانٍ}[1]، {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ}[2]؛ هذا هو اللّفظ الشّرعي: الاتباع ؛ فنحن نتبع النبي ﷺ، ونتبع أصحاب النّبي ﷺ؛ كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"

قال المؤلف: ([٩٩] وَمَنْ قالَ لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلوقٌ؛ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ سَكَتَ فَلَمْ يَقُلْ: مَخْلوُقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلوقٍ؛ فَهُوَ جَهْمِيٌّ؛ وهكذا قال أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ، وقال رسول الله ﷺ: "إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدي؛ فَسَيَرى اخْتِلافاً كَثيراً؛ فَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثاتِ الأُمورِ؛ فَإِنَّها ضَلَالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتي، وَسُنَّةِ الْخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ الْمَهْدِيينَ، وَعَضُّوا عَليها بِالنَّواجِذِ"[3])

تقدّم معنا القول في كلام الله تبارك وتعالى؛ والقرآن من كلام الله تبارك وتعالى.

يقول المؤلف هنا: (ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي)، يعني: من أتباع الجهم بن صفوان، هذه الفرقة فرقة كافرة وليست من أهل الإيمان؛ وذلك أنّهم أصلاً أخذوا دينهم الذي يعتقدونه، والذي فيه أنواعٌ من الكفريات؛ أخذوه عن اليهود؛ وقد ذكرنا ذلك في الدّروس الماضية؛ فحقيقة قول الجهم بن صفوان في الاعتقاد: أنّه لا يوجد إله، لا يوجد رب؛ هذا حقيقة القول؛ لا فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا يسار، ولا أمام، ولا خلف؛ ولا شي، ولا يتّصف بصفات، ولا يُسمّى باسم؛ إذاً فهو عدم لا شيء؛ هذه عقيدة هؤلاء القوم؛ فهم لا يُثبتون أنّ الله تبارك وتعالى يتكلّم كلاماً حقيقياً؛ وبناءً

---

(١) [التوبة:١٠٠].

(٢) [النساء:١١٥].

(٣) تقدم تخريجه.

على ذلك: لا يُثبتون أنّ القرآن كلام الله تبارك وتعالى؛ لذلك قال المؤلّف هنا: (من قال لفظي بالقرآن مخلوق)، هذه الكلمة مُوهمة، تحتمل حقّاً وباطلاً، إن كان الشّخص سُنّياً بحق، عقيدتُه واضحة؛ فلا يحتاج إلى مثل هذه الكلمات المُوهمة التي تحتمل حقّاً وباطلاً؛ خصوصاً في وقت الفتنة بالمسألة التي وقعت، يعني: الفتنة وقعت في زمن الإمام أحمد في هذه المسألة: القول بخلق القرآن؛ القول أن القرآن مخلوق؛ قول الجهميّة، قالوا: القرآن مخلوق، صرخ بهم فيه أهل السنّة، ونادَوا بأعلى صوتهم: القرآن كلام الله غير مخلوق؛ كلام صريح واضح؛ لأن أدلته واضحة كعَين الشّمس، فعندما يأتي شخص ثالث ويقول :"لفظي بالقرآن مخلوق"؛ تكون هذه الجملة محتملة للمعنى الذي أراده الجهمي، والمعنى الذي أراده السُنّي، فماذا يُريد من وراء تمييع الموقف بهذه الطريقة؟ هو إمّا أنّه شاكّ وقد التبس عليه الأمر، أو أنّه يريد أن يُشكّك النّاس في دينهم؛ فلذلك قام عليهم أهل السنّة، وعدّوهم من ضمن الجهمية؛ فقالوا: (من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي)، لو كنت صاحب حق تعتقد الحق؛ لَصحت به؛ ولكن لمّا كان في نفسك مرض؛ توقفت وقلت: لفظي بالقرآن مخلوق؛ مع أنّ الكلمة في نفسها كما ذكرنا: هي لفظة مُجملة تحتمل حقاً وباطلاً، فإذا أردت: التلفّظ؛ فهو مخلوق؛ لأنّه من فعل العبد؛ حركة فم الإنسان، وحركة لسانه وصوته؛ هذا مخلوق، لكن إن أردت الملفوظ به؛ هذا كلام الله تبارك وتعالى، عندما تقول: {إنّني أنا الله لا إله إلّا أنا}(١)، هل أنت المتكلّم بهذا الكلام ؟!

لست أنت الذي تكلّمت بهذا الكلام! هذا كلام ربّ العالمين؛ لذلك تقول: قال الله كذا وكذا؛ فالكلام كلام الله تبارك وتعالى، فإن أردْت صوتك وحركتك؛ فهذه

---

(١) [طه:١٤].

مخلوقة، وإن أردت كلام الله تبارك وتعالى الذي هو المَلفوظ؛ فهذا ليس مخلوقاً؛ وهو كلام الله سبحانه وتعالى.

انظر! الآن الجملة احتملت مَعنَيين: حقاً، وباطلاً؛ فلذلك رُبّما يقول قائل هذه الكلمة يريد بها أن الملفوظ مخلوق؛ هذا المعنى الباطل، ويريد أن يُوهم النّاس وأن يُشكّكهم في أمر دينهم؛ فليس عند أهل السنّة إلا أبيض أو أسود؛ ليس عندهم رمادي،

أعطنا مباشرة ما عندك، قل الحق الذي تعتقده، لا تلف وتدور، التلوّن واللّف والدّوران حركات أهل البدع، أمّا أهل السنة؛ فعندهم صراحة في دينهم، ليس عندهم تلاعب .

قال :(ومن سكت فلَم يقل: مخلوق أو غير مخلوق)، فصار عندنا أربعة:

الأول: من يقول: "القرآن مخلوق"

الثاني: من يقول: "القرآن غير مخلوق؛ فهو كلام الله تبارك وتعالى"

الثالث: من قال: "لفظي بالقرآن مخلوق"

الرابع: من سكت؛ فلا قال في القرآن: مخلوق، ولا قال: غير مخلوق

وكلها باطلة؛ إلا قولك: القرآن كلام الله غير مخلوق؛ هذا الحق فقط، والباقي كلّه باطل.

هنا يقول لك- بعدما بيّنا في الدّروس الماضية أنّ القول بأن القرآن مخلوق: باطل، وأن قول الحق عند أهل السنة: أن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ جاء إلى القولين الأخيرين؛ وهما: "لفظي بالقرآن مخلوق" والآخر: السكوت، فلا تقول مخلوق ولا غير مخلوق، تقول: أنا أسكت لا أقول: مخلوق ولا غير مخلوق!

لماذا سكت؟ أنت شاك؛ فسكوتك شكٌّ في دينك، وأدلة أن القرآن كلام الله غير مخلوق كعَين الشّمس واضحة؛ ما الذي يمنعُك من قول الحق والسّكوت؛ إلّا الشك الذي في قلبك؛ لذلك قال: ومن سكت ولم يقُل مخلوق أو غير مخلوق؛ فهو جهمي. الحق يجب أن تنطق به؛ هذا واجب عليك، لا يجب السكوت؛ خصوصاً في وقت المحنة والفتنة في المسألة التي نحن في صددِها.

وقد حصلت هذه الفتنة- وهي القول بأن القرآن مخلوق- في زمن الإمام أحمد؛ تبنّاها المأمون أحد خلفاء الدولة العبّاسيّة، بسبب أحد وزرائه من المعتزلة: وهو ابن أبي دؤاد،

تبنّاها وصار يمتحن الناس بها؛ فامتحن العلماء، من قال: إنّ القرآن مخلوق؛ تركه، ومن قال: غير مخلوق؛ عذّبه، فمات من مات من العلماء، وسُجن من سُجن، وأجاب من أجاب إكراهاً، وثبّت الله الإمام أحمد بن حنبل؛ فقال بالحق وأبى إن يقول الباطل، وسُجن وجُلد وضُرب، ولكن نصره الله في النهاية، وكان الناس ينتظرون كلمة الإمام أحمد؛ ماذا سيقول، وثبت على الحق؛ قال: القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال: (وهكذا قال أحمد بن حنبل)؛ ماذا قال؟

قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي، ومن سكت ولم يقُل مخلوق ولا غير مخلوق؛ فهو جهمي.

قال: (وقال رسول الله ﷺ:"إنّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فإيّاكم ومحدثات الأمور")، هذا الحديث حديثٌ عظيم؛ يبين لنا النبي ﷺ فيه ما الذي سيحصل في هذه الأمة بعده؛ فقال عليه الصلاة والسلام :"إنّه من يعش منكم بعدي

فسيرى اختلافاً كثيرا"؛ سيقع اختلاف وتضارب في الآراء والأقوال، وتوهان عند كثير من النّاس.

ما الحل؟ كيف الطريق إلى الخروج من هذا؟!

وهذا سؤال كثير من النّاس؛ يسأله إمّا بلسان حاله، أو بلسان مقاله، يقولون: نسمع الشيخ الفلاني يقول كذا، والشيخ الفلاني يقول كذا، وفلان يرد على فلان، وفلان يُبدّع فلان! فماذا نفعل نحن؟

افعل ما قاله لك النبي عليه الصلاة والسلام؛ تعلّم العلم، واعرف كيف تمشي في طريق النبي ﷺ وطريق أصحابه، هذا حديث النبي ﷺ؛ قال :"إنّه من يعِش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً "؛ ما الحل؟ قال: "فإيّاكم ومُحدثات الأمور".

كيف تخرج من الخلاف والنّزاع؟ كيف تفرُّ من الباطل؟

بأن تجتنب المحدثات من الأمور.

ما معنى: المحدثات من الأمور؟

كل ما هو جديد في دين الله؛ فهو محدث؛ جديد في الدين لا في الدنيا، سيارة، طيارة ، كمبيوتر، هاتف؛ ليس كلامنا هنا؛ وهذا مما ينفع النّاس؛ فليس فيه بأس؛ بلْ رُبّما بعضها يدخل في الوُجوب؛ لكن نحن نتحدّث عن الأمور الدّينيَّة التعبّديّة؛ كل عبادة سواء كانت عبادة قلبية، أو عبادة قولية، أو عبادة فعلية، لمْ يرِد بها الدّليل من الكتاب والسنّة، ولم تكن على طريق السّلف الأوّل رضيَ الله عنهم؛ فهيَ مُحدثة، جديدة؛ "وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النّار"(١)؛ هذا كلام النبي ﷺ.

---

(١) تقدم تخريجه.

إذاً طريقة الخلاص من الاختلاف الحاصل هو بترك المحدثات؛ البِدع.

إذاً هذه البدعة- القول بخلق القرآن- أمر مُحدَث؛ لذلك من مناظرات علماء الإسلام؛ علماء السنّة لأهل البدع في ذاك الزّمان؛ قالوا لهم:

هذا الكلام الذي أتيتُم به: القرآن مخلوق؛ هل قاله النّبي ﷺ؟

قالوا : لا.

فهل قاله الصحابة؛ أبو بكرٍ وعمر وعثمان وعلي وغيرهم؟

قالوا : لا.

علِمُوه أو جهِلوه؟

قالوا: علِموه.

وَسِعهم السّكوت عنه أم لم يسعْهُم؟

قالوا: وسِعهم

قالوا لهم: أفلا تسكت كما سكتوا، لا وسّع الله على من لمْ يَسعْه ما وسِعهم.

فلذلك من خرج عن منهج السّلف الصّالح رضي الله عنهم، وما كان يدور بينهم من أمور الدّين؛ فهذا قد أحدث في دين الله ما ليس منه، فقبل أن تتعبّد لله باعتقاد، أو قول، أو عمل؛ اعرِضه على الكتاب والسنّة، وعلى ما كان عليه أصحاب النّبي ﷺ؛ هل كان عندهم ديناً أم لا؟ إذا كان ديناً يتديَّنون به؛ فهو دين؛ فخُذ به وتديَّن به، وإذا لم يكن ديناً؛ فاترُكه عنك؛ فليس هو من دين الله تبارك وتعالى

"فإيّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنّها ضلالة"؛ تُضلُّك عن طريق الحق الذي يُريد الله سبحانه وتعالى أن تسير عليه.

قال: ("وعليكم بسُنتي")؛ إذاً طريقة الخلاص: أن تلْزم سنّة النّبي ﷺ، وسنته هنا بمعنى شريعته؛ هدْيِه؛ ما جاء في كتاب الله وفي سنّة رسول الله ﷺ.

قال: ("وسنّة الخلفاء الرّاشدين المَهديين، عَضوا عليها بالنّواجذ") لم يقُل سنتي وسكت؛ بل "وسنة الخلفاء الرّاشدين المَهديين"، من هم الذين كانوا من بعده؟ هم الخلفاء الراشدون: أبو بكر، عمر، عثمان، وعلي؛ هؤلاء الخلفاء من بعده، فالمنهج المستقيم الذي أرادنا الله تبارك وتعالى أن نسير عليه: هو منهج النّبي ﷺ وأصحابه؛ هذا الذي رُسِم لنا: {والسّابِقُونَ الأَوَّلُون مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وُالذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}(١)؛ هكذا يقول رُبّنا في كتابه؛ إذاً الله سبحانه وتعالى قد رضيَ عن المهاجرين والأنصار وهم الصّحابة- رضي الله عنهم-، وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار؛ إذاً الطّريق الذي ساروا عليه هو طريق الحق؛ لأن طريق الحق واحد، ليس أكثر؛ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُبُلَ فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ }(٢)، إذاً الصّراط صراط واحد، "خطّ النّبي ﷺ خطّاً مستقيماً وخط على جانبَيه خطوطاً؛ وقال: هذا صراط الله، وعلى كل طريق من الطرق الأخرى شيطان يدعو إليه"(٣)؛ هكذا أخبرنا النبي ﷺ، فمن أراد النّجاة فلْيتّبع منهج السّلف رضي الله عنهم؛ الذين هم النبي ﷺ وأصحابه الكِرام؛ هؤلاء هم سلف الأمّة، وهذا المنهج الذي أمرنا الله باتّباعه؛

---

(١) [التوبة:١٠٠].

(٢) [الأنعام:١٥٣].

(٣) تدم تخريجه.

{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ}، مَن المؤمنون الذي كانوا عندما نزلت هذه الآية؟ إنهم الصحابة؛

{نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }(١)، إذاً اتّباع منهج النّبي ﷺ وأصحابه: واجب، وليس أمراً اختيارياً؛ لأنّ طريق الحق واحد لا يتعدّد؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "ستفترق هذه الأمّة"، وهذا الاختلاف الكثير الذي أخبر عنه في هذا الحديث: "ستفترق هذه الأمّة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة"، قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي"(٢)، وفي رواية: "الجماعة"(٣)

أصحاب الأهواء كُثر وكثُر جدّاً حتّى أخبر النبي ﷺ بالحذرِ منهم؛ قال: "دعاة على أبواب جهنّم من أجابهم؛ قذفوه فيها"(٤)، وقال : "إذا لم يُبق الله عالماً اتخذ الناس رؤوساً جُهالا فسُئلوا فأفتُوا بغير علمٍ؛ فضلّوا وأضلّوا"(٥)؛ هذا كثير خصوصاً في زماننا هذا الذي فَسدت فيه أحْوال النّاس؛ إلا من رحم الله.

قال: ""وعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الرّاشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنّواجذ" كي لا تتفلّت منكم، حين تريد أن توصي شخصاً بأن يتمسّك بشيء ثمين؛ ماذا تقول لَه؟ تقول: أمسك به بيديك وأسنانك؛ هذا كذلك: "عضوا عليها بالنّواجذ"؛ يعني: شُدّوا على

---

(١) [النساء:١١٥].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخرجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

السنّة، وتمسّكوا بها؛ لأنّها ستتفلّت منك من كثرة الشبُهات وكثرة الشهوات، فاحرص عليها وتمسّك بها؛ كي تنجو عند الله سبحانه وتعالى.

ثمّ قال المؤلّف رحمه الله: (**[١٠٠] واعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّما جَاءَ هَلاكُ الجَهْمِيَّةِ: أَنَّهُمْ فَكَّروا في الرَّبِّ عزّ وجل؛ فَأَدْخَلوا: لِمَ؟ وَكَيْفَ؟ وَتَرَكُوا الأَثَرَ، وَوَضَعوا القِياسَ، وَقاسُوا الدِّينَ على رَأْيِهِمْ؛ فَجاؤوا بالكُفْرِ عِيَاناً لا يَخْفى؛ فَكَفَرُوا وكَفَّروا الخَلْقَ، وَاضْطَرَّهُمُ الأَمْرُ إلى أَنْ قالوا بِالتَّعْطيلِ**).

هنا لا يذكر لك حال الجهميّة، وما الذي أوصلهم إلى ما وصلوا إليه؛ كي تستمتِع بقصة ورواية!

فلماذا يذكر لنا حال الجهميّة هنا إذاً؟

كي يُحذِّرَنا من سلوك طريقهم، فكأنّه يقول لك: انظر ما الذي أدى بالجهميّة إلى الهاوية! واحذر أن تسِير على نفس طريقهم؛ فتقع فيما وقعوا فيه؛ فتضيع كما ضاعوا.

قال: (اعلم أنما جاء هلاك الجهميّة)، من أين هلك الجهميّة؟ ما السبب؟

قال: (أنّهم فكّروا في الرب عز وجل): فكروا في ذات الله، فكّروا في كيفية أسمائه، كيفية صفاته؛ الأشياء التي لا عِلمَ لهم بها، الأشياء التي حجب الله علمها عن النّاس؛ فمعرفة كيفية ذات الله، كيفية أسمائه وصفاته: أمر غيبي، نحن لا نعرفه، نعرف عن الله عز وجل ما أخبرنا به؛ أخبرنا أنّه رحمن، أنه رحيم، أنّ له يدين، أن له عينين... إلخ، نؤمن بكل ما أخبر به في الكتاب وفي السنة، وما سكت عنه؛ نسكت عنه.

هل أخبرنا بالكيفية؟ لم يخبرنا بالكيفية، أخبر بأن له يديْن؛ لكن كيف هي اليدان؟ الله أعلم، فقط؛ ليس أكثر من هذا؛ لماذا؟ لأنه أخبرنا بأن له يدين ولم يخبرنا بالكيفية، وأخبرنا بأنّ يَديه ليستا كأيْدي المخلوقين؛ فقال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَمِيعُ

البَصِيرُ}[١]؛ فنؤمن بكلّ هذا؛ كما جاء في الكتاب وفي السنّة، ثم بعد ذلك خلاص: ليس أكْثر من هذا؛ لا تتصوّر كيفية لصِفة الله لا في قلبك، ولا على لسانك، ولا في قلمك؛ خلاص اعمل بها كما جاءت؛ نؤمن بها على هذا الحال، بعد ذلك لا تبحث عن الكيفية، لمّا جاء رجل إلى الإمام مالك وقال له: {الرّحمن على العرش استوى} كيف استوى؟ كيف الاستواء هذا؟ أرني كيف الطّريقة؟

فأطْرق الإمام مالك- سكت-؛ ثمّ قال :"الاستواء معلوم" الرحمن على العرش استوى؛ استوى يعني: علا وارتفع، "والكيف مجهول" كيف استوى؟ لا نعلم؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى أخبرنا بأنه استوى، ولم يخبرنا كيف استوى.

ثم قال له: "والكيف مجهول، والسّؤال عنه بدعة، وما أراك إلّا مبتدع؛ فاخرج من هنا"

هذا كان جواب الإمام مالك، الإمام مالك كثير من أجوبته عبارة عن قواعد؛ فخُذ هذه القاعدة وامضِ عليها؛ هذا هو هدْي السلف؛ منهج السلف رضي الله عنهم في صفات الله سبحانه وتعالى؛ نؤمن بالصّفة؛ بمعناها، معناها واضح، أما كيفيتُها؛ فلا علاقة لنا بها أي لا نسأل عنها، نحن نعلم أنّ لها كيفية؛ لكننا لا نعرف هذه الكيفية كيف هي؛ لأنّه لم يُخبرنا عنها، والسؤال عن الكيفية بدعة، فبما أنّه لم يذكر لنا فيها شيئاً؛ إذاً نسكُت؛ هذا هو الواجب.

والّذي أهلك الجهمية: أنّهم صاروا يُفكّرون في هذه الأمور الغيْبية التي لم يُخبرنا الله سبحانه وتعالى بها؛ فهلَكوا.

كيف يريدون أن يُفكّروا فيها؟

---

(١) [الشورى:١١].

أدخلوا لِم؟ وكيف: استوى، كيف استوى؟ فعل كذا، لِمَ فعل كذا؟
وتاهوا في هذه الأسئلة التي صاروا بحاجة إلى أن يجيبوا عنها؛ فأجابوا بعقولهم.
قال: (وتركوا الأثر)؛ تركوا الكتاب والسنّة، والوقوف عند الكتاب والسنّة، وعند منهج الصّحابة-رضي الله عنهم، هذا العلم لو كان فيه خير لسبقونا إليه، لو كان واجباً علينا أن نبحث ونُفتّش عنه؛ لفَتّشوا وبحثوا هم؛ فهم أحرص على الخير منَّا، وأتقى لله مِنّا، مع ذلك سَكتوا، ولم يتكلّموا؛ فواجبنا هذا.
قال: (وتركوا الأثر) أي: الجهميّة، لمّا خالفوا منهج النبي ﷺ وأصحابه، صاروا يبحثون بعقولهم، وتركوا الأدلة الشرعيَّة من كتاب الله وسنّة الرسول ﷺ؛ حكّموا عقولهم على الله، وصاروا يحكمون على الله بعقولهم؛ يجوز له كذا ولا يجوز لَه كذا، ويصلُح له كذا ولا يصلُح له كذا؛ من أين لكُم؟
قال: (ووضعوا القياس) من هنا؛ من هنا لهم، لماذا قالوا: هذا يصلح لله، وهذا لا يصلُح لله؟
وضعوا القياس؛ قاسوا الله سبحانه وتعالى على خلقه، فإذا قال الله سبحانه وتعالى بأنّ له يدين، والعبد له يدان؛ ففي هذه الحالة يُصبُح مثل العبد.
لا؛ لا يصلُح هذا؛ المِثليّة هذه نقصٌ في حق الله سبحانه وتعالى؛ إذاً ننفي اليدين عن الله سبحانه وتعالى!
انظر كيف لفُّوا! قاسوا الله على عباده، ثمّ لمّا رأوا أنّ في ذلك نقصاً لله سبحانه وتعالى، وأنّه لا يجوز تمثيل الله بعباده؛ نفوا عن الله تبارك وتعالى ما أثبت لِنفسه.

طيّب؛ قُل بأنّ لله يدين تليقان به، وللعبد يديْن تليقان به؛ ويدي الله سبحانه وتعالى ليست مثلُ أيدي المخلوقين؛ وانتهى الأمر.

فكما أنّك تقول: لله ذات وللعبد ذات؛ ولكن ذاتُ الله تليق به، وذات العبد تليق به؛ كذلك نقول في بقية الصّفات وينتهي الأمر.

لكن لا؛ ما وقفوا عند هذا، وأخذوا يجادل بعضهم بعضاً، وحكّموا عقولهم على الله سبحانه وتعالى بهذه الأقيسة الفاسدة، وتركوا كتاب الله وسنة الرّسول ﷺ، ثمّ تخبّطوا هم فيما بينهم بآراء وأقوال مختلفة؛ وهذا حال كلّ من ابتعد عن الأثر، ابتعد عن الكتاب والسنّة، وحكّم عقلَه؛ هذه نتيجتُه، وقاسوا الدّين على رأيِهم؛ صاروا يحكمون على دين الله بعقولهم لا بالكتاب والسنّة، ورحم الله علي بن أبي طالب لمّا قال: "لو كان الدّين بالرّأي لكان مسح الخفّ من أسفل أولى من مسحه من أعلاه"(١)، الآن نحن لمّا نمسح الخُف نمسح عليه من أين؟ نمسح من فوق، لكن لماذا وهو حين يتسخ؛ يتسخ من تحت؟

لو كانت المسألة مسألة رأي (عقل)؛ سنقول: لا؛ تعال نمسح من تحت لا من فوق.

إذاً الدّين ليس بالرأي؛ الدّين بالتسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ؛ قال الله، قال رسول الله ﷺ؛ فقط، والله سبحانه وتعالى لا يكون غافلاً؛ رُبّما عقلك يُدرك الحكمة، ويعرف ما وراء هذا الأمر، ورُبّما لا يُدركها؛ لأنّ عقلك مهما بلغ؛ فلن يُدرك حكمة الله تبارك وتعالى التامّة وعلمه الكامل؛ أبداً؛ لذلك: واجبك التّسليم لأمر الله سبحانه وتعالى؛ إن كُنت مؤمناً حقّاً.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٢) وغيرهما.

متى تُسلّم لِكتاب الله، وسنّة رسول الله ﷺ؟
إذا كنت مؤمناً تصدّق بأنّها من عند الله؛ فقط
أمّا إذا كان في قلبك زيغ ومرض؛ فلن تُسلّم ؛ وتُورِد عليها الإيرادات والإشكالات العَقلية التي من رأسك.

قال: (وقاسوا الدّين على رأيهم؛ فجاءوا بالكفر عِياناً)، لمّا صاروا يقيسون القياسات هذه ويحْكمون على الله بعقولهم؛ جاؤوا بالكفر الصُّراح؛ لأنهم صاروا: الله يُثبت وهم ينفون؛ حتى قالوا: الله سبحانه وتعالى لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف،

والله سبحانه وتعالى لا رحمن ولا رحيم، ولا له علم، ولا كذا ولا له كذا... يعني في النهاية الله غير موجود؛ كفر صُراح، لا يتنازع فيه اثنان عاقلان.

(فجاؤوا بالكفر عِياناً) يعني واضحاً تراه بعيْنك؛ لا يخفى على أحد.

قال: (فكفروا وكفّروا الخلق) ليسوا هم فقط كفروا؛ بل وكفّروا الخلقَ بإيقاعهم في ضلالاتهم، أو أنّهم حكموا على من خالفهم بالكفر؛ فتحتمل كلمة: (وكفّروا الخلق): هذا وهذا؛ إمّا أنّهم كفروا الناس بإيقاعهم في الكفر، أو أنّهم كفّروهم بأن حكموا عليهم بالكفر لمّا خالفوا أهواءهم.

قال: (واضطرّهم الأمر إلى أن قالوا بالتّعطيل) اضطرّتهم هذه القياسات العقليَة والاتجاهات التي ساروا فيها إلى أن وقعوا في تعطيل الله سبحانه وتعالى عن صفاته وأسمائه؛ فهو يُثبت لنفسه الاسم وهم ينفونه، هو يُثبت لنفسه الصفة وهم ينفونها؛ هذا هو التّعطيل؛ عطّلوا الله سبحانه وتعالى عمّا أثبت لنفسه.

قال المؤلّف رحمه الله: (**[١٠١] وقالَ بَعْضُ العُلَماءِ- مِنْهُمُ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ-: "الجَهْمِيُّ كَافِرٌ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، حَلالُ الدَّمِ، لا يَرِثُ، ولا يُوَرَّثُ؛ لأَنَّهُ قال: لا جُمْعَةَ ولا جَماعَةَ ولا عِيدَيْنِ ولا صَدَقَةَ، وقالوا، "مَنْ لَمْ يَقُلِ: القُرْآنُ مَخْلوقٌ؛ فَهُوَ كَافِرٌ"**)

الجهمية ليسوا من أهل الإسلام أصلاً؛ قد كفّرهم أكثر من ستّين عالماً من علماء الإسلام؛ ما السّبب؟

قال: (الجهمي كافر ليس من أهل القبلة، حلال الدّم، لا يرِث، ولا يُورَث) هذا معنى "كافر"؛ لماذا قلنا خطورة التّكفير؟ التّكفير أمر خطِر ليس سهلاً؛ ليس سهلاً أن تحكم على المسلم بأنّه كافر؛ لأنه يترتّب عليه أمور عظيمة:

أول أمر: استحلال دمِه، إذا قلت عن شخص بأنّه كافر، وكان مسلماً؛ معنى ذلك أنه ارتدَّ، وإذا ارتدَّ؛ فحكمه في الشرع القتل؛ لكن يقتله الحاكم في الشرع؛ وليس فوضى؛ لا؛ هذا قصاص؛ محاكم شرعية، ويُرفع أمره إلى المحكمة، وشهود، وإثباتات، وليست فوضى،

لكن هنا الآن موضوعنا المهم-المسألة لها في الفقه مباحث-.

قال: (حلال الدّم) هذا الأمر الأول الذي يترتب على كفر الشخص.

قال: (لا يرِث ولا يُورث): لأنّ النبي ﷺ قال :"لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم"(١)، ولا يغسَّل، لا يكفَّن، ولا يدفَن في مقابر المسلمين؛ كل هذه أحكام تَنبني على كلمة فلان كافر؛ فهي كلمة عظيمة، ليست سهلة، قال النبي ﷺ: "من قال

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

لِأخيه كافر؛ فقد باء بها أحدهما"[١]، أنت الآن في سَعةٍ؛ لكن متى قلت: زيد كافر؛ فإما هو كافر، أو أنت؛ انتهينا، الأمر ما له ثالث؛ إما أنت أو هو.

ما السبب في تكفير الجهم هذا ومن اتبع منهجه؟

قال: (لأنه قال: لا جُمعة، ولا جماعة، ولا عيدين، ولا صدقة)؛ كل هذه أحكام الله سبحانه وتعالى قد نفاها.

لماذا؟ لأن الأعمال عنده ليست من الإيمان أصلاً؛ فالإيمان عنده معرفة؛ معرفة القلب فقط؛ مجرّد أن تعرف الله سبحانه وتعالى، عرفت أن الله سبحانه وتعالى موجود؛ انتهى؛ فأنت مؤمن؛ بعد ذلك افعل ما تشاء، وقل ما تشاء، وإيمانك مثل إيمان جبريل؛ لا فرق؛ تشرب الخمر أربعاً وعشرين ساعة، تتْرُك الصّلاة، لا تصوم، ولا تزكي، ولا أي شيء من هذه الأعمال؛ أنت مؤمن مثل جبريل تماماً؛ هل هذا الإنسان عاقل؟!

وقالوا: (من لم يقل: "القرآن مخلوق"؛ فهو كافر) هذا أيضاً من الأسباب التي كُفّروا من أجلها؛ "من يقول القرآن غير مخلوق فهو كافر"! ما اكتفوا بأن يُضلّوا وأن ينحرفوا؛ بل كفّروا من خالفهم؛ هم وقعُوا في الكفر، وكفّروا من خالفهم؛ فجعلوا الكُفر سبباً لِتكفير الخلق؛ فهذه الأشياء من الأسباب التي جعلت العلماء يحكمون عليهم بالكفر؛ والأسباب كثيرة وضلالاته كثيرة!

رجل أخذ دِينه عن اليهود؛ ماذا سيكون عنده؟ لا يستطيع اليهودي أن يأتي ويقول لك: أنا يهودي وسأُفْسد عليك دينك؛ لا أحد سيقبل منه؛ لكن لو جاءك فقال: أنا مسلم وتعال نتكلّم في الدّين؛ ويبدأ يُخبِّص لك من الدّاخل.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

الجاهل مباشرة سيقع في حباله، وسيأخذ عنه ويظنّه ما شاء الله: عالماً.

والعالم هو الّذي يميّز بين الحق والباطل؛ فمَرجعه الكتاب والسنّة ومنهج السّلف رضي الله عنهم ؛ فالدّين عنده واضح؛ بخلاف الجاهل الذي لا يعرف رأسه من قدميه في الأمور الشرعيّة، مباشرة: أوّل ما يسمع منه كلمتَين؛ خاصة إذا كان حلو اللّسان، وكان عنده أسلوب وبلاغة؛ كثير من النّاس ينجرِفون خلفه، وهذا واقع اليوم؛ نجد أناساً والله من الدعاة، هؤلاء الذين ترونهم على الفضائيات: ينطق بالكفر؛ كفر صريح، يقول: يجوز أن تعترض على الله! يجوز أن تعترض على رسول الله! يجوز أن تعترض على دين الله! هذا كفر صريح؛ تريد أكثر من هذا ؟! يصدع، والناس يفتحون على الإذاعات ويسمعون له؛ فلان يتكلم! يتكلم بماذا ؟ بالكفر، وآخَر يُجوّز لليهود والنّصارى أن يبقَوا على دينهم؛ إذا اعترفوا أن محمّداً نبي للمسلمين! كفر صريح ؛ أيش تريد أكثر من هذا ؟ على المنابر، وفي المساجد، ويخطبون على أنهم أئمة الإسلام! زمن عجيب!

قال المؤلف رحمه الله: (**واسْتَحَلّوا السَّيْفَ على أُمَّةِ محُمّد ﷺ، وَخالَفوا مَنْ كانَ قَبْلَهُمْ، وامْتَحَنوا النَّاسَ بِشَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَسول الله ﷺ، ولا أَحَدٌ مِنْ أَصْحابِهِ رضي الله عنهم، وَأَرادوا تَعْطِيلَ المَساجِدِ والجَوامِعِ**)

استحلوا قتل المسلمين الذين يخالفونهم في الاعتقاد، عندهم من قال بأن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ كافر، يستحلّون قتله؛ لذلك قتل المأمون جَمعاً من العلماء؛ علماء السنّة، لمّا قال: القرآن مخلوق، وصار يمتحن العلماء بذلك؛ من قال إن القرآن مخلوق؛

تركه، ومن لم يقل إن القرآن مخلوق؛ قطع رأسه مباشرة؛ قطع رؤوس جمع من علماء المسلمين؛ فاستحلُّوا دماء المسلمين بذلك.

قال: (وخالفوا من كان قبلَهم) خالفوا منهج السّلف وتركوه، كان الدّين واضحاً صريحاً، وكانت كلمة أهل السنّة هي العالية في القرون الثلاثة الأولى، وحتى لمّا كان يظهر من أهل البدع من يظهر؛ ما كان يستطيع أن يُظهِر رأسَه، وأن يتكلّم بصوت عالٍ ؛ مباشرة كان يوقف عند حدّه؛ لكن بعد القرون الثلاثة الأولى، كما أخبر النبي ﷺ:"خير النّاس قرني ثم الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم، ثم يأتي أقوام تسبِق شهادة أحدَهم يَمِينه، ويمينَه شهادتَه.."[١] ، وذمّ القرون التي بعدها؛ وهي قروننا هذه، و: "ما من عام يأتي إلّا والذي بعده شرّ منه"[٢]؛ كما أخبر عليه الصلاة والسّلام؛ شرٌ بماذا ؟ بضعف الدّين عند النّاس، ضَعف الصّلاح؛ هذا حالنا الذي نعيشه نحن اليوم.

فالمَنهج الذي كان على عهد السّلف هو منهج الحق، بعد ذلك جاء هؤلاء وغيّرُوا وبدّلوا، بعد انتهاء القرون الأولى تمكّن بعض دعاة الضلال من الوصول إلى الحاكم، ولبّسُوا عليه- هذا المأمون- وتبنّى قولَهم وصار يمتحن النّاس على عقيدته الفاسدة، وانتشرت هذه العقيدة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٠٦٨) عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

العقيدة حين يَتبنّاها حاكِم من الحُكّام؛ يجبُر النّاس عليها، ويرفع رُؤوس الضلال، ويُمكِّنُهم من الخِطابات العامة، ويَطمِس أفْواه أهل السنّة، ويُسكّتُهم؛ ينتشر الضلال والباطل[١].

كيف تظنّون أنّ المنهج الأشعري انتشر بين النّاس؟

بهذه الطّريقة.

منهج المعتزلة كيف انتشر؟ بهذه الطريقة

الصّوفية؛ كيف انتشرت بين الأمة؟ بهذا الأسلوب الذي نراه اليوم، بهذه الطّريقة؛ حين يتبنّى حاكِم من الحُكّام هذه المناهج الفاسدة؛ ينشُرها بين النّاس، ويدعو إليها، ويُسكّت أهل السنّة حتى لا يُعارضوا هذه المناهج.

قال: (واستحلُّوا السّيف على أمّة محمّد ﷺ، وخالفوا من كان قبلهم) خالفُوا منهج السلف رضي الله عنهم.

قال: (وامتحنوا النّاس بشيءٍ لم يتكلّم فيه رسول الله ﷺ) امتحنوا النّاس: "ماذا تقول أنت؟ القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟"، فإن قلت: "مخلوق"؛ فأنت آمِن، وإن قلت: "غير مخلوق"؛ قطعوا رأسك؛ هذه طريقة امتحانهم.

هل فعل النّبي ﷺ ذلك؟ هل تكلّم بهذا؟ لا شيء من هذا، ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم.

---

(١) أخرج اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٣٢) عن عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، يقول لفتى من ولد جعفر بن سليمان: مكانك، فقعد حتى تفرق الناس، ثم قال: تعرف ما في هذه الكورة من الأهواء والاختلاف، وكل ذلك يجري مني على بال رضى؛ إلا أمرك وما بلغني، فإن الأمر لا يزال هيناً ما لم يصر إليكم، يعني السلطان، فإذا صار إليكم؛ جل وعظم ...فذكر الخبر.

قال: (وأرادُوا تَعطيل المساجد والجوامِع)، لماذا؟ لأنّ مذهبهم: مُجرّد المعرفة تكفي! خلاص، بعد ذلك صلّي في بيتك أو لا تصلي! لا مشكلة عندهم، فأرادوا تعطيل المساجد، وتعطيل الجوامِع من الصّلاة! كي لا تقام فيها الدروس والعبادة.

قال المؤلّف: (**وَأَوْهَنوا الإِسْلامَ، وَعَطَّلوا الجِهادَ، وعَمِلوا فِي الفُرْقَةِ، وخَالَفوا الآثارَ، وتَكلَّموا بِالْمَنْسوخِ، واحْتَجُّوا بالمُتَشابِهِ، فَشَكُّوا النَّاسَ في أَدْيانِهِمْ، واخْتَصَموا في رَبِّهِمْ، وقالوا: لَيْسَ هُناكَ عَذَابُ قَبْرٍ، وَلا حَوْضٌ، وَلا شَفَاعَةٌ، والجَنَّةُ والنَّارُ لَمْ يُخْلَقا، وَأَنْكَروا كَثِيراً مِمَّا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ؛ فَاسْتَحَلَّ مَنِ اسْتَحَلَّ تَكْفِيرَهُمْ وَدِماءَهُمْ مِنْ هذا الوَجْهِ؛ لأَنَّهُ مَنْ رَدَّ آيَةً مِنْ كِتابِ اللهِ؛ فَقَدْ رَدَّ الكِتابَ كُلَّهُ، وَمَنْ رَدَّ حَدِيثاً عَنْ رَسولِ الله ﷺ؛ فَقَدْ رَدَّ الأَثَرَ كُلَّهُ، وَهُوَ كافِرٌ باللهِ العَظِيمِ**)

قال: (أوْهَنوا الإسلام) يعني أضعفوه.

من أسباب ضَعفِ المسلمين، وجعْلهم ضعفاء أمام أعدائهم: كثرة البدع فيما بينهم؛ ظهور أهل البدع وكثرتُهم بين المسلمين؛ من أعظم الأسباب التي تُضعف شوكة المسلمين

انظروا عندما تخرج فرقة كالخوارج! ماذا تفعل في بلاد المسلمين؟!

الرّافضة! ماذا فعلُوا في بلاد المسلمين؟!

الصّوفية؛ وهلمّ جرّاً

الصّوفية سميت أَفْيُون الشّعوب لماذا؟ لأنها مُخدِّر تُخمِّد الشّعب؛ تُنيمه؛ اجلِس على الرّأس بالغناء، والأكل، والشّرب، والخزعبلات الفارغة، وبعده طعن النفس بالسّيف

والرمح على أنها كرامات وما شابه، خلاص؛ هذا هو دينهم! ما عندهم شيء اسمه جهاد أصلاً؛ فأضعفوا بلاد المسلمين.

الخوارج؛ يُضعفونها بطريقة ثانية: هَمُّهم قتل المسلمين، لا يَهُمُّه الكافر؛ المُهم عنده المسلم! يكفّر المسلم، ثمّ يكون عنده المسلم أعظم كفراً من الكافر؛ فيشتغل به، يقول: نبدأ بهؤلاء؛ فهم مرتدون، والمرتدون كفرُهم أعظم من كفر الكافرين؛ ويبدأ بهم؛ هذه حالُهم، الآن في سورية، وفي العراق وغيرها من بلاد المسلمين؛ ليبيا تذوق الأَمَرَّين منهم، مصر وغيرها، الجيش يكون قوياً، مَتيناً، مُتّحِداً، يدخل هؤلاء فيما بينهم؛ فيُشتّتونه ويُضعفونه، وأعظم مُنتفع من وراء ذلك: هم أعداء الدّين؛ لأنّهم يُضعفون الدّولة، خلاص لم يَعُد هناك دولة؛ تنتهي، حين يُحاربُ جيشها ويُقتل من داخله؛ لا تبقى دولة، فيُوهِنوا الإسلام؛ يضعِّفونه. لذلك الآن يحاول أعداء الدين استغلال الصوفية والخوارج والحزبيين في القضاء على الدين بتمكين هؤلاء في البلاد ودعمهم بالخفاء.

الخوارج إذا أراد الكفار وأذنابهم من العلمانيين احتلال بلد مسلم أو التمكن منه، نشروهم ومكنوا لهم ودعموهم بالخفاء، ثم جاءوا لمحاربتهم والقضاء عليهم، بحجة القضاء على الإرهاب في زعمهم، وبذلك يتمكنون من دخول البلاد وتحقيق أهدافهم فيها، بل وربما بمساعدة بعض المسلمين على ذلك للتخلص من شر الخوارج، وبعدها يأتي دور الصوفية والعلمانيين في نشر أفكارهم بين الناس. هذا الأسلوب السائد اليوم في البلاد.

قال: (وعطّلوا الجهاد)؛ لم يعد هناك شيء اسمه جهاد في سبيل الله عند هؤلاء! كالصّوفية مثلاً؛ هؤلاء ما عندهم جهاد، جماعة التّبليغ؛ ما عندهم جهاد، الجهاد منسوخ عندهم، كل الآيات التي وردت في الجهاد في القرآن والسنّة؛ ما لها أي اعتبار.

قال: (وعَمِلوا في الفُرقة) فرّقوا الأمّة؛ شتّتوُها، فالذي هو معهم: يوالُونه ويُحبّونه، والذي ضدّهم: يكرهونه ويبغضونه ويعادونه؛ ففرّقوا الأمّة وشتّتُوها بهذه الطّريقة.

سبب تفريق الأمّة هم أهل البِدع وليس أهل السنّة، من عِظَم جهل كثير من النّاس أنّهم عندما يسمعون عالماً من العلماء السنّة يحذّرُ من مبتدع، فرّق الأمّة وشتّتها ببِدعته؛ يقولون: هذا العالِم يُفرّق الأمّة !

انظر كيف انقلَبت المَوازين، قال النبي ﷺ: "يصدّقُ الكاذب ويكَذّبُ الصادق"[١]؛ هذا الذي حصل؛ عالم يُحذّرك من المُبتدِع الضّال الذي يحرفك عن دين الله سبحانه وتعالى؛ يقولون يفرّق في الأمّة، يُحذّر من العلماء!

هو حذّرك نصيحةً لك؛ "الدّينُ النّصيحة"

أيش يهمُّه الموضوع؛ يجلِس في بيتِه، ويشتغل بشُغلَه؛ وينتهي الأمر؛ لكن أوجب الله عليه النصيحة؛ أن يتكلّم، وأن يُبيّن لك الحق من الباطل؛ لأنّك لا تعرف، وهو الذي عرف؛ فوجب عليه أن يُبيّن.

فالمُفرّق للأمّة حقيقةً: هو المُبتدع؛ لا العالم السنّي، المبتدع الذي ابتدع في دين الله ما ليس منه، ووالى وعادى على بدعته؛ فرّق الأمّة شتّتها.

قال: (وخالفوا الآثار): مخالفة الآثار تُضيّع الإنسان

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩١٢)، وابن ماجه (٤٠٣٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» ، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ».

قال: (وتكلّموا بالمنسوخ)، يتركون الأدلة النّاسخة الثابتة، ويأخذون بالمنسوخ! ويأخذون بالعمومات والإطلاقات، ويتركون الأدلة الخاصة والمقيدة والمبينة، هذا من طريقة أهل البدع، فانتبهوا.

انظر الرّافضة ماذا قالوا في نكاح المُتعة؟ أخذوا بالمنسوخ منها، وتركوا النّاسخ المُحْكَم! فتركوا أدلّة التّحريم الصّريحة الواضحة، وتمسّكوا بالأدلة المنسوخة التي رُفع حكمها، وانظروا إلى الخوارج والإخوان، يأخذون بالأدلة العامة في النهي عن المنكر للخروج على الحاكم المسلم، ويتركون الأدلة الخاصة التي وردت فيه؛ هذه طريقة أهل البدع، أهل الزَيغ؛ لأنّ في قلوبهم مرضاً، والذي في قلبه مرض لا يُعجبُه الحكم الشرعي؛ فيُريد أن يلتفَّ عليه بأيّ طريقة؛ فيتمسّك بالمتشابهات.

قال: (واحتجوا بالمُتشابه) انظر أدلة الشرع من الكتاب والسنّة؛ فيها مُحكم ومُتشابه، فيها أدلة دلالتها على المعاني التي تدلّ عليها صريحة واضحة؛ لا خفاء فيه: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}(١)، {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ }(٢)، "أين الله؟" قالت: في السّماء، قال: اعتقها فإنّها مؤمنة"(٣)، {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ}(٤)... أدلة كثيرة جدّاً على علو الله على خلقه، يتركون كل هذا؛ ويأتون إلى المتشابهات: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ}(٥)؛ يقول خلاص: امسك هذا، يتركون المحكمات، ويذهبون إلى المتشابهات.

---

(١) [طه:٥].

(٢) [فاطر:١٠].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) [الملك:١٦].

(٥) [الحديد:٤].

يقول النّبي ﷺ: "إنّكم سترَون ربّكم كما ترَون هذا القمر لا تُضامُّون في رؤيتِه"(١)؛ صريح واضح على رؤية الله يوم القيامة، يأتي ويتمسّك بـ: {إِنَّكَ لَنْ تَرَانِي}(٢)؛ هذا من المتشابهات! يترك الدليل الواضح الصريح ويمسك بالمتشابهات؛ كالكفّار؛ بعض الكفار يحتج على بعض المسلمين الذين في أوربا بلاد الروم؛ فيورد هذا الإشكال: يقول: أنتم في القرآن تقولون: أن عيسى جزء من الله؛ ماذا تريد أكثر من هذا؟!

أين؟!

قال: {وَرُوحٌ مِنْهُ}؛ ألستم أنتم تقولون هذا في القرآن؟

قال: نعم.

أَشكلت على بعض الشباب، انظر كيف يتمسّك بالمُتشابه ويترك المُحكم.

طيّب؛ أين أنت من الآية: {إن مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدم خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ }(٣)، لماذا تركت هذه وتعلقت بتلك؟!

هذه تحتمل معنيين: تحتمل المعنى الذي ذكرته، وتحتمل أنّه من خلقِ الله؛ {روح منه}: خلقها هو وأوجدها هو.

لماذا تركت هذه وأخذت بالثانية، رُدّها إلى المحكم ؛تفهم معناها.

عندنا آيات مُحكمات وأخر متشابهات: {فَأَمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ}، الذي في قلبه مرض: يترك الدليل الواضح الصريح على المراد؛ ويذهب إلى

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) [الأعراف:١٤٣].

(٣) [آل عمران:٥٩].

المتشابه الذي يشتبه، ويتمسّك به على مُراده؛ لأنّه صاحب هوى، لا يُريد دين الله الحق؛ بل يريد أن يتلاعب

لماذا يفعلون هذا؟

قال: {اِبْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ}[(١)] يريدون الفتنة، يريدون زلزلة إيمان النّاس وإفساد دينهم؛ هذا الذي أخبر عنه النبيّ عليه الصلاة والسلام؛ لذلك قال عليه الصلاة والسّلام: "إذا رأيتَ من يتبّع المُتشابه منه؛ فاحذرْهم؛ فأولئك الذين سمّى الله عز وجل"[(٢)].

ربّما يقول قائل: لماذا جعل الله في آياته وأحاديث نبيّه ﷺ مُحكماً ومتشابهاً، لماذا لم يجعلها كلها محكمة، وأغلق الباب على أصحاب الأهواء؟

الجواب: حتى يعلم الله تبارك وتعالى الصادق من الكاذب.

وليس معنى "يعلم": أنه لا يعلم! لا؛ هو يعلم؛ لكن علمه لا يترتب عليه عقاب وثواب؛ إنّما يترتب العقاب والثّواب على العمل، فعندما يتّبع الشخص المتشابه: يظهر أمرُه، ويصير عندَه عمل يستحقُّ العقاب عليه؛ هذا ما يريده ربّ العزة تبارك وتعالى؛ فيَمِيز بذلك الخبيث من الطّيّب؛ فهو اختبار وامتحان لخلقه.

قال: (فشكّكوا النّاس في أدْيانهم) بتعلقهم بالمتشابهات، لمّا يأتي لشخص يُريد أن يُقنعه في مسألة عنده؛ يأخذ بالمتشابه ويُلقيه عليه، فيشكُّ ذاك؛ يتخبّط؛ فليس عنده علم يستطيع أن يردَّ به تلك الشُبُهات.

---

(١) [آل عمران:٧].

(٢) تقدم تخريجه.

لذلك نحن نقول دائماً: لا يجوز الجلوس إلى أهل البدع والسّماع لهم؛ لأنّ القلوب ضعيفة والشُبه خطّافة، لا تستطيع أن ترد الشبهة؛ فتقع في قلبك؛ فتضيع؛ لذا: لا تستمع إليهم.

قال: (واختصموا في ربّهم) وقع نزاعات بينهم في ربّ العزة تبارك وتعالى؛ يسمع أم ما يسمع؟ يرى أم لا يرى؟ في السّماء أم ليس في السّماء؛ خصومات، ونزاعات فيما بينهم؛ أهل البدع والضلال.

قال: (وقالوا: ليس هناك عذابُ قبر، ولا حوضٌ، ولا شفاعة)؛ ليس هناك عذابُ قبرٍ، ولا حوض، ولا شفاعة؛ ولا شيء من الذي ثبت في الكتاب والسنّة؛ ليس عندهم اعتبار للكتاب والسنّة أصلاً؛ همّهم فقط: هل يركب هذا الشيء على عقله أم لا يركب!

هذا هو دينه، هكذا هو دينه؛ ليس مأخوذاً لا من القرآن ولا من السنّة.

قال: (والجنّة والنّار لم يُخلقا) غير مخلوقتين أصلاً الآن غير موجودتين لا الجنة والنار؛ والله سبحانه وتعالى قال: {أُعِدَّتْ لِلْمتقين}(١) ،و{أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}(٢)؛ أين ذهبت هذه الآيات؟!

أُعدّت، يعني: جاهزة موجودة!

النّبي ﷺ دخل الجنّة ورأى فيها ما رأى، ورأى ما في النّار، وأخبر بذلك في أحاديث متواترة؛ فأين ذهبتم بهذا كلّه؟!

لا يرفعون بذلك رأساً.

---

(١) [آل عمران:١٣٣].

(٢) [البقرة:٢٤].

قال: (وأنكروا كثيراً ممّا قال رسول الله ﷺ؛ فاستحلّ من استحلّ تكفيرهم ودماءهم من هذا الوجه)

هذا هو السبب: ردُّ أحاديث النبي ﷺ، ردّ كتاب الله تبارك وتعالى !

أيُّ إيمان هذا ؟! أيُّ إيمان عند هؤلاء القوم ؟!

إذا كان لا يؤمن لا بـ: "قال الله" ولا: "قال النبي ﷺ"؛ إذاً لماذا تصف نفسك أنت بالإيمان ؟! ليس هذا إيماناً؛ الإيمان: أن تؤمن بما جاء عن الله تبارك وتعالى، وبما جاء من عند الله سبحانه وتعالى؛ إذا لم تؤمن بنبيه ﷺ، ولم تؤمن بما جاء به ﷺ من كتاب الله ومن سنة النبي ﷺ؛ أنت كاذب في إيمانك؛ لا يوجد إيمان.

قال: (لأنّه من ردّ آيةً من كتاب الله؛ فقد ردّ الكتاب كلّه)

وهذا محل إجماع؛ العلماء جميعاً على هذا القول: من كفر بآية من كتاب الله، كلمة في كتاب الله سبحانه وتعالى تُكذِّب بها؛ فقد كذّبت بالقرآن كلّه؛ فأنت لا تؤمن بكتاب الله سبحانه وتعالى؛ لذلك فإن من يقول: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد}؛ (قل) ليست من {قل هو الله أحد} هذا كافر؛ لأنّه نفى كلمة موجودة في كتاب الله وأنكرها، وأجمع العلماء على ذلك؛ بأنّ من أنكر كلمة في كتاب الله سبحانه وتعالى؛ فهو كافر

قال: (ومن ردّ حديثاً عن رسول الله ﷺ؛ فقد ردّ الأثر كله، وهو كافر بالله عظيم)

حديث يعلم أنه حديث النبي ﷺ، وأنّه صحيح، ويردّه، يُنكره من غير تأويل ولا شيء؛ هذا كافر؛ ما هو مؤمن بكتاب الله ولا بسنّة النبي ﷺ؛ فالإيمان أن تؤمن بالنبي ﷺ، تؤمن بالقرآن، تؤمن بالسنّة؛ هذا هو الإيمان.

قال رحمه الله: (فَدَامَتْ لَهُمُ المُدَّةُ، ووَجَدوا مِنَ السُّلْطانِ مَعونَةً على ذلك، ووَضَعوا السَّيْفَ والسَّوْطَ على مَنْ دونَ ذلك؛ فَدَرَسَ عِلْمُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، وَأَوْهَنوهُما، وصارَتا مَكْتومَتَيْنِ؛ لإظْهارِ البِدَعِ والكلامِ فيها، وَلِكَثْرَتِهِمْ، واتَّخذوا المَجالِسَ، وَأَظْهَروا رَأْيَهُمْ، وَوَضَعوا فيهِ الكُتُبَ، وَأَطْمَعوا النّاسَ، وَطَلَبوا لَهُمُ الرِّئاسَةَ؛ فَكانَتْ فِتْنَةً عَظيمَةً، لَمْ يَنْجُ مِنْها إلّا مَنْ عَصَمَ اللهُ، فَأَدْنى ما كانَ يُصيبُ الرَّجُلَ مِنْ مُجالَسَتِهِمْ: أَنْ يَشُكَّ في دِينِهِ، أَوْ يُتابِعَهُمْ، أَوْ يرى رَأْيَهُمْ على الحَقِّ، ولا يَدْري أَنَّهُ على الحَقِّ أَوْ على البَاطِلِ؛ فَصارَ شاكًّا؛ فَهَلَكَ الخَلْقُ، حتَّى كانَ أَيّامَ جَعْفَرٍ؛ الذي يُقالُ لَهُ: المتوكِّل؛ فَأَطْفَأَ اللهُ بهِ البِدَعَ، وَأَظْهَرَ بِهِ الحَقَّ، وَأَظْهَرَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَطالَتْ أَلْسِنَتُهُمْ؛ مَعَ قِلَّتِهِمْ، وَكَثْرَةِ أَهْلِ البِدَعِ إلى يَوْمِنا هذا)

قال: (فدامت لهم المدة) أي: لهؤلاء الجهمية، دامت معهم المدّة، ومضى وقت فرِحوا به، سيطروا على الحكم، وتسلِطوا على عباد الله الصّالحين.

قال: (ووجدوا من السلطان معونةً على ذلك)؛ هذا أكبر البلاء- أو من أكبر البلاء-: أن يجد أهل البدع والضلال وأهل الكفر والخصام معونةً من السلطان؛ فيتسلّط على رقاب المسلمين والصّالحين.

قال: (ووضعوا السيف والسّوْط على مَن دون ذلك) على المسلمين

قال: (فدرس عِلْمُ السنة والجماعة، وأوهنوهما) اضمحل علم السنة؛ علم الشرع؛ علم الدّين الصّحيح: ضعُف.

طبعاً هو لا ينتهي؛ لأنّ النبي ﷺ قال: "لا تزال طائفة من أمّتي على الحق لا يضرّهم من خالفهم أو من خذلهم حتّى يأتي أمر الله"[(١)]؛ فالحق يبقى موجوداً وظاهراً في كل زمن؛ لكن تارةً تكون صوْلة وقوة لأهل البدع، وتارةً يضعفون؛ وهكذا سنة الله في خلقه.

قال: (فدَرس علم السنّة والجماعة وأوهَنوهُما وصارتا مكْتومتين؛ لإظهار البدع والكلام فيها، ولكثرتهم، واتّخذوا المجالس، وأظهروا رأيهم، ووضعوا فيه الكتب، وأطمعوا النّاس، وطلبوا لهم الرّئاسة) أطمعوا الناس؛ طمّعوهم ورغّبوهم.

كيف ينشر المبتدع بدعته؟

إما بالمال، أو بالمناصب، أو بأي شيء من أمور الدنيا؛ يطمع الناس ويمشون معه؛ وهذا ما يستغله أهل البدع اليوم؛ نفس الطريقة(وأطمعوا الناس وطلبوا لهم الرّئاسة)؛ أعطه مالاً أو رئاسة؛ وسيضيع مباشرة؛ إلّا من رحم ربّي سبحانه وتعالى.

قال: (فكانت فتنةً عظيمة، لم ينجُ منها إلّا من عصم الله، فأدنى ما كان يصيب الرّجل من مُجالستهم: أن يشكَّ في دينه) أقل شيء كان يصيب الرّجل في ذاك الزّمن أنه إذا جالسهم: شكّ في دينه؛ صار لا يدري؛ هل ما يعتقده حق أم باطل؛ هذا أقل شيء.

قال: (أو يُتابعهم، أو يرى رأيهم على الحق) هو بين هذا وهذا؛ يعني أفضل واحد فيهم يخرج شاكاً، أو يأخذ منهجهم ويمشي على ما هم عليه

قال: (ولا يدري أنّه على الحق أو على الباطل؛ فصار شاكاً؛ فهلك الخلق، حتى كان أيّام جعفر الذي يقال له المتوكّل) هلك الناس إلّا من رحم ربي سبحانه وتعالى،

---

(١) تقدم تخريجه.

وانتشرت هذه البدع والضلالات، وصارت لها سطْوة في تلك المدة؛ وهي مدة المأمون؛ أحد خلفاء الدولة العباسية، وكذلك في مدة أخيه المعتصم، وكذلك في مدّة ابن المعتصم وهو الواثق؛ حتّى جاء المتوكّل؛ وهذا الذي سمّاه بجعفر الذي يقال له المتوكل؛ وهذه ألقاب كانت عند أمراء الدّولة العبّاسيّة: الواثق، والمتوكّل، والمأمون، والأمين.. وما شابه.

المتوكّل: هذا أخو الواثق وابن المعتصم، هؤلاء: المأمون، والمعتصم، والواثق؛ كانوا على نفس العقيدة هذه؛ إلى أن جاء جعفر المتوكّل؛ فتبنّى عقيدة أهل السنة والجماعة، ورجع إلى ما كان عليه الأمر ورفع هذه المحنة، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيراً.

قال: (فأطفأ الله به البدع، وأظهر به الحق، وأظهر به أهل السنّة، وطالت ألسنتهم؛ مع قلّتهم، وكثرة أهل البدع إلى يومنا هذا) كثر أهل البدع؛ صارت لهم سطوة، ولهم كتب، ولهم دعاة، ينشرون هذا المنهج؛ لكن لما رجع جعفر المتوكّل؛ أعزّ الله سبحانه وتعالى به أهل السنّة، وكان العلماء قد مات منهم من مات، وأجاب منهم من أجاب؛ خوفاً من السّيف؛ فقال القرآن مخلوق؛ فقط خوفاً من السّيف ريثما يرتفع الأمر، وكان الإمام أحمد- رحمه الله- ممّن ثبت ونجاه الله فلم يمُت، ورفعه الله سبحانه وتعالى رفعة عظيمة، وكان له المقام والمكانة التي يُعرف بها الآن، فإذا ذُكر أحمد؛ ذُكرت السنّة معه؛ لأنه كان رافع رايتها في ذاك الزمان رحمه الله، وأكرمهم المتوكل هذا رحمه الله، وأعزَّ أهل السنّة، وردّ لهم هيبتهم ومكانهم؛ لكن مع ذلك: بقيت البدعة ظاهرة وقوية إلى زماننا هذا، والبدع منتشرة بين النّاس؛ لكن الحمد لله وبفضل الله قال النبي ﷺ: "لا تزال طائفة من أمّتي على الحق لا يضرّهم من خالفهم أو من خذلهم حتّى يأتِيَ أمر الله"؛

فستبقى هذه الطّائفة تدعو إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ، وإلى ردِّ النّاس إلى ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، وإلى ما كان عليه أئمة الزّمان كمالك، والشّافعي، وأحمد، وغيرهم من أئمة الإسلام إلى قيام السّاعة؛ هذه الطّائفة ستبقى مَوجودة مع قوّة أهل البدع؛ قوّة شوْكتهم؛ لكن تبقى حجة أهل السنّة هي الأقوى وقولهم هو الفصل وهو المُرتفع إن شاء الله؛ هذه سنّة الله تبارك وتعالى في خلقه

فنسأل الله أن يُثبّتنا وإيّاكم على الحق وأن يجنّبنا البدع ما ظهر منها وما بطن.

نكتفي بهذا القدر إن شاء الله

قال: (**والرَّسْمُ وَأَعْلامُ الضَّلالَةِ؛ قَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَعْمَلونَ بِها، ويَدْعونَ إِلَيْها؛ لا مَانِعَ يَمْنَعُهُمْ، ولا أَحَدَ يَحْجُزُهُمْ عَمَّا يقولونَ وَيَعْمَلونَ**)

يعني وإن كان الحق قد ظهر ومُكِّن في الزّمن الذي لِحق زمن ظهور البدع والضّلالات؛ إلّا أنّ البِدع وأهل البدع باقون، والضّلالة باقية، وبقي أهلها يدعون إليها، ولا يُوجد من يمنَعهم؛ ولا أحد يمنعهم ويَحجُزهم عمّا يقولون ويعملون؛ إذاً البدعْ بقِيَت منتشرة ولم تنتهِ ولن تنتهي إلى آخر الزّمان كما أخبر النّبي ﷺ في أحاديث بأنّ هذه الأمّة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة؛ قالوا من هي يا رسول الله؟ قال : "ما أنا عليه وأصحابي"، وفي رواية: "الجماعة"، وقال عليه الصّلاة والسّلام أيضاً: "إنّه من يَعِش منكم من بعدي؛ فسيرى اختلافاً كثيراً "؛ فالاختلاف واقع حاصل، هو بقدر الله سبحانه وتعالى: أمرٌ حاصل وواقع.

طبعاً هو لا يجوز؛ فالواجب على جميع المسلمين أن يتّحِدُوا على الكتاب والسنّة، وأن يجتمعُوا على الكتاب والسنة، ليس أيُّ اجتماع؛ لا؛ إنما الاجتماع على الكتاب والسنة، أيّ اجتماع هذا: مرفوض؛ الأصل أن نُحقّق ما أراد الله تبارك وتعالى منّا وأن نأتمر بأمر الله تبارك وتعالى بأن نحقّق التّوحيد، وأن نحقّق السنّة، وأن نجتمع بعد ذلك على هذا، أمّا أن نجتمع على الحقّ والباطل؛ لا؛ ما أراد الله مِنّا هذا؛ أراد منّا أن نجتمع على الحق؛ قال الله سبحانه وتعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ وَلَا تَفَرَّقُوا}؛ إذاً الاجتماع يكون على ماذا؟

على حبل الله الذي هو الكتاب والسنّة ومنهج الحق، أمّا أن تجتمع مع شخص على الشرك؛ هو يُشرك وأنت توحِّد، هو يبتدع وأنت تتّبع السنّة، وتجتمع معه على ما عنده من ضلالات ومن مفاسد؛ لا؛ هذا ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به؛ بل أمرنا الله سبحانه وتعالى بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وأمرنا بالنّصيحة، وبالبيان؛ حتّى يبقى الحق واضحا صافياً نقيّاً، وينفصل تماماً عن الباطل وعن أهله؛ هذا ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به؛ فصاحب الباطل مأمور بترك باطله والرُّجوع إلى الحق، وأن يجتمع معنا على الكتاب والسنّة، لسنا مَأمُورين أن نَترك الكتاب والسنّة، وأن نترك الحق؛ ونجتمع مع صاحب الباطل على باطله؛ أبداً.

فقاعدة: (نتعاون فيما اتّفقنا عليه، ويعذُر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)؛ قاعدة باطلة فاسدة تهدِمُ أصول أهل السنّة والجماعة.

نتعاون فيما اتّفقنا عليه، إذا اتّفقنا على نقطة، أيّ نقطة، اتّفقنا على إسقاط الحاكم، وعلى أن نجلس على الكرسي؛ إذاً نتعاون في أن نُسقط الحاكم، وأن نجلس على الكرسي، ويعذر بعضنا بعضاً في الشّرك الذي يقع منّا، والكفر والدّعوة إليه، يعذر بعضنا بعضاً

في مخالفة رسول الله ﷺ، يعذُر بعضنا بعضاً في هدمِ شريعة الله من أساساتِها؛ المهم أننا اجتمعنا على أن نحصل على الكرسي؛ فنتعاون في ذلك؛ هذه هي الأسس التي تمشي عليها قواعد الإخوان المسلمين؛ نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضُنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

طيّب؛ أين الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ؟! {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ }(١)، «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»(٢)؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أصول أهل السنّة والجماعة، وواجب أوجبه الله سبحانه وتعالى على المسلمين؛ بل ما كانت هذه الأمة خير الأمم إلّا بذلك، وهذه القاعدة تهدِم هذا الأصل، (الدّين النّصيحة)؛ فالواجب عليك: أن تنصح وأن تُبيّن للنّاس، وإذا أردت أن تجتمع مع صاحب الباطل على الباطل؛ لن تنصح للمسلمين، ولن تنصح لكتاب الله ولا لسُنّة رسول الله ﷺ، فهذه القاعدة قاعدة باطلة فاسدة.

قال المؤلّف هنا:(والرّسم وأعلام الضّلالة قد بقيَ منهم قوم يعملون بها) إذاً الضّلالة قائمة وباقية كما قال عليه الصلاة والسلام :"إنّه من يعِش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً"،

---

(١) [آل عمران:١٢٠].

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٠١) والترمذي (٢١٦٩)،وغيرهما عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فالاختلاف والضّلالات والفِرق مَوجودة، وستفترق هذه الأمّة إلى ثلاث وسبعين فرقة؛ شئت أم أبيْت؛ هذا حاصل واقع.

لكن ما الحل؟ كيف أعرف الحق من الباطل؟

بيّن لك النّبي ﷺ كلّ شيء؛ ما أبقى لك عُذراً عند الله، لمّا ذكر الثلاثة وسّبعين فرقة؛ قال: "كلّها في النّار إلّا واحدة"؛ يعني: اِلزَم طريق هذه الواحدة وابقَ عليها.

من هي يا رسول الله؟ قال :"الجماعة: ، وفي راوية :"ما أنا عليه وأصحابي"؛ إذاً المنهج الذي كان عليه النبي ﷺ، والمنهج الذي كان عليه الصّحابة: هو المنهج الحق وغيره باطل.

وفي الحديث: "من يعش منكم من بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بِسنّتي"؛ قال: "فعليكم"؛ هذه طريقة الخروج من الخلاف، طريقة الخروج من التّفرّق والتّشرْذُم هي: الرِّجوع إلى سنّة النّبي ﷺ: "عليْكم بسنّتي" يعني: هَدْيي، ديني، شرعي الذي أتيْت به؛ القرآن والسنّة على نفس المنهج الذي كان عليه أصحاب الرسول ﷺ: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الرّاشدين من بعدي؛ عضّوا عليها بالنّواجذ".

فكلّ شيء مُبيّن في شرع الله، ما أبقى لك ربّنا تبارك وتعالى عُذراً تتعذّر به أمامه أبداً، ارتكبت ضلالة؛ ستُحاسب على ضلالتِك هذه؛ لأنّ الحقّ بيّن والضّلال بيّن؛ فالْزم طريق الحق واترُك طُرق الضّلال.

الضّلال سيبقى، وسيوجد، وفي بعض الأزمان تكون له قوّة وسطوة، ويكون له ظهور، وفي بعض الأزمان الأخرى يخفَت ويضعُف، وعند ظهوره أو خفوته؛ الحقّ يبقى ظاهراً مَوجوداً، قد يقِل أهله؛ لكنّه يبقى موجوداً بين النّاس لا يختفي أبداً؛ لأن

النّبي ﷺ قال: "لا تزال طائفة من أمّتي على الحق ظاهرين لا يضرّهم من خالفهم أو من خذلهم حتى يأتيَ أمر الله"[1]، إذاً الحق باقٍ لا يمكن أن يزول، والصّراع بينه وبين الباطل مُستمر؛ امتحاناً واختباراً من الله سبحانه وتعالى؛ يبتلي عباده بذلك؛ حتى يميز الخبيث من الطّيب، فيبقى الضّلال موجوداً ويبقى الحق موجوداً، والصّراع بينهما مستمر إلى قيام الساعة؛ واختر لنفسك أنت بعد ذلك.

قال: (**[١٠٢] واعْلَمْ أَنَّهُ لَم تَجِئْ زَنْدَقَةٌ قَطُّ إِلَّا مِنَ الهَمَجِ الرِّعاعِ؛ أَتْباعُ كُلِّ ناعِقٍ؛ يَميلونَ مَعَ كُلِّ ريحٍ، فَمَنْ كانَ هكذا؛ فلا دِينَ لهُ، قال الله عز وجل: {فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ}، وَهُمْ عُلَماءُ السُّوءِ أَصْحابُ الطَّمَعِ والبِدَعِ**)

الزندقة: النفاق؛ إظهار الإيمان وإبطان الكفر؛ فالزّنادقة هم الذين كانوا يُسمَّون في عهد النبي ﷺ المنافقين.

الزندقة؛ يعني دعوات الضلال، دعوات الكفر؛ ما كانت توجد بين المسلمين؛ من أوجدها؟

أوجدها الهمج الرعاع أتباع كل ناعق، (الهمج الرّعاع): يعني النّاس الجُهَّال، (أتباع كل ناعق): كل ناعق؛ كل من نعق؛ كل من صرخَ بضلالة؛ اتبعوه على الضلالة، وشجّعوه ونصروه.

قال: (يميلون مع كل ريح): إذا خرج صارخ من هنا مالوا معه، وإذا خرج صارخ من جهة ثانية مالوا معَه؛ وهكذا، انظروا إلى عامة النّاس اليوم: على حسب الأهواء،

---

(١) تقدم تخريجه.

حسب ما تستنكِر نفُوسهم، وعلى حسب أهوائهم، يخرج لهم رأس من رؤوس الضلال؛ من رؤوس البدع، يصرخ لهم صرخة يهيّج عواطفهم؛ فيميلون معه، يخرج آخر يصرخ لهم صرخة ثانية، يهيّج عواطفهم؛ فيميلون معه؛ وعلى هذا الحال؛ وأهل البدع والضلال يلعبون بهم؛ تارة يميناً وتارة شمالاً؛ لماذا؟

لأنهم ابتعدوا عن سنّة رسول الله ﷺ، ابتعدوا عن علماء المسلمين النّاصحين لهم، الّذين لا يريدون من وراء النُّصح إلّا رضا الله سبحانه وتعالى وطاعته، ابتعدوا عن العلم؛ فصار الذي يعجبهم هو خطيب مفَوَّه، واعظ صاحب لسان، قصّاص حكَواتي! هذا يجتمعون حوله ويسمعون له؛ وهذا يكون جاهلاً أصلاً؛ وهذا مصداق قول النبي ﷺ:"إذا لم يُبق الله عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً؛ فسُئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلّوا وأضلّوا"؛ فهذا الحال، انظر إلى هؤلاء الأشكال: كان النّاس يميلون إليهم، ويجتمعون حولهم والكثرة تجدها معهم؛ لماذا؟ لأنّ غالب النّاس من هذا القبيل الذي وصفهم؛ همج رعاع ؛أتباع كل ناعق؛ فتجدهم حول هؤلاء القوم، فإذا وقعت فتنة؛ هؤلاء الدُّعاة الجُهّال- من جهلهم- يميلون بعواطفهم، يميلون بأهوائهم إلى تلك الفِتن، ويجرّون عامة النّاس معهم؛ وهذا الذي حصل، رأيتم اليوم بأعينكم هذا الذي جرى؛ سمعنا هؤلاء قصّاص والحَكواتيّة والخطباء وأصحاب الألسن؛ سمِعناهم في الفتن ظهروا وهيّجوا النّاس، وقلبوهم على حُكّامهم؛ وكانت النتائج: ذبح وسلخ فقط؛ هذا هو.

قال: (فمن كان هكذا؛ فلا دين له) فدينه حسب من يتّبعه؛ يميل معه.

قال: (قال الله عز وجل :{فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ}[1]، يَبغَون، ويتعالَون على بعضهم، ويظلم بعضهم بعضاً؛ فيختلفون، ويتنازعون، ويتفرقون بضلالاتهم.

قال: (وهم علماء السوء؛ أصحاب الطّمع والبدع)؛ عندنا علماء حق، وعلماء سوء، علماء ضلال؛ ليس كلهم شيئاً واحداً؛ العلماء منهم علماء سوء يدعون إلى الضلال؛ حتى قسّم العلماءُ أَنْفُسُهُم: العُلماءَ إلى ثلاثة أقسام:

عالم سلطة، وعالم أمّة، وعالم ملة؛ هؤلاء العلماء.

عالم السلطة: هذا على حسب ما يريد الحاكم يفتي لَه؛ يريد أن يحلل الخمر؛ يحلِّلُ له الخمر، يريد تحليل الزنا يحلِّلُ الزنا، يريد تحليل الربا؛ يحلُّ الرّبا؛ ما عنده مشكلة؛ المهم أن يُرضي السّلطان.

عالم أمّة: هذا لا يهمّه السلطان؛ إنما يهمّه كثرة الناس وعامة الناس؛ أن يجتمعوا حوله ويمشيخوه؛ هذا عالم أمّة.

ماذا تريد الأمّة؟

تريد التيسير والتسهيل! أعطهم من الفتاوى ما يرضيهم؛ من هذا القبيل؛ تريد هذا حلالاً، هذا حلال، يؤلف كتاباً في الحلال والحرام؛ تجدّه كلّه حلال في حلال؛ ليس فيه حرام أصلاً؛ هذا هو؛ هذه الحقيقة؛ هذا يسمّى عالم ماذا؟ عالم أمّة؛ يُفتي الأمّة بما تريد وبما ترضى؛ حتى يحقّق أهدافه منها.

والعالم الثالث: عالم الملّة- الملةُ التي هي الدّين- عالم شريعة، عالم ربّاني، يفتي الناس بما يرضي الله ولا يبالي بخلقه؛ رضي من رضي، وسخط من سخط؛ المهم عنده أن يرضى

---

(١) [الجاثية:١٩].

الله سبحانه وتعالى فقط؛ لأنّه علم أن الله سبحانه وتعالى قد امتنّ عليه بنعمة العلم من أجل أن يؤدّيه إلى النّاس، وأن يكون ناصحاً لهم، وسيقف أمام الله سبحانه وتعالى؛ بين يدَيْ الله؛ وسيُسأل عن كل حرف يقوله للنّاس؛ فالموقف الذي هو فيه موقف خطير؛ فإمّا أن يؤدّيه بأمانة ويُسأل عن ذلك، أو أن يخون هذه الأمانة وسيُسأل عن ذلك أيضاً؛ هؤلاء هم العلماء ثلاثة.

فأنت قبل أن تأخذ دينك عن أحد؛ انظر إلى حال الذي تأخذ عنه؛ بم يُفتي؟ هل يفتي بـ: قال الله، قال رسول الله، قال صحابة رسول الله؟ أم يفتي بما يهوى الناس، وما يرضون، وما يُحبّونه، وما يميلون إليه؟ أم يُفتي بما يريد السلطان ويرضى عنه السلطان؟ ومن خلال ذلك؛ تعرف كل نوع من هذه الأنواع.

هؤلاء العلماء: (هم علماء السّوء أصحاب الطّمع والبدع) انظر كيف وصفهم المؤلف؟ لماذا هو عالم سوء؟ لأنّه صاحب طمع؛ هدفه؛ غايتُه: إمّا المال أو الجاه والسلطان؛ الدنيا، المال ليجمعه، أو الجاه والمَشيخة؛ يجمِّع النّاس ويكتلهم حوله؛ يا شيخ! يا شيخ! يرضى بهذا ويحبّه، أو يحصل على جاه عند السلطان؛ هذا هو؛ هذا الطّمع، طَمِعَ في ماذا؟ طمع في الدنيا؛ وهذه هي الدنيا.

وعلماء البدع والضّلالات؛ {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ}؛ في قلوبهم مرض يتعلّقون بالمتشابهات من نصوص الشّريعة؛ كي يُلبّسوا على الناس؛ هؤلاء هم علماء البدع والضّلال.

قال المؤلف: (**[١٠٣] واعلَمْ أنَّهُ لا يَزالُ النَّاسُ في عِصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الحَقِّ والسُّنَّةِ، يَهْدِيهِمُ اللهُ، وَيَهْدي بِهِمْ غَيْرَهُمْ، وَيُحْيي بِهِمُ السُّنَنَ، فَهُمُ الذينَ وَصَفَهُمُ اللهُ مَعَ قِلَّتِهِمْ عِنْدَ**

الاخْتِلافِ؛ فقال: {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ}، فاسْتَثْناهُمْ؛ فقال: {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(١)، وقال رسول الله ﷺ: "لا تَزالُ عِصابَةٌ مِنْ أُمَّتي ظاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظاهِرونَ"(٢))

بعد أن ذكر لك المؤلّف حال أهل البدع، وظهورها وبقاءها، وبقاء أهلها؛ أراد أن يُبيّن لك أيضاً أنّ الحقّ باقٍ، مع بقاء الضّلال؛

فقال: (واعلم أنه لا يزال النّاس في عصابة) يعني في جماعة: (من أهل الحق والسنّة، يهديهم الله، ويهدي بهم غيرهم) يوفّقهم الله سبحانه وتعالى للحق، ويوفّق غيرهم عن طريقهم، فهم يدعُون النّاس إلى الحق؛ فيهديهم الله سبحانه وتعالى ويُوفّقهم.

قال: (ويحيي بهم السُّنن) السنن التي ماتت بين النّاس، أهل البدع لا يحيُون السّنن ولا يُبالون بالسنن؛ هذه من علاماتهم؛ تجد المبتدع لا يبالي لا بكتاب الله ولا بسنة النبي ﷺ، لا يُبالي إذا انتشرت السنّة أو ماتت، إن انتشر التّوحيد أو انتشر الشرك؛ لا يهمّه؛ همّه الوحيد: أن يحقّق ما يريد فقط.

أما أهل الحق؛ فغايتهم تحقيق التّوحيد، وتحقيق السنّة ونشرها بين الناس، يريدون هذا ويسعون إليه.

---

(١) [البقرة:٢١٣].

(٢) أخرج أحمد في "مسنده" قريباً من هذا اللفظ، عن عدد من الصحابة، وكذا غير أحمد، ويغني عنه ما أخرجه البخاري(٣٦٤١)، ومسلم(١٠٣٧) عن معاوية رضي الله عنه؛ قال: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ".

قال: (ويُحيّي بهم السّنن) التي كانت قد ماتت؛ سُنن تموت بين النّاس من فترة إلى فترة، أيّ مكان يضعف فيه العلم، يقل فيه أهل السنّة؛ تقلّ فيه السنّة بين النّاس، وإذا قَوِي وجود العلم وأهل السنّة بين النّاس؛ قوِيَت السنّة بينهم وانتشرت؛ هذا هو؛ لذلك قال أحد العلماء: "بلادٌ لا عالم فيها؛ لا تحلّ سُكناها"؛ لماذا؟ لأنّك أنت خُلقت من أجل أن تُطيع الله سبحانه وتعالى، وأن تعبد الله سبحانه وتعالى بما شرع؛ ومن الذي يعلمُّك هذا؟ إنه العالم، فإذا كنت في بلد لا تجد فيها من تسأل عن دينك وتتعلّم دينك؛ إذاً لا يحِلّ لك أن تبقى في بلاد كهذه؛ لأنك واجب عليك أن تتعلّم دينك، فإذا لم تجده؛ إذاً يجب عليك أن تبحث عنه.

قال: (فهم الذين وصفهم الله تعالى مع قِلّتهم عند الاختلاف) هم قليل؛ أهل السنّة بين أهل البدع قليل جدّاً، في الأزمان التي بعد القرون الثّلاثة الأولى؛ الكثرة لأهل البدع، أهل السنةِ قليل؛ لكن يبقى الحق على ألسنتِهم جار، ويُظهرُه الله سبحانه وتعالى، ويبقى قويّاً فيهم وبهم.

فقال: ({وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ}،الذين يختلفون ويتضاربون في كتاب الله سبحانه وتعالى ويبتدعون وينقسمون إلى أقسام؛ هؤلاء هم المَقصودون بهذه الآية.

ثمّ قال: (فاستثناهم) فاستثنى أهل الحق من هذا الوصف- وصف الاختلاف-؛ فقال: ({فَهَدَى الله الذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ وَالله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}).

قال: (وقال رسول الله ﷺ:"لا تزال عصابة من أمّتي") يعني جماعة من أمّة محمّد ﷺ، (من) تبعيضية؛ يعني جماعة بعض أمة محمد ﷺ سيبْقون على الحق.

قال: ("لا يضرّهم من خذلهم حتّى يأتِي أمرُ الله وهم ظاهرون")، يعني هذه العصابة ستبقى ظاهرة وسيبقى الحقّ ظاهراً معهم، "لا يضرهم من خذلهم"، الذي يخذلهم: هو الذي يترك نُصرتهم ولا يعينهم على الحق، قال: (" حتّى يأتِي أمر الله") -وفي رواية أخرى " لا يضرّهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله"[(١)]- المخالفون لهم كُثر، والمُعادُون لهم كثر، المحاربون لهم كُثر، والذين يخذلونهم ويتركون نصرتهُم أيضاً كُثر؛ لكن مع ذلك، ومع كثرة هؤلاء؛ لن يضرّوهم شيئاً؛ ستبقى دعوتهم، قويّة وتبقى كلمتهُم منصورة.

قال :(**[١٠٤] واعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّ العِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوايَةِ، والكُتُبِ؛ وإِنَّما العَالِمُ مَنِ اتَّبَعَ العِلْمَ والسُّنَنَ؛ وإِنْ كانَ قَليلَ العِلْمِ والكُتُبِ، وَمَنْ خالَفَ الكِتابَ والسُّنَّةَ؛ فَهُوَ صاحِبُ بِدْعَةٍ؛ وَإِنْ كَانَ كَثيرَ العِلْمِ وَالْكُتُبِ**)

كلمات جميلة؛ العالم ليس الذي تكثر روايتُه أو يُجمِّع الكتب الأكثر؛ يُكثر من رواية الأحاديث، أو يجمّع كتباً، وتصبحُ عنده مكتبة من طوابِق؛ لا؛ لو كانت مكتبتك غرفة صغيرة؛ ولكنّك على السنّة، تعرف السنة، وتدعو إليها؛ فأنت العالم، وذاك لو كانت مكتبتُه طوابق؛ لا تنفعه عند الله سبحانه وتعالى شيئاً إذا لم يتّبع الحق، وليس هو بعالم؛ بل هو جاهل؛ لأنّه ترك الحق واتّبع هواه، ومن ترك الحق واتّبع هواه؛ فهو

(١) وهي التي سبق تخريجها في "الصحيحين".

جاهل حقيقةً، وليس بعالم؛ العالم الذي ينفعه علمه: هو هذا الذي يسمّى عالماً؛ وهذا الذي يعمل بعلمه، يترك هواه ويتّبع سنّة رسول الله ﷺ؛ فالعلم ليس بكثرة الرواية وكثرة الكتب؛ وإنّما العالم من اتّبع العلم والسنن؛ هذا هو العالم، الذي يتعلّم وينقاد، يعمَل، يعتقد؛ يعمل بالحق، ويعتقد الحق؛ هذا هو العالم.

أنت وإن سمَّيت نفسك عالماً، إذا جمعت الكثير من الرّوايات، وحفِظت الكثير من الأقوال؛ لكن هذا علم لا ينفع؛ فأنت حقيقةً جاهل؛ لأنّك لو كنت عالماً بحقٍّ؛ لانتفعت بالعلم الذي جمعتَه؛ فالعالم بحق هو الذي يعمل بعلمه؛ (وإن كان قليل العلم والكتب) أيضاً، وإن كانت كتبه قليلة وعلمه قليل؛ لكن هو الذي يستحقّ أن يسمّى عالماً؛ لأنّه انتفع بِما عنده من علم.

سُئل الإمام أحمد مرّةً عمن يَسألون من بعده، أو من يوصيهم بسؤاله وفُتياه؟ فقال: سلُوا الورّاق، قالوا له: إنّه ليس بكثير علم- علمه ليس بكثير؛ قليل- قال: إنّه رجل صالح ومثلُه يُوفّق لإصابة الحق[1].

فربنا سبحانه وتعالى يوفقك بصلاحك، وإن كنت كثير العلم، إذا لم تكن متبعاً للحق؛ لا يوفّقك الله سبحانه وتعالى.

قال: (ومن خالف الكتاب والسنّة؛ فهو صاحب بدعة) وقد قدمنا الكلام عن الشخص صاحب البدعة، ومتى يسمّى مبتدعاً؛ فمن خالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ فهو صاحب بدعة؛ يعني ابتدع في دين الله ما ليس منه.

---

(١) بحر الدم (ص ١٠٣)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٨٣).

قال: (وإن كان كثير العلم والكتب) إذاً كثرة العلم وغزارته إذا لم تنفعك باتّباع السنّة وترك البدع والعمل بما تعلّمت؛ فعِلمك لا ينفع، وأنت حقيقةً جاهل لست بعالمٍ.

قال: (**[١٠٥] واعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّ مَنْ قالَ في دِيْنِ اللهِ بِرَأْيِهِ وَقِياسِهِ وَتَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ والجَماعَةِ؛ فَقَدْ قالَ على اللهِ ما لا يَعْلَمُ، ومَنْ قالَ على اللهِ ما لا يَعْلَمُ؛ فَهُوَ مِنَ المُتَكَلِّفينَ**)

دين الله تبارك وتعالى من أين يؤخذ؟

من الكتاب والسنة وإجماع الأمّة؛ من هنا يُؤخذ الدّين؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نتّبع الكتاب والسنّة، فمن ترك الكتاب والسنّة وأعمل الرّأي، وأخذ برأيه، وقاس الأمور بعقله، وحرّف أدلة الكتاب والسنّة، ولا يوجد عنده أدلّة على تحريفاته؛ فهذا قد قال على الله ما لا يعلم؛ تكلّف قولاً، وادّعى أن هذا القول من عند الله تبارك وتعالى، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أراد هذا، أو قال هذا؛ وهذا باطل، وهو كذّاب فيما يدّعيه؛

كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لو كان الدّين بالرّأي؛ لكان مسح الخفّ من الأسفل أولى من مسحه من الأعلى"، ونحن عندما نمسح الخف نمسحه من أعلى، والمحل الذي يتسخ من الخف هو الأسفل وليس الأعلى، فلو كانت المسألة بالعقل؛ فهكذا تُقال، ولكنها ليست مسألة عقل؛ المسألة مسألة دليل شرعي، وانقياد لحكم الشرع؛ ففي الشرع حِكَمٌ نحن لا نُدركها، فالذي وضع هذا الشرع هو ربّ العزّة؛ أحكم الحاكمين وأعلم العالمين؛ فلا يصحّ أن تجعل عقلَك الصّغير قاضياً وحاكماً على شرع الله سبحانه وتعالى.

رُبَّما تدرك حِكَمَ الله وربّما لا تُدركها، فإذا جاءك الأمر من عند الله؛ فسلّم مباشرة؛ لذلك لمّا جاءت امرأة تسأل عائشة رضي الله عنها؛ قالت لها: "ما بالنا نقضي الصّيام ولا نقضي الصّلاة؟" - هذا بالنسبة للمرأة الحائض-، يعني ما بال المرأة تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة؟ فقالت عائشة: "أحرورية أنت؟"، والحرورية هم الخوارج؛ كانوا يحكمون على النصوص الشرعية بآرائهم؛ هؤلاء هم أهل البدع؛ يحكّمون عقولهم على نصوص الشرع؛ فلذلك بادرَت عائشة، وقالت لها: أحرورية أنت؟ يعني أنت من المبتدعة الذين يحكمون على شرع الله بعقولهم؟ قالت: لا ؛ إنّما أسأل، قالت : "هكذا أُمرنا؛ أمرنا أن نقضي الصوم ولا نقضي الصلاة"[1]؛ لماذا؟ كان بإمكانها أن تدلّها على السبب، يمكنها أن تقول لها مثلاً: قضاء الصلاة شاق فخفّف الله عن المرأة، وقضاء الصيام ليس شاقاً؛ فهو قليل، ومعها سَنة تقضي فيها؛ فالأمر سهل؛ لكنها ما أرادت هذا؛ أرادت أن تُعلّمها شيئاً مهمّاً؛ وهو التّسليم لأمر الله تبارك وتعالى؛ سواءً فهمتَ المعنى أم لم تفهم؛ سلِّم لأمر الله تبارك وتعالى، إن فهمت الحكمة وعرفتها؛ فالحمد لله، ما فهمت ولا عرفت؛ لا تحكم على شرع الله بعقلك؛ بل اجعل شرع الله هو الحاكم على عقلك، وهذه النّقطة هي من أهمّ الأسباب؛ بل هي أهم أسباب ضلال الكثير من أهل البدع والضلال؛ يحكمون على شرع الله بعقولهم بأهوائهم، فيُحكّمون عقولهم على شرع الله تبارك وتعالى، والواجب هو العكس: أن تحكّم شرع الله على عقلك، وأن تتهم عقلك أمام شرع الله؛ فأنت تعلم وتؤمن؛ هذا الأصل فيك؛ أنّك تؤمن بأن هذا الشرع قد جاء من ربّ العزّة، من عند حكيم عليم خبير، وعقلك صغير أمام حكمة الله تبارك وتعالى؛ تُدرك أشياء، وأشياء كثيرة تفوتُك.

(١) أخرجه البخاري(٣٢١)، ومسلم(٣٣٥).

قال: (من قال على الله ما لا يعلم؛ فهو من المتكلّفين) تكلّف شيئاً، وحاول أن يصل إلى شيء لم يؤمر به؛ فوصل إلى خلاف الحق بهذا الفعل، فمن قال على الله ما لا يعلم؛ فهو من المتكلّفين، وذنبه عند الله عظيم .

قال المؤلف: (**[١٠٦] والحقُّ ما جاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، والسُّنَّةُ: سنَّةُ رسول اللهِ ﷺ، والجَماعَةُ: ما اجْتَمَعَ عليه أَصْحابُ رسولِ اللهِ ﷺ في خلافةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمانَ**) الحق ما جاء من عند الله؛ لا بما وافق هواك أو ركِب على عقلِك؛ فلا علاقة للعقل والرّأي والقياس في دين الله سبحانه وتعالى المنصوص عليه.

الحق ما جاء من عند الله، فإذا ثبت النّص الشّرعي في المسألة؛ سَلِّمْ، أخبر النبي ﷺ بخروج الدّجال؛ تُسلّم؛ تؤمن: سيخرج الدجّال وبالأوصاف التي ذكرها النبي ﷺ، أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بنزول عيسى؛ تؤمن بأنّ عيسى سينزِل؛ لماذا؟ لأنّ النّبي ﷺ قال هذا؛ وهذا يكفيني أنا كمؤمن؛ أُصدّق بأنّ هذا الكلام كلام رسول الله ﷺ، وأنّ محمّداً رسول من عند الله تبارك وتعالى، صادق فيما يقول، ولا تُعارض نصوص الشرع برأيك وعقلك؛ كما يفعل العقلانيون! وهم حقيقةً بلا عقول؛ بل هم أصحاب أهواء .

قال: (والسنّة: سنّة رسول الله ﷺ) يعني عندما تُنسَب أنت إلى أهل السنّة والجماعة؛ من هم أهل السنة والجماعة؟

قال: والسنّة: سنّة رسول الله ﷺ، يعني هدي النّبي ﷺ، عندما تقول: أنا من أهل السنة والجماعة؛ ماذا يعني هذا؟

يعني أنّك تأخذ بهدْي النّبي ﷺ وتسير عليه؛ هذه الكلمة، هذا الاسم؛ اتّخذه علماء السنّة من القديم؛ من القرون الأولى، عندما ظهرت البدع، وصار أهل البدع يدّعون أنّهم على كتاب الله، وأنّهم يأخذون بكتاب الله؛ فسمّى أهلُ السنّة أنفسَهم: أهل السنّة والجماعة؛

لماذا؟ لأنّهم يأخذون بهدي النّبي ﷺ ويجتمعون عليه؛ فقال هنا: (والسنّة سنّة رسول الله ﷺ).

قال: (والجماعة: ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان)؛ ما اجتمع عليه أهل الإسلام من الحق، أهل السنة والجماعة اجتمعوا على الحق؛ اجتمعوا على كتاب الله، اجتمعوا على سنّة رسول ﷺ، واجتمعوا على منهج أصحاب النبي ﷺ؛ وهم أهل السنّة والجماعة.

وما هي عادة أهل البدع فيما يفعلونه مع هذه التّسميات؟

عندما يفرّق أهل السنة بينهم وبين أهل البدع، باسم يفصل الحق من الباطل، ويجد أهل الباطل أن هذا الاسم هو الذي لَه القوّة، وله قَبول عند النّاس؛ يتسمَّوْن به؛ فيسمّون أنفسهم: أهل السنّة والجماعة.

لمّا ظهر العقلانيون من الجهميّة والمعتزلة؛ أهل السنّة سُمُّوا بأهل السنّة والجماعة؛ تفريقاً بينهم وبين المعتزلة والخوارج وغيرهم من الفِرق؛ فصار أهل البدع يتسمّون بهذا الاسم وينتحلونه؛ فجاء الأشاعرة وسمّوا أنفسهم أهل السنة والجماعة؛ فقالوا: نحن أهل سنة وجماعة، ونفارق المعتزلة والجهميّة وغيرهم؛ هذا باطل؛ كلام غير صحيح!

لأنّ الأشاعرة والمعتزلة والجهميّة يتّحدُّون في أصل واحد؛ كلهم أصلهم واحد: تقديم العقل على النقل؛ هذا أصلهم، يحكُمون على شرع الله بعقولهم، ويحكمون على الله بعقولهم؛ هذا هو أصلهم؛ فكيف يُسَمَّون أهل سنّة وجماعة؟!

هذا من الباطل؛ تسمية الأشياء بغير حقائقها، أهل السنّة والجماعة هم الذين يقدّمون الكتاب والسنّة على كلّ شيء، ويجتمعون على الكتاب والسنّة؛ هؤلاء هم أهل السنّة والجماعة؛ فلا يصح أن تسمّى بهذا الاسم الفِرق المخالفة للسنّة، والتي تُقدّم العقل، وتقدّم الهوى، وتبتدع في دين الله بدعاً جديدة.

لكن اليوم اختلطت الأمور عند النّاس؛ وصار الصّوفي يسمّي نفسه أهل السنّة والجماعة، والأشعري يسمي نفسه كذلك، والإخواني يسمّي نفسه كذلك، والدّاعشي يسمّي نفسه كذلك... وهلمّ جرّا؛ فافترق أهل السنّة عنهم بأنّهم أتباع منهج السّلف، يتّبعون منهج السّلف؛ الكتاب والسنّة، على المنهج الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ؛ يفترِقون بذلك عن كل من يدّعي بالباطل أنّه من أهل السنة والجماعة.

فالاسم الحقيقي: أهل السنّة والجماعة؛ هذا ينطبق على من يتّبع الكتاب والسنّة بحق لا غير، ومن تسمّى بأنه أهل السنّة والجماعة، ولا يتّبع أهل السنّة؛ فقد تسمّى بالاسم من أجل أن يُلبّس على النّاس فقط.

قال :(**[١٠٧] وَمَنِ اقْتَصَرَ على سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ وما كانَ عليهِ أَصْحابُهُ والجَماعَةُ؛ فَلَجَ على أَهْلِ البِدَعِ كُلِّها، واسْتَرَاحَ بَدَنُهُ، وَسَلِمَ لَهُ دِينُهُ إن شاء الله؛ لأنّ رسولَ الله ﷺ قال: "سَتَفْتَرِقُ أُمَّتي"، وبَيَّنَ لنا رسولُ الله ﷺ النَّاجي منها؛ فقال: "ما كنتُ أنا**

عليهِ اليومَ وأصحابي"؛ فهذا هو الشِّفاءُ والبَيانُ والأَمْرُ الواضِحُ، والمَنارُ المُسْتَنيرُ، وقال رسول الله ﷺ: "إيّاكم والتعمُّقَ، وإيّاكم والتَّنطُّعَ، وعليكم بِدينكم العتيق")

قال: (وَمَنِ اقْتَصَرَ على سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ وما كانَ عليهِ أَصْحابُهُ والجَماعَةُ؛ فَلَجَ على أَهْلِ البِدَعِ كُلِّها) يعني من اتّبع كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، وانتهج منهج أصحاب النبي ﷺ؛ فقد انفصل وانقسم عن أهل البدع كلّهم؛ فصار هو في شِقّ وهم في شِقّ آخر.

قال: (واستراح بدنُه، وسلم له دينه إن شاء الله) ولكن ينتهج هذا المنهج بحق؛ لأنّ رسول الله ﷺ قال: "ستفترق أمّتي"، يعني الافتراق حاصل ولابدّ.

قال: (وبيّن لنا رسول الله ﷺ النّاجي منها؛ فقال :"ماكنت أنا عليه اليوم وأصحابي"، فهذا هو الشفاء والبيان والأمرُ الواضح، والمنارُ المُستنير، وقال رسول الله ﷺ: "إيّاكم والتعمُّق، وإيّاكم والتنطُّع، وعليكم بِدينكم العتيق"[(١)]) يعني: الزموا المنهج الحق الذي هو ما كان عليه النبي ﷺ، وما كان عليه أصحابه، واتركوا الطّرق الأخرى المخالفة؛ وقد بيّنا هذا كله فيما تقدّم من دروس، وبيّنا أنّ طريق الحق طريق واحد، وأنّ طرق الضلال كثيرة، وطريق الحق هو الطّريق الذي كان عليه أصحاب النّبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال: (إيّاكم والتّعمُّق): المبالغة، الغلو، التّعمّق والتنطع: الغلو، التّشدد، إياكم والتعمّق، إيّاكم والتنطّع؛ المعنى واحد.

---

(١) لم أقف عليه بهذا السياق مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قال: (وعليكم بدينكم العتيق) العتيق، يعني القديم؛ ما هو ديننا العتيق؟

الدّين الذي كان عليه النبي ﷺ، وعليه أصحاب رسول الله ﷺ، هذا المنهج الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى باتّباعه: {ومَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً}، {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالذين اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}؛ هَذَا هُوَ طرِيقُ الحَقّ؛ ودعْك بعد ذلك من بُنيَّات الطّريق.

قال: (**[١٠٨] واعْلَمْ أنَّ الدِّينَ العَتِيقَ: ما كانَ مِنْ وَفاةِ رسولِ الله ﷺ إلى قتلِ عُثْمانَ بنِ عفّانَ- رضي الله عنه-، وكانَ قَتْلُهُ أَوَّلَ الفُرْقةِ، وأوَّلَ الاخْتِلافِ؛ فَتَحارَبَتِ الأُمَّةُ، وتَفَرَّقَتِ، واتَّبَعَتِ الطَّمَعَ والأَهْواءَ، والمَيْلَ إلى الدُّنْيا، فَلَيْسَ لأَحَدٍ رُخْصَةٌ في شيءٍ أَحْدَثَهُ، مِمّا لَمْ يَكُنْ عليه أصحابُ رسولِ الله ﷺ، أو يَكونُ رَجُلٌ يدعو إلى شيءٍ أَحْدَثَهُ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ؛ فهوَ كَمَنْ أَحْدَثَهُ، فَمَنْ زَعَمَ ذلكِ أَوْ قالَ بِهِ؛ فَقَدْ رَدَّ السُّنَّةَ، وخَالَفَ الحَقَّ والجَماعَةَ، وأَباحَ البِدَعَ ، وهوَ أَضَرُّ على هذه الأُمَّةِ مِنْ إبْلِيسَ**)

يريد المؤلف الآن أن يُبيّن لك ما هو الدّين العتيق

فقال: (ما كان من وفاة رسول الله ﷺ إلى قتل عثمان بن عفّان- رضي الله عنه)؛ هذا هو الدّين العتيق: ما كان على عهد النّبي ﷺ، وعلى عهد الخلفاء الرّاشدين.

قال: (وكان قتله أوّلَ الفُرقة، وأوّلَ الاختلاف)، أي: قتل عثمان- رضي الله عنه- أوّل الفُرقة وأول الاختلاف بين المسلمين.

قال: (فتحاربت الأمّة، وتفرقت، واتّبعت الطمع والأهواء، والميل إلى الدّنيا، فليس لأحد رخصةً في شيءٍ أحْدثهُ) ليس لأحدٍ عذر في أن يُحدث في دين الله ما ليس منه.

قال: (ممّا لم يكن عليه أصحاب رسول الله ﷺ، أو يكون رجلٌ يدعو إلى شيءٍ أحدثه من قبله من أهل البدع)؛ يعني ليس لك رخصة في أن تَبتدِع في دِين الله ما ليس مِنه، وليس لك رخصة أيضاً في أن تتبع مبتدعاً في بدعته.

قال: (فهو كمن أحدثه) سواءً كنت أنت مُحدِث البدعة، أو كنت متّبعاً لمبتدعٍ؛ فحُكمُك واحد.

قال: (فمن زعم ذلك أو قال به؛ فقد ردّ السنّة، وخالف الحقّ والجماعة، وأباح البدع، وهو أضرّ على هذه الأمّة من إبليس) الذي يُروّج البدع، ويزهّد في السنن؛ هذا أضر على الأمة من إبليس؛ لأنّ إبليس الجميع يعرفه أنّه كافر ويريد به سوءً؛ فيحذَرْه، بخلاف هذا الشخص الذي يُلبّس على النّاس ويُغطّي الحق، ويُظهر الباطل بصورة الحق؛ فهذا ينخدع به الكثير من النّاس، فينجرفون وراءه؛ فهو أخطر عليهم من إبليس؛ ومن هنا يأتينا ما يعترض به الكثير من أهل البدع، عندما نُحذِّر من طائفة من أهل البدع؛ يأتيك شخص ويقول لك: لماذا لا تحذر من العلماني؟ لماذا لا تحذر من النُّصَيري؟ لماذا لا تُحذّر من اليهودي والنّصراني؟

عندما تُحذِّرهم من الإخواني، أو من الدّاعشي، أو من هذه الأشكال؛ يرد عليك مباشرة بمثل هذا؛ هذا جاهل؛ لو كان عندهُ شيء من العلم ما اعترَض بهذا الاعتراض؛ هل يوجد مسلم يمكن أن يغترّ باليهودي والنّصراني، ويعتقد أنّه على حق؟ المسلم بحق لا يحصل منه هذا؛ إلّا ما ندر؛ لكن إذا جاء للمسلم رجل في ثياب السنّة؛ ويقول له أنا صاحب سنّة، وأنا أريد أن أُرشدك إلى الكتاب والسنة، وهو حقيقةً كاذب؛ يدعو

إلى نفسه، ويدعو إلى هواه؛ فيُضلُّ العباد، وينحرف بهم عن الطّريق باسم الدّين، والشّرع، والسنَّة!

أيّهما أخطر ؟

الثاني هو الخطير على النّاس؛ الأوّل أمره ظاهر معروف، لا يحتاج إلى كثرة كلام ودندنة حول أمر معروف وظاهر عند النّاس؛ الذي يحتاج إلى كثرة الدندنة والتّحذير الكثير: هو الذي يُلبّس على الناس، ويظهر نفسه في صورة داعي الحق الذي يدعو النّاس إلى البصيرة وإلى الصّواب؛ وهو حقيقةً داعية ضلالة في صورة داعية السنّة؛ هذا أخطر على النّاس من ذاك؛ النّاس تنخدع بهذا الذي جاءهم بثياب الإسلام وبثياب السنّة، ولا تنخدع بالذي جاءهم بثياب اليهودية والنّصرانية؛ يَظهرُ كلام من اليهود والنّصارى يقولون الإسلام كذا والإسلام ليس بكذا؛ لا يسمع لهم النّاس ولا يبالون بهم؛ لكن عندما يظهر لهم شخص يقول لهم: أنا أدعوكم إلى الإسلام، أنا مسلم، أدعوكم إلى الحق، وهو في الحقيقة يخدعُهم؛ ينخدعون بمثل هذا؛ فالنّاس بحاجة إلى تحذيرهم من مثل هذا أكثر من حاجتهم إلى التّحذير من ذاك.

يعني عندما تحذّر من الإخواني؛ يكون الواجب عليك في التّحذير من الإخواني أعظم من الواجب عليك من التحذير من اليهودي والنّصراني؛ لأنّ اليهودي والنّصراني النّاس جميعاً تعرف أنه كافر؛ مُنته أمره، أما الإخواني يأتي للمسلمين بصورة الإسلام؛ وفي حقيقته يدعو إلى العلْمانية، يدعو إلى الدّيمقراطية، يدعو إلى وحدة الأدْيان، يدعو إلى التَجرّد من السُنن بتمييع دين الله سبحانه وتعالى، يدعو إلى خَلط التّوحيد بالشّرك، يدعو إلى صُوَرٍ كثيرة؛ أنواع من (الدّين الأمريكي) كما يُسمّى اليوم؛ هذا دين الإخوان؛ عندما يأتيك بهذه الصورة؛ يأتيك يتكلّم باسم الإسلام، ويأتي ويورد عليك الشبهات،

ويتعلّق بالمتشابهات من الكتاب والسنة؛ ستَغتر به، وستظن أنّه صاحب حق؛ لأنك لا علم عندك؛ فوجب عليّ أن أُبيّن حاله وأُدندن حوله أكثر من غيره؛ لهذا تجد أهل العلم يُكثرون من الكلام فيمن يدّعي السنّة، وفيمن يظهر بثوب الإسلام، وهو في الحقيقة يدعوهم إلى الضّلال؛ بل رُبّما يدعوهم إلى الكفر!

البعض يدعو إلى الكفر صراحة اليوم! والنّاس خلفه ماشون! التّحذير من أمثال هذا من أعظم الواجبات؛ أعظم وجوباً من التّحذير من اليهودي والنّصراني، ذاك لا ينخدع الناس به، وهذا ينخدع الناس به؛ لذلك قال المؤلّف هنا: هذا أعظم خطراً من إبليس؛ إبليس أمره ظاهر معروف؛ لكن مثل هذا أمره خفي عن النّاس.

قال المؤلف: (**[١٠٩] وَمَنْ عَرَفَ ما تَرَكَ أَصْحابُ البِدَعِ مِنَ السُّنَّةِ، وما فارَقوا فيهِ، فتَمَسَّكَ بِهِ؛ فَهُوَ صاحِبُ سُنَّةٍ، وصاحِبُ جَماعَةٍ، وَحَقيقٌ أَنْ يُتَّبَعَ، وَأَنْ يُعانَ، وَأَنْ يُحْفَظَ، وهو مِمَّن أَوْصى بِهِ رسولُ الله ﷺ**)

الأشعري ترك من السنّة: إثبات صفات الله سبحانه وتعالى، عرفت هذا منهم؛ إذن تمسّك بإثبات صفات الله.

عرفت من الإخواني تَجرُّده من السنّة؛ فتمسك بالسنّة؛ فأنت على السنة.

عرفت من القدري تكذيبه بالقدر؛ تمسّك بالإيمان بالقدر.

عرفت من الخارجي تمسّكه بتكفير المسلمين وسَفك دماءهم؛ فاعلمْ حُرمة دمّ المسلم، واعلم عظمة أن تُنزل حكم الكفر على المُعيَّن، واحذر من ذلك؛ إلا بالحق؛ تكون صاحب سنّة، فارقت البدعة؛ هذا معنى كلام المؤلّف؛ إذا عرفت بدعة المبتدع في تركه سنّة من السنن، وتمسكت بهذه السنّة؛ فأنت صاحب سنّة، وصاحب جماعة،

وحقيقٌ أن يُتّبع مثل هذا الشخص الذي يتمسّك بالسنن ويترك البدع؛ (حقيقٌ أن يُتّبع) يعني هو أحقّ من غيره بالاتبّاع، ويُتبع بحق.
قال: (وأن يُعان) على دعوته، لا أن يُحارَب حسداً.
قال: (وأن يُحفظ، وهو ممّن أوصى به رسول الله ﷺ)؛ أوصى النبي ﷺ النّاس بالتّمسك بمثل هذا، والأخذ عنه؛ لأنّه يدعو النّاس إلى الحق، وإلى التمسّك بسنة رسول الله ﷺ، يدعو الناس إلى التوحيد ونبذ الشّرك، يدعو النّاس إلى اتبّاع سنّة الرسول ﷺ وترك البدع والضّلالات، يدعو النّاس إلى الطّاعات وترك المعاصي؛ هذه دعوة أهل السنّة كاملة؛ التوحيد ونبذ الشرك، السنّة وترك البدع والمحدثات، الطّاعة وترك المعاصي؛ هذا ما نريد؛ وهذا هو دين الله كاملاً، وما يضادّه؛ تدعو إلى الحق وتُحذّر مِمّا يُضاد الحق.
سيبدأ بعد ذلك ببيان أصول أهل البدع ؛ نترُكها للدرس القادم إن شاء الله
ونكتفي بهذا القدر. والحمد لله.

الحمد لله ، والصّلاة والسّلام على رسول الله؛ أمّا بعد :
قال المؤلّف - رحمه الله - :(**[١١٠] واعلم أنّ أصول البِدع أربعة أبوابٍ؛ يتشعّب من هذه الأربعة اثنان وسبعون هوًى، ثمّ يصير كلّ واحدٍ من البِدع يتشعّب حتّى تَصير كلّها إلى ألفَين وثمانٍ مئة؛ كلّها ضلالة، وكلّها في النّار إلّا واحدة؛ وهو من آمن بما في هذا الكتاب واعتقده من غير ريبةٍ في قلبه ولا شُكُوكٍ فهو صاحب سنّة، وهو النّاجي إن شاء الله**)

(أصول البِدع): المراد بالبدع المُحدثات، وأصولُها: يعني أساسها؛ وبقية البدع تفرّعت عنها.

يقول المؤلّف: أصول البِدع أربعة؛ فأوّل المحدثات التي حَدثت في دين الله تبارك وتعالى كانت أربع بدَع، وقال النّبي ﷺ: "ستفترق هذه الأمّة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة ؛ كلّها في النّار إلّا واحدة"، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "الجماعة"، وفي رواية: "ما أنا عليه وأصحابي"، إذاً بيَّن النّبي ﷺ هنا أنّ هذه الأمّة ستفترق ولابدّ، وأنّ فِرق الضّلال اثنان وسبعون فرقة؛ أصول هذه الفرق وأساساتُها هي أربعُ فِرق؛ تشعّبت عنها فِرق كثيرة:

الفرقة الأولى: فرقة الخوارج: هذه الفرقة أول خروجها كان في عهد النّبي ﷺ ؛ فأساسها ذاك الرّجل الذي قال للنّبي ﷺ: "اعدِل يا محمَّد!"، فكان خُروجُهم على النّبي ﷺ من أجل المال، من أجل الدّنيا، وكان النّبي ﷺ يُفرّق مالاً؛ فرَّق هذا المال بطريقة حكيمة، ولم يُعطِ بالتّساوي؛ فظنّ هذا الرجل أنّ هذا ليس بعدل؛ فقال: "اعدِل يا محمّد" ؛ يتّهِم النّبي ﷺ بالجَور، فكان خروجه على النّبي ﷺ في تلك اللحظة، واستُأذِن النبي ﷺ في قتل هذا الرّجل؛ فقال: "نُهيت عن قتل المصلي لكن يخرج من ضئضئ هذا أقوامٌ يحقر أحدكم صلاته إلى صلاته، وصيامه إلى صيامه، وقراءته إلى قراءته؛ يقرؤون القرآن لا يُجاوز حناجِرهم"؛ يخرج من ضئضئه: يعني من أصْله.

وخرج الخوارج بعد ذلك في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

وفرقة الخوارج هذه؛ صفتُها التي تميّز بها عن البقيّة: ما ذكرها به النبي ﷺ ؛ فقال: "يقتلون أهل الإسلام، ويدعُون أهل الأوثان"؛ هذه علامة الخوارج: تكفير المسلمين، واستباحة دماءهم؛ بِغضّ النّظر عن سبب التكفير؛ المهم في الموضوع أنّهم يكفّرون المسلمين بغير مكفر، ويستبيحون دماءهم، وهم اليوم يكفّرون المسلمين بمسألة التّولّي، وسَّعُوا مسألة التولّي توسيعاً شديداً؛ حتّى إنّهم أدخلوا أكثر النّاس في هذه القضيّة، وكفّروهم بسببِ ذلك؛ يكفِرون الحكَّام، ثمّ بعد ذلك يُكفّرون من والَى الحُكّام؛ وطبعاً عندهم من والى الحكّام: الجيش، والشرطة، والأمن، والدفاع المدني؛ كل من عمِل في دائرة حكوميّة؛ فهو كافر؛ لأنّه متولّي للكفار؛ فبِذلك لا ينجو من تكفيرهم إلّا النادر، فهذا التّكفير هو وسيلتُهم إلى استباحة دماء المسلمين؛ هذه علامتُهم فيخرجون على الحكّام؛ سواء كان الحاكم مسلماً أو كافراً، جائراً، أو عادلاً؛ ليس عندهم فرق؛ فيكفّرونه ويكفّرون من حوْلَهُ ثمّ يبدؤُون بِسفكِ الدّماء؛ هذه علامة الخوارج.

ويضادّ هذه الفرقة: فرقة المُرجئة؛ وهي الفرقة الثانية؛ وهي الفِرقة التي أخرجت الأعمال عن مسمّى الإيمان؛ هذه علامتُها: إخرَاجُ الأعمال عن مسمّى الإيمان؛ يعني عندهم الإيمان يتحقّق ويوجد من غير أعمال، ويكتمِل من غير أعمال، فيكون الشّخص مؤمناً كإيمان جبريل من غير عمل، فلا يُفرّقون بين إيمان جبريل، وإيمان أفْسَق الفاسقين؛ هذا هو دينُهم، وهذه هي طريقتُهم: ويُزهّدون في العمل، فإذا قلت: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) خلاص انتهى الأمر؛ أنت وأبو بكر في منزلة واحدة؛ والعمل ليس مُهمّاً؛ هذه الفِرقة فرقة المرجئة.

والفرقة الثّالثة: فرقة الشّيعة: وهذه الفرقة ظهرت بعد قتل عثمان رضي الله عنه؛ الذين قتلوا عثمان خرجوا عليه؛ سَفكوا دمّه: جماعة من الخوارج، ثم بعد ذلك ظهر التشيُّع.

وأصل تسمية الشّيعة: شيعة الرجل: هم جماعته، لكن هي فِرقة من الفرق التي شايعت علي رضي الله عنه، وقد تفرَّعت هذه الفِرق إلى فرق كثيرة، أهونُها وأقلُّها: الذين يقولون علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان- فقط- ويقفون عند هذا؛ لا يكفِّرون، ولا يُضلّلون؛ هذه أهون فرق الشّيعة؛ كانت في الزّمن الأول.

ثم بعد ذلك تطوّر بهم الحال ووَصل بهم الأمر إلى تكفير أبي بكر، وعمر ، وعثمان رضي الله عنه، وتفسيقهم، ودعوى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أولى بالخلافة من كل هؤلاء ، وأنّهم اغتصبوا الخلافة منه اغتصاباً ، إلى أن غلا بعضهم وقال: علي بن أبي طالب إله-قالوا: أنت الله- فأمر علي قنبر؛ فشقَّ الخدود وحرّقهم بالنّار، ولمّا فعل ذلك؛ أنكر عليه ابن عبّاس وقال :"لو كنت أنا ما فعلتُ ذلك"؛ لأنّ النبي ﷺ قال: "لا يعذّب بالنّار إلا ربّ النّار"؛ فلم يكن عليّ قد سمِع بهذا الحديث؛ ولمّا سمِع به توقّف عن التّحريق.

المهم أنّهم فِرَق كما ذكرنا؛ بعضهم كان يقتصر على التفضيل، البعض قال: علي هو وصيّ الرّسول، وهو أحقُّ بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان، وأنّ أبا بكر وعمر وعثمان قد اغتصبوا الخلافة منه، وطائفة أخرى قالوا: الرّسالة كان ينبغي أن تنزل على عليّ ونزلت على محمّد؛ لأنّ جبريل خانَ الرّسالة، والطائفة الأخيرة التي ذكرناها بأنّهم يقولون: علي إله،

وهم طوائف كثيرة جدّاً، والطّائفة الشّهيرة الموجودة اليوم: هي طائفة الرّافضة، الذين يُقال لهم: الاثنا عَشريّة؛ لأنهم يزعمون أنه يوجد اثنا عشر إماماً مَعصومون، ولَهم الخلافة، ويجعلُونهم بِمنزلة الأنبياء؛ بل هم يعبدونه مع الله سبحانَه وتعالى.

واختلف العلماء في سبب تسميتهم بالرافضة؛ فقال البعض: لِأنّهم رفضوا زيداً عندما سُئِل عن أبي بكر وعمر؛ فقال: "همَا وزِيرَا جدِّي" فرفضته طائفة، وهؤلاء هم الرّافضة، بينما تولَّته طائفة ثانية؛ وهم الزَّيدِيَّة المَوْجودون الآن في اليَمن؛ فانقسموا إلى قِسميْن: الزَّيْديَّة والرّافضة.

فالرّافضة هؤلاء المَوجودون في بلاد العراق، ولبنان، والبَحريْن، والسّعودية، وفي غيرها؛

وهؤلاء الكفار بِعدَّة أمُور وليس بأمرٍ واحدٍ:

فهم يدِينون الله بتحريف كتاب الله؛ فيقولون القرآن مُحرّف، ويَرمُونَ عائشة بالزِّنا، ويعبدون ويُؤلِّهون آل بيت النّبي ﷺ ، ولهم طامّاتٍ أخرى؛ ذكرتُ الكثير مِنها في رسالة "الحقيقة الشّرعية في بيان كُفر الشّيعة الإماميّة".

والطّائفة الثّانية المَوجُودة هي طائفة الزّيْديَّة، وهؤلاء أيضاً من عُبّاد القبور؛ يعبدون القبور كعبادة الصّوفية تماماً، وإن كانوا أحسن حالاً من الرّافضة.

ويوجد أيضاً من الشّيعة: النُّصيْريّة الذين يقال لهم اليوم: العَلويُّون! وهذه التّسمية خطأ؛ فإنما هم: نُصيرية؛ أتباع محمد بن النُّصَيْر، هؤلاء الذين يقولون: عليّ هو الله سبحانه وتعالى؛ هو إله، ويعبدونه صراحةً، ومنهم حافظ الأسد، وبشار الأسد وهذه الشلَّة، وهم مَوجودون في سوريا وتُركيا أيضاً، وفي غيرِها من بلاد العالم.

فكل هؤلاء من الشّيعة.

ويوجد أيضاً الإسماعيلية؛ كُفرهم أيضاً لا يبعد عن كفر النُّصيريَّة، وهؤلاء مَوجودون في نجران في السّعودية.

وفِرقٌ كثيرة جدّاً؛ هذه فرقة الشيعة.

والفرقة الرّابعة التي يتحدّث عنها المؤلّف: فرقة القدريّة

القدرية: هؤلاء الذين يقولون: أنّه لا قدر؛ الله سبحانه وتعالى لمْ يقدِّر شيئاً؛ فينفُون القدر، وقد خرجوا في آخر عهد الصحابة رضي الله عنهم، ولمّا نُقِل خبرُهم لابن عمر؛ قال: "أعلِمْهم أنّي بريء منهم وأنهم منّي بُرآء؛ حتّى يؤمنوا بالقدر خيره وشرّه".

وهؤلاء القدرية أيضاً أصناف:

منهم الغلاة الذين كانوا ينفون العلم؛ يقولون الله لا يعلم الأشياء قبل كَوْنِها؛ هؤلاء كفّار، وقد انقرضوا تقريباً.

وطائفة أخرى تُثبت العلم؛ لكنهم يقولون: أفعال العباد غير مخلوقة لله عز وجل؛ الله لم يخلُقها.

وطائفة ثالثة: يُسمَّون الجبريَّة يدخلون ضمن القدرية؛ وهم الذين يقولون: العبد مجبور على أفعاله ليس لَه اختيار، وحركاتُه وتصرّفاته بمنزلة حركة أوراق الشجر بِمَهبّ الرّيح.

هذه هي الفِرق الأربعة التي عَناها المؤلف رحمه الله بأنّ أصول البدع أربعة أبواب، يتشعَّب من هذه الأربعة: الاثنان وسبعون فرقة التي ذكرها النبي ﷺ في الحديث.

وقد حاول العلماء جمع هذه الفرق والكلام عليْها في كتب مستقلّة؛ منها كتاب "مقالات الإسلاميين" لأبي الحسن الأشعري، وهو تقريباً أنفسُها، ويقرر أبو الحسن الأشعري في هذا الكتاب عقيدة أهل السنّة والجماعة، أثناء كلامه عن عقيدة أهل الحديث

ومنهج أهل الحديث، وذكر في كتابه هذا الفِرق وأقوال الفِرق الكثيرة المُتشعّبة، وهناك كتاب آخر اسمه "الفَرْق بين الفِرق" وهو من الكتب التي حاول أصحابها أن يذكروا الاثنتيْن والسّبعين فرقة التي ذكرها النّبي ﷺ ؛ لكن صاحب الكتاب- وهو البغدادي- أشعري، والأشاعرة إذا تكلموا على الفِرق يقلبون؛ فحتّى أهل السنةِ يجعلونهم من الاثنتَين وسبعين فرقة، ويقرّر عقيدته على أنّها عقيدة الطّائفة المنصورة.

والأشاعرة عندهم ضلال في باب الأسماء والصّفات؛ فهم في هذا الباب: جهميّة؛ معطّلة،

وفي باب الإيمان: هم مرجئة؛ فهم:

إمّا أن يكونوا من جمهور المرجئة؛ الذين يقولون: الإيمان هو اعتقاد القلب فقط، أو أن يكونوا من مرجئة الفقهاء الذين يقولون: الإيمان اعتقاد بالقلب، وقول باللّسان فقط؛ لأنّ المرجئة أصناف:

أهْونُهم: هم مُرجئة الفقهاء الذين يقولون: الإيمان اعتقاد وقول.

ثمّ تأتي الفرقة التي بعدها: وهي التي تقول: الإيمان اعتقاد.

ثمّ أشدّها انحرافاً: وهي التي تقول: الإيمان مجرّد المعرفة.

وكلّهم يجتمعون على قول واحد: وهو أنّ الأعمال ليست من الإيمان؛ أعمال الجوارح ليست من الإيمان، فالأشاعرة إمّا من الذين يقولون الإيمان هو اعتقاد، أو من الذين يقولون الإيمان اعتقاد وقول؛ مرجئة الفقهاء أو جمهور؛ هذا في باب الإيمان.

وفي باب الأسماء والصّفات قُلنا: هم جهميَّة، وفي باب القدر هم جبريّة؛ هذا الغالب على الأشاعرة.

ويوجد أيضاً من الكتب التي أُلِّفت في الفِرق: كتاب "المِلل والنِّحل" لابن حزم، ولم ابن حزم يكن على عقيدة أهل السنة والجماعة طبعاً؛ بل قال بعض العلماء: إنّه جهميّ. وهناك كتاب آخر اسمه: " المِلل والنِّحل"- بنفس الاسم- للشهرستاني، كذلك هذا لم يكن على عقيدة أهل السنّة والجماعة.

ويوجد من الكتب المتأخرة: "الموسوعة الميسّرة في بيان الأديان والفرق والجماعات" وهذا الكتاب ذَكر فيه صاحبُه فِرقاً معاصرة كثيرة؛ إلّا أن صاحب الكتاب قُطبي؛ فلذلك عندما يأتي ذكر الإخوان أو السروريّة وما شابه؛ يُلَملِم هذه الفرق.

وكذلك هنالك كتاب آخر اسمه: "الجماعات الإسلامية"، وهو كتاب بالجملة جيّد؛ لكنّ صاحبه ليس بجيّد.

قال :(ثمّ يصير كلّ واحدٍ من البدع يتشعّب؛ حتى تصير كلُّها إلى ألفيْن وثماني مائة) لا أدري هذا الرقم من أين جاء؟! لا أّعرف له أصلاً، الرقم الذي ثبت عندنا هو الذي ذكرناه: ثنتَيْن وسبعين فرقة؛ ذكرها النبي ﷺ.

قال: (وكلّها في النّار إلّا واحدة) كما قال عليه الصلاة والسلام: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة"، والكلام هنا طبعاً عن افتراق هذه الأمّة؛ يعني إذا كانت الفِرقة كافرة؛ فلا تدخل ضمن هذه الحسابات؛ بل تُوضّع على جنب، فرقة الجهمية لا تُدخلها في هذه الحِسبَة فرقة الصّوفيّة لا تدخلها في هذه الحِسبة، كذلك الرّافضة؛ ومن شابه من هذه الفرق التي وقعت في نواقض الإسلام؛ هذه لا تدخل في هذا الموضوع؛ نحن نتكلم فقط عن الفِرق الإسلاميّة.

ثم يريد المؤلف أن يُبيّن لنا هذه الواحدة؛ من هي؟

قال: (وهو من آمن بما في هذا الكتاب)؛ هذا هو الذي يكون من الفرقة النّاجية: (من آمن بما في هذا الكتاب) من عقيدة قرّرْناها فيما تقدّم، (واعتقده من غير رِيبةٍ في قلبه) يعني من غير أن يكون في نفسه شكٌّ من عقيدته؛ لأنّ الواجب على المؤمن أن يؤمن بكتاب الله وبسنّة رسول الله ﷺ ، والشّاك ليس مؤمناً، ما آمن؛ الإيمان لابدّ أن يكون فيه تصديق، فإذا لم تصدق بالشيء؛ فأنت مكذّب له؛ سواء كُنت أيْقنتَ بالكذب أو شككت في المعلومة؛ فأنت غير مؤمن على جميع الأحوال.

وهذا الذي ذكر لك في هذا الكتاب: أكْثره ممّا نُصّ عليه نصوصاً واضحات مُحكمات؛ فما الذي يمنعُك أن تؤمن به، وأن تقف عند دائرة الشّك؛ وقد جاءتْك الآيات البيّنات الواضحات؟

قال: (واعتقدَه من غير ريبة في قلبه، ولا شكوك؛ فهو صاحب سنّة، وهو النّاجي إن شاء الله)، فمن اعتقد هذه العقيدة التي بين أيدينا في هذا الكتاب، والتزم بِما كان عليه سلف الأمّة رضي الله عنهم؛ فهو الذي ينجو؛ فقد قالها النبي ﷺ صريحةً: "ما أنا عليه وأصحابي"، فمن اعتقد هذه العقيدة التي قالها المؤلّف؛ فهو من هذه الطائفة ؛ لأنّ هذه العقيدة هي التي أُخذت عن الصّحابة رضِي الله عنهم؛ فهذا المؤلّف أخذ عن تلاميذ الإمام أحمد، وتلاميذ الإمام أحمد أخذوا عن الإمام أحمد، وأخذ الإمام أحمد عن أئمة الهدى في زمنِه من أتباع التّابعين، ثمّ أئمة الهدى هؤلاء قد أخذوا عمّن قبلهم، ومن قبلهم عمّن قبلهم؛ وهكذا، وكانت الأمُور واضحة، صافية، نقيّة والحمد لله؛ إلى أن ظهر قرن أهل الضّلال وبدأت تنتشر البدع؛ فسطّر المؤلفُ ما أخذه بالإسناد عن أصحاب النّبي ﷺ.

ثمّ قال ـ رحمه الله ـ :(**[١١١] واعلمْ أنّ النّاسَ لو وقفوا عندَ مُحدَثاتِ الأُمورِ، ولم يَتجاوزوها بشيءٍ، ولم يُوَلّدوا كلاماً مِمّا لم يجئْ فيه أثرٌ عن رسول الله ﷺ ، ولا عن أصحابه؛ لم تكن بدعةٌ**)

يعني لو أنّ النّاس عندما سمِعوا ببدعة أو مُحدثة؛ وقفوا عندها، ولم يدخلوا فيها، ولم يخوضوا في هذه البدعة، ولم يحمِلوها، ولم يُدنْدِنوا بها، (ولم يتجاوزوها بشيء، ولم يولّدوا كلاماً)؛ لم يُحدِثوا أشياء جديدة لم تكن في عهد سلفهم الصّالح؛ أي: لم يُحدثوا كلاماً، (مما لم يجئ عن) النبي ﷺ فيه شيء (ولا عن أصحابه)، لو أنّهم وقفوا هذا الموقف؛ لمَا كانت بدعة؛ لمَا وُجدت بدع ولا مُحدثات، لو أنّ النّاس اكتفُوا بكتاب الله وبسنّة الرّسول ﷺ ؛ قالوا بما فيهما، وسكّتوا عمّا ليس فيهما؛ لبَقُوا ناجين، بعِيدين عن الدّخول في الأهواء والبدع؛ ولمَا أُحدِثت البدع.

قال: (**[١١٢]واعلمْ أنَّهُ لَيْسَ بينَ العَبْدِ وبَيْنَ أَنْ يكونَ مؤمناً، حَتى يصيرَ كافراً؛ إلَّا أَنْ يَجْحَدَ شيئاً مّما أنزلَهُ الله، أو يَزِيدَ في كلامَ اللهِ، أَوْ يَنْقُصَ، أو يُنْكِرَ شيئاً مما قال الله عز وجل، أو شيئاً مما تَكَلَّمَ به رسولُ الله ﷺ ؛ فاتّقِ اللهَ - رحمك الله-، وانْظُرْ لِنَفْسِكَ، وإِياكَ والغُلُوَّ في الدِّينِ؛ فإنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَرِيقِ الحَقّ في شيء**)

يذكر المؤلّف الآن بعض نواقض الإسلام؛ فيقول:

(ليس بين العبد وبين أن يكون مؤمناً حتّى يصير كافراً إلّا أن يجحد شيئاً ممّا أنزله الله)، يعني العبد يكون مؤمناً، فإذا جحد شيئاً ممّا أنزله الله؛ صار كافراً.

هذا معنى كلامه؛ إذاً الإيمان ليس ثوباً ترْتدِيه ولا يُخلع أبداً؛ لا؛ الإيمان يُرتدَى ويُخلع؛ فالعبد "يُصبح مؤمناً ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويصبح كافراً؛ يبيع دينه بعرض من الدّنيا" كما قال النّبي ﷺ ، فمن ظنّ أنّه إذا قال: "لا إله إلّا الله محمّد رسول الله" قد جعل لنفسِه ساتراً عن جميع أنواع الكفر، وخلاص؛ يفعل ما يشاء، ويقول ما يشاء، ويعتقد ما يشاء؛ فهو مخطئ؛ قد كَفَّرَ الله سبحانه وتعالى رجلاً بكلمة قالها: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }، لحظة، كفر، كان مؤمناً؛ وصار كافراً.

الإيمان: اعتقاد وقول وعمل، والكفر اعتقاد وقول وعمل، فكما أنّك تكون مؤمناً باعتقادك وقولك وعملك؛ فكذلك تكون كافراً باعتقادك وقولك وعملك؛ فانتبِه لنفسك، واعرف ما هو الإيمان، وما هو الكفر؛ حتّى تأخذ بالإيمان، وتترُك الكفر وتحذر منه، فإذا لم تتعلّم؛ وقعت في المَحذور؛ وربّما تُعذَر وربّما لا تُعذر، الله أعلم؛ حسب حالِك، وهذا الرجل كان يخوضُ ويلعب؛ قال: {إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبْ قُلْ أَبِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَ آيَاتِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}.

هاهنا المؤلّف يقول لنا: ليس بين المؤمن أن يكون كافراً إلّا أن يجحد شيئاً ممّا أنزله الله سبحانه وتعالى، فإذا كذّب بشيءٍ ممّا أنزله الله؛ صار كافراً، فإذا أجمعوا على حرف في كتاب الله، تُكذّب به؛ تكون كافراً، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "من كفر بكلمة في القرآن؛ فقد كفر بالقرآن كلّه".

قال: (أو يزيد في كلام الله أو ينقُص) يأتي بآيات من عنده؛ يزيد في كلام الله ما ليس منه، ويدّعي أنّه من عند الله، أو يحذف منه؛ كلّ هذا من أنواع الكفر التي يكون الشخص مؤمناً ثمّ يصير بها كافراً.

قال: (أو يُنكر شيئاً ممّا قال الله عزّ وجل، أو شيئاً ممّا تكلّم به الرسول ﷺ) يعلم أنّ النبي قال هذا الشيء ثمّ ينكره؛ كفر.

قال: (فاتّقِ الله رحمك الله، وانظر لنفسك، وإيّاك والغلوَ في الدّين؛ فإنّه ليس من طريق الحق في شيء) يحذّر المؤلّف من الغلو في الدّين، وهذا أمر قد حذّرنا منه ربّنا تبارك وتعالى، وحذّرنا منه رسولُنا ﷺ، وحذّرنا منه سلفُنا الصّالح رضي الله عنهم؛ لأنّه خطير يُفسِد عليك دينَك، ويضيّعه عليك، قال الله تبارك وتعالى: {يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُو فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّاَ الحَقْ}؛ نهى الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدّين، وقال النّبي ﷺ: "إيّاكم والغلو في الدّينْ؛ فإنّما أهلك من كان قبلكُم الغلو في الدّين"، وقال ﷺ عندما جاءه رجال وقالوا له أنت سيّدنا ورسولنا وأرادوا أن يُثنوا؛ قال: "قولوا بقولكم أو ببعض قولكم؛ ولايَستَهْوِيَنّكم الشيطان"؛ احذروا أن تقعوا في ما يجرُّكم إليه الشيطان من الهوى؛ "إنّما أنا عبد الله ورسولُه"؛ إغلاق لبابٍ الغلو تماماً؛ "لا تفعلوا كما فعلت النصارى بعيسى عليه السلام"؛ غلوّا في عيسى حتّى جعلوه ابناً لله، جعلوه إلهاً مع الله، الغلو الذي أهلكَهم؛ "إنّما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدّين"؛ هذا تحذير منه.

وكما أنّنا حُذّرْنا من الغلو؛ كذلك حُذّرنا من خِلافه وهو التّقصير؛ المُيُوعة الزائد، يقول موسى بن أبي عائشة- أحد علماء السّلف رضي الله عنه-؛ قال : "ما أمر الله سبحانه بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلوّ"، ثم انظر ما قال بعد ذلك؛ قال: "و لا يُبالي بأيّهما ظفر" ليس مهماً عنده ما يحصل منك؛ أيحصل على الغلو أو على التّقصير؛ كله منك بالنسبة له مكسب؛ إمّا الغلو؛ وهو

مجاوزة الحد، أو التقصير فلا تعطي الشيء حقّه، عيسى عليه السلام؛ قالت النّصارى فيه: ابن الله؛ إله مع الله، اليهود قالوا ابن زنا؛ الغلو قابله التقصير؛ ما أعطوْه حقّه؛ أنزلوه عن حقه، وأولئك غلوا فيه ورفعوه عن حقه، واحرص أنت دائماً على التوسّط والاعتدال في كلّ شيء، واحذر أن تقع في خلافهما، الكل اليوم يدِّعي أنّه من أهل الاعتدال، أنه من أهل التوسّط، وأنّه يدعو إلى الإسلام السمّح؛ إلى الإسلام المعتدل، أصحاب الغلو يدّعون هذا، وأصحاب التّقصير يدّعونه، والمُعْتدلون يقولون به، وبقيَ عليك أن تختار؛ كيف ستُفرّق بين هذا وذاك والآخر؟ عندك الآن في السّاحة كل هذا؛ أهل الغلو يقولون لك نحن أهل الاعتدال، وأهل التقصير يقولون لك نحن أهل الاعتدال، ونحن الذين ندعوا إلى الإسلام السّمح الوسط؛ الغلاة، والمميّعة المقصّرون، والمعتدلون؛ كلّهم يدعوا إلى ذلك؛ فكيف ستميّز؟ ما هو الضّابط الذي تستطيع أن تميّز فيه بين أقوال القوم ودعاويهم؟

بالكتاب والسنّة؛ هذا هو الضّابط؛ القرآن والسنّة وعلى نفس منهج السّلف الصّالح رضي اللهم عنهم؛ الصّحابة ومن اتّبعهم بإحسان كما أمر الله؛ فقط؛ هذا هو الميزان.

الموضوع المهم عندك أن تعرف الميزان؛ هذا صاحب الغلو يدّعي أنّه معتدل، وصاحب التّقصير يدّعي أنّه معتدل، والمعتدل يدّعي أنّه معتدل؛ كيف ستُميّز بينهم؟

اعرض أقوالهم وأفعالهم على كتاب الله، وعلى سنّة رسول الله، وعلى منهج أصحاب رسول الله ﷺ ؛ ستعرِف الصّادق من الكاذب؛ هذا هو الميزان.

ثمّ قال رحمه الله : ([١١٣] وجميع ما وصفت لك في هذا الكتاب، فهو عن الله، وعن رسول الله ﷺ، وعن أصحابه وعن التابعين، والقرن الثالث إلى القرن الرابع)

يقول لك المؤلّف: أنّ كلّ ما ذكرتُه لك في هذا الكتاب ليس لي منه شيء ؛ ليس كلامي من عندي؛ بل هو في كتاب الله، وفي سنّة رسول الله، وعن أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم وعمن اتّبعهم بإحسان، إلى القرن الرّابع الذي هو فيه؛ هذا الذي ذكرناه لكم سابقاً، المؤلف لم يأت بشيء من عنده؛ إنما أخذ هذه العقيدة كابراً عن كابرٍ، هذه هي طريقته؛ فلم يأت بشيء من عنده.

قال :(فاتَّقِ اللهَ يا عبد الله! وعليكَ بالتَّصْديقِ والتَّسْليمِ والتَّفْويضِ والرضى لما في هذا الكتاب، ولا تَكْتُمْ هذا الكتابَ أَحَدَاً مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ؛ فَعَسَى يَرُدَّ اللهُ بهِ حيراناً عَنْ حيرَتِهِ، أو صاحِبَ بِدْعَةٍ عَنْ بِدْعَتِهِ، أَوْ ضالاً عَنْ ضَلَالَتِهِ؛ فينجو به، فاتقِ اللهَ، وَعَلَيْكَ بالأمرِ الأَوَّلِ العتيقِ، وهُوَ ما وَصَفْتُ لك في هذا الكتابِ، فَرَحِمَ اللهُ عَبْداً ورَحِمَ والديهِ؛ قرأ هذا الكتابَ، وَبَثَّهُ، وَعَمِلَ بهِ، ودَعا إِلَيْهِ، وَاحْتَجَّ بِهِ؛ فإِنَّهُ دينِ اللهِ ودين رسول الله ﷺ)

يأمرك المؤلف بتقوى الله، وتقوى الله: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية؛ ما يقيك، ما يمنعك منه، وما الذي يمنعُك من عذاب الله ؟

طاعة الله، تفرّ من الله إلى الله؛ فقط، أطِعْ الله، واجتنب معصيته؛ تكُن متّقياً، فاتّق الله في نفسك، التزم بما قال لك المؤلّف في هذا الكتاب؛ بكتاب الله، وبسنّة رسول الله ﷺ، وبمنهج أصحاب رسول الله ﷺ.

قال: (وعليك بالتّصديق، والتّسليم، والتفويض، والرّضا لِما في هذا الكتاب) تُصدّق بما فيه ولا تكذّب، ولا تكون شاكّاً فيه، وتُسلِّم؛ لا تنازع ولا تُعارِض، وتفوّض ما يحتاج

إلى التّفويض إلى الله سبحانه وتعالى، وترضى بما فيه، ولا تكن ساخطاً عليه؛ متسخّطاً.

قال: (ولا تكتم هذا الكتاب أحداً من أهل القبلة) يعني انْصح النّاس، والمؤلّف يحثّك على ذلك لا لِأجل أنّه كتابه؛ لا؛ ولكن لأنّ ما فيه حقّ يجب اتبّاعه؛ فيقول لك: بيّن للنّاس هذا الحق، ولا تكتم هذا الكتاب عن أهل القبلة، ودُلَّهم عليه وأعطهم إيِاه.

قال: (فعسى أن يردّ الله به حَيراناً عن حِيرته) ربّما يوجد إنسان حائر تائه، واليوم هذا كثير وكثير جدّاً؛ الذين يقعون في الحيرة وفي التيهان، بسبب ما نراه اليوم من أحداث ومن آراء وأقوال وأفعال، الذين يقعون في الحَيرة كثيرون، فرُبّما إن أرْشدْت عبداً لهذا الكتاب؛ أن يهديه الله، وأن يُزيل الحَيْرة عنه.

قال: (أو صاحب بدعة عن بدعتِه) ربُما صاحب بدعة يقرأ هذا الكتاب فيجعله الله سبحانه وتعالى سبباً في ردعه عن بدعتِه، ورجوعه الى الحق.

قال: (أو ضالًّا عن ضلالته) ربّما يكون إنسان قد انحرف وضلَّ عن طريق الحق، فيقرأ هذا الكتاب؛ فيعود إلى طريق النجاة.

قال: (فاتَّق الله، وعليك بالأمر الأوّل العتيق) الأمر الأول العتيق هو: القديم؛ الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ.

قال: (وهو ما وصفْت لَك في هذا الكتاب)؛ وهو ما كان عليه أصحاب النّبي ﷺ ؛ وهو الأمر الأول؛ الأمر العتيق.

قال: (فرحِم الله عبداً ورحم والديْه؛ قرأ هذا الكتاب وبثّه، وعمل به) نسأل الله أن يجعلنا ممّن دخلوا ضمن دعوة المؤلف رحمه الله؛ قرأنا هذا الكتاب ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للعملِ به وإلى نشره.

قال: (ودعا إليه) دعا النّاس إلى قراءة هذا الكتاب، وإلى الإيمان بما فيه، والعمل به.

قال: (واحتجّ به) على أهل الضّلال، وبيّن الحق الذي فيه.

قال: (فإنّه دين الله، ودين رسول الله ﷺ) يعني يقولك لك: أنا لا أقول لكَ هذا الكلام كلّه لأنّه كتابي؛ لا؛ ولكن لأنّه دين الله ودين رسوله ﷺ

قال: (**فإنه من استحل شيئا خلاف ما في هذا الكتاب، فإنه ليس يدين لله بدين، وقد رده كله، كما لو أن عبداً آمن بجميع ما قال الله عز وجل، إلا أنه شك في حرف فقد رد جميع ما قال الله تعالى، وهو كافر، كما أن شهادة: أن لا إله إلا الله، لا تقبل من صاحبها؛ إلا بصدق النية وخالص اليقين، كذلك لا يقبل الله شيئاً من السنة في ترك بعضٍ، ومن ترك من السنة شيئاً؛ فقد ترك السنة كلها؛ فعليك بالقبول، ودع عنك المماحَلَةَ واللجاجة؛ فإنه ليس من دين الله في شيء، وزمانُك خاصَّة زمان سوء؛ فاتق الله**)

من خرج عن منهج أهل السنة والجماعة الذي بيّنه المؤلف في هذا الكتاب، والذي هو مُقرّر ومَوجود في كتب الاعتقاد -كتب اعتقاد أهل السنّة والجماعة- من خرج عن هذا المنهج؛ فهذا قد دان بغير دين الله سبحانه وتعالى الذي أراده الله سبحانه وتعالى منه؛ قال: (فإنّه ليس يدين لله بدين الحق، وقد ردّه كلّه)؛ لأنّه من ردّ أمراً واحداً من أمر الله سبحانه وتعالى؛ فقد ردّ أمرَ الله تبارك وتعالى كلّه.

قال: (كما لو أنّ عبداً آمن بجميع ما قال الله عز وجل، إلّا أنّه شكّ في حرف؛ فقد ردّ جميع ما قال الله تعالى، وهو كافر) يعني هذا مثل هذا، فإذا أنت ضَلَلت في باب من أبواب الاعتقاد؛ فقد خرجت عن أهل السنّة والجماعة؛ هذا معنى كلام المؤلّف، فلا يكون الشخص سنّيّاً حتّى تجتمع خصال السنّة فيه، فإذا خالف في مسألة من مسائل أهل السنّة والجماعة؛ فهو ليس منهم؛ هذا المعنى الذي يُريده المؤلف، فلا يأتي شخص يتفَلْسَف ويقول: فلان خالف في مسألة، مسألتين، ثلاثة، أربعة! المسألة ليست مسألة عَدٍّ؛ القضية قضية ما هي صفة المسألة التي خالف فيها، وليست بعدد المسائل التي خالف فيها؛ تنبّه لهذا! فهناك فرق.

والمؤلف يقول: لو خالف في مسألة واحدة؛ لم يكن من أهل هذا الدّين الصّحيح؛ يعني خرج عن دائرة أهل السنّة والجماعة، كما أنّه لو شكّ في حرف من كتاب الله تبارك وتعالى، ورَدّه؛ فقد رَدّ كتاب الله تعالى جميعاً؛ لا فرق، إنسان كفر بكلمة في كتاب الله؛ إذن فقد كفر بالقرآن كلِّه.

كذلك لو أن مسألة من مسائل أهل السنّة والجماعة يُخالف فيها ويُوافق أهل البدع؛ يصيرُ مبتدعاً.

الخارجي؛ لماذا صار خارجيّاً؟ في مسألة واحدة، القدري؟ في مسألة، المرجئ؟ في مسألة... وهكذا، لو لم يكن عنده انحراف إلّا في هذه المسألة؛ فهو قدري، هو مرجئ، هو خارجي؛ المسألة واحدة؛ فالقضية ليست قضية عددْ كما يتَفلسَف البعض؛ إنّما قضيّة وصف؛ صفةُ هذه المسألة؛ هل هيَ من المسائل التي كانت فارقة بيْن أهل السنّة وأهل البدع، أم لا؟

هل هي من المسائل التي عليْها أدلة مُحكمة، واضحة، صريحة، لم تُخالف بما هو مثلُها وأقوى منها؟

إذا كان هذا حالها؛ فمُخالِفها مبتدع؛ هذا هو الضّابط في الأمر

(إلا أنّه شكّ في حرفٍ فقد ردّ جميع ما قاله الله تعالى؛ وهو كافر، كما أنّ: شهادة أن لا إله إلّا الله لا تُقبل من صاحبها إلا بصدق النيّة وخالص اليقين؛ كذلك لا يقبل الله شيئاً من السنّة في ترك بعضٍ، ومن ترك من السنّة شيئاً؛ فقد ترك السنّة كلّها؛ فعليك بالقبول ودعْ عنك المُماحَلة واللّجاجة؛ فإنّه ليس من دين الله من شيء، وزمانك خاصة زمان سوء؛ فاتقِ الله) هذا يتكلم عن أيّ زمن؟! لو جاء زماننا ماذا سيفعل؟ والله لو كان اللَّطم حلالاً لَلَطم! هو يتكلّم عن زمن في القرن الرّابع؛ يقول: زمانك خاصة زمان سوء!

والله هذا الزّمن لا يقارن بالزمن الرّابع بشيء ! فنسأل الله النجاة.

المهم أنّه يقول لك: إذا خالفت في مسألة واحدة مما ذكر المؤلف في هذا الكتاب فقد خرجت عن السنّة، وصرت من أهل البدع لا من أهل السنة؛ فاحرص على أن تجتمع السنّة فيك وألا تكن من غير أهلها، (ودع عنك المماحلة واللّجاجة) اتْرُك عنك الجدال ، ودعك من الأخذ والرّد الفارغ.

(واللّجاجة) الجدل الذي لا طائل من ورائه ولا فائدة منه.

المسألة دين، قد تدخل عليك شبهة فتضيّعُك؛ لذلك اجعل دينك سالماً بأن لا تسمع لأهل الأهواء والبدع، والزم طريق أهل السنّة؛ علماء السنّة الذين عرفوا برفع راية السنة، والدفاع عنها، عُرفوا بمحاربة أهل البدع والضلال؛ ما لهم غاية في هذه الدنيا؛ لا دينار، ولا درهم، ولا منصب، ولا نصرة حزب، ولا نصرة جماعة؛ ولا شيء، همّهم

حفظ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وتقرير ما فيهما، والتّحذير ممّن يحاول تشويه حقيقة هذا الدّين؛ هذا هو همّهم فقط؛ هؤلاء هم الذين تلزمهم، وتبقى على طريقهم، وتثِق بهم وتسيء الظن بنفسِك، وتُحسن الظّن بهم، وتمشي خلفهم؛ تبقى ماشياً إن شاء الله.

قال المؤلف رحمه الله: ([١١٤] وإذا وَقَعَتِ الفِتْنَةُ؛ فَالْزَمْ جَوْفَ بَيْتِكَ، وَفِرَّ مِنْ جوارِ الفِتْنَةِ، وإيَّاكَ والعَصَبِيَّةَ، وكُلُّ ما كانَ مِنْ قِتالٍ بينَ المُسْلمينَ على الدُّنْيا؛ فَهُوَ فِتْنَةٌ؛ فَاتَّقِ اللهَ وحده لا شريك له، ولا تَخْرُجْ فيها، ولا تُقاتِلْ فيها، ولا تَهْوَ، ولا تُشايِعْ، ولا تُمايِلْ، ولا تُحِبَّ شيئاً مِنْ أُمورِهِمْ؛ فإنَّهُ يُقالُ: مَنْ أَحَبَّ فِعالَ قَوْمٍ - خَيْراً كان أو شَرّاً - كانَ كَمَنْ عَمِلَهُ. وَفَّقنا اللهُ وإياكم لمرضاته، وجَنَّبَنا وإيَّاكم مَعْصِيَتَهُ)

قال: (إذا وَقعتِ الفتنة)؛ يعني إذا حصلت فتنة، والمقصود بالفتنة: القتال بين المسلمين على الدنيا، أو الذي يلتبس الحق فيه بالباطل، أو يكون المتقاتلون من المسلمين كلهم على باطل ويتقاتلون على باطل؛ كالقتال للعصبية، أي: تعصباً لقبيلة أو حزب أو جماعة أو انتصارا لهواك؛ فالنبي ﷺ سئل: الرجل: يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ قال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله"(١)، وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَدْعُو عَصَبِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ"(٢)؛ كل

(١) أخرجه البخاري(١٢٣)، ومسلم(١٩٠٤) عن أبي موسى الأشعري.
(٢) أخرجه مسلم(١٨٥٠) عن جندب بن عبد الله البجلي.

هذا من قتال الفتنة الذي يجب اعتزاله ولا يجوز للمسلم أن يشارك فيه؛ فهو قتال على الهوى لا لله.

وليس من قتال الفتنة القتال للدفاع عن الإسلام والمسلمين وحرمتهم وأمنهم وأموالهم.

فإذا استطاع اعتزال قتال الفتنة بالبقاء في بيته وإغلاق بابه عليه؛ فهذا المطلوب، وإلا؛ فيفر من المكان كله كأن ينتقل إلى بلد آخر؛ المهم أن يعتزل ولا يشارك في الفتنة ويذهب إلى مكان يبعده عن المشاركة فيها؛ لحديث أبي موسى الأشعري عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الفِتْنَةِ: "كَسِّرُوا فِيهَا قَسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا فِيهَا أَوْتَارَكُمْ، وَالزَمُوا فِيهَا أَجْوَافَ بُيُوتِكُمْ، وَكُونُوا كَابْنِ آدَمَ"(١)، وجاء في حديث أبي ذر قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ فِيهِ «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْوَصِيفِ؟» يَعْنِي الْقَبْرَ، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، – أَوْ قَالَ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ –، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ» – أَوْ قَالَ: «تَصْبِرُ» – ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَحْجَارَ الزَّيْتِ قَدْ غَرِقَتْ بِالدَّمِ؟» قُلْتُ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا آخُذُ سَيْفِي وَأَضَعُهُ عَلَى عَاتِقِي؟ قَالَ: «شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذَنْ» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «تَلْزَمُ بَيْتَكَ»، قُلْتُ: فَإِنْ دُخِلَ

(١) أخرجه أحمد(١٩٧٣٠)، والترمذي(٢٢٠٤)، وأبو داود(٤٢٥٩)، وابن ماجه(٣٩٦١).

عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: «فَإِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ ثَوْبَكَ عَلَى وَجْهِكَ يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ"(١).

قال:(ولا تقاتل) أي لا تشارك في القتال.

قال: (ولا تهو) أي لا يميل قلبك إليها.

قال: (ولا تشايع ولا تمايل) أي لا تؤيد وتميل إلى طرف على طرف.

قال: (ولا تحب شيئاً من أمورهم) ولا تشاركهم حتى بالمحبة القلبية؛ لأنك بذلك تأخذ حكمهم؛ لقول النبي ﷺ: "ولكن من رضي وتابع"(2)، قال ابن عبد البر: يقولون من رضي بالفعل فكأنه فعله

قال الحسن رحمه الله: "إنما عقر الناقة رجل واحد فعمهم الله بالعقوبة لأنهم عموا فعله بالرضى"(٣). انتهى

قال المؤلّف ـ رحمه الله: (**[١١٥] وأَقِلَّ النَّظَرَ في النُّجومِ؛ إلّا ما تَسْتَعِينُ بهِ على مواقيتِ الصَّلاةِ، والْهَ عمّا سِوى ذلكَ؛ فإنَّهُ يَدْعو إلى الزَّنْدَقَةِ**)

النظر في النّجوم: النّجوم هي النّجوم التي تروْنها، والناس تنظر فيها لسببين:

الأوّل: يسْتدلُّون بها على الحوادث الأرضية؛ ينظر في النّجوم؛ فيقول لك سيحدث كذا ولن يحدث كذا، سينزل المطر يوم كذا، لن ينزل المطر يوم كذا، سيولد لفلان ولد، لن يولد لفلان ولد؛ وهكذا.

---

(١) أخرجه أحمد(٢١٣٢٥)، وأبو داود(٤٢٦١)، وابن ماجه(٣٩٥٨).

(٢) أخرجه مسلم(١٨٥٤) عن أم سلمة.

(٣) الاستذكار (٨/ ٥٨٦).

وهذا العلم الذي يسمّيه العلماء علم التّأثير؛ يعني أنّ النّجوم تؤثّر فيما يحدث على وجه الأرض، وهذا يستعمله الكُهّان الذين يدّعُون معرفة الأمور الغيبيّة؛ بالنّظر إلى النّجوم، وهذا نوع من أنواع الكهانة، والكهانة هذه كفر؛ لأنها ادِّعاء علم الغيب، وادّعاء علم الغيب هذا كفر؛ {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}(١)، وإذا ادّعى الشخص أنّه يعلم الغيب؛ فقد نازع الله سبحانه وتعالى فيما يختص به، فالكاهن كافر؛ لأنّه مُدّعٍ لعلم الغيب؛ فلذلك قال: "فإنّه: يدعو إلى الزّندقة"، والزّندقة هي النفاق؛ كفر!

هذا النّوع الأوّل من أنواع النّظر إلى النّجوم.

والنّوع الثّاني وهو ما يسمّى بعلم التّسيير؛ بأن تعرف منازل القمر، وتعرف مجاري الشّمس في السّنة، يعني مثلاً: تنظر إلى النّجوم فتعرف الشمال من الجنوب من الشرق من الغرب، تعرف الشّمس كيف تسير؛ والمراد من هذا: هو الاهتداء؛ أن تهتدي إلى الطريق، وهذا العلم جائز؛ لأنّه استعانة بهذه الأشياء كي تدلُّك على الطريق، ومن أسباب خلق الله سبحانه وتعالى للنجوم هو هذا الأمر؛ أن تكون هداية ومواقيت للنّاس: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}(٢)، وقد قال أحد علماء السّلف قديماً: النّجوم لها ثلاث فوائد ـ بمعنى كلامه ـ :

الأولى: زينة للسّماء كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ}(٣)؛ هذه الفائدة الأولى.

---

(١) [النمل:٦٥].

(٢) [البقرة:١٨٩].

(٣) [فصلت:١٢].

الفائدة الثّانية: رجوماً للشياطين؛ يعني يرجم الله سبحانه وتعالى بها الشّياطين؛ كما جاء في الحديث: "أنّ الشّياطين ترْتقي إلى السّماء يصعد بعضها على بعض كي تسترق السّمع، ثمّ يرميها الله سبحانه تعالى بالشُّهُب؛ بهذه النّجوم؛ فإمّا أن يسترق الكلمة فيلقيها لمن بعده قبل أن يلحقه الشهاب، أو يلحقه الشهاب قبل أن يلقي الكلمة، يعني قد يتمكن من سماع الكلمة ويمرّرُها لمن بعده وقد لا يتمكن من تمريرها؛ فيأتيه الشّهاب قبل ذلك؛ كما جاء في الأحاديث الصّحيحة؛ فهي رجومٌ، يعني هذه النّجوم هي رجوم للشّياطين، قال تعالى: {إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ}(١).

الفائدة الثالثة: علامات يُهتدى بها في الأسفار، قال الله تبارك وتعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}(٢).

هذه هي الفوائد الثلاث، ومن أراد أن يأخذ منها فائدة رابعة؛ فقد ضلّ الطّريق؛ لم يرِدْ للنّجوم غير هذه الفوائد المذكورة في كتاب الله تبارك وتعالى.

قال المؤلّف ـ رحمه الله ـ :(**[١١٦] وإِيَّاكَ والنَّظَرَ في الكلامِ، والجُلوسَ إلى أَصْحابِ الكَلامِ**)

ما هو الكلام؟

الكلام هو تقرير المسائل العقائديّة بعلم المنطق والكلام- الأخذ والرّد ـ،

(١) [الحجر:١٨].

(٢) [الأنعام:٩٧].

وقواعد منطقية قرّروها بالعقل، وصاروا يتجادلون بها، فلمّا قرّروا المسائل العقليّة بالعقل، وصاروا ينظِّرون لها بالكلام؛ سُمّي علم الكلام؛ فهو تقرير للمسائل العقائديّة بالعقل.

واختلف العلماء في تسميته بعلم الكلام؛ بعضهم قال لهذا؛ لأنّهم يقرّرون المسائل من خلال الكلام؛ يتكلّم ويُبرهن بأدلّة عقليّة؛ حتّى يصل إلى نتيجتِه،

والبعض قال: سُمّي علم الكلام لأجل عقيدة كلام الله سبحانه وتعالى؛ قالوا: هذه العقيدة كانت من أعظم العقائد التي خالف فيها أهل البدع أهل السنّة؛ فسمّي بعلم الكلام لأجل كلام الله تبارك وتعالى؛ هذا خلاف بين العلماء في سبب التسمية.

المهُم أنّ علم الكلام هو تقرير المسائل العقائدية بالعقل؛ هذا هو المقصود من علم الكلام.

فهؤلاء العقلانيون لا يبالُون لا بكتاب ولا بسنّة في تقرير المسائل العقائديّة، فعندهم: الأساس في تقرير العقائد هو العقل، ويُحكّمُونه على الله سبحانه وتعالى، ويَحكُمون به على الله سبحانه وتعالى؛ فلذلك ضلّلهم علماء السّلف وكانوا يحذّرون منهم ليل نهار؛ حتّى إن هناك كتباً مُؤلَّفة في ذمّ الكلام وأهله؛ كتب أُلّفت خصّيصاً لهذا الغرض، وكلام السّلف في ذم الكلام كثير؛ منهم الإمام الشّافعي رحمه الله، والإمام أحمد وغيرهم.

فهنا يحذرنا المؤلف من هذا الطّريق؛ فيقول: (وإيّاك والنّظر في الكلام) لا تنظر إلى كُتبهم، ولا تبالي بها، ولا تقرأ فيها؛ كتب الأشاعرة، كتب المُعتزلة، كتب الجهميّة، كتب الماتريدية، كتب الكلّابيّة؛ كلها من هذا القبيل، كلها بابها واحد، هذه الجماعات

كلّها علمهم الأصلي هو علم الكلام، قواعدُهم وأصولهم هي قواعد المتكلّمين وأصولهم، التي أخذوا الكثير منها من علم اليونان أصلاً.

قال: (والجلوس إلى أصحاب الكلام): هنا المؤلّف يحذّرك من مخالطة أهل البدع، كل ما قدَّمناه سابقاً في بداية هذه الدّروس عن مخالطة أهل البِدع؛ وجوب هجرهم، وجوب بُغضهم، وجوب عدم السّماع لهم، كلام السلف الذي سُقناه في ذلك؛ كلّه ينطبق على هذه الفقرة هذه أخص؛ هذه تتكلّم عن أهل الكلام؛ هم صنف من أهل البدع، أهل البدع كثير؛ منهم أهل الكلام.

وما قدّمناه من كلام السلف رضي الله عنهم في وجوب هجر أهل البدع، وعدم السّماع لهم؛ ينطبِق على ما ذكره المؤلّف في هذه الفقرة.

قال رحمه الله: (**[١١٧] وعَلَيْكَ بالآثارِ، وَأَهْلَ الآثارِ؛ وإِيَّاهُمْ فَاسْأَلْ، وَمَعَهُمْ فَاجْلِسْ، وَمِنْهُمْ فَاقْتَبِسْ**)

يبين المؤلّف لك الآن الحق من الباطل، حذّرك من أهل الضلال وأرشدك إلى أهل الحق؛ تسمع لِمن؟ وتفرُّ ممّن؟ تسمع لِأهل الآثار؛ الذين يقولون: قال الله تبارك وتعالى، قال رسول الله ﷺ، قال أبو بكر، قال عمر، قال عثمان، قال عطاء، قال سعيد، قال الشافعي، قال أحمد، قال عبد الله بن المبارك، قال سفيان الثّوري، قال الأوزاعي، قال اللّيث بن سعد؛ هؤلاء هم أهل الآثار، يأخذون آثار الصّحابة آثار التّابعين، آثار أتباع التّابعين؛ السّلف الأوّل ومن سار على نهجهم، لا يخترعون، لا يبتدعون من عندهم، يتّبعُون الأثر ما وجَدوا إلى ذلك سبيلاً، ولا يسيرُون إلى الاجتهاد وإعمال الرّأي؛ إلّا عندما تضِيق بهم السُّبل؛ كما قال الإمام الشّافعي رحمه الله عندما سئِل عن القياس؛ الرّأي قال: "ذلك عندنا بمنزلة أكل أهل الميتة" أو بمعنى

كلامه؛ أنّه عند الضّرورة؛ الرّأي والقياس إنّما تسير إليه عند الضرّورة؛ متى الضرورة هذه؟

عندما تفقد دليلاً من الكتاب أو من السنّة أو كلاماً لِإمام يُقتَدى به كأبي بكر وعمر وعثمان؛ وهؤلاء أئمة الإسلام، فإذا لم تجدْ شيئاً من هذا القبيل؛ عندئذ يمكن أن تجتهد؛ إذا كنت أهلاً للاجتهاد.

وأنا نصيحة مني خاصة: أنّك لو وجدت إماماً قريباً منك، أفتى بمسألة؛ فحمِّلها له، وأفتِ بها، وتوكّل على الله؛ بما أنّ معه دليلاً في مسألته؛ يعني لو ما حدثت حادثة جديدة، أفتى بها الشيخ عبد العزيز بن باز، أفتى بها الشيخ ابن عثيمين، أفتى بها الشّيخ الألباني، أفتى بها الشيخ مقبل؛ خلاص أفتِ بهذا وامشِ، إذا اختلفوا؛ فانتقِ بناءً على الدليل، لم يختلفوا، أفتى بها واحد؛ خلاص؛ أفت بما كان عليه.

تعجبني كلمة للإمام الطبري رحمه الله، كان يقرّر مسائل في العقيدة في كتابه "صريح السنة"، وهي رسالة صغيرة للطّبري في العقيدة، كان يقرّر المسائل العقائدية، فلما جاء في مسألة، أظنها القول باللفظ في القرآن أو الوقف في ذلك- نسيت بالضبط- المهم مسألة عقائدية كهذه؛ قال: "بحثت فلم أجِد لِأحد قولاً في هذه المسألة إلّا للإمام أحمد"- والطّبري طبعاً قريب جدّا من الإمام أحمد-؛ قال: بحثت فلم أجد لأحد قولاً في هذه المسألة؛ إلّا للإمام أحمد وكفى به"، واتّبع الإمام أحمد في ذلك؛ هذا معنى اتّباع آثار السلف؛ ألّا تقُول قولاً ليس لك فيه إمام؛ هذه القاعدة ذكرها الإمام أحمد رحمه الله: لا تقل بقول ليس لك فيه إمام؛ هذا السّبيل منجاة لك من الاغترار بنفسك أوّلاً، وأن تغترَ بعلمك.

ثانيا: أن تزيغ وتضلّ بدعوى الاجتهاد، فأنت إذا بقيت مع هؤلاء؛ بقيت على الطّريق سالماً؛ فدينُنا دين اتّباع كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: "اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتم"؛ كُفِيتَم المُؤنة؛ فهم قد تحمَّلوا المسؤولية واجتهدوا ووصلوا؛ لماذا أنت تُحمّل نفسك ما ربما تكون عواقبه عليك وخيمة؛ فلا تُحمِّل نفسك أكثر مما تقدر عليه؛ حمِّل المسألة لمن قبلك: "اتبع ولا تبتدع"، ولا تقُل بقول ليس لك فيه إمام.

قال: (وعليك بالآثار) كلّ ما جاء عن النبي ﷺ، وعن أصحابه فهي من الآثار.

(وأهل الآثار) الذين يتبعون هذا المنهج، هذه القضية ليست في العقيدة فقط، تجد أناساً في العقيدة- وتجد أيضاً في الفقه- أناساً أصحاب آثار، وأناساً أصحاب رأي، كذلك في العقيدة أصحاب رأي، وأصحاب أثر؛ فأنت دائماً تجتنب أصحاب الرّأي وتتّجه إلى أهل الأثر، انظروا إلى التّرمذي رحمه الله في كتابه "الجامع" عندما يذكر يقول: قال أصحابنا كذا وكذا، وأمّا أصحابنا فعلى كذا؛ من هم أصحاب التّرمذي؟ الترمذي مالَه مذهب، شافعي، مالكي، حنبلي؛ لا؛ أصحابه هم أهل الحديث، فعندما يسمّي؛ يسمّي أهل الحديث، أهل الأثر، يسمّي الشّافعي، يسمّي مالكاً، يسمّي أحمد، يسمّي البخاري؛ هؤلاء الذين يسمّيهم التّرمذي رحمه الله؛ هؤلاء هم أصحابه، وهؤلاء هم أصحابنا إن شاء الله؛ (وإيّاهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس).

قال المؤلّف ـ رحمه الله ـ :**([١١٨] واعْلَمْ أنَّه ما عُبِدَ اللهَ بِشَيْءٍ مِثْلَ الخَوْفِ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، وطَريقِ الخَوْفِ والحُزْنِ والشَّفقاتِ والحَياءِ مِنَ اللهِ تبارك وتعالى)**

أي: يُعبد الله سبحانه وتعالى بالخوف كما يعبد بالمحبة، في هذه الفقرة ردٌّ على الصّوفية وغُلاتهم، الذين يقولون بأنّ الله يُعبد بالمحبّة فقط لا نعبده خوفاً ولا ورجاءً؛ وهذا

ضلال عظيم جداً؛ فنحن نعبد الله سبحانه وتعالى محبّةً وخوفاً ورجاءً؛ هذه طريقة أهل الإسلام وأهل السنّة، الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}(١)، أمر الله سبحانه وتعالى بعبادته؛ كيف؟

خوفاً وطمعاً؛ نخاف من عذابه، نخاف من ناره، نخاف من غضبه، ونطمع بجنّته، ونطمع بنعيمه؛ هكذا أمر الله سبحانه وتعالى، وهكذا يكون المؤمن، لا تقول أنا زاهد بخيراتك يا ربّ، أنا لا أريد منها شيئاً، فقط أريد أن أعبدك والله محبّة؛ هذا الكلام باطل؛ بل تخاف من الله سبحانه وتعالى، وترغب في خير الله سبحانه وتعالى، وترغب في نعمائه

ولا تزهد فيها، وتحب الله سبحانه وتعالى؛ فتعبد الله خوفاً، ومحبةً، وتعظيماً؛ هذه طريقة أهل الإسلام في هذا، وقال الله تعالى مُثنياً على أهل الإيمان؛ قال: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}(٢)؛ هكذا أمر الله سبحانه وتعالى، وهذه طريقة أهل الإيمان.

قال المؤلف :(**[١١٩] واحذَرْ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إلى الشَّوْقِ والمَحَبَّةِ، وَمَنْ يَخْلُو مَعَ النِّساءِ وَطَرِيقِ المَذْهَبِ؛ فَإِنَّ هؤلاءِ كُلُّهُمْ على الضَّلالَةِ**)

---

(١) [الأعراف:٥٦].

(٢) [السجدة:١٦].

انظر! يوجّهُك إلى طريق الحق، ثمّ يحذرك من طريق أهل الباطل؛ من الذين يدعون إلى الشّوق والمحبّة؛ هؤلاء هم الصّوفيّة الذين يدَّعُون أنهم يعبدون الله محبّةً فقط وشوقاً إليه فقط، ويتركون باقي ما أمر الله سبحانه وتعالى به، وهم كَذَبَةٌ في دعواهم.

قال: (ومَنْ يخلو مع النّساء) من هذا الذي يخلو مع النساء؟!

هم الصّوفية، والصوفيّة درجات؛ عندهم من الدرجات: أن يصل الإنسان إلى درجة تسقط عنه جميع التّكاليف؛ يفعل ما يُريد: يترك الصلاة، يترك الصيام، يترك الزّكاة، يزني، يسرق؛ يعمل ما يريد! خلاص قد سقطت عنه التّكاليف؛ وهذه الطّائفة ما زالت موجودة إلى اليوم؛ هذا من طُرق الصّوفيّة، يقول لك: (يخلو مع النّساء)؛ عندهم الشيخ هذا يجلس مع المرأة، يصافحها يخلو بها؛ ما عندهم أيّ مشكلة في هذا؛ هذه طريقتهم؛ أخوة، عندهم يسمُّونها أخوّة في الإسلام، إذا آخاها وآختْه؛ يفعلون مع بعض ما يشاءون.

قال: (ومن يخلو مع النّساء وطريق المذهب؛ فإن هؤلاء كلّهم على الضّلالة) فيحذّر المؤلّف رحمه الله من طريقة الصّوفية؛ الطّريقة المخالفة لشرع الله سبحانه وتعالى، (وطريق المذهب) الذي هو طريق مذهب الصّوفية.

ودين الصّوفية مبني على أساسين:

الأساس الأوّل: تعظيم الأولياء تعظيمَ عبادة، يعني عبادة الأولياء؛ فتجدهم يعبدون القبور ويخضعُون ويتذلّلون بين أيدي أوليائهم؛ دينُهم يُبنى على هذا: الغلو في الأولياء، وهذا حذَّرَنا منه ربنا تبارك وتعالى في قوله: {يا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ}[1]، وحذَّر منه الرّسول ﷺ ؛ فقال : "إيّاكم والغلوَّ في الدين فإنما أهلك الذين من قبلكم الغلو في الدين"[2]؛ النّصارى كيف هلكوا ؟ غلوا في عيسى عليه السلام؛ فهلكوا، قوم نوح أصلا كيف هلكوا ؟ غلوا في الأولياء، وصنعوا لهم الأصنام، ثمّ عبدوا هذه الأصنام؛ وهذه طريقة الصّوفية.

الأمر الثّاني الذي يُبنى عليه أساس الصّوفية: هو الابتداع والاختراع في دين الله؛ فليس عندهم شيء اسمه اتباع الكتاب والسنّة في التعبّد؛ يفتحون الباب على مِصراعيْه؛ يتعبّد الواحد منهم كما يشاء؛ فلذلك تتابعت الأحوال عندهم، حتى وصلوا إلى ما وصَلُوا إليه الآن؛ صار عندهم دينٌ جديد لا يُعرف في الكتاب ولا في السنّة له أصل؛ هذا هو دين الصّوفية، هذا معنى الدين الجديد، ليس معنى الدّين الجديد: أن تأتي لشخص بسنّة لا يعرفها؛ ويقول لك: والله أتيتني بدين جديد! هو جديد عليه؛ لكنه قديم عند الله سبحانه وتعالى، أنزله على نبيّه ﷺ، فأنت حُكمك على الدين بالجديد والقديم يكون على حسب الكتاب والسنة، فإذا لم تجد له أصلاً في الكتاب والسنةِ؛ فهو دين جديد، وإذا وجدْت له أصلاً في الكتاب والسنة؛ فهو دين قديم وليس بجديد.

قال المؤلف رحمة الله: (**[١٢٠] واعْلَمْ أَنَّ الله تعالى دَعا الخَلْقَ كُلَّهُمْ إلى عِبادَتِهِ، ومَنَّ مِنْ بَعْدِ ذلكَ على مَنْ يَشاءُ بالإسْلامِ تَفَضُّلاً مِنْهُ**)

---

(١) [النساء:١٧١].

(٢) تقدم تخريجه.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون}[(١)]، إذاً خَلْقُ الله سبحانه وتعالى للبشر وإيجادهم في هذه الدنيا، هم والجن؛ لِحكمة: وهي أن يعبدوا الله سبحانه وتعالى، ليَخْضعوا ويتذلّلوا لله تبارك وتعالى؛ هذه الحكمة التي خُلقتَ أنت لأجلها، فإذا كنت عاقلاً؛ تصرِف نفسك إلى هذا الحكمة، ولا تصرف نفسك عنها، ولا تله في الدنيا؛ فالدنيا هي التي تشغلُك عن عبادة الله؛ لذلك يحُثّنا الله سبحانه وتعالى على عبادته، ويأمرنا، ويحذّرنا من الدّنيا ومن الاغترار بها؛ لأن الدّنيا هي التي تُلهيك عن عبادة الله تبارك وتعالى.

أنت إذا تأمّلت في كتاب الله، وفي سنّة رسول الله ﷺ؛ تجد أن الله يأمرك بما يريد وينهاك عمّا لا يريد ممّا يضاد ما يريد؛ يعني: أمرنا بعبادته ونهانا عن الدّنيا والاغترار بها، أمرنا بتوحيده ونهانا عن الشرك به، أمرنا بطاعته ونهانا عن معصيته؛ هذا هو دين الله؛ هذا دين الله كاملاً؛ تجدُ المأمور به أنت: هو توحيد الله، ويَنقُض ذلك الشرك، مأمورٌ بطاعة الله، تنقُضه المعصية، مأمور باتّباع سنّة النّبي ﷺ تنقضُه البدعة المُحدثة، لو فتّشت في الكتاب والسنّة؛ وجدت أوامر الله كلّها من هذا النوع، ونواهيه كلّها من هذا النّوع؛ ملخص.

قال: (دعا الخلق كلّهم إلى عبادته، ومَنَّ مِنْ بعد ذلك على من يشاء بالإسلام تفضُّلاً منه) أي: هدى الله سبحانه وتعالى من شاء من خلقه، ووفّقه لعبادته ولطاعته، ولم يهْد من شاء من خلقه؛ يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء، وأنت تشغل نفسك بما أمرك الله سبحانه وتعالى به.

---

(١) [الذاريات:٥٦].

قال رحمه الله: (**[١٢١] والكَفُّ عَنْ حَرْبِ عَلِيٍّ ومعاوية وعائشة وطلحةَ والزُّبَيْر رحمهم الله جميعاً، وَمنْ كانَ مَعَهُمْ، ولا تُخاصِمْ فيهمْ، وكِلْ أمْرَهُمْ إلى الله تَبارك وتعالى؛ فإنّ رسول الله ﷺ قال: "إيَّاكُمْ وذِكْرَ أَصْحابي وأصْهاري وَأَخْتاني"، وقوله: "إن الله تبارك وتعالى نَظَرَ إلى أَهْلِ بَدْرٍ؛ فقال: "اعْمَلوا ما شئتم؛ فإنِّي قَدْ غَفَرْتُ لكم"**)

هذا من المؤلّف توجيهٌ إلى ما يجب عليك أن تفعله وأن تعتقده في الفتنة التي وقعت بيْن الصّحابة، في وقعة الجمل؛ كانت المعركة بين علي بن أبي طالب من جهة، وعائشة وطلحة والزُّبير من جهة ثانية، وكانت هناك حروب أخرى ما بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من جهة، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من جهة ثانية، وكانت بينهم مَعارك.

ما هو مَوقِفك تجاه ما شجر بين أصحاب النّبي ﷺ ؟

يقول المؤلف: (والكفُّ عن حرب عليّ ومعاوية وعائشة وطلحة والزُّبَيْر ومن كان معهم، ولا تُخاصم فيهم) لا تفتح مجالاً للجدال؛ من الّذي كان مُحقّاً منهم ؟ هذا أخطأ وهذا ما أخطأ، هذا ما كان يجب عليه أن يفعل كذا وهذا كان يجب أن يفعل كذا؛ وربّما تصل بك الأمور إلى: فلان فاسق وفلان ليس بفاسق، وربّما: فلان كافر وفلان ليس بكافر؛ كما حصل مع بقيّة الفرق! الواجب عليك هو أن تلتزم بقول النّبي ﷺ: "إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا"؛ هذا هو الواجب عليك.

وما ذكره المؤلّف من حديث: لا يصح؛ لكن حديث: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا"؛ يُغني عنه؛ إذاً الواجب عليك أن تسكُت عند ذِكْر أصحاب النبي ﷺ؛ لهم من

السَّبقِ، ولهم من الخَير، ولهم من شهادة النّبي ﷺ لهم بالخير؛ ما يُلزمُك بالسّكوت وعدم الكلام فيهم؛ وكلّ النّاس خطّاء وخير الخطّائين التوّابون.

نعم كل النّاس لهم أخطاء؛ ربّما يكون بينهُم من أخطأ؛ اجتهد وأخطأ، وبعضهم اجتهد وأصاب، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر، ومن اجتهد وأصاب فله أجران، فنحن نعلم أن هؤلاء ما كان همُّهم الدّنيا وما كانوا يريدونها؛ وإنّما كلٌّ منهم قد اجتهد رأيه؛ بعضهم كان يريد دمَ عثمان، وبعضهم كان هو الخليفة؛ قد بويِع له بالخلافة؛ فالطرف الآخر لا ينازعه في ذلك؛ ولكن ما أرادوا أن يتنازلوا حتّى يأخذوا بِدَم عثمان؛ لأنّ الذين قتلوا عثمان مع الجماعة الثّانية؛ وحصل بسبب ذلك خلاف، ونشب القتال بينهم.

على كلّ حال؛ نحن نقول: كلّهم مجتهد؛ بعضهم اجتهد فأصاب فله أجران، وبعضهم اجتهد وأخطأ فله أجر؛ ويغفر الله سبحانه وتعالى للجميع.

لمّا سُئِل السّلف رضي الله عنهم عن ذلك- عن هذه الفتن التي وقعت بين الصّحابة-؛ قالوا: تلك فتنة قد صان الله سبحانه وتعالى عنها سُيُوفنا فلْنصُنْ عنها ألسنتنا، ونسكت؛ لا نتدخّل في ذلك؛ كلّهم رضي الله عنهم وأرضاهم؛ علي بن أبي طالب ممن قال فيه النّبي ﷺ:"رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله"(١)؛ ماذا تريد بعد ذلك؟!

عائشة رضي الله عنها التي قال فيها النّبي ﷺ بأنها زوجته في الدّنيا والآخرة(٢).

---

(١) أخرجه البخاري(٣٠٠٩)، ومسلم(٢٤٠٤) عن سهل بن سعد.

(٢) أخرجه الترمذي(٣٨٨٠) عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ جِبْرِيلَ، جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خِرْقَةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ". وأخرج البخاري(٧١٠١) عن أبي وائل، قال: قام عمار، على منبر الكوفة، فذكر "عائشة، وذكر مسيرها، وقال: «إنها زوجة نبيكم صلى الله عليه

وطلحة والزّبير اللذَيْنِ قال فيهما النبي ﷺ:"طلحة في الجنّة والزّبَير في الجنّة"[١]، وطلحة والزّبير وعلي رضي الله عنهم كانوا من أهل بدر الذين قال فيهم النّبي ﷺ:"اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم".

أنت أيش دخلك بينهم ؟!

وكلمة جميلة لِأحد السلف عندما جاء أحدهم وسأله ؛ قال: ماذا تقول فيما حصل بين علي ومعاوية؟ ومعاوية قد ظلم عليّاً- أو بهذا المعنى- !

فقال له: "ربّ معاوية ربٌّ رحيم وخصمُ معاوية خصم كريم؛ ما أدخلك أنت بينهم في الموضوع؟" ما دخلك في هذا الكلام؟ ما لَك علاقة؛ هؤلاء أصحاب النّبي ﷺ؛ قد شهِد لهم النّبي ﷺ بالخير، وشهد لهم ربّنا تبارك وتعالى قبل ذلك بالخير؛ إذاً انتهينا، ما لنا علاقة نحن فيما وقع بينهم، وقوله: "إنّ الله تبارك وتعالى نظر إلى أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فإنّي قد غفرت لكم"؛ الحديث هذا في "الصّحيحيْن".

وسلم في الدنيا والآخرة، ولكنها مما ابتليتم". وفي رواية عنده (٧١٠٠): عبد الله بن زياد الأسدي، قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، بعث علي عمار بن ياسر وحسن بن علي، فقدما علينا الكوفة، فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه، وقام عمار أسفل من الحسن، فاجتمعنا إليه، فسمعت عمارا، يقول: «إن عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم، ليعلم إياه تطيعون أم هي".

(١) أخرجه أحمد(١٦٢٩)، وأبو داود(٤٦٤٩)، وابن ماجه(١٣٣) عن سعيد بن زيد رضي الله عنه.

قال رحمه الله: (**[١٢٢] واعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ لا يَحِلُّ مالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ؛ إلّا بِطِيبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ، وإنْ كانَ مَعَ رَجُلٍ مالٌ حَرامٌ؛ فَقَدْ ضَمِنَهُ، لا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ منْهُ شيئاً إلّا بِإذْنِهِ؛ فَإِنَّهُ عسى أَنْ يَتوبَ هذا، فَيُرِيدُ أَنْ يَرُدَّهُ على أَرْبَابِهِ؛ فَأَخَذتَ حَرامَاً**)

قال: (واعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ لا يَحِلُّ مالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ؛ إلّا بِطِيبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ) هذا لفظ حديث النّبي ﷺ:"لا يحلّ مال امرئ مسلم إلّا بطيب نفس منه"(١)، فالأصل تحريم مال المسلم، وكما قال عليه الصّلاة والسّلام :" إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا "(٢)، فالأصل حرمة مال المسلم؛ فلا يجوز أن يُعتدى عليه بأيّ طريقة من طرق الاعتداء؛ وهذا الأصل تضعه نُصب عينيك، ثمّ بعد ذلك: لا يُستثنَى إلّا ما ورد به الدليل.

قال: (وإنْ كانَ مَعَ رَجُلٍ مالٌ حَرامٌ؛ فَقَدْ ضَمِنَهُ، لا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ منْهُ شيئاً إلّا بِإذْنِهِ)، يعني هنا إذا أخذ مال أخيه بغير حق- بأيّ نوع من أنواع الأخذ-؛ فإنّه مضمون عليه،

شخص سرق سيّارة جاره وأبقاها عنده، تلِفت السيّارة بأيّ طريقة من طرق التّلَف؛ يضمن السيارة؛ يدفع ثمنها كامِلاً، إذا اغتصبَ داراً وأجّرها مثلاً، أو هذه الدّار لها أجرة، وبقيت عنده سنة أو سنتَين؛ يضمنُ الدّار ويضمن أجرتهَا أيضاً، فإذا أخذ مالاً من أخيه ظلماً؛ فهو ضامن لهذا المال؛ هذا معنى ما قاله المؤلّف.

---

(١) أخرجه أحمد(٢٠٦٩٥) عن أبي حرة الرقاشي عن عمه. وأخرجه أحمد(٢١٠٨٢) عن عمرو بن يثربي. انظر "الإرواء" (١٤٥٩).

(٢) أخرجه البخاري(١٧٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنه.

قال: (وإن كان مع رجل مالٌ حرام فقد ضَمِنه؛ لا يحلّ لِأحد أن يأخذ منه شيئاً إلّا بإذنه؛ فإنّه عسى أن يتوب هذا فيُريد أن يَرُدّه على أربَابه؛ فأخذتَ حراماً) يعني لا يجوز لأحد أن يأخذ من شخص مالاً، علِم أن هذا المال حرام وليس له- هو مسروق أو مغصوب- فلا يجوز لك أن تأخذه منه؛ لأنه ليس له، فلا يجوز لأحد أن يتصرّف في ملك الغير، لا يجوز لك أن تأخذ مالاً تعلم أنّه حرام، ترِد أسئلة كثيرة؛ يقول لك:

"المال مسروق وجاء أناس لبَيْعه؟"

أنت إذا علِمت أنّه مسروق؛ فقد علِمت أنّ الذي يبِيعه ليس مالكَه؛ ليس هو مِلك له، ولا يحلّ لك أن تشتري مالاً من غير صاحبه؛ فهذا المال الذي بين يديه هو مُلكٌ لمسلم آخر؛ فكيف ستشترِي من هذا؟! هذا لم يملكه؛ هو حرام عليه؛ فلا يجوز لك أن تشتري مِنه إذا علِمت أنّ المال مسروق أو مغصوب.

قال المؤلف : (**[١٢٣] والمَكاسِبُ ما بانَ لكَ صِحَّتُهُ؛ فهُوَ مُطْلَقٌ؛ إلّا ما ظَهَرَ فَسادُهُ، وإنْ كانَ فاسِدَاً؛ يَأْخُذُ مِنَ الفَسادِ مَمْسَكَةَ نَفْسِهِ، ولا تقولُ: أتْرُكُ المَكاسِبَ وآخُذُ ما أَعْطَوْني؛ لَمْ يَفْعَلْ هذا الصَّحابَةُ، ولا العُلَماءُ إلى زمانِنا هذا، وقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: "كَسْبٌ فيه بَعْضُ الدَّنِيَّةِ؛ خَيْرٌ مِنَ الحاجَةِ إلى النَّاسِ"**)

قال النبي ﷺ:"إنَّ الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبِهات لا يعلمُهنّ كثير من النّاس، فمن اتّقى الشبهات؛ استبرأ لدينه وعرضه"[١]، فالحلال بيّن، يؤخذ: الأصل في المعاملات بين الناس: الحِلّ، والأصل في العبادات: التّحريم.

(١) أخرجه البخاري(٥٢)، ومسلم(١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم.

قاعدتان إذا حفِظهما طالب العلم؛ فقد حفِظ الكثير من المسائل العلميّة:

الأصل في المعاملات الحِلّ: يعني عندما تأتي في معاملة، وتقول لي: هل تجوز هذه المعاملة؟ أقول لك يجوز؛ لا تطلب الدليل كما يفعل البعض ؛ تقول له: والله تجوز هذه المعاملة؛ يقول أيش الدليل؟! الأصل عندك هو الدليل؛ الأصل في المعاملات هو الحلُّ؛

خاصة إذا كان بيعاً وشراء؛ فالله سبحانه وتعالى قال: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}(١)

إذاً يوجد عندك أصل وهو: أنّ كل بيع حلال ؛ إلّا إذا أثبَتَ دليل على تحريم نوع من أنواع البيع، الأصل في كل ما هو مَوجود في هذه الدّنيا؛ تأكُل، تشرَب، تلبَس؛ الأصل فيه الحِل؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال :{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا}(٢)

فكل ما في الأرض حلٌّ لك؛ هذا أصل عام عندك، أنت تسأل: هل اللّحم الفلاني حلال أو حرام؟ أقول لك: حلال؛ لا تقلْ: أيش الدليل! لأنّ عندك أصلاً تمشي عليه، حين أقول لك: حرام ؛ تقول لي: ما الدليل؛ لأنّي أخرجتك عن الأصل.

هنا يقول المؤلف: (وإن كان فاسداً يأخذ من الفساد مُمْسَكة نفسه) يعني إذا وجِد مال حرام؛ فعند الضرورة: تأخذ ما يكفي ضرورتك منه، وتترك الباقي.

قال: (ولا تقول: أترُك المكاسب)؛ يعني لا تقول: والله أنا أتوكّل على الله؛ لا داعي أن أخرج للعمل ولا شيء؛ وأجلس أضع رجلاً على رجلٍ، وأنتظر رزق الله يأتيني!

هذا ليس بتوكّل على الله سبحانه وتعالى؛ إنما هذا يسمّيه العلماء: تواكل؛ لأنّك مأمور بطلب الرزق، مأمور بالسّعي في طلب الرزق، فأنت تأخذ بالأسباب، والله سبحانه

---

(١) [البقرة:٢٧٥].

(٢) [البقرة:٢٩].

وتعالى يرزق: "لو أنّكم توكّلون على الله حقّ توكّله لَرزقكم كما يرزق الطّير" ماذا تفعل الطير؟ قال:" تغدوا خِماصاً وتروح بطاناً"[(١)]، إذاً تغدو أم لا تغدوا؟

تغدوا؛ تأخذ بالأسباب، حتى الطّير تخرج وتأخذ بالأسباب.

تغدو خماصاً : تخرج جائعة، وتروح بِطاناً : ترجع شبعانة

لكن غدتْ؛ راحت ورجعت، ما جلست في مكانها؛ قالت يأتيني رزقي! هذا ليس بتوكّل على الله سبحانه وتعالى!

تَوَكَّلْ على الله، أمرك الله سبحانه وتعالى أن تتوكّل على الله.

ومعنى التوكّل: أن تعتمد بقلبك على الله، وأن تعلم أنّ الله هو الرّزاق؛ لا يرزقك صاحب العمل؛ بل يرزقك الله سبحانه وتعالى، أنت تُوطِّن نفسك على أنّك أنت تأخذ بالأسباب؛ لأنّ الله أمرك بالأخذ بالأسباب فقط، أمّا بعد ذلك ماذا سيأتيك من رزق؛ فهذا عند الله سبحانه وتعالى.

بعض النّاس يلتبس عليه؛ يقول: والله أنا طالب علم؛ جالس واضعاً رجلاً على رجل، ويريد أن يأتيه رزقه عنده.

طلب العلم نفسه هو أخذ بالأسباب، في الحديث الذي جاء رجل وشكا للنّبي ﷺ بأنه يعمل ويُنفق على أخيه، وأخوه جالس يطلب العلم فقط؛ ما أنكر النبي ﷺ على الآخر؛ قال: "لعلّك تُرزقُ بأخيك"؛ هذا كان جوابه عليه الصّلاة والسّلام، فطلب العلم نفسه هو أخذ بالأسباب، والأصل عندنا- لو وُجِدَتْ إمكانيات- المفروض: طلبة العلم لا يعملون، طلب العلم يحتاج أن يدرس طالب العلم أقل شيء ثمان إلى عشر

---

(١) أخرجه أحمد(٢٠٥)، والترمذي(٢٣٤٤)، وابن ماجه(٤١٦٤) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٣١٠).

ساعات في اليوم، هذا أقل شيء، هذا إذا لم يرد أن يدرس؛ فيدرس هذا الوقت؛ فمتى سيعمل؟!

هذا عمله أعظم عمل؛ هذا يسدّ واجباً كفائياً على الأمّة بالكامل، إذا لم تقُم به: أثِمَت كلّها؛ فهذا طالب العلم الذي يتعلّم ويُعلّم النّاس؛ قد سدّ عليهِم هذا الباب؛ هذا الواجب؛ خصوصاً في زماننا هذا الذي عزف فيه النّاس عن طلب العلم الشّرعي.

قال: (ولا تقول: أترُك المكاسب وآخذ ما أعطَوْني) يعني تقعد عالة على النّاس! أترك المكاسب وأضع رجلاً على رجل ويعطوني.

قال: (لم يفعل هذا الصحابة، ولا العلماء إلى زماننا هذا) لم يفعلوا ذلك؛ لم يجلس الواحد فيهم، ويقول: ما أعطوني آخذه؛ إلّا من كان يجلس لِأجل طلب العلم؛ كان أبو هريرة يجلس عند النبي ﷺ على شبع بطنه، ما كان يعمل؛ لكن كان يُرافق النّبي ﷺ؛ هذا لطلب العلم، هذا شيء مُستثنى؛ طلبُه للعلم هذا عمل.

لكن الآن غير طالب العلم الشرعي؛ هذا لا يجلس ويقول: والله ما آتاني النّاس أخذتُه.

حتى عندما كان أهل اليمن يأتون إلى الحجّ وما يأخذون زاداً معهم؛ لا يتزوّدُون، قالوا: نحن المتوكّلون؛ نتوكّل على الله سبحانه وتعالى! فكانوا يأتُون إلى مكّة ويطلبون من النّاس؛ أين ذهبنا؟ هذا لا ينفع! فنزل قوله تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}(١) أمرهم بالتزوُّد؛ الأخذ بالأسباب.

قال: (وقال عمر رضي الله عنه: "كَسْبٌ فيه بعض الدَّنيّة خير من حاجة النّاس") بعض الدنية يعني: أن النّاس يرَون أنّ فيه شيئاً من الوضاعة، يعني كالذي يشتغل أي

---

(١) [البقرة:١٩٧].

عمل لا نريد أن نسمّيه؛ أيّ عمل يراه النّاس أنّه دنيّ؛ فيقول لك: اعمل في أي عمل مثل هذا؛ تراه أنه دنيء؛ خير لك من أن تحتاج إلى النّاس.

قال :([١٢٤] **والصلّوات الخمس جائزة خلف من صلّيت خلفَه إلّا أن يكون جَهْمِيًّا؛ فإنّه مُعَطِّلٌ، وإنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ؛ فَأَعِدْ صَلاتَكَ، وإن كان إمامُكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ جَهْمِيًّا وَهُوَ سُلْطانٌ؛ فَصَلِّ خَلْفَهُ، وأَعِدْ صَلاتَكَ، وإنْ كانَ إمامُكَ مِنَ السُّلْطانِ وَغَيْرِهِ صاحِبَ سُنَّةٍ؛ فَصَلِّ خَلْفَهُ، ولا تُعِدْ صَلاتَكَ**)

هنا الآن مسألة حصل فيها خلاف بين أهل العلم؛ وهي الصّلاة خلف المبتدع.

البدعة قسمان: بدعة مكفّرة، وبدعة غير مكفّرة.

البدعة المكفرة: لا تصلّ خلفه، قولاً واحداً؛ لأنّه كافر، فصّلاتُك خلفه باطلة؛ غير صحيحة.

البدعة غير المُكفّرة: هي الآن محل النّزاع؛ بعض العلماء: منع الصّلاة خلف المبتدع مُطلقاً،

وبعضهم قال: يجوز الصّلاة خلف المبتدع؛ والقول الثّاني هو الصّحيح؛ أن تصلّي خلفه مجرّد صلاة ولا تسمع منه محاضرة ولا كلمة؛ هذا جائز، والسّبب:

أنّ القوم الذين جاؤوا لِقتل عثمان عند محاصرته؛ كانوا هم الذين يُصلّون بالنّاس؛ فجاء أحد المسلمين إلى عثمان رضي الله عنه، واستأذنه؛ قال: "يؤمّ بنا إمام فتنة؛ فماذا نفعل؟

فقال: الصّلاة خير ما يفعل النّاس، فإذا أحسنوا؛ فأحسِنوا معهم، وإذا أساؤوا؛ فاجتنبوا إساءتهم".

من هنا أخذ من أخذ من العلماء جواز الصّلاة خلف المبتدع، لكن أنت تحرِص على أن تصلّي خلف السّنّي، فإن صلّيت خلف المبتدع؛ فصلاتك صحيحة ولا تُعِد.

لكن إن صلّيْت خلف الجهمي؛ فالجهمي كافر؛ فيجب عليك أن تعيد، لكن إن كان هذا الجهمي إماماً؛ يعني سلطاناً؛ حاكماً؛ وربّما إذا خرجت من خلْفه أحدثْت فتنة، وربّما قُطعَت رقبتُك؛ فقال: تصلّي خلفه ثمّ تُعيد في بيتك؛ كما أمر النّبي ﷺ عندما قال: إنه سيأتي أئمة يؤخرون الصلاة عن وقتها، قال: "تصلي معهم وتجعلها نافلة ثم تعيد الصلاة[١]"، وهنا لا نقول تجعلها نافلة؛ لأن الصّلاة خلف الكافر لا تصحّ أصلاً؛ إلّا أن تنوي أن تصلّي مُنفرداً؛ لكن تعيد الصّلاة ولابد؛ لأنّ الصّلاة خلفه باطلة إذا كان كافراً؛ هذا هو التفصيل في هذه المسألة؛ وهي الصّلاة خلف المبتدع.

وقلنا: المبتدع على قسمين:

مبتدع بدعة كفريّة، ومبتدع بدعة غير كفريّة

المبتدع بدعة كفريّة: هذا لا يصلّى خلفه، أمّا المبتدع بدعة غير كفريّة؛ فهذا تجوز الصلاة خلفه.

لكن صلاة الجمعة ستلزمك بأن تسمع للمبتدع، وقد قلنا: غير جائز أن تسمع للمبتدعة؛

لذلك لا يجوز أن تتعمّد الصّلاة يوم الجمعة خلف المبتدع حتّى لا تستمع إلى شبهاته،

---

(١) أخرجه مسلم (٦٤٨) عن أبي ذر؛ قال لي رسول الله : "كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟ - أَوْ - يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟» قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ، فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ"، واللفظ الآخر: " قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَضَرَبَ فَخِذِي: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي قَوْمٍ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟» قَالَ: قَالَ: مَا تَأْمُرُ؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، ثُمَّ اذْهَبْ لِحَاجَتِكَ، فَإِنْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَأَنْتَ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلِّ".

وإن حصل ووقعت في هذا الموقف ودخلت ووجدت الإمام مبتدعاً؛ فاشغل نفسك بالتّسبيح ولا تسمع له؛ هذا ما أفتى به العلماء؛ قالوا: تشغل نفسك بالتّسبيح.

لماذا؟

قالوا: لأنّك مأمور أن تأتي إلى المسجد لسماع ذكر الله {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}(١)، وهذا المبتدع لا يذكر الله وإنّما يذكر شبهات وبدع وضلالات، وهذا ليس من ذكر الله؛ قالوا: لذلك تشغل نفسك أنت بذكر الله. والله أعلم

قال المؤلف رحمه الله :(**[١٢٥] والإيمانُ بِأنّ أبا بَكْرٍ وَعُمَرَ- رحمة الله عليهما- في حُجْرَةِ عائشة رضي الله عنها، مع رسول الله ﷺ؛ قَدْ دُفِنا هُنالِكَ مَعَهُ، فإذا أَتَيْتَ القَبْرَ؛ فَالتَّسْلِيمُ عليهِما بَعْدَ رسول الله ﷺ: واجِبٌ**)

قال: (الإيمان بأنّ أبا بكر وعمر- رحمة الله عليهما- في حجرَة عائشةَ رضي الله عنها مع الرّسول ﷺ)؛ هذا الإيمان جاء من تواتُرِ الأخبار بذلك؛ فقد تواترَت الأخبار عن المسلمين بأنّ النّبي ﷺ عندما مات دُفِن في حجرة عائشة رضي الله عنها، ولم يُدفن في المسجد ولا في المقبرة؛ دُفن في حجرة عائشة، وحُجرة عائشة كانت خارج المسجد النّبوي وليست داخله.

---

(١) [الجمعة:٩].

وكان الصّحابة قد اختلفوا أين يدفنونه؛ فدفنُوه في مكانه الذي مات فيه؛ لِحديث: "ما قَبض الله نبيّاً إلّا في المَوضِع الذي يُحبُّ أن يُدفَن فيه" (١)؛ فدفنُوه في ذاك المكان؛ ولِحكمة الله تبارك وتعالى: قبض في ذاك المكان لِأجل أن يكون بعيداً عن الغلو فيه، فلو دفن في مقبرة؛ لكان محلاً لغلو الكثير من النّاس، وبَنَوْا على قبره، وعبدُوه من دون الله تبارك وتعالى؛ فلِحكمة الله تبارك وتعالى دُفن ﷺ في حجرة عائشة بعيداً عن النّاس.

وكما ذكرنا: هذه الحجرة كانت خارج المسجد النّبوي وليست داخله، فما يستدلُّ به عبّاد القبور من جواز دفن الموتى داخل المساجد: باطل؛ لا يُستدَل بمثل هذا؛ لأنّ هذه الحجرة كانت خارج المسجد ولم تكن داخله عندما دُفن النّبي ﷺ فيها؛ وإنّما بعدما حصل تَوْسيع المسجد؛ أَدخلوا الحجرة في المسجد، وبقِيَت الحجرة بجُدرانها، على كلٍّ؛ هذا الذي حصل.

المُهم في الموضوع أنّ الصحابة ما دَفنوا النّبي ﷺ في المسجد، ولم يوصِ النبي ﷺ بدفنه في المسجد؛ حتّى يُستدل بمثل هذا! فالاستدلال به باطل، إنّما حصل إدخال الغرفة في المسجد النّبوي في عهد الدّولة الأُمَويّة؛ ولم يحصل ذلك في عهد الصّحابة رضي الله عنهم وأرضاهم.

ثم بعد أن دُفن النّبي ﷺ في تلك الحجرة، مات أبو بكر ودُفن أيضاً بجانب النبي ﷺ، ثمّ كانت عائشة رضي الله عنها أرادت أن تُدفَن مع النبي ﷺ في نفس الحجرة؛

---

(١) أخرجه الترمذي(١٠١٨) عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه ابن ماجه(١٦٢٨) من حديث ابن عباس: "قال أَبُو بَكْرٍ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ».

ولكن عمر رضي الله عنه لمّا مات استأذن أن يُدفن بجانب النبي ﷺ؛ فآثرت عمر على نفسها رضي الله عنها؛ فدُفن مع النبي ﷺ[١]، ونُقل ذلك لنا بالتّواتر؛ تواترت الأخبار عن المسلمين: أن قبر النبي ﷺ، وقبر أبي بكر، وقبر عمر في ذاك المكان.

ما الفائدة؛ أن نؤمن بهذا وأن نعرفه؟

يقول المؤلف: (فإذا أتيْت القبر فالتّسليم عليهما بعد النّبي ﷺ واجب) يعني ذُكر لك ذلك- أنّنا نؤمن به- كي نُسلّم عليهم، إذا أتيْنا ومَرَرْنا على هذه القبور؛ سلّمنا على النّبي ﷺ، وسلَّمنا على أبي بكر، وعلى عمر رضي الله تعالى عنهم؛ وذلك لأن النبي ﷺ علّمنا أننا إذا أتَيْنا على مقبرة أن نقول: "السّلام عليكم أهل ديار من المؤمنين والمسلمين..." [٢]إلى آخر الحديث الذي ورد، وورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنّه جاء ووقف على قبر النّبي ﷺ وسلم على النّبي ﷺ، ثم سلّم على أبي بكر، وسلّم على عمر رضي الله عنه[٣]؛ فهذا الفعل جائز، ويستحب فعله.

أمّا قوله: (واجب) فهذا فيه نظر؛ لأنّ الوجوب يحتاج إلى دليل شرعي يدلّ عليه، ولا يوجد دليل يدلّ على وجوب مثل هذا.

---

(١) أخرجه البخاري(٣٧٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٥) عن بريدة الأسلمي.

(٣) أخرج هذا الأثر: البيهقي في "السنن الكبرى"(١٠٢٧١)، وعبد الرزاق في "مصنفه"(٦٧٢٤)، وابن أبي شيبة في "مصنفه"(١١٧٩٣) من رواية نافع عن ابن عمر.
وأخرج نحوه: مالك في "الموطأ" (٦٨).

قال المؤلف رحمه الله: (**[١٢٦] والأَمْرُ بالمَعْروفِ، والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ: وَاجِبٌ؛ إلّا مَنْ خِفْتَ سَيْفَهُ، أَوْ عَصاهُ**)

هذه المسألة من أصول أهل السنّة والجماعة؛ وهي مسألة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

الأمر بالمعروف: والمقصود بالمعروف هنا: ما أمر الله تبارك وتعالى به في كتابه، أو في سنة رسوله ﷺ.

والنّهي عن المنكر: ما نهى عنه الله تبارك وتعالى في كتابة أو في سنّة نبيّه ﷺ.

فما وردت أدلة فيه تدلّ على وجوبه أو على استحبابه؛ تأمر به، وما ورَدت أدلة تدلّ على تحريمه أو كراهِيَتِه؛ تنهى عنه، إمّا أمر إيجاب أو استحباب أو نهي تحريم أو نهي كراهة؛ على حسب ما وردت الأدلّة في ذلك؛ هذا معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فالمُنكرات- ما حرّم الله سبحانه وتعالى- يُنهى عنها، والمعروف أيضاً يُؤمر به لِوُرود الأدلة الشرعية بذلك؛ وبذلك تستقيم أمور المسلمين، ويبقى الحق فيهم ظاهراً، والباطل مدفوناً خفيّاً؛ لأن الشخص إذا علم أن النّاس سينكرون عليه الضلال والفساد؛ لن يُظهِره وسيُخفِيه، بخلاف ما إذا انقطع الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر؛ لن يستحيَ أحد أن يُظهر الباطل وأن يترك الحق؛ وسيظهر الفساد وينتشر في الأرض.

ومن أسباب انتشار الفساد في الأرض: تعطيل هذا الأصل الذي أمر الله تبارك وتعالى به، وأمر به رسوله ﷺ، فمن أسباب الفساد الذي نراه أمامنا اليوم الإخلال بهذا الأصل؛ وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وأدلته كثيرة:

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم :{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ}(١) ، من أين جاءت خيرِيَّتُكُمْ؟ جاءت من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

قال الله سبحانه وتعالى :{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخيرِ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(٢).

وقال النّبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "من رأى منكم منكراً فليُغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"(٣)، يعني أقلّ شيء يمكن أن تفعله: هو أن تُنكر المُنكر بقلبك، وهذا ليس من ورائه ضرر تتضرّر به، فإذا استطعت أن تُنكر بيدِك وكنت من أصحاب السّلطة سواء كانت السلطة العامّة، أو السّلطة الخاصّة-كربّ الأسرة في البيت مثلاً-؛ فواجب عليك أن تُنكر بيدك؛ ما لم تخشَ من مفسدة أكبر من المنكر الذي تنكره، فإذا لم تستطع بيدك؛ فتنتقل إلى لسانك؛ والإنكار باللّسان يقدر عليه الكثير من الناس، فإذا خِفت من سَيف-كما يقول المؤلف : (إلا من خفت سيفه أو عصاه)، إذا خفت من سيف أو عصا؛ تُضرب وتُبتلى بأمر لا طاقة لك به- فعندئذ تترُك؛ وإلّا فالأصل أنك تُنكر بيدك، أو تنكر بلسانك، فإن لم تستطع على هذا، ولا على ذاك؛ فتُنكر بقلبك؛ يعني لا تحبّ هذا الشيء بقلبك، وتبغضُه، ترى مثلاً شخصاً يشرب الخمر؛ تبغضه في قلبك، ولا تحبّه، ولا تريد أن يحصل هذا الشيء؛ بذلك تكون منكراً لهذا الفعل بقلبك.

---

(١) [آل عمران:١١٠].

(٢) [آل عمران:١٠٤].

(٣) أخرجه مسلم(٤٩) عن أبي سعيد الخدري.

قال: (إلا من خفت سيفه وعصَاه) كما ذكرنا؛ إذا خِفت أن تتعرّض لبلاء لا طاقة لك به عند الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر؛ فعندئذ تترك هذا الأمر وتغيّره بقلبك، وإذا لم تخف؛ غيَّرت ما تستطيع تغييرُه؛ لكن مهمٌّ جدّا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن تقدّر المصالح والمفاسد التي ستترتّب على ذلك، مثلاً رأيت شخصاً يشرب الخمر وأنت تعلم أنك إذا أنكرت عليه شُرب الخمر؛ ترك شُرب الخمر وذهب إلى ما هو أعظم؛ كقتل المسلمين مثلاً؛ فهنا تترُكه يشرب الخمر؛ فهذا أهون من قتل المسلمين؛ فتقدِّر هذه الأمور؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بدّ فيه من تقدير المصالح والمفاسد، ولا بدّ في النّهي عن المنكر ألّا يؤدي إلى مُنكر أعظم منه؛ لأنّ الغاية والهدف من النهي عن المنكر: إزالة المنكر، فإذا كان سيُؤدِّي إلى منكر أعظم؛ إذاً فلا فائدة من إزالة هذا المنكر؛ هذه من الضّوابط التي يجب مراعاتها عند الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر.

وقد نقض هذا الأصلَ أناس كُثر، فمن القواعد التي وضعها أهل البدع في نقض هذا الأصل؛ قولهم: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذُر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه!" قاعدة فاسدة؛ تنقُض هذا الأصل؛ إذْ إنّ مضمُون هذه القاعدة: أنّنا إذا اتّفقنا على باطل: أنّنا نتعاون في هذا الباطل، أو اتّفقنا على الحق نتعاون في هذا الحق، لكن إذا اختلفْنا أيضاً في حقٍّ أو باطل؛ يسكت بعضُنا عن بعض في هذا الباطل الذي اختلفنا فيه، يعْذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

فإذا اتّفقتُ أنا معك على أمر، واختلفنا في مسائل هي أعظم من هذا الأمر؛ يعذُر بعضُنا بعضاً في ذلك؛ الصّوفي، الشّيعي، المسلم، اليهودي، النّصراني ؛ إذا اجتمعوا جميعاً على أن يخْلعوا وليّ الأمر؛ إذاً يجتمعون مع بعض ويتّحدُون ويتعاونون في ذلك،

ويعذُر بعضُهم بعضاً في اختلافاتهم في العقائد؛ لا مشكلة؛ إذا كان هذا كافراً وهذا مسلماً، هذا مشركاً وهذا موحداً هذا مبتدعاً وهذا سنياً هذا فاسقاً وهذا صالحاً، كل هذا لا يهم، المُهم في المَوضوع: أنّنا اتفقنا على إزالة الوَالي؛ إذاً نجتمعُ على ذلك؛ هذه هي القاعدة وهذا هو تطبيقها، هكذا هي أصولهم التي يمشُون عليْها؛ تعرفون هذا الأصل لِمن ومن يُدندِن حوله؟ كذلك مسألة حُرّية الرّأي؛ كلّ واحد له حُرّيتُه يتكلّم بما يشاء، يفعل ما يشاء؛ هذا أيضاً نقض لهذا الأصل الذي أصَّله ربُّنا تبارك وتعالى في كتابه وفي سنّة نبيّه ﷺ.

ليس عندنا شيء اسمه حرّية رأي في الدّين، في الإسلام لا يوجد شيء اسمه حرّية الرأي؛ هذه عند العَلمانيين، أمّا المسلمون فما عندهم هذا الشيء؛ الحق حقّ والباطل باطل،

إذا كنت تعبّر بالكفر، وتعتقد الكفر، وتتكلّم به؛ فأنت عندهُم - أي أهل الباطل - معذور؛ لك رأيُك، ولك حرّيتك.

هذا باطل؛ يجب إبطاله، ويجب إنكارُه، وتجب إزالته- هذا في ديننا وفي شرعنا- فهو منكر يجب إنكاره.

فهذه القاعدة التي وضعها هؤلاء القوم العَلمانيين ومن خلفهم من الإخوان المسلمين، ومن شابههم؛ هذه قواعد فاسدة تُبطل هذه الأصول المأمور بها في الكتاب والسنّة والمجمع عليها.

قال المؤلّف رحمه الله: (**[١٢٧] والتَّسْلِيمُ على عِبادِ اللهِ أَجْمَعِينَ**)

التّسليم على عباد الله أجمعين، المُراد بذلك: التّسليم على المسلمين؛ إفشاء السّلام فيما بينهم، وقد قال الله سبحانه وتعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا}(١)،وقال عليه الصّلاة والسّلام: "لا تدخلون الجنّة حتّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أولا أدُلُّكم على شيء إذا فَعلتُموه تحابَبْتم؟ أفشوا السّلام بينكم"(٢)، وأوصى النبي ﷺ من سأله عن دخول الجنّة؛ فقال: "تُطعم الطّعام، وتُفشي السّلام، وتصلي باللّيل والنّاس نيام، من فعل ذلك دخل الجنّة بسلام"(٣).

وأدلة إفشاء السّلام كثيرة؛ لذلك يحرص المسلم على أن يسلم على إخوانه المسلمين وعلى أن يُفشي السّلام بينهم.

وجاء في بعض الأحاديث أنّ السّلام يكون في آخر الزمان على الخاصّة(٤)؛ يعني أنّ الناس لا يسلّم بعضهم على بعض؛ وإنّما يسلّم الشخص فقط على من يعرفه ويخصّه فقط؛

وذُكر هذا على أنه من علامات السّاعة.

---

(١) [النساء:٨٦].

(٢) أخرجه مسلم(٥٤) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه الترمذي(١٨٥٥) عن عبد الله بن عمرو، وفي إسناده عطاء بن السائب، ورواه عن عطاء: أبو الأحوص، وهو ليس ممن سمع منه قبل الاختلاط.

وأصل الحديث أخرجه البخاري(١٢)، ومسلم(٣٩) عن عبد الله بن عمرو؛ أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ الإسلام خير؟ قال: " تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِف".

وفي الباب عن عبد الله بن سلام وأبي هريرة وأنس.

(٤) أخرجه أحمد (٣٨٧٠)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٤٩) عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم». وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (٦٤٧- ٦٤٨).

قال المؤلّف رحمه الله: ([١٢٨] ومَنْ تَرَكَ صَلاةَ الجُمُعَةِ والجَماعَةِ في المَسْجِدِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ؛ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، والعُذْرُ: كَمَرَضٍ لا طَاقَةَ لَهُ بالخُرُوجِ إلى المَسْجِدِ، أَوْ خَوْفٍ مِنْ سُلْطانٍ ظَالِمٍ، وما سِوى ذلك؛ فلا عُذْرَ لكَ)

الصّلاة في جماعة واجبة، وكذلك صلاة الجمعة واجبة؛ كما قدّمنا تقرير هذه المسائل فيما مضى من دروس؛ لكن هنا المؤلّف ذكر أمراً؛ قال: "ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة في المسجد من غير عذر فهو مبتدع"؛ إمّا أن يكون مبتدعاً أو أن يكون فاسقاً أو أن يكون كافراً؛ ثلاث أحكام ينالُها تارك صلاة الجمعة والجماعة.

من ترك صلاة الجمعة والجماعة لتركه للصلاة؛ لأنّه لا يصلّي أصلاً؛ فهذا الخلاف فيه معروف بين أهل العلم؛ لقول النّبي ﷺ: "العهد الذي بيننا وبينهم الصّلاة فمن تركها فقد كفر"(١)؛ اختلف فيه العلماء هل هو كفر أكبر أم كفر أصغر؟ وقد تحدّثنا فيه سابقاً.

ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة وصلّى في بيته؛ هذا أيضاً محل خلاف؛ والصّحيح: أنّه فاسق.

ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة تعبّداً؛ كما تفعله الخوارج عندما يكفّرون الحاكم، ويكفّرون الأئمة الذين في المساجد؛ فلا يصلّون جمعة ولا جماعة؛ لأنّ عندهم أئمّة المساجد كفّار، وبناءً على ذلك؛ فلا تصحّ الصّلاة خلفهم؛ لذلك صحّ عن رأس من رؤوس الخوارج في هذا الزمان أنه كان لا يصلي الجمعة ولا الجماعة في المساجد؛ لأنّه

---

(١) أخرجه أحمد(٢٢٩٣٧)، والنسائي(٤٦٣)، والترمذي(٢٦٢١) عن بريدة الأسلمي.

يكفر أئمّة المساجد، وكان يعتبر المجتمعات اليوم مجتمعات كفرية؛ فلذلك ما كان يصلّي الجمع والجماعات؛ وهذه من علاماتهم: أن تجد الواحد صورتُه صورة الاستقامة والتديّن، ولا يصلّي الجمعة والجماعات في المساجد؛ اعرف أنه رأس من رؤوسهم؛ فهم يكفرون كل من يعمل مع الدّولة؛ بأيّ صورة من صوَر العمل مع الدولة فهو كافر؛ إنسان عمل في الوزارة، عمل في الجيش، عمل في الأمن، طبعاً الخوارج هؤلاء مراتب؛ مرتبة من المراتِب: أنهم يكفّرون كلّ من عمِل في الدوائر الحكوميّة، ومن ذلك من يعمل في وزارة الأوقاف؛ وبناءً على ذلك ستكون عنده الجمعة والجماعات غير صحيحة خلف أئمة المّساجد؛ لذلك قال المؤلف هنا: "فهو مبتدع"؛ لماذا؟

لأنه ابتدع شيئاً جديداً؛ ترك الصّلاة خلف الأئمّة المسلمين.

قال: (والعذر: كمرض لا طاقة له بالخروج إلى المسجد)، هذا من يجوز له ترك الجمعة والجماعة؛ من كان له عذر، ما هو العذر؟

قال: (كمرض لا طاقة له بالخروج إلى المسجد)؛ فهذا معذور.

قال: (أو خوف من سلطان ظالم، وما سوى ذلك؛ فلا عذر لك).

وهناك كذلك أعذار أخرى كالمطر مثلاً، والبرد الشديد، وما شابه من أعذار؛ دلّت عليها الأدلّة في الكتاب والسنّة.

لكن المهم في الموضوع: أن تعلَم أنّ من ترك الجمعة والجماعة بغير عذر تعبّداً؛ فهذا مبتدعْ ضال، ومن تركَه لِغير التعبّد؛ إما يفسق أو يكفر على حسب التفصيل الذي في المسألة الفقهيّة.

قال المؤلف رحمه الله: (**[١٢٩] وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ إمامٍ، فَلَمْ يَقْتَدِ بِهِ؛ فَلا صَلاةَ لَهُ**)

يريد هنا: أنّ شخصاً يأتي إلى المسجد ويصلي خلف إمام، لكنّه لا يقتدي بهذا الإمام؛ يعني يصلي خلف الإمام في الظّاهر- في الصّورة- لكن هو في الحقيقة ناوٍ في صلاته أن يكون منفرداً يصلي وحده، فالحركات في الظاهر مع الإمام لكن في الحقيقة هو يصلّي وحده، كما تفعل الرّافضة؛ يذهبون إلى المدينة وإلى مكة، ويصلون هناك؛ فيستغرب بعض الشباب؛ يقول: كيف يصلي خلف أهل السنّة وهم يكفرونهم؟

هو يصلّي، ولكنه ينوي أن يكون على انفراد، هم ما يصلون خلف هذا الإمام؛ لأنهم يرونه كافراً- إمام المسجد- لكن المصلي منهم ينوي الانفراد، حركاته في الظّاهر تراها مع المسلمين؛ لكن في الحقيقة هم يصلون بمفردِهم.

وأبطل المصنّف صلاتهم؛ لأنّ عملهم مخالف لقول النّبي ﷺ: "إنّما جُعل الإمام ليؤتّم به"(١)؛ فلا يصحّ لك أن تصلّي خلف الإمام وأنت لا تأتم به.

قال: (**[١٣٠] والأمْرُ بالمعْروفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ بِاليَدِ واللِّسانِ والقَلْبِ؛ بِلا سَيْفٍ**)

بلا سيف: هذا قيد مهم.

الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر تقدّم القول فيه؛ لكن هنا أراد المؤلف أن يُنبّهك إلى أمر مهم وهو: (بلا سيف) : يعني ما يستدلّ به الإخوان ومن خرج من رحِم الإخوان، من جواز الخروج على الحاكم المسلم؛ لماذا؟ أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر!؟

---

(١) أخرجه البخاري(٣٧٨)، ومسلم(٤١١) عن أنس.

المؤلف يردّ عليهم من مئات السنين؛ يردّ على هذه الشبهة، لا يأتينّك الشيطان بهذه الشبهة، الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجب؛ لكن ليس منه الخروج على الحاكم الفاسق أو الحاكم غير العادل؛ ليس هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لماذا؟ أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أدلة عامّة؛ لكن أدلّة الخروج على الحاكم الفاسق أدلّة خاصّة؛ والأدلّة الخاصة أقوى في دلالتها من الأدلّة العامّة؛ فالواجب عليك أن تأخذ بكلّ دليل في مسألته الخاصّة التي ورد فيها.

يعني: نحن قد أخذنا بأدلّة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، عندما نأتي للحاكم هل نخرج عليه بالسّيف كي نغيّر ونبدّل، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر؟

نقول لك: لا ؛ لماذا؟

لأنّه ورد في الأدلة ما يدلّ على أنّ الحاكم له حكم خاص في طريقة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر معه؛ وهي النّصيحة في السّر؛ هذه هي الطّريقة، تذهب إليه في مكانه إن استطعت، وقل له في وجهه: أنت ظالم؛ تفعل كذا، وتفعل كذا؛ لا بأس، حتى لو قطع رأسك، لا مشكلة، أو أن ترسل له رسالة من الطْرق التي يمكن أن تصل الرّسالة إليه؛ فلك ذلك؛ لا إشكال، لكن لا تشهّر، ولا تعلن، ولا تخرج بالسّيف.

لماذا؟

لأن تشهيرك وإعلانك بنقد الحاكم بما عنده من ضلالات، ومن ظلم وغير ذلك؛ هذا سيؤدي إلى تهييج العامّة، وتهييج النّاس، وسيُؤدّي بعد ذلك إلى الفتن؛ إلى سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وذهاب الأموال، وإضعاف الدّولة وجعلها لقمة سائغة في أفواه أعدائها كما نرى تماماً الآن، انظروا إلى سورية ماذا حصل فيها!، وإن كان حاكمها

ليس مسلماً ،لكن كنا نقول من أول الأمر: لا قدرة لكم على ذلك، ستتسبَّبُون في فساد عريض من غير فائدة؛ وهذه الحقيقة مَوجودة أمامكم.

انظروا إلى ليبيا الآن! نفس القضية، انظروا إلى اليمَن! نفس الصّورة، انظروا إلى مصر! كلها على نفس الوتيرة.

النبي ﷺ عندما حذَّر من الخروج على الحاكم وأوصى بالصّبر عليه؛ لم يفعَل ذلك عبثاً؛ بل من آخر وصاياه ﷺ؛ قال: "أوصيكم بتقوى الله والسّمع والطّاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشي"[(١)]؛ لماذا أوصى بهذه بالذات وركّز عليها؟

عادة أنت عندما تنظر لنفسك، وتشعر أنك ستموت، وتكون عندك وصيّة مهمَّة؛ توصي بأهَمّ ما عندك؛ فهذه كانت من أهمِ ما عند النّبي ﷺ في تلك اللحظة؛ أنه يعلم أنّ هلاك هذه الأمة بسبب هذا الشيء، من خروجها على حكّامها؛ سيؤدّي ذلك إلى سفك دماء بعضهم بعضاً كما نرى اليوم تماماً؛ فقال: "وإن أُمِّر عليكم عبدٌ حبشيٌّ"، يعني: يوجد في الموضوع ظلم، هناك شخص قد وُضع في غير محلّه؛ يوجد مُنكر، لكن مع ذلك؛ لم يقل لنا: اخرجوا؛ بل قال: السّمع والطّاعة، وقال عليه الصّلاة والسّلام في نفس الحديث: "إنّه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً"؛ سيكون هناك اختلاف، تضارب، تضادّ.

كذلك جاء في الحديث الآخر؛ قال: «إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني وموعدكم الحوض»[(٢)]، وقال: «ستكون أثرة وأمور تنكرونها» قالوا: يا رسول الله فما

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٣٩)، ومسلم (١٠٥٩).

تأمرنا ؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم» [(١)]، هذا كلام النبي ﷺ: "«ستكون أثرة " يعني حكّاماً يأخذون الأموال والخيرات لِأنفسهم ولا يعطونك حقوقكم، "وأمور تُنْكرونها"، يعني ستجدون أيضاً منكرات، قال: "اصبروا حتى تلقَونِي على الحوض"؛ لم يقل: اخرجوا عليهم؛ ولكن قال :"اصبروا حتى تلقوني على الحوض"؛ إذاً ليس من الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر أن تخرج على الحاكم الظّالم بنصّ الحديث النّبوي؛ ليس حديثاً أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو عشرة؛ بل الأحاديث في هذا كثيرة؛ وردت في الوصيّة بذلك؛ دفعاً للشرّ عن هذه الأمّة.

يُلبّس البعض ويقول: أنتم ما جعلتم أنفسكم إلّا مدافعين عن الحكّام فقط.

نحن ما همنا الحُكّام؛ ليست مشكلتنا مع الحكّام؛ بل المهم عندنا هو دمُك، ودم ابنك، ودمُ أبيك، عِرضك، مَالُك؛ وفتنة الناس في دينهم، هذا الذي يهمُّنا بعد طاعة الله بفعل ما أمر به في هذا الباب، وهذا الذي ندافع عنه؛ لأنك عندما تخرج سيُنتهك هذا كلُّه، وسيضيع هذا كله وسيفتن الناس في دينهم كما ترى اليوم تماماً، ليس المهم الحاكم؛ الحاكم إذا زال سيأتي غيره؛ سواء كان صالحاً أو طالحاً؛ المهم في القضية هو ما سيحصُل على هذه الأمَّة من فِتن، ومن بلايا؛ لِذلك حذَّر النبي ﷺ من ذلك، فمع مصلحة إزالة الحاكم الفاسِد ووَضْع الحاكم العَادل؛ لكن المَفسدة التي ستترتَّب على ذلك أكبر وأعظم، ورُبّما تتحقّق المصلحة المرجوَّة، وربما لا تتحقّق.

ومن القواعد المقرّرة في العلم الشّرعي الدّيني الإسلامي: أن درأ المفاسد أولى من جلب المصالح؛ وهذه منها؛ لذلك عندما يأتيك مُلبِّس ويُلبّس عليك بأنّنا نأمر بالمعروف وننهى

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣).

عن المنكر؛ قل له ما قاله عمر: «لقد أخطأتْ استُك الحُفرة»؛ هذا الكلام باطل فقد جاءت أحاديث خاصّة بهذه القضية؛ فلا تعدل عنها إلى أحاديث عامّة.

قال: (والأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر باليد واللسان والقلب؛ بلا سيف) يريد أن يُنبّه على هذا الأمر؛ هذه من عقيدة أهل السنة والجماعة من القديم وليس اليوم.

قال المؤلف: (**[١٣١] والمَسْتُورُ مِنَ المُسْلمينَ مَنْ لا يَظْهَرُ مِنْهُ رِيبَةٌ**)

المسلم الذي أظهر الإسلام ولم يُظهر ما يخالفه، ولم يُظهر ما يخالف العدالة؛ الأصل فيه أنّه مسلم.

لكن هل يقال الأصل في المسلم العدالة؟

الصّحيح: لا؛ لا يقال هذا، المُسلم الأصل فيه أنّه مجهول، لا يُعرف حاله؛ حتى يُتبيَّن من أمره؛ عندئذٍ نحكم عليه، لكن الأصل فيه الإسلام؛ إذا قال: لا إله إلا الله محمّد رسول الله؛

ثمّ نتبيَّن بعد ذلك مِن حاله؛ لأن الله تعالى قال: {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا}(١)؛ إذاً نحن بحاجة إلى أن نعرف ونُميّز بين الفاسق وغيره، فعندما يأتينا شخص؛ إمّا أن يكون فاسقاً، أو يكون عدلًا، أو أن يكون مَجهولاً لا يُعرَف حاله؛ هو واحد من هذه الثلاثة، فالأصل فيه الجهالة؛ أنّنا نجهل حاله؛ لا نعرف حاله؛ ثمّ بعد ذلك يتبيَّن؛ إمّا أن يكون فاسقاً، أو يكون عدلاً.

ولا شكّ أنه لا يجوز الحكم على النّاس بالظّن الذي لا يكون مدعوماً بالأدلّة؛ هذا الظّنّ ظنٌّ باطل، ظنٌّ فاسد؛ وهو الذي قال فيه الله عز جل: {إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ

---

(١) [الحجرات:٦].

إثْم}[١]، وقال النبي ﷺ: "إيّاكم والظن فإنّ؛ الظّنَّ أكْذب الحديث"[٢]، هذا الظن؛ هو الظن الذي لا يُبنى على أدلّة؛ إنما شيء هكذا خطر على بالك فتقول: والله أظن كذا، أظن كذا!

من أين؟ ليس عندك أدلة؛ إذن هذا ظن باطل.

وأمّا الظن الذي يُبنى على الأدلّة؛ فهو ظنّ معمولٌ به، والأخذ به واجب.

قال المؤلّف رحمه الله :(**[١٣٢] وَكُلُّ عِلْمٍ ادَّعاهُ العِبادُ مِنْ عِلْمِ الباطِنِ، لِمْ يَوجَدْ في الكِتابِ والسُّنَّةِ؛ فَهُوَ بِدْعَةٌ وَضَلالَةٌ، ولا يَنْبَغي لأَحَدٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، ولا يَدْعُو إِلَيْهِ**)

بعض فرق الضّلال تقسِّم العلم إلى: علم ظاهر وعلم باطن.

هؤلاء الزنادقة الكفرة؛ أرادوا أن يُلبّسُوا على النّاس وأن يُغيِّروا الدّين بهذه الدّعوة؛ فيأتي يقول لك: الدّين له ظاهر وله باطن؛ يقول: الصّلاة حقيقتها ليست صلاة؛ بل حقيقتها هو الدّعاء، فإذا أتيْت بالدّعاء؛ فقد التَزمْت بأمر الله بالصّلاة، كذلك الزّكاة: طهارة النَّفس؛ تَنقيَة النفس، وليس المُراد منها زكاة المال، وهكذا الحجّ؛ معناه الذّهاب إلى المشايخ وليس الطّواف بالبيت وما معه من مناسك؛ فعندهم حقائق غير الحقائق التي تقرأها وتعلمُها أنت من الكتاب والسنّة، يقول لك: هذا العلم علم لِلمساكين الدّراويش؛ عامّة النّاس المساكين؛ هم يأخذون بالظّاهر؛ لكن الإنسان إذا تقوّى في الإيمان: وصل إلى علم الباطن؛ فلِذلك تسقط عنه التّكاليف كلّها عند البعض؛ هؤلاء

---

[١] {الحجرات:١٢].

[٢] أخرجه البخاري(٦٠٦٤)، ومسلم(٢٥٦٣) عن أبي هريرة.

غلاة الصّوفية، والإسماعيليّة، وغيرهم أنواع من هؤلاء الذين يُسمّون بالباطنيّة؛ تجدُهم في كتب الفِرَق والطّوائف.

وهؤلاء كفرة؛ لأنّ عندهم ديناً آخر خاصاً بهم؛ ليس بِديننا الّذي نعرفُه.

قال رحمه الله: (**[١٣٣] وأيُّما امْرَأةٍ وَهَبَتْ نَفْسَها لِرَجُلٍ؛ فَإنّها لا تَحِلُّ لَهُ، يُعاقَبانِ إنْ نالَ منها شَيْئاً؛ إلّا بِوَلِيٍّ، وشاهِدَي عَدْلٍ، وَصَداقٍ**)

مسألة هبة المرأة نفسها للرّجل؛ هذه خاصّة بالنّبي ﷺ؛ كانت تأتي المرأة، وتهب نفسها للنبي ﷺ، فإن قبلها تزوّجها، وإن لم يقبلْها ردّها؛ وهذه خاصّة به ﷺ.

عندما نقول لك: هذا الأمر خاص بالنّبي ﷺ؛ فيلزمُكَ أن تطالب بالدّليل؛ لأنّ الأصل عموم التّشريع، فإذا قلنا عن أمر إنه خاص؛ يلزم علينا أن نأتي بالدّليل؛ والدّليل هنا قول الله تبارك وتعالى: {وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}[١]؛ هذا هو دليل التخصيص؛ إذاً لا يصحُّ أن تهبَ المرأة نفسها لأيّ رجل، لا بدّ من إذن الولي ومن الصداق.

معنى أن تهب نفسها: أن لا يكون هناك صداق ولا وليّ؛ فلابد من إذن وليّها، ولا بدّ من وجود صداق بينها وبين الرّجل؛ عندئذ يكون النّكاح صحيحاً؛ فالنّكاح لا يصح إلا بوليّ؛ لقول النّبي ﷺ:"لا نكاح إلّا بوليّ"[٢]، فلا بدّ أن يكون وليّ المرأة مَوجوداً؛ المرأة تتأثّر بالعواطف؛ كلمتين حُلوتين من الرّجل؛ تمشي معه؛ هذا أمر معروف؛ فلا

---

(١) {الأحزاب:٥٠].

(٢) تقدم تخريجه.

تستطيع أن تقدّر مصلحتها عند من؟ فلِذلك جعل الله تعالى لها وليّاً هو يختار لها؛ يختار لها من يُناسبها، ويصلُح لها؛ لا ما يُناسبه هو ويصلُح له، الولي مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى أن يختار لوليّتِه رجلاً صالحاً يصلُح لها، ويُناسبها؛ يُناسبُها في الدّين، يناسبها في الخلق، يُناسبها في كلّ ما يُعينها على أمر دينِها ودُنياها؛ ولا يعتبِر مصلحتَه الشخصيّة عند تزويجها؛ يرى الشخص غنياً؛ فيطلب منه أموالاً كي يغنى هو، ويرمي بِنته لهذا الرّجل؛ كما يُفعل اليوم كثيراً؛ يُزوِّجون بناتهم صغارًا لرجال أغنياء؛ رجل تجده في السّبعين، أو الثّمانين من عمره؛ ليس عنده دين، ولا خلق؛ إنما عنده مال؛ يُزوِّجه ابنته كي يأخذ منه المال؛ هذا لم يزوج البنت لمصلحتها؛ وإنّما زوّجها لمصلحة نفسه، وهذا سيُسأل أمام الله سبحانه وتعالى عن ذلك.

قال المؤلف رحمه الله: **([١٣٤] وإذا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ على أَحَدٍ مِنْ أَصْحابِ رسولِ الله ﷺ ورضي الله عنهم؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صاحِبُ هوىً، وصاحِبُ قَوْلِ سُوءٍ؛ لقول رسول الله ﷺ: "إذا ذُكِرَ أَصْحابي؛ فَأَمْسِكوا"[1]؛ فَقَدْ عَلِمَ النَّبيُّ ﷺ ما يَكونُ مِنْهُمْ مِنَ الزَّلَلِ بَعْدَ مَوْتِهِ؛ فَلَمْ يَقُلْ فيهم إلّا خَيْراً، وقوله: ذَروا أصحابي؛ لا تقولوا فيهم إلا خيراً، ولا تُحَدِّثْ بِشَيْءٍ مِنْ زَلَلِهِمْ، ولا حَرْبِهِمْ، ولا ما غابَ عَنْكَ عِلْمُهُ، ولا تَسْمَعْهُ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِهِ؛ فإِنَّهُ لا يَسْلَمُ لَكَ قَلْبُكَ إنْ سَمِعْتَ)**

وهذا تقدّم معنا؛ ما هو موقف المسلم من أصحاب النّبي ﷺ؟

---

(١) تقدم تخريجه.

موقفُه أن يحبُّهم، ويتولّاهم، ويُثني علَيهم، ويذكرُهم بخير، ويدعو لهم، ويُمسِك عمّا شجر بينهم وما حصل معهم من خلاف، ما حصل من بعضهم من أخطاء؛ يمسك عنها ولا يتحدّث بها، ولا يصْغي إلى من يتحدّث بذلك؛ خشية أن يقع شيء من ذلك في قلبه فيَهلَك؛ فأصحاب النبي ﷺ كما يقال اليوم: خط أحمر، إذا تجاوزته: هلكْت؛ لماذا؟ لأنّهم هم شهودنا، هم الذين حمَلوا لنا كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، فإذا طَعنّا فيهم: فقد طَعنّا في الكتاب والسنّة؛ فذهب الدّين بالكامل؛ لذلك فالزّنادقة، والذين أرادُوا الكيْد بدين الإسلام؛ بدأوا بهم؛ بأصحاب رسول الله ﷺ؛ لِأنهم علِموا أنهم إذا أسقطوا الصّحابة؛ ما بَقِيَ لنا لا كتاب ولا سنّة؛ كيف نأخذ ديننا من فاسق أو من كافر؟ إذا فسّقناهم أو كفَّرناهم ما بقِيَ لنا من دِين؛ لذلك جاؤوا إليهم، وأرادوا أن يكفروهم وأن يُفسِّقوهم، وإذا أرادوا أن يبدؤُوا بالصّحابة؛ بدؤوا بمعاوية، فإذا سمعت شخصاً يطعَن في معاوية؛ فاعرف أنّه يريد دين الله؛ لأنه يبدأ بمعاوية، ثم يرْتقي إلى الصّحابة، ثمّ يرتقي إلى الكتاب والسنة؛ هذه هي طريقتهم؛ لذلك قال أبو زرعة الرّازي رضي الله عنه: "من سبّ واحداً من أصحاب النبي ﷺ؛ فهو زنديق" لماذا هو زنديق ؟ لأنّ هذا مبتغاه ونهايته: أن يصل إلى الطّعن في دين الله تبارك وتعالى.

والنّبي ﷺ أمرك بأمر؛ فالتزم به؛ قال: "إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا"؛ فالواجب عليك أن تُمسك وألّا تدخُل فيما شجر بينَهم؛ هم قد علم النبي ﷺ -كما قال المؤلّف- ما يكون منهم من زلل بعد موته؛ فلم يقُل فيهم إلّا خيراً؛ فهم في ذلك ما بين مجتهد وما بين مُخطئ مَغفور لَه؛ فمالَك أنت تدخل بينهم في هذه القضايا؟

هذا الّذي نعتقدُه، وهذا الّذي ندينُ الله به، والأدلة كلّها ذكرناها سابقاً.

قال: ([١٣٥] وإذا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ على الآثارِ، أَوْ يَرُدُّ الآثارَ، أَوْ يُرِيدُ غَيْرَ الآثارِ؛ فاتَّهِمْهُ على الإسلامِ، ولا تَشُكَّ أَنَّهُ صاحِبُ هوىً مُبْتَدِعٌ)

كما يحصل اليوم كثيراً في الإذاعات وفي غيرها، خاصة هذه القنوات الفضائية التي صارت تأتينا بكلّ من هبَّ ودبَّ، هذا الشّخص يكون منافقاً وزنديقاً؛ هالكاً من كل وجه؛ يظهر ويقول لك: قال الله، قال رسول الله ﷺ ؛ النّاس تجري إليه؛ لماذا؟! ما أدراك عن الدين الذي يدين الله به؟! والله نسمع كُفْريات عَجيبة من بعضهم؛ هؤلاء الّذين ينقُلون كلامهم عن القنوات الفضائية؛ فلا تعط سمعك لكل من هبّ ودبّ، واحذر، وإذا سمعت من يطعن في الآثار، أو يرُدّ الآثار، أو يريد غير الآثار؛ فاتّهمْه على الإسلام، اليوم العقلانيون كُثر، وهؤلاء الّذين يتحدّث عنهم المؤلّف؛ يحكم على كتاب الله وعلى سنّة رسول الله ﷺ بعقله؛ كذلك الذي قال- لمّا ذُكر له حديث الذّباب الذي في "صحيح البخاري" قال النبي ﷺ: "إذا وقع الذّباب في إناء أحدكم فليغمسه ثمّ لينْزعه فإنْ في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء"(١)- لمّا سمع بهذا الحديث عن النبي ﷺ قال: ألقِ به من النّافذة! وآخر يقول: ضعه تحت قدمك- هذا الحديث- !

لماذا؟!

يقول لك: كيف؟ هذا لا يدخل العقل؛ لا يدخل الدماغ.

يُقال له: لقد أثبتوه في المختبرات الكفريّة؛ قال: نعم خلاص سلّمنا بهذا!

(١) أخرجه البخاري(٥٧٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أنت لا تؤمن بكتاب الله ولا بسنة رسول الله ﷺ؛ أنت تؤمن بالمختبرات الكفريّة فقط؛ مختبرات الكفّار.

قال: (إذا سمعت الرّجل يطعن على الآثار، أو يردّ الآثار) أيُّ شخص سمعتَه يطعن في الأحاديث؛ يطعن في أحاديث الدّجال، يطعن في أحاديث نزول عيسى عليه السّلام، يطعن في حديث الذّباب، يطعن في حديث موسى عليه السّلام عندما يضرب المَلَكَ ويفقأ عينه، يطعن في أي حديث من الأحاديث التي ثبتت في سنّة النّبي ﷺ؛ فاحذرْ منه تلقائياً؛ مباشرةً؛ فاعلم أنّه صاحب هوى؛ رجل يحكم على دين الله بِهواه، وهؤلاء كُثُر، وهم من الذين قال فيهم النبي ﷺ: "دعاة على أبواب جهنّم من أجابهم قذفوه فيها"، وأنت اختر لنفسك بعد ذلك.

قال المؤلف: (**[١٣٦] واعْلَمْ أَنَّ جَوْرَ السُّلْطانِ لا يُنْقِصُ فَريضَةً مِنْ فرائِضِ اللهِ التي افْتَرَضَها على لسانِ نبيّه ﷺ، جَوْرُه على نفسه، وتَطَوُّعُكَ وَبِرُّكَ مَعَهُ تامٌّ إن شاء الله تعالى، يعني الجَماعَةُ والجُمُعَةُ مَعَهُمْ، والجِهادُ مَعَهُمْ، وكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الطّاعاتِ؛ فَشارِكْهُمْ فِيهِ؛ فَلَكَ نِيَّتُكَ**)

قال: (واعْلَمْ أَنَّ جَوْرَ السُّلْطانِ لا يُنْقِصُ فَريضَةً مِنْ فرائِضِ اللهِ التي افْتَرَضَها على لسانِ نبيّه ﷺ، جَوْرُه على نفسه) يعني إذا ظلم الحاكم، وغيّر أو بدّل؛ فلا يُنقص ذلك فريضة من فرائض الله سبحانه وتعالى؛ يعني لا يُغيّر في شرع الله شيئاً، يعني: لا سمع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

عندما يأتي الحاكم ويمنع تعدّد الزوجات؛ هنا لا سمع ولا طاعة؛ تعدّد الزوجات من ديننا ومن شرعنا، وبطلانه دين العَلمانيين ليس من ديننا نحن؛ فلا سمع ولا طاعة له في ذلك؛ نعدّد لا بأس؛ بالعكس أنا أحث من كان في بلده مثل هذا القانون: أن يركّز على هذا الأمر وأن يعدّد، ويعينُه الله سبحانه وتعالى.

قال: (جوره على نفسه) ظلمه على نفسه؛ نحن لا نسمع ولا نطيع له في معصية الله؛ لكن لا نخرج عليه في نفس الوقت ما دام مسلماً.

قال: (وتطوُّعك وبرُّك معه تامٌّ إن شاء الله تعالى) تبقى معه على طاعة الله؛ لا تخرج عن طاعته.

قال: (يعني الجماعة والجمعة معهم، والجهاد معهم، وكلّ شيء من الطّاعات، فشاركهم فيه؛ فلَك نيَّتُك) تشاركُهم في الطّاعة، وتجتنبُهم في المعصية؛ "فلا طاعة لِمخلوق في معصية الخالق"؛ كما قال ﷺ، وقال: "إنّما الطّاعة في المعروف"، غير ذلك؛ لا سمع ولا طاعة لهم في معصية الله سبحانه وتعالى، ونسمع ونطيع في طاعة الله.

ورحِم الله عثمان في كلمته التي قالها؛ قال رضي الله عنه عندما سُئِل عن الصّلاة خلف من جاؤوا ليَقتلوه: "الصّلاة خيرُ ما يفعل النّاس، فإذا أحسنُوا فأحسِن معهم، وإذا أساءُوا فاجتنِب إساءتهم"[(١)]، أمر من أمُور الجماعة المسلمة؛ شارِكْهم في الخير، واجتنبهم في الشّر والمعصية.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٩٥): عن عبيد الله بن عدي بن خيار، أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه، - وهو محصور - فقال: إنك إمام عامة، ونزل بك ما نرى، ويصلي لنا إمام فتنة، ونتحرج؟ فقال: «الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس، فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم» وقال الزبيدي، قال: الزهري: «لا نرى أن يصلى خلف المخنث إلا من ضرورة لا بد منها».

وكذلك هؤلاء، أقاموا الجمعة والجماعات؛ شاركْهُم في ذلك؛ فهذا خير، أمروك بمعصية الله؛ فاجتبهم.

قال المؤلف :(**[١٣٧] وإذا رأيتَ الرَّجُلَ يَدْعو على السُّلْطانِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صاحِبُ هوى، وإذا رأيتَ الرَّجُلَ يَدْعو للسُّلْطانِ بالصَّلاحِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صاحِبُ سَنَّةٍ إن شاء الله؛**

لقول الفُضَيْلِ بن عِياضٍ: "لو كانت لي دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ؛ ما جَعَلْتُها إلّا في السّلطان".

قيلَ لهُ: يا أبا علي! فَسِّرْ لنا هذا؟

قال: "إذا جَعَلْتُها في نَفْسي؛ لَمْ تَعْدُني، وإذا جَعَلْتُها في السُّلْطانِ؛ صَلَحَ؛ فَصَلَحَ بِهِ العِبادُ والبِلادُ.

فأُمِرْنا أَنْ نَدْعوَ لَهُمْ بالصَّلاحِ، ولَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نَدْعُوَ عَلَيْهِم؛ وإنْ جاروا وظَلَمُوا؛ لأَنَّ ظُلْمَهُمْ وجَوْرَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ، وصَلاحُهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وللمُسْلمينَ)

قال: (لقول الفُضَيْلِ بن عِياضٍ: "لو كانت لي دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ؛ ما جَعَلْتُها إلّا في السّلطان".

قيلَ لهُ: يا أبا علي! فَسِّرْ لنا هذا، قال: "إذا جَعَلْتُها في نَفْسي؛ لَمْ تَعْدُني) يعني كانت قاصرة عليّ أنا فقط؛ فائدتها ومنفعتها ترجع ليَّ أنا فقط، (وإذا جعلتها في السّلطان صلَح فصلح به العباد والبلاد) هذا هو: لا ينظرون إلى مصلحتهم الشّخصيّة، ولا مصلحة أحزابهم، ولا ينظرون إلى الكراسي؛ ليسَ هذا همُّهم؛ نحن نريد صلاح هذا الحاكم؛ هو نفسُه الحاكم ليبقى، نُريد صلاحُه؛ الله يصلحْه، فإذا صَلح عَادت منفعته وخيرُه على النّاس جميعاً.

أمّا غيرهم من أهل الضّلال؛ يقول لك: لا؛ نحن لا نريد الحاكم من أصله؛ أنا أريد الكرسي؛ هؤلاء أصحاب دنيا، أما أصحاب الآخرة! انظر كيف تكون دعوتهُم؛ نسأل الله أن يُصلح الحاكم، وأن يُوفّقه إلى الحكم بكتاب الله، وبسنّة رسول الله ﷺ؛ ماذا يضرُّك أنت؟! هذا كلّه منفعته في النّهاية ترجع على العباد وعلى البلاد؛ ولذلك تدعو له بالصّلاح، أمّا أن تدعو عليه أن يهلك مثلاً؛ ما أدراك أن يأتي شخص أشرّ منه وأكثر منه فساداً؛ ما تنتفع بشيء؛ لذلك قال هنا: (إذا رأيت الرّجل يدعو على السّلطان؛ فاعلم أنّه صاحب هوى) له مغزَى، لَه هوى من وراء هذا الأمر، بخلاف إذا ما رأيت الرّجل يدعو للسّلطان بالصّلاح؛ فاعلم أنّه صاحب سنة؛ هكذا كان السّلف رضي الله عنهم :يدعون للسلاطين وللحكّام بالصّلاح وبالخير؛ لعلهم يرجعون إلى الله سبحانه وتعالى؛ فينفعون أنفسهم وينفعون النّاس، وينفعون البلاد؛ فيعمُّ الخير.

قال: (فأُمِرْنا أَنْ نَدْعوَ لَهُمْ بالصَّلاحِ، ولَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نَدْعُوَ عَلَيْهِم؛ وإِنْ جاروا وظَلَمُوا؛ لأَنَّ ظُلْمَهُمْ وجَوْرَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ، وصَلاحُهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وللمُسْلمينَ)

الظلم والجور في النهاية هو مُهلك لهم؛ لكن صلاحهم سينفعُهم وسينفع بقيّة الخلق.

قال المؤلّف رحمه الله: (**[١٣٨] ولا تَذْكُرْ أَحَداً مِنْ أُمَّهاتِ المُؤْمِنينَ- رضي الله عنهنّ- إِلّا بِخَيْرٍ**)

أمّهات المؤمنين يعني بهنّ أزواج النبي ﷺ، قال الله تبارك وتعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}(١)، وهنّ هنا أمّهات المؤمنين في الاحترام،

---

(١) [الأحزاب:٦].

والتّقدير، ومعرفة المكانة؛ فلا يجوز التنقّص منهنّ أو ذكرهنّ بما يسوء، والواجب معرفة قدرِهنّ؛ فهنّ زوجات النّبي ﷺ اللّاتي رضي بهنّ زوجات، ورضي الله سبحانه وتعالى له أن يكنّ زوجاته؛ فلِذلك الواجب هو احترامُ أمّهات المؤمنين، وعدمُ ذكرهنّ إلّا بخير.

هذه عقيدة أهل السنّة والجماعة؛ خلافاً للرّافضة الذين يرمُون أمّهات المؤمنين بأنواع الافتراءات والأكاذيب.

ومن طعن في أمّهات المُؤمنين؛ فهذا فاجر ضال مُبتدع، وإذا طعن في أعراضِهنّ؛ فهو كافر؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قد برّأ عائشة رضي الله عنها في كتابه، وبقيّة أزواجه مثلُها رضي الله عنهنّ جميعاً.

قال: ([١٣٩] **وإذا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَعاهَدُ الفَرائِضَ في جَماعَةٍ مَعَ السُّلْطانِ وَغَيْرِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صاحِبُ سُنَّةٍ إِنْ شاءَ اللّهُ تعالى، وإذا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتهاوَنُ بِالْفَرائِضِ في جَماعَةٍ، وَإِنْ كانَ مَعَ السُّلْطانِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صاحِبُ هَوى**)

يتعاهد الفرائض، أي: يُحافظ عليها؛ يحافظ على الفرائض في جماعة، يصلّي في المسجد ويحافظ على ذلك؛ سواء كان مع السّلطان أو مع غير السّلطان؛ المهم في ذلك أنّه حريصٌ على صلاة المسجد؛ لأنّ الله تبارك وتعالى قال: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ }(١)، فمن حرص على صلاة الجماعة؛ فهذا في قلبه خير، وفيه

---

(١) [التوبة:١٨].

إيمان، كما جاء أيضاً في فضيلة من فعل ذلك حديث السّبعة الذين يُظلّهم الله بظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه؛ قال: "ورجل قلبُه معلّق بالمساجد"(١).

والذي يترك صلاة الجماعة، ولا يُحافظ عليْها لِغيْر عذرٍ؛ فهذا يقول المؤلّف إنّه صاحب هوى؛ فاتّبع هواه، وترك صلاة الجماعة؛ إمّا تعبّداً كما تفعله الخوارج والمعتزلة؛ وهؤلاء مبتدعة، أو تكاسلاً؛ وهذا يعتبر فسقاً من فاعله، إذا لم يكن متأولاً.

قال: (**[١٤٠] والحَلالَ: ما شَهِدْتَ عَلَيْهِ وَحَلَفْتَ عليْهِ أَنَّهُ حَلالٌ، وَكَذلِكَ الحَرَامُ، وما حاكَ في صَدْرِكَ؛ فَهُوَ شُبْهَةٌ**)

هذا لحديث: "الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات"(٢)، تشتبه على كثير من النّاس، لكن علمُها عند أهل العلمِ؛ أهل العلم يعلمُونها، فمن اشتبه عليه أمرٌ؛ يردّه إلى أهل العلم، لكن الواجب عليه إذا علِم الحلال: أن يتمسّك به وليمض عليه، وإذا علِم الحرام: يعتقد حرمته ويجتنبه ويتمسك بذلك كذلك؛ لكن ما حَاكَ في صدرِه وما اشتبه عليه؛ فمِن الورع ومن التقوى: ترك المشّتبهات، والابتعاد عنها، وأهل العلمِ يعرفون هذه المسائل؛ فيردّ الأمر إليهم كي يُبيّنوا له أمره.

قال: (**[١٤١] والمَسْتورُ مَنْ بانَ سِتْرُهُ، والمَهْتوكُ مَنْ بانَ هِتْكُهُ**)

---

(١) أخرجه البخاري(٦٦٠)، ومسلم(١٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري(٥٢)، ومسلم(١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

الذي ستره الله ولم يفضحْه لا بالمعاصي ولا بالبدع؛ هذا أمره مَستور، قد ستره الله سبحانه وتعالى؛ فيبقى على ما هو عليه، وعلى سِتر الله سبحانه وتعالى له؛ فلا يُعامَلُ إلا بما ظهر من حاله؛ حال السِتر.

وأمّا (المهتوك من بان هتكُه) يعني الذي فضحه الله بالفسق والفجور، أو بالبدعة والضّلالة؛ فهذا قد بان أمرُه، ويُعامل كلّ منهم على حسَب ما ظهر من حاله.

قال المؤلف: (**[١٤٢] وإذا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يقولُ: فُلانٌ ناصِبِيٌّ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ رافِضِيٌّ، وإذا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يقولُ: فُلانٌ مُشَبِّهٌ أو فُلانٌ يَتَكَلَّمُ بالتَّشْبيهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، وإذا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يقولُ: تَكَلَّمْ بِالتَّوْحيدِ، واشْرَحْ لِيَ التَّوحيدَ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ خارِجِيٌّ مُعْتَزِلِيٌّ، أَوْ يقولُ: فُلانٌ مُجَبِّرٌ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالإجْبارِ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالْعَدْلِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدَرِيٌّ؛ لأَنّ هذهِ الأسماءَ مُحْدَثَةٌ؛ أَحْدَثَهَا أَهْلُ البِدَعِ**)

قال: (إذا سمعت الرّجل يقول: فلان ناصبي فاعلم أنّه رافضي)؛ هذه طريقة أهل البدع؛ أنهم يرمون أهل السنّة بخلاف ما هم عليه، فإذا كان الشّخص رافضياً رمى السنّي بالنّصب؛ لأنّ النّصب ضد الرّفض؛ الرّافضة يبغضون أصحاب النبي ﷺ، ويزعمون مُوالاتهم لآلِ بيت النّبي ﷺ، والنّواصب عَكسهم: يتوَلَّوْن أصحاب النّبي ﷺ، لكنّهم يبغضون آل بيت النبي ﷺ، فالرّافضة هؤلاء إذا سمِعت الواحد منهم يرْمي السنّي بالنّصب؛ فاعلَم أنّه رافضي؛ هذه علامتُه، عندما تصرّح لَه بأنّك تحترم آل بيت

النبي ﷺ وتحبُّهم وتتولّاهم، ومع ذلك يرمِيك بالنّصب؛ فما هو إلّا رافضي أراد أن يستُر ضلالته فرماك بهذا.

قال: (وإذا سمعت الرّجل يقول فلان مشبِّه، أو فلان يتكلّم بالتّشبيه؛ فاعلم أنّه جهمِي) كذلك نفس الشيء، ضد الجهميّة: المشبّهة، المشبّهة: يشبّهون الله سبحانه وتعالى بخَلقه؛ فصفات الخالق يجعلونها كصفات المخلوق؛ يقول: له يَد كيدي، له عين كعيني؛ هؤلاء هم المشبّهة.

والجهميّة: نفاةُ الصّفات عن الله سبحانه وتعالى؛ فلا يُثبتون لله تبارك وتعالى صفة ولا اسماً، فهؤلاء عندما يريدون أن يرموا أهل السنة؛ يرمونهم بالتّشبيه، مع أنّ أهل السنّة برآء من هذا، هم يتبرؤون من هذا التّشبيه الذي يدّعونه، لكن مع ذلك يُصرّون على رميهم بالتّشبيه؛ هذا حال أهل البدع.

انظروا إلى المُميِّعة الآن: بماذا يَرمُون أهل السنة؟

يرمونهم بالغلو؛ لأنّ الغلوَّ ضدّ التّمييع، ومع أن أهل السنّة يُصرّحون بأنهم يحاربون الغلو، يحاربون الحدادية، يحاربون الذين هم على ذلك؛ ومع ذلك يقول المميعة: أنتم غلاة.

لماذا تُصِرُّ على هذا الموضوع؟

لأنّك أنت مميّع، أردت أن تردّ عن نفسك؛ فرمَيت أهل السنّة بما يُضادّ بدعتك التي أنت عليها، فكذلك هذا الجهمي يرمي أهل السنّة بأنهم مشبّهة، والرّافضي يرمي أهل السنة بالنّصب؛ وهكذا ديْدَن أهل البدع دائماً؛ تجد المبتدع يرمي أهل السنة بخلاف بدعته؛ مع أن أهل السنّة يرُدّون عليه وعلى البدعة المضادّة لبدعته؛ ولكن مع ذلك يُريد أن يُلبّس على النّاس ويتوّهُهم؛ فيصف أهل السنة بهذه الأوصاف.

فإذا قال: فلان يتكلّم بالتّشبيه فاعلم أنّه جهمي، يعني إذا رمى من يُخالفُه من أهل السنّة بالتّشبيه، أو بأنّه مُشبّه؛ فاعلم أنّه جهمي، قد شهد على نفسه بذلك.

قال: (وإذا سمعت الرّجل يقول تكلّم بالتّوحيد، واشرح لِيَ التّوحيد؛ فاعلم أنّه خارجيٌّ معتزلي)؛ لأنّ التوحيد عند المعتزلة ليس هو التوحيد الذي عندك؛ فأنت عندما تسمع مبتدعاً يتكلّم بألفاظ؛ فينبغي عليك أن تطلب منه تفسير اللّفظ؛ لتفهم الّذي يُريده؛ كَي لا تقع في شِباكِهِ، عندما يذكر لك المعتزلي التوحيد؛ أنت تفرح؛ إذ تظنّه يعني التوحيد الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه، أو في سنّة نبيّه ﷺ؛ لا؛ التّوحيد عنده هنا معناه: نفي الصّفات؛ هذا معنى التوحيد عند المعتزلي، والشّرك عندهم إثبات الصّفات؛ لذلك قال هنا: (إذا سمعتَ الرّجل يقول: تكلّم بالتّوحيد، واشرح لِيَ التوحيد؛ فاعلم أنّه خارجي معتزلي)؛ هذا معنى التوحيد عند هؤلاء.

قال: (أو يقول: فلان مُجَبِّرٌ، أو يتكلم بالإجبار، أو يتكلم بالعدل؛ فاعلم أنّه قدري) القدري يرمي السُنّي بأنّه جبري؛ لأنّ الجبرية ضد القدريّة، فالقدري يرمي السنّي بالجبر، ويتكلّم بالعدل.

ما هو العدل؟

العدل عند المعتزلة- وهذا من أصولهم- هو نفي القدر!

من أين جاء؟

قالوا: إذا أثبتْنا القدر، وأنّ الله سبحانه وتعالى قدّر المعاصي على الخلق؛ يكون الله ظالماً لهم إذا عذّبهم على ذلك؛ إذا عذبهم على المعصية، وقد قدّر عليهم المعصية؛ فيكون ظالماً؛ لذلك من العدل أن ننفي القدر.

من هنا جاءت كلمة العدل، ومعناها: نفي القدر.

والصّحيح: أن هذا ليس بظلْمٍ، يقدر الله سبحانه وتعالى أفعال العباد؛ لكنه لا يعذّبُهم على ما قدَّر، لو لم يعملوا لما عذَّبَهم؛ فالعذاب نازل بسبب الأعمال، وليس بسبب القدر؛ فهناك فرق بين الأمرَين.

المهم: إذا رأيتَهم يرمون أهل السنّة بالجبر، أو يقول لك: تكلّم بالعدل؛ فاعلم أنه مُعتزلي قدري.

قال: (لأن هذه الأسماء) كلّها هذه التي يسمّون بها (محدَثَة)؛ يعني مبتدَعَة؛ (أحْدثها أهل البدع) وإلّا؛ لا أصل لها في الكتاب، ولا في سنَّة النّبي ﷺ، ولا عند السّلف الصّالح رضي الله تعالى عنهم؛ لكن هذه قاعدة تفهمها: المُبتدع يرمي أهل السنّة بما يُضادُّ بدعته:

الخوارج يرمون أهل السنّة بالإرجاء؛ لأنّها ضدّ بدعتهم؛ مع أنّ أهل السنّة يصرّحون ويقولون: الأعمال من الإيمان؛ وهذا الفارق بين السنّي والمرجِئ، يقول لك: الأعمال من الإيمان، وأما المرجئة فكلّهم متّفقون على أنّ الأعمال ليست من الإيمان، إذن كيف ترميهم بالإرجاء بعد ذلك؟!

هذا من الباطل؛ أنا أتبرأ من الإرجاء، وأقرّرُ لك العقيدة: عقيدة أهل السنّة والجماعة؛ ثم لازِلتَ تصرُّ على رميي بالإرجاء! لماذا؟!

كذلك المرجئ؛ يصفُ أهل السنّة بماذا؟ يصفهم بأنهم خوارج.

نحن نقول: نتبرّأ من عقيدة الخوارج: لا نستحل دماء المسلمين، ولا نستحل الخروج على الحاكم المسلم، ولا نكفر النّاس- هذه علامات الخوارج- ونحن نبرأ إلى الله منها؛ ومع ذلك يُصرّون على رمي أهل السنّة بأنّهم خوارج؛ وهكذا أهل البدع دائماً.

قال رحمه الله :(**[١٤٣] قال عبدُ الله بن المبارك رحمه الله تعالى: "لا تَأْخُذوا عَنْ أَهْلِ الكُوفَةِ فِي الرَّفْضِ شَيْئاً، ولا عَنْ أَهْلِ الشَّامِ فِي السَّيفِ شَيْئاً، ولا عَنْ أَهْلِ البَصْرَةِ فِي القَدَرِ شَيْئاً، ولا عَنْ أَهْلِ خُراسانَ فِي الإِرْجاءِ شيئاً، ولا عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الصَّرْف شَيْئاً، ولاعَنْ أَهْلِ المَدينَةِ فِي الغِناءِ؛ ولا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئاً"**)

(عبد الله بن المبارك) معروف؛ إمام من أئمة أهل السنّة والجماعة ومن أئمّة العلم؛ حتّى قال فيه بعض أهل العلم: لم يسبِقه الصّحابة إلّا بِشرف الصّحبة؛ من عظم مكانة هذا الرّجل العلميّة والدّينيّة، كان عابداً زاهداً صالحاً منفِقاً في الخيرات.

يعني: كلّ مصر من الأمصار لَهم زلّة وبدعة قد انتشرت بينهم؛ فاحذروا هذه البدع وهذه الزّلّة، ولا تُتابعوهم عليها، ولا تغُرَّنّكم الكثرة في تلك البلاد إذا نزلتموها.

قال: (لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئاً) أهل الكوفة قد انتشر بينهم التشيّع وعرفوا به؛ فاحذر إذا تكلّموا في الرّفض، في أصحاب النبي ﷺ؛ فلا تأخذ منهم، ولا تغترّ بكثرة من ترى أمامك.

قال: (ولا عن أهل الشّام في السيف شيئاً) الشام التي هي البلاد المعروفة- التي نعيش فيها: الأردن وسورية ولبنان وفلسطين؛ هذه كلها بلاد الشام- قالوا: كان عندهم تهاون في السّيف؛ في القتل، وعندهم توسّع في ذلك؛ فأمر عبد الله بن المبارك باجتنابه والحذر منه، وأن لا تتابعهم على هذا الأمر.

قال: (ولا عن أهل البصرة في القدر شيئاً) البصرة التي في جنوب العراق؛ كانت مُشتهرة بالقَدر، فكان القدرية فيها كُثر؛ فحذّر من ذلك، واليوم هم رافضة؛ الكوفة رافضة، والبصرة رافضة، وتلك المناطق جنوب العراق كلها روافض اليوم.

قال: (ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئاً) اليوم هم رافضة؛ أهل خراسان التي هي منطقة إيران؛ هذه بلاد خراسان، وكان ينتشر بينهم الإرجاء؛ الذي هو: إخراج الأعمال عن مسمّى الايمان، يقولون: أعمال الجوارح ليست من الايمان؛ لا علاقة لها بالإيمان، فإذا اعتقد المرء، أو اعتقد وقال عند البعض الآخر؛ يكون مؤمناً، حتى وإن لمْ يعمل؛ لا يهمهم هذا! واليوم هم رافضة.

قال: (ولا عن أهل مكّة في الصّرف شيئاً)؛ أهل مكّة معروفون، كان عندهم بعض التّساهل في الصّرف، والصّرف: الذي هو بيع المال بالمال، نقد بالنّقد؛ هذا من الرّبا، وهو قسمان: ربا نسيئة، وربا فضل؛ هذا محلّه الفقه، فعندهم توسّع في ربا الفضل؛ فلذلك حذّر من ذلك، وهي زلّة وقع فيها بعض أهل مكة؛ خصوصاً في ذاك الزّمن؛ فهو يتحدّث عن ذاك الزّمن.

قال: (ولا عن أهل المدينة في الغناء) أيضاً أهل المدينة كان عندهم توسّع في مسألة تجويز الغناء.

قال: (ولا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئاً) إذاً فتَحْذر من البدع المَوجودة في بعض البلاد، وتجدها بكثرة؛ وهذا اليوم كثير جدّاً، وكل بلاد لها بدعتها التي تشتهر وتُعرَف بها.

واحذر أيضاً من زلّات العلماء وأخطائهم؛ كما قال السّلف رضي الله عنهم: "من تتبّع زلّات العلماء تزندَق"؛ خرج زنديقاً في النّهاية؛ لأنّه يتحلّل من كل الشّرع، فإذا اتّبَعت زلّة ابن جُريج في نكاح المُتعة، واتّبعت زلّة فلان في الخمر؛ في النّبيذ، وزلّة فلان في الغناء، وزلّة فلان في كذا؛ في الأخير تدخل البار وتخرج وأنت محلِّلٌ لذلك؛ لأنك

مُجيز لذلك، ما عندك أيّ مشكلة! لأن هذه نتيجة تتبّع الزّلات: أنك تخرج من دين الله وأنت تراه حلالاً؛ فلا بدّ من الحذّر من ذلك.

قال المؤلف: **([١٤٤] وإذا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أبا هريرة، وأنسَ بن مالك، وأُسَيْدَ بن الحُضَيْرِ رضي الله عنهم؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صاحِبُ سُنَّةٍ إن شاء الله، وإذا رأيتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَيُّوبَ، وابْنَ عَوْنٍ، ويونُسَ بنَ عُبَيْدٍ، وعبدَ الله بن إدْرِيسَ الأَوْدِيَّ، والشَّعْبِيَ، ومالِكَ بن مِغْوَلٍ، ويَزِيدَ بنَ زُرَيْعٍ، ومُعاذَ بنَ مُعاذٍ، ووَهْبَ بنَ جَرِيرٍ، وحَمَّادَ بنَ سَلَمَةَ، وحَمَّادَ بنَ زَيْدٍ، ومالكَ بنَ أَنَسٍ، والأَوْزاعِيَّ، وزائِدَةَ بنَ قُدامَةَ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صاحِبُ سُنَّةٍ، وإذا رأيتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أحمدَ بنَ حَنْبَلٍ، والحَجَّاجَ بنِ المِنْهالِ، وأَحْمَدَ بنَ نَصْرٍ، وذَكَرَهُمْ بِخَيْرٍ، وقالَ بِقَوْلِهِمْ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صاحِبُ سُنَّةٍ)**.

أبو هريرة ، وأنس بن مالك ، وأسيد بن حضير؛ كلهم صحابة.

هذه المسألة؛ مسألة الامتحان بالأشخاص، كان السّلف رضي الله عنهم على ذلك؛ يمتحنون بالأشخاص؛ فيقول لك مثلاً: إذا رأيت الرّجل البغدادي يحبّ أحمد بن حنبل؛ فاعلم أنّه صاحب سنّة، إذا رأيت الشّامي يحب الأوزاعي وأبا إسحاق الفزارِي؛ فهو صاحب سنّة، إذا رأيت البصري يحب حمّاد بن سلمة؛ فهو صاحب سنّة؛ وهكذا،

هذه طريقتهم، وكلامهم منتشر وكثير في ذلك، وأصل هذا: قول النبي ﷺ: "آية الإيمان حبّ الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار"[١]؛ هذا الحديث هو أصل الامتحان بالأشخاص.

آية الإيمان: يعني علامته؛ علامة الإيمان: حبّ الأنصار، وعلامة النفاق: بغض الأنصار، أنت عندما تحب الأنصار؛ لماذا تحبّهم؟ ماذا بينك وبينهم؟ تحبّهم لنصرتهم للنبي ﷺ، فتحبّهم لمحبّة دين الله ومحبة رسول الله ﷺ، فلمّا كانوا مُناصرين لدين الله، مُناصرين للنبي ﷺ؛ أحبَبتهم.

وإذا أبغضتهم؛ لماذا تَبغضُهم؟ ماذا بينك وبينهم ؟

بينك وبينهم نصرتهم لدين الله ولنبيّنا ﷺ؛ فلذلك كانت هذه علامة على النّفاق أو على الإيمان، فإذا أحببتَهم؛ فلِحبّك لرسول الله ﷺ ولدين الإسلام، وإذا أبغضتَهم؛ فلبُغضك لرسول الله ﷺ ولدين الإسلام؛ فيدلّ ذلك على أنّك منافق؛ هذه هي العلامات.

كذلك أئمة الإسلام الذين عُرفوا بالسنّة، عُرفوا بالصّلاح، عرفوا بالتديّن، عُرفوا بمحبتهم للسنة ونشرهم لها، وحرصهم عليها، ودعوة الناس إليها؛ هؤلاء أيضاً والذين هم بهذه الصفات؛ يُمتحن الناس بهم ويُعرفون، فمن خلال جواب الشخص على هذا الشخص؛ تعرف مباشرة: أَهو صاحب سنّة أم صاحب بدع وضلال؟

---

(١) أخرجه البخاري(١٧)، ومسلم(٧٤) عن أنس رضي الله عنه.

وهذه أقصر طريق وأسهلها لمعرفة السنّي من البدعي؛ لذلك يقول المؤلف هنا: (إذا رأيت الرّجل يحبّ أبا هريرة، وأنس بن مالك، وأسيد بن حضير) وغيرهم.

حبّ الصحابة جميعاً هو دين نتديّن به، لكن لماذا ذكر بعض الصحابة دون بعض؟

ذلك لأن أهل البدع قد حطُّوا على بعض الصحابة أكثر من غيرهم؛ لخاصيّة في بعض الصحابة؛ مثل: أبي هريرة وأنس بن مالك مثلاً؛ هما مُكثِران من أحاديث النّبي ﷺ، فمن أراد الطّعن في السنّة؛ يأتي من هنا، فيطعن فيهما ليصل إلى الطّعن في السنّة.

أبو هريرة ماذا بينهم وبينه؟! ما لهم شُغل إلّا الطّعن فيه! لأنّه أكثر من روى أحاديث النّبي ﷺ، ومتى سقط؛ سقطت أكثر السنّة، أو كثير من السنّة؛ هذا هو هدفُهم، لِذلك إذا رأيت الرّجل يحبّ أبا هريرة؛ فهو يحب السنّة، وإذا رأيته يبغض أبا هريرة؛ فهو يبغض السنّة، ويريد أن يُسقطها؛ فلِذلك كانت هذه علامة على إيمان الشخص وعلى نفاقه.

قال: (وإذا رأيت الرجل يحبّ أيوب) بن أبي تميمة السّختياني البصري، ثقة حجة، كان إماماً في العلم والسنة.

قال: (وابن عون) عبد الله بن عون بن أرطبان، بصري، أيضاً كان إماماً في السنة وفي العلم.

كلّ هؤلاء كانوا من أهل الحديث؛ أئمة الإسلام في وقتهم؛ هؤلاء شيوخ البخاري وشيوخ شيوخه.

قال: (ويونس بن عبيد) كذلك بصري.

قال: (وعبد الله بن إدريس الأوديٍ) كوفي.

قال: (والشّعبي) عامر بن شُراحيل الشّعبي، كان حافظاً كبيراً علامة من التّابعين رضي الله عنهم، يقول: "ما كتبت سوداء في بيضاء"، ما كان يحسُن الكتابة، لكن كانت الحافظة عنده- الذاكرة- قوية جداً.

قال: (ومالك بن مِغول) كوفي

قال: (ويزيد بن زُريع، ومعاذ بن معاذ، ووهب بن جرير، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد) كلهم بصريون.

قال: (ومالك بن أنس) مدني؛ كان في المدينة، علّامة في المدينة؛ إمام دار الهجرة.

قال: (والأوزاعي) عبد الرحمن بن عمرو، شامي، كان إمام أهل الشّام في زمنه، وكان مذهبه هو المذهب السّائد، قبل أن يسود مذهب الشّافعي رضي الله عنه.

قال: (وزائدة بن قدامة) كوفي

قال: (فاعلم أنه صاحب سنة)؛ لأنّ هؤلاء كلّهم كانوا مشهورين بالسنّة؛ بنشرها، ودعوة النّاس إليها، ومحبّتها، والدّفاع عنها؛ كانوا يُعرفون بهذا، واشتُهروا بالخير والفضل والعلم بين النّاس؛ لذلك كانوا محنة، يعني يُمتحن النّاس بهم، فمن أثنى عليهم خيراً؛ فهو سنّي، كانوا إذا دخلوا الشام سألوا عن الأوزاعي، وسألوا عن أبي إسحاق الفزاري، فمن أثنى عليهم خيراً؛ فهو سني، ومن ذمّهم؛ فهو مبتدع.

كذلك مالك؛ كانوا إذا دخلوا المدينة سألوا عن مالك، فمن مدحه؛ فهو سنّي، ومن ذمّه؛ فهو مبتدع؛ هذه طريقتهم.

قال: (وإذا رأيت الرّجل يحبّ أحمد بن حنبل، والحجاج بن المنهال، وأحمد بن نصرٍ، وذكرهم بخير، وقال بقولهم؛ فاعلم أنه صاحب سنّة).

أحمد بن حنبل: معروف؛ كان في بغداد، إمام أهل بغداد في زمنه، والحجاج بن منهال كان في البصرة، وأحمد بن نصر أيضاً بغدادي.

هؤلاء كلّهم كانوا أئمة، وهؤلاء بالذّات في فتنة خلق القرآن صبروا في المحنة تلك؛ فالبعض قُتل؛ كمحمد بن نوح، والبعض صبر ونجا والحمد لله كالإمام أحمد رحمه الله، فمن ذكرهم بخير وأثنى عليهم؛ فهو صاحب سنّة، ومن ذمهم؛ فهو مبتدع ضال- في وقتهم طبعاً- وكل وقت لَه رجاله؛ يعني: ما يأتينا أحد اليوم ويقول: والله فلان يثني على أحمد بن حنبل فهو صاحب سنّة؛ لا؛ فكثير من أهل البدع والضلال اليوم يثنونَ على أحمد بن حنبل؛ لأنّه قد اشتهر بين النّاس، وصار محبوباً عند الخلق؛ فلا يستطيع الشخص أن يذمه وأن يتكلم فيه بسهولة؛ فيتكلمون في غيره.

قال :(**[١٤٥] وإذا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَجْلِسُ مَعَ أَهْلِ الأَهْواءِ؛ فاحذره، وعَرِّفْهُ، فإذا جَلَسَ مَعَهُ بَعْدَ ما عَلِمَ؛ فاتّقِهِ؛ فإِنَّهُ صاحِبُ هوى**)

هذا تابع لِما قدّمنا في الماضي من مجالسة أهل البدع، لكن فيه أمر إضافيّ؛ وهو: الإلحاق بالمبتدع.

قال: (إذا رأيت الرّجل يجلس مع أهل الأهواء؛ فاحذرْهُ) إذا رأيته يجالس أهل البدع؛ فاحذَر منه؛ لماذا؟

لأنه خطير عليك؛ مجالسته لأهل الأهواء؛ هذا أوّلاً: ما عَمِل ِبعقيدة الولاء والبراء.

ثانيا: غرّر بالنّاس بمجالسته هذه.

ثالثاً: عرّض دينه للفتنة والشّبهات.

هذه كلّها محاذير وقع فيها؛ فلا يكاد يسْلَم إلّا أن يشاء الله سبحانه وتعالى، فحفاظاً على دينك، وعقوبة له؛ وجب عليك أن تهجره وأن تترُكه.

لكن؛ متى؟ بعد أن تعلمه أنّ هذا الذي يجلس إليه مبتدع.

وإذا رأيت الرّجل يجلس مع أهل الأهواء فاحذره؛ كما قال أبو قلابة: "لا تجالسوا أهل البدع؛ فإني أخاف عليكم أن يغمِسُوكم في ضلالهم، أو يُلبّسوا عليكم بعض ما تعرفون"؛ فالأمر خطير كما قال السلف، وآثارهم كثيرة في ذلك؛ لذلك من جالس مبتدعاً؛ فهذا يُلحق به.

قال الإمام أحمد لمّا ذُكر له ذلك؛ قال: "أعلِمه بأنّه مبتدع، فإن لم يستجب؛ فألحقه به"؛ هذه قاعدته.

وكانوا يقولون: "من جالس أهل البدع فهو أشدّ علينا من أهل البدع"؛ أشد علينا من أهل البدع أنفسهم؛ هذا كلام السلف، وكلامهم في ذلك كثير.

فجاء المُميّعة اليوم يريدون أن يغيّروا هذه القواعد التي عند السلف رضي الله عنهم، والتي يُحمى بها دين النّاس ومناهجُهم.

قال: (وعَرِّفه) بيّن له بأنّه مبتدع، ربّما يكون جاهلاً، لا يدري أنّ هذا الشخص مبتدع؛ فلا تُلحقه به مباشرة.

إذا لا بدّ عندنا من قيود في مسألة الإلحاق، وليست فوضى؛ فالناس فيها ما بين الإفراط والتّفريط، كالمسألة التي قبلها: مسألة الامتحان؛ النّاس فيها ما بين إفراط وتفريط؛ بعض الناس أنكر الامتحان نهائياً، طيب؛ وأين نذهب بالعشرات من آثار السلف؛ ماذا نفعل بها ؟! حديث النبي ﷺ ماذا نفعل به؟!

والبعض غلا في الامتحان؛ حتى صار يمتحن ببعض طلبة العلم، الذين لا يُعرف لهم دعوة ولا يشتهرون بالتقوى، ولا شيء من هذه الأمور؛ فلا إفراط ولا تفريط؛ بل المسألة تحتاج إلى اعتدال؛ اعرف أوصاف السلف الذين كان النّاس يمتحنُون بهم، وامش على هذا.

كذلك هنا أيضاً؛ مسألة الإلحاق: أول ما يذكر أحد المشايخ في شخص كلمة مباشرة يلحقون به ويمتحنون به!

صبراً رويداً يا إخوة؛ ما هو هكذا؛ الأمر هكذا يُصبح فوضى، تصبح المسألة تفرُّق، واختلافات، وتشتّتات وتحزبات؛ هناك ضوابط لمسألة الإلحاق لابدّ من معرفتها؛ هذا الضّابط من أهمّها؛ هو أن يُعَرَّفَ الشّخص الذي تريد أن تُلحقه بالمبتدع: أنّ ذاك مبتدع؛ ربّما يكون الرّجل غافلاً لا يدري أنه مبتدع ولا يدري عن بدعته شيئاً؛ علّمْه، عرّفْه.

ثم ليست أيُّ كلمة يذكرها الشيخ في الشخص تلحق النّاس به؛ لا؛ أحياناً الشّيخ يذكر كلمة يُؤدِّب بها الآخر فقط؛ يريدُها من باب التأديب والزجر، لا يريد أن يبدّعه، ولا أن يضلّله، ولا أن يحذر منه، أكثر من مسألة التأديب؛ وهذه شيخنا كان فعلها مرة مع بعض الشباب؛ زجرهم وهجرهم شهراً كاملاً لا يُكلّمهم أبداً، زجرهم زجراً شديداً؛ ثم بعد شهر كلمهم، كان يريد من ذلك الزّجر والتأديب؛ ربّما يحصل هذا الشيء؛ فأنت لا بدّ أن تضع الأمور في نِصابِها الصّحيح، لا شك أنه متى بُدِّع الشخص، وكانت بدعته واضحة ظاهرة، ووقوعه فيها واضح؛ حَكَم عليه أحد العلماء الذين هم عُرفوا بمكانتهم في هذا العلم؛ حَكم عليه بالبدعة؛ عندئذ تأتي بالأدلة والبراهين

للشخص، وتقول له: فلان مبتدع، والأدلة كذا وكذا وكذا، بعد ذلك إذا عاند؛ أَلحِقه به؛ انتهى الأمر.

الشيخ عبيد حفظه الله ذكر هذا الضّابط كقاعدة عامّة، إذا عاند الرّجل؛ أَلحِقه به مباشرة.

متى يُعانِد؟ إذا أخبرته أنّه مبتدع وأصرّ على ذلك؛ عندئذ يكون معانداً؛ فتلحقه به، المهم لابد من النظر في ضوابط هذه المسألة، هذه القاعدة لا يطبقها أي أحد، يرجع فيها إلى العلماء المعتدلين، لا إلى أصحاب الغلو والشدة، ولا إلى المميعة.

قال: (وإذا رأيتَ الرّجل يجلس مع أهل الأهواء؛ فاحذرْه، وعَرِّفْه، فإن جلس معه بعد ما علِمَ؛ فاتّقِه) انظر! فإن جلس معه بعد ما علِمَ؛ أي: بعد ما علم أنه من أهل الأهواء.

قال: (فإنّه صاحب هوىً) يعني ما منَعه أن يترك المبتدِع بعدما أتَيْته بالبيّنة؟

ما الّذي منعه أن يترُكه؟ ما منعه إلّا الهوى، له مصلحة؛ وهذا موجود من قديم، وليس اليوم فقط؛ تجد الشخص له عند المبتدعة مصالح؛ إمّا مالية أو جَهَويّة أو شيء من هذا القبيل؛ فيتمسّك به ويُدافع عنه؛ وربّما يُحاربك أنت أيضاً من أجل مصلحته، يحارب في المال الذي يريد أن يأخذه، أو في الجاه والمكانة التي يريد أن يحصل عليها في الدّنيا،

عندما يكون قلبه مريضاً، ما عنده من الإيمان ما يردعُه عن ذلك؛ ما الّذي يمنعه من هذا؟!

قال المؤلف: (**[١٤٦] وإذا سَمِعْتَ الرَّجُلَ تَأْتيهِ بِالأَثَرِ؛ فَلا يُرِيدُهُ، ويُرِيدُ القُرْآنَ؛ فَلا تَشُكَّ أَنَّهُ رَجُلٌ قَدِ احْتَوى على الزَّنْدَقَةِ؛ فَقُمْ مِنْ عِنْدِهِ، وَدَعْهُ**)

أي أمره مُنْتهٍ، إذا جئتَ وناقشتَ الشخص، وقلت له: قال رسول الله ﷺ، فيقول لك: دعني من السنّة وأتني بالقرآن؛ فاغسل يديك منه واهرب؛ فهذا الرجل قد احتوى على الزْندقة؛ في قلبه كفر، أظهر لك بعضاً منه، من ردّ السنّة كفر، وهذا لا يريد القرآن أصلاً، هو يُظهر لك أنه يريد القرآن؛ لكن هو حقيقة يريد أن يتخلّص من الدّين، فما استطاع أن يشكّك في القرآن؛ فشكّك في السنّة، فقال لك: ايتِني بالقرآن ودعنا من السنّة.

وقد نقل العلماء: الإجماع على كفر من ردَّ سنّة النّبي ﷺ، فمن لم يؤمن بالآثار؛ هذا صاحب هوى، الآثار هي ديننا، النّبي ﷺ بيّن لنا القرآن، ووضّح لنا أشياء كثيرة في القرآن، لو قرأتها من القرآن وحده؛ لم تفهمها، ولم تعرف كيف تلتزم بها، الصلاة أهم شيء في أمور العبادات، قال الله:{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}؛ كيف تقيمها إذا ما كان عندك سنّة؟! الزّكاة، الصّيام، الحج؛ كلّه جاء بيانُه في السنّة عن النبي ﷺ؛ لِذلك من ردّ السنة؛ فقد ردّ دين الله تبارك وتعالى.

قال المؤلف: (**[١٤٧] واعْلَمْ أَنَّ الأَهْواءَ كُلُّها رَدِيَّةٌ، تَدْعو كُلُّها إلى السَّيْفِ، وأَرْدَؤُها وأَكْفَرُها: الرَّوافِضُ والمُعْتَزِلَةُ والجَهْمِيَّةُ؛ فإنَّهُمْ يَرُدُّونَ النَّاسَ على التَّعْطيلِ والزَّنْدَقةِ**)

الأهواء التي هي سبب مخالفة الكتاب والسنّة ، ما الذي يجعل الإنسان يخالف الكتاب والسنّة الواضحة المُحكمة أمامه؟

إنه الهوى؛ مَيل نفسه، نفسه لا تميل إلى ما ذُكر وقُرّر في السنّة؛ بل تميل إلى خلافه؛ لِذلك يتركه؛ وهذه كلّها رَديّة، يعني: ساقطة مُنحرفة.

قال: (تدعو كلّها إلى السّيف) كما قال السّلف: "ما من صاحب بدعة إلّا ومآله إلى السّيف"، يرى السّيف، يرى الخروج حتى وإن لم يصرح في وقت من الأوقات؛ سيصرح فيما بعد؛ هذا حال أكثر أهل البدع؛ يرَون السّيف.

قال: (وأردؤُها وأكفرها: الرّوافض والمعتزلة والجهمية) أرْدأُ هذه البدع؛ لأن هذه البدع كفريّة-: الرّوافض والمعتزلة والجهميّة؛ كلّ هؤلاء كفار، الرّوافض يطعنون في أصحاب النبي ﷺ ويكفرونهم؛ وهذا كفر، يرمون عائشة بالزّنا؛ هذا كفر، لا يؤمنون بسنة النبي ﷺ؛ هذا كفر؛ أنواع من الكفر، يدّعون أنّ القرآن مُحرّف؛ كذلك هذا كفر، فليست مسألة أو مسألتين كفروا بها؛ هم كفروا بمسائل.

والمعتزلة: نفوا عن الله تبارك وتعالى جميع الصفات، فكل ما أثبت الله لنفسه من صّفات هم لا يُثبتُونها؛ فهم حقيقة يعبدون عدماً؛ لا شيء، تصوّر أنت: شيء لا يُوصف بصفة؛ فهل يوجد شيء؟

لا يوجد شيء في النهاية؛ يعبدون عدماً.

والجهميّة أشدّ منهم؛ لا يثبتون أسماءً ولا صفات.

قال: (فإنّهم يردُّون النّاس إلى التّعطيل والزّندقة)؛ هذه حقيقة الأمر؛ لذلك تولَّد أصحاب وحدة الوجود، وأصحاب الحلول والاتّحاد، وغيرهم من المناهج؛ بسبب الجهمية وعقائدِها.

قال: (**[١٤٨] واعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَناوَلَ أَحَدَاً مِنْ أَصْحابِ النّبِيِّ ﷺ ورضي عنهم؛ فَاعْلَمْ أَنَّه إِنَّمَا أَرادَ مُحَمَّداً ﷺ، وَقَدْ آذاهُ في قَبْرِهِ**)

يعني من طعن في واحد من أصحاب النبي ﷺ؛ فإنما مُراده الطّعن في النبي ﷺ؛ هؤلاء أصحابه الذين كان يرتضي صُحبتهُم، وأن يكونوا معه، ويرافقهم، فأنت عندما تطعن فيهم؛ إنما تطعن في النّبيّ ﷺ، وتؤذي النّبيّ ﷺ في قبره؛ في إشارة إلى حديث: "من آذاهم فقد آذاني"[1]، الحديث فيه كلام؛ لكن المعنى صحيح؛ أنت إذا كان لك صديق تحبّه وتحترمه وترافقه، يطعن فيه شخص؛ أترضى هذا؟! ألا يؤذيك هذا ؟! هذا ما حصل، وهذا المُراد.

قال: ([١٤٩] وإذا ظَهَرَ لكَ مِنَ الإنْسانِ شَيْءٌ مِنَ البِدَعِ؛ فاحْذَرْهُ؛ فَإِنَّ الّذي أَخْفى عَنْكَ أَكْثَرُ مِمَّا أَظْهَرَ)

إذا أظهر لك بدعة؛ فكُن مُستيقناً أنّ ما في قلبه من الضّلال أكثر وأشدّ، ولكنّ أهل البدع يخافون من إظهار بدعهم وضلالاتهم، وعندهم مكر في بعض النّاس؛ فلذلك أوّل ما يبدأ بالتستُّرِ، لكن لا بدَّ أن تخرج في فلتات لسانه، أو في تصرّفاته؛ تخرج علامات تدُلّكَ على ضلاله؛ لذلك كان السّلف رضي الله عنهم يستدلّون بالعلامات على أهل الضّلال؛ لأنّ أهل البدع من يومهم وهم أهل مكر بالسنّة وأهل السنّة، حين يكونون بين أهل السنة، وحين تكون السنة قوية في مكان؛ يحاولون التلبُّس بالسنّة؛ فيمكرون بأهل السنة حتّى يتمكنوا، ومتى تمكّنوا وحازوا على جمع من الشباب؛ قلبوا وأظْهرُوا حقيقة ما عندهم؛ لذلك كان السّلف رضي الله عنهم يكْتفُون بالعلامات لإظْهار أهل البدع.

---

(١) أخرجه أحمد(١٦٨٠٣)، والترمذي(٣٨٦٢) عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه. ضعيف ضعفه

ومن هذه العلامات: المجالسة، فإذا رأوا الشّخص يجالس مبتدعاً؛ حكموا عليه بالبدعة؛ كما حصل حين دخل أحد أئمة الإسلام البصرة، وكان فيها أحد مشايخها- الربيع بن صبيح-، فسأل عنه؟ قالوا: سنّي من أهل السنة، قال: من يجالسه؟ قالوا: القدريّة ! قال: هو قدري، عندما يسأل؛ سيسأل من؟ يسأل طلبة العلم الذين لهم مَعرفة بالرّجال.

قالوا له سنّي، لم يقنع بذلك؛ واكتفى بعلامة واضحة؛ من يُجالسه؟ القدرية، لماذا اجتمع عنده القدرية؟ لماذا لم يجتمع أهل السنة عنده؟ لأنّهم عرفوا منه أنّه على عقيدتهم؛ فقال: هو قدرِي.

هكذا طريقتُهم في الحكم، يقولون الرّجل يُعرف بمدخَلِه ومخرَجه، أين يدخل، أين يخرج؟ إذا سافر عند من ينزل؟ هذه علامات قويّة؛ "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالِل"[1]، فمن خلال هذه العلامات يحكُمون على الشّخص مباشرةً؛ ويكون هذا عندهم كاف؛ علامة واضحة وقويّة عندهم؛ فتظهر هذا الذي يتخفّى.

وإذا ظهرت زلّة على لسانه؛ أي أنه لا يريد أن يتلفّظ بها وهو يعتقدها؛ يقول لك: قد أظهر حقيقته وما في قلبه أعظم؛ وهذا أمر مجرّب؛ عندما تجد الرّجل يتستّر بالسنّة، فلمّا تخرج منه كلمة يفْتضح بها، يحذّر منه أهل العلم؛ بعد ذلك تبدأ ردودُه، ويظهر ضلاله؛ هذه طريقتهم، وهذا واضح.

أحد الحدّادية كنت اتتبّع مقالاته في الماضي، كان يكتب ما شاء الله؛ تقول هذا -اللهم بارك- في السنّة شيء عجيب، ثم قليلاً قليلاً؛ حتى أخرج ما عنده في أحد المشايخ،

الشيخ الألباني في "السلسلة الضعيفة"(٢٩٠١).

(١) أخرجه أحمد(٨٠٢٨)، وأبو داود(٤٨٣٣) والترمذي(٢٣٧٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فردّوا عليه وتكلّموا فيه؛ فإذا به يُخرج كلاماً والله ما يصدر من إنسان يتقي الله، ويدين الله بالسنّة أبداً؛ طعن بشكل! وسب وشتم لمشايخ السنّة! شيء ما كنت أتوقعه أبداً؛ هذه صورتهم، وهذه حقيقتهم؛ أين الذي كنت تكتبه في الماضي؟ وكيف صار الحال اليوم؟ تزوُّق وتلوُّن وكذب كالحرباء.

قال: (**[١٥٠] وإِذا رَأَيْتَ الرَّجُلَ رَدِيءَ الطَّرِيقِ والمَذْهَبِ، فاسِقاً فاجِراً، صاحِبَ مَعاصٍ، ظالِماً، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ فاصْحَبْهُ، واجْلِسْ مَعَهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ تَضُرُّكَ مَعْصِيَتُهُ**)

انظر إلى الأوصاف؟ كبيرة! فاسق، فاجر، صاحب معاص، ظالم؛ لكنّه من أهل السنّة؛ فاصحبه، لا يضرك في دينك؛ طبعاً لا تقرُّه على ما هو عليه، إذا كان في معصيته وفي فِسقه؛ تُنكر عليه، لكن إن كان بعيداً عن هذا؛ فليس هناك مشكلة لو ماشَيتَه؛ لكن لا تتخذه صاحباً وتترك الصّالحين، لا يريد المؤلف هذا الكلام؛ لأنه كما يقال عندنا: الصاحب ساحب؛ قد يسحبك للمعصية، مع أنّ المعصية تبقى أخف من البدعة؛ لذلك قال لك: اجلس معه؛ فإنّه ليس تضرّك معصيتُه، أنت تعرف أنّه في معصية، أما إن كان مبتدعاً، وأدخل علَيك شبهة البدعة التي عنده، وتديَّنْت بها؛ فقد هلكت؛ فذاك أخطر وأعظم شراً.

هل يكون العاصي سنِّياً؟

نسمع هذا السّؤال كثيراً من الشباب؛ هل يمكن أن يكون الشخص سلفياً وعاصياً؟

نعم؛ يمكن أن يكون السّلفي عاصياً، إذا كانت عقيدته ومنهجه صحيحة، ومتبع لمنهج السّلف فيما يعتقده وفيما ينتهجه؛ فهذا سلفي؛ لكنّه عاص، له معصية، لعلّ الله سبحانه وتعالى أن يتوب عليه يوماً من الأيام وتنتهي؛ لكن صاحب البدعة متى يتوب؟ إلّا أن يشاء الله سبحانه وتعالى فقط.

قال المؤلف: (**[١٥١] وإذا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مُجْتَهِداً في العِبادَةِ، مُتَقَشِّفاً مُحْتَرِقاً بالعبادَةِ؛ فلا تَجْلِسْ مَعَهُ، ولا تَسْمَعْ كَلامَهُ، ولا تَمْشِ مَعَهُ في طَرِيقٍ؛ فإني لا آمَنُ أَنْ تَسْتَحْلِيَ طَرِيقَهُ؛ فتَهْلِكَ مَعَهُ**)

انظر الآن إلى الفرق؛ يقول لك: (إذا رأيت الرّجل مجتهداً في العبادة، متقشِّفاً مُحترقاً بالعبادة) طائعاً لأبعَد الحدود؛ لكنه صاحب هوى؛ فلا تجلس معه، لو رأيته من أحسن الخاشعين كما وصف النبي ﷺ الخوارج؛ قال :"يحقِر أحدُكم صلاته إلى صلاته، وصيامه إلى صيامه، وقراءته إلى قراءته؛ يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم" لماذا ذكر لنا هذا كلّه؟!

قال في آخر الكلام: "يقتلون أهل الإسلام ويدَعون أهل الأوثان"، ذكر هذا كلّه كي يُحذِّرنا منهم، النّاس اليوم تغتر بالسّمت، بالهيئة؛ يقول لك: انظر ما شاء الله: الرّجل عابد مُطيع اللّهم بارك، كيف تحذِّر منه يا أخي؛ وهذا حصل كثيراً ؛ فلقد وصف لك النّبي ﷺ وصفاً لا تتُوه معه، يقول لك: وإن رأيتَه على هذه الهيئة؛ فاحْذَره؛ فإنّه صاحب هوى، صاحب طريقة رديئة؛ فَليست هذه طريقة سَويّة في الحكم على الأشخاص، تريد أن تحكم على الأشخاص؛ تحكم عليهم بما يعتقدون، وما ينتهجُون؛ ليس

بعبادته، عبادته لنفسه، أنت ستتأثّر بشبُهاته وباعتقاداته؛ لذلك حذرك النبي ﷺ، ووصف لك الأوصاف التي ربّما تغترُّ بها؛ فقال لك: وإن رأيتهم هكذا؛ فلا تغتر واحذر. وهذا كان سبب ضياع عبد الرّزاق الصّنعاني في عقيدته-كان شيعياً- من الذي أدخل عليه التشيُّع؟ محمد بن جعفر الضبعي؛ كان شيعياً.

لما سأله يحيى بن معين؟ قال له: أشياخك كلهم على السنة؛ فمن أين جاءك هذا التشيع؟

قال: من محمد بن جعفر؛ غرّني سمتُه وهديُه.

أين أنت من حديث النبي ﷺ الذي ذكره لك في الخوارج؛ هذا هو: جالسه، وأخذ عنه هذه الشُبهة؛ فضاع بسبب ذلك.

قال: (فلا تجلس معه ولا تسمع كلامه ولا تمش معه في طريق؛ فإني لا آمنُ أن تستحلِيَ طريقه؛ فتهلِك معه) تَستحلِيَ الطريق الذي هو عليه، ويعجبُك؛ فتمشي معه؛ فتهلك، كما هو هالك.

قال المؤلف: **(رأى يونسُ بنُ عُبَيْدٍ ابْنَهُ، وَقدْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ صاحِبِ هوى؛ فقال: يا بُنَيَّ مِنْ أَيْنَ خَرَجْتَ؟ قال: مِنْ عِنْدِ عَمْرِو بنِ عُبَيْدٍ، قال: يا بُنَيَّ! لَأَن أَراكَ خَرَجْتَ مِنْ بيتِ خُنْثى؛ أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَراكَ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِ فُلانٍ وفلان، ولَأَن تَلْقى اللهَ يا بُنَيَّ زانِياً فاسِقاً سارِقاً خائِناً؛ أَحَبُّ إليّ مِنْ أَنْ تَلْقاهُ بِقَوْلِ أَهْلِ الأَهْواءِ.**

ألا ترى أَنَّ يُونُسَ بنَ عُبَيْدٍ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الخُنثى لا يُضِلُّ ابنَهُ عَنْ دينِهِ، وأنّ صاحِبَ البِدْعَةِ يُضِلُّهُ حتَّى يَكْفُرَ)

(يونس بن عبيد) وهو أحد علماء السنة الأفاضل.

قال: (وقد خرج من عند صاحب هوى) رأى ابنه يمشي مع أحد من المبتدعة.

قال: (فقال: يا بُنَي من أين خرجت؟ قال: من عند عَمرو بن عبيد)؛ وهو رأس من رؤوس المعتزلة.

قال: (يا بُنَي! لَأن أراك خرجت من بيت خُنثى أحبُّ إليَّ من أن أراك تخرج من بيت فلان وفلان) الخنثى فاسق؛ لكن يونس بن عبيد؛ قال: هذا أهون من أن تخرج من عند مثل هذا

قال: (ولَأَن تلقى الله يا بنيَّ زانياً فاسقاً سارقاً خائناً؛ أحبّ إليّ من أن تلقاه بقول أهل الأهواء) لأنّها أقوال كفرية؛ أقوال المعتزلة أقوال كفريّة، أقوال الأشاعرة أقوال كفرية، أقوال الجهميّة أقوال كفريّة.

ولا يلزم من ذلك تكفير الأشاعرة طبعاً، لكن هذه الأقوال تُوقِع الإنسان في الكفر؛ ربّما يكون معذوراً عند الله، وربّما لا يكون معذوراً.

قال المؤلف: (ألا ترى أنّ يونس بن عبيد قد علِم أنّ الخُنثى لا يضلُّ ابنه عن دينه، وأنّ صاحب البدعة يُضلُّه حتى يكفر)؛ لِذلك حرصاً منك على دينك تترُك هؤلاء ولا تجالسهم.

قال: (**[١٥١] واحْذَرْ ثُمَّ احْذَرْ أَهْلَ زمانِكَ خاصَّةً، وانْظُرْ مَنْ تُجالِسْ، ومِمَّنْ تَسْمَعْ، وَمَنْ تَصْحَبْ؛ فَإِنَّ الخَلْقَ كَأَنَّهُمْ في رِدَّةٍ؛ إلّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنْهُمْ**)

إذا كان المؤلّف يعيش في ذاك الزمان، ويقول هذا؛ فماذا يقول في زماننا هذا الذي نحن فيه؟!

قال: (وانظر من تجالس، وممّن تسمع، ومن تصحب؛ فإنّ الخلق كأنّهم في رِدّة إلّا من عصمه الله منهم)، الله أكبر!! انظر إلى تشديد السّلف رضي الله عنهم، وحِرصهم عليك، ونصيحتُهم لك، وتشديدهم عليك في أن لا تجالس أهل البدع؛ لماذا؟

نصيحة لله ولرسوله وللمسلمين؛ ومع ذلك يأتيك أناس يزهِّدون في مثل هذا الكلام، ويُغرِّرون بالشباب، ويلقُونهم في أحضان المبتدعة؛ يقول لك: عادي؛ حتى لو أن الشخص جلس مع الجهم بن صفوان، أو سمع من الجهم بن صفوان؛ خذْ منه.

هل هذا جاهل؟!

والله لو كان جاهلاً؛ لعُذر بجهله؛ لكنه يدّعي العلم! مصيبة، تدعي السّلفية أيضاً؟! مُصيبة أعظم، وتقول كلاماً كهذا؟ هذا تضييع للشباب، رميهم في أحضان المبتدعة والضُّلّال كي يربُّوهم كما يشاؤون!

انظر إلى السعودية ما الذي بلاها بالسرورية، وبالخوارج، وبالتكفير؟ أليس رمي الشباب في أحضان محمد قطب وأشكاله؟ هذا الذي ضيعها؛ العلماء يحذرون ويتكلمون لكن لا فائدة. الله المستعان

قال: (**[١٥٢] وإذا رأيتَ الرَّجُلَ يَذْكُرُ ابنَ أبي دُؤَادٍ، وبِشْراً المرِّيسي، وثُمامَة، أو أبا هُذَيْلٍ، أو هِشامَ الفُوطِيِّ، أو واحِداً من أتْباعِهِم، وأشياعهم؛ فاحذَرْه؛ فإنّه صاحِبُ بِدْعَةٍ؛ فإنَّ هُؤلاءِ كانوا على الرِّدَّةِ، واتْرُكْ هذا الرَّجُلَ الذي ذَكَرَهُمْ بِخَيْرٍ، وَمَنْ ذَكَرَ مِنْهُمْ**)

(ابن أبي دؤاد) أحمد بن أبي دؤاد رأس من رؤوس المعتزلة كان السبب فيما حصل للإمام أحمد من محنة.

قال: (وبشراً المرِّيسي) معتزلي.

قال: (وثمامة) معتزلي.

قال: (أو أبا هُذَيْلٍ، أو هشام الفُوطي) وكل هؤلاء معتزلة

قال: (أو واحداً من أتْباعِهِم، وأشياعهم؛ فاحذَرْه، فإنّه صاحب بدعة) هذا امتحان بشكل آخر؛ امتحان برؤوس أهل البدعة، إذا رأيت الشخص يُثني عليهم ويمدحُهم؛ فاحذرْه فإنّه صاحب بدعة؛ إذاً المميّعة ماذا يكونون؟ أصحاب بدعة؛ لأنّ الذي يثني على المبتدع هو مبتدع؛ ما الذي جعله يُثني عليه؟ وهو يعرف أنّه مبتدع ضال؟ إلا لو كان في قلبه مرض.

قال: (فإنّ هؤلاء كانوا على الرِّدَّة، واترُك هذا الرجل الذي ذكرهمْ بخير، ومن ذكر منهم) يعني اترُك هؤلاء القوم، واترك من يذكرهم بخير أيضاً، فهذا تحذير من المؤلف من المُميّعَة.

قال: (**[١٥٣] والمِحْنَةُ في الإسْلامِ بِدْعَةٌ، وأمّا اليَوْمَ؛ فيُمْتَحَنُ بالسُّنَّةِ؛ لقوله: "إنّ هذا العلمَ دينٌ؛ فانظروا عمَّنْ تأخذونَ دينكم، وقولِهِ: "لا تقْبلوا الحَديثَ إلّا مِمَّنْ تَقْبَلونَ شهادتَه"، فَتَنْظُرَ؛ فَإِنْ كانَ صاحِبَ سُنَّةٍ، لهُ مَعْرِفَةٌ، صَدوقاً؛ كتبتَ عنه، وإلّا تركته**)

يعني لا يُمتُحن النّاس في إسلامهم؛ لا تمتحن الإنسان المسلم الذي يظهر الإسلام؛ لا تمتحنه على الإسلام، حتّى تعرف أهو مسلم أم ليس بمسلم؟ هذا محدَث بدعة.

قال: (وأمّا اليوم فيُمتحن بالسنّة) تمتحِن النّاس على السنّة، وليس على الإسلام؛ لماذا؟ لأن البدعة قد كثُرت، والأهواء كثيرة، وأصحابُها كُثُر؛ لذلك لابدّ من التّمييز من أجل الولاء والبراء، من أجل المجالسة والمخالطة أو الترك والبُعد والفرار والهجر؛ كل

هذه أحكام ستُبْنى على معرفة السنِّي من البدعي؛ فلا بدّ إذاً من الامتحان؛ كي نعرف ونحمي ديننا.

قال محمد بن سيرين: "كانوا لا يسألُون عن الرّجال، فلمّا وقعت الفتنة؛ قلنا سمُّوا لنا رجالكم"؛ حتى يُعرف أهل السنة فيُؤخذ عنهم، ويُعرف أهل البدعة ويُترك حديثهم.

قال: (لقوله: "إنّ هذا العلم دين؛ فانظروا عمّن تأخذون دينكم") هذا لا يصحّ حديثاً؛ ولكنّه أثر؛ "إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمّن تأخذون دينكم"؛ كي تحافظوا على دينكم، وتأخذوا الدين الصحيح، وتَتركوا الباطل.

قال: (وقوله: "لا تقبلوا الحديث إلّا ممّن تقبلون شهادتَه") وهذا أيضا لا يصحّ حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ، ولعله من أقوال السلف.

قال: (فتنظُر فإن كان صاحب سنّة، له معرفة، صدوقاً؛ كتبت عنه؛ وإلّا تركتَه) هذا ما قرّره الحافظ ابن سيرين رحمه الله.

قال المؤلف رحمه الله: (**[١٥٤] وإذا أَرَدْتَ الاسْتِقامَةَ على الحَقِّ، وطَريقِ أَهْلِ السُّنَّةِ قَبْلَكَ؛ فاحْذَرْ الكلامَ وَأَصْحابَ الكلامِ، والجِدالِ، والمِراءِ، والقِياسِ، والمُناظَرَةِ في الدِّينِ؛ فَإِنَّ اسْتِماعَكَ مِنْهُمْ، وإن لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ؛ يَقْدَحُ الشَّكَّ في القَلْبِ؛ وكفى بِهِ قَبولاً؛ فَتَهْلَكَ، وما كانَتْ زَنْدَقَةٌ قَطُّ، ولا بِدْعَةٌ، ولا هوًى، ولا ضَلالَةٌ؛ إلّا مِنَ الكَلامِ والجِدالِ والمِراءِ والقِياسِ؛ وهي أبْوابُ البِدْعَةِ والشُّكوكِ والزَّنْدَقَةِ**)

استمرّ المؤلّف في التّحذير من مُجالسة أهل البدع، ومن مُناظرتِهم، وقد مَرّ معنا هذا الموضوع أكثر من مرّة، وفصلْنا القول فيه، وما ذاك منه رحمه الله؛ إلّا لِمعرفته بخطر هذا الداء، وعِظم ضررِه على المسلم؛ لذلك يكرّر ويؤكِّد، وسيأتي أيضاً تأكيدٌ آخر

منه؛ لأنّ هذا الأمر خطير جدّاً، والتّهاون فيه يؤدّي إلى ضياع دين الشّخص، وضياع دين غيره ممّن يغترُّ به؛ لذلك بارك الله فيكم المسألة ليست مسألة اختيار، أو مزاج؛ والله أنا هذا الشّخص يأتي على مزاجي أُجالسُه، أو ما يأتي على مزاجي لا أجالسه! لا؛ المسألة مسألة دين وتقوى لله سبحانه وتعالى، وحلال أو حرام، يقول لك: حرامٌ عليك أن تُجالس المبتدع؛ القضية ليست قضية تشهّي؛ يحرُم عليك أن تجالس مُبتدعاً؛ لماذا؟

لأنّه خطر على دينك، أنت إذا جالسْت مُبتدعاً؛ إمّا أن تتأثّر به وتأخذ عنه بدعتَه، وتكون قد أهلكْت نفسك وضيّعتها بذلك، أو ألّا تأخُذ عنه؛ ولكن يقدح الشّك في نفسك ويُدخل عليك شيئاً من الشّبهات، أو أنّه لا يحصل هذا؛ ولكن يحصل اغترار النّاس بك، أَهونُ الأمور؛ أقلّها: أن يغترّ النّاس بمُجالستك هذه، يرَونك جالساً مع مبتدع؛ فيُحسنون الظنّ به ويأتون ويجلسون معه، وقد ذكرنا لكم حال الدّارقُطني رحمه الله، وأبي ذر الهروي عندما كان معه، لقي الدَّارقطنيُّ أحد المُبتدعة فسلّم عليه، وقبّل على رأسه! والدّارقُطني إمام؛ فقال أبو ذر الهروي: هذا الإمام يفعل مع هذا الشّخص هذا الشيء؟! إذاً فالآخر إمام أيضاً؛ فذهب وأخذ عنه الأشعريّة؛ وصار أشعرياً، ثمّ نشر الأشعريّة في بلاد المغرب العربي.

انظروا المفسدة العظمى التي حصلت من وراء هذا الفعل الذي فعله الدّارقطني رحمه الله؟ هذا أقلُّ شيء يحصل معه؛ فما بالك بمن يجالسُهم ليل نهار، ويحبّهم؟ هذه أيضاً من المفسدة التي لمْ نذكرها؛ ربّما أنت لا تأخذ عنه البدعة بدايةً؛ ولكن تحبّه، كما يحصل من كثير من النّاس الذين يستمعون للمبتدعة؛ يقول لك: والله أنا أحبّ فلاناً، أحَبّه؛ إذن أخذ عنه خلاص؛ وهذا واقع، فإمّا أن تأخذ عنه أو أن تقع في محبّته؛ عندئذ

تلتمس له الأعذار، ومُوالاته وموالاة المبتدع هكذا، وعدم مُعاداته؛ مُحرّم، مُخالف لِشرع الله سبحانه وتعالى.

وقد نقل علماء الإجماع على وجوب مُعاداة المُبتدع؛ أنت إذا أحببْته خالفتَ شرع الله سبحانه وتعالى؛ فهذه مفاسد ينبغي على المسلم أن يحذرها، وأن يجتنب مجالسة أهل البدع؛ فهم خطيرون على دينك.

والكلام هنا عن رؤوس المبتدعة، عن الدّعاة الذين يدعون إلى بدَعِهم، عندهم شبهات يبقونها على سمعك ويتلقفها قلبك؛ هذا الذي نتحدّث عنه، أمّا عامّة النّاس هؤلاء؛ يُتلطّف بهم، ويُدعَوْن بالرّفق وبالتي هي أحسن.

قال: (وإذا أردْت الاستقامة على الحقّ) يعني إذا أردت أن تبقى على طريق الحق، وطريق أهل السنّة قبلك- الذين هم السّلف؛ (فاحذر الكلام) يعني ابتعد عن منهج أهل الكلام.

وأهل الكلام: هم أصحاب الكلام، الذين هم أصحاب العقول الذين يحكمون على شرع الله بعقولهم؛ الجهْميّة، والمُعتزلة، والأشاعرة، والماتريديّة، والكُلَّابية؛ هؤلاء كلّهم أهل الكلام؛ عندهم قاعدة واحدة جميعاً يجتمعون عليها؛ هي تقديم العقل على النقل؛ كلّهم يجتمعون على هذا؛ هذا أصلُهم، يحكمون على الله بعقُولهم؛ هذا يجوز على الله، وهذا لا يجوز على الله!

من أين لك هذا؟

يقول لك: هكذا عقلي ركّبها، وهكذا عقلي لم يركّبها.

لِذلك تجد عندهم أنفسهم تخبُّطاً وخَلطاً عظيماً فيما بينَهم؛ كلّكم تجتمعُون على أنّ العقل هو الحاكم؛ فلماذا إذاً عقولكم تختلف؟! إذا كانت عقولكم هي الحاكمة لأنّها يقينيّة؛ فلماذا

تختلف؟ لماذا تضطرب؟! لماذا عقل الجَهميّ يختلف عن المُعتزِلي، وعقل المُعتزلي يختلف عن الأشْعري، وعقل الأشعري يختلف عن المَاتُرِيدي؛ وهكذا؟ هذا يدلّ على أنّ عُقولَكم مُتخبّطة؛ خربة.

على كلٍّ؛ هؤلاء هم أهل الكلام، الذين يُقرِّرُون مسائل العقيدة بالكلام؛ بالعقل، فيقول لك المؤلف: هؤلاء تَجتنِبهم، تبتعد عنهم؛ لأنّهم رُؤوس أهل البدع، أو من رُؤوس أهل البِدع.

قال: (وأصحاب الكلام والجدال والمِراء) المِراء، المُخاصَمة، الجَدل: أخذ ورَدٌّ بلا فائدة.

قال: (والقياس) القياس العقلي في المسائل النّصيّة؛ في قضايا العقيدة، لا يوجد قياس في العقيدة، أو القياس الذي يذهب إليه هؤلاء القوم.

قال: (والمُنَاظرة في الدّين) ليس هناك شيء اسمه مُناظرَة في الأمور الشَرعيّة الدينيّة مع أهل البدع؛ لأنّ القضايا بيننا وبينهم قضايا منصوص عليها في الكتاب والسنّة؛ أدلة مُحكمة، وُضوحُها كوُضوح الشّمس، لا تحتاج إلى جدال ومناظرة وإلى تقريراتٍ لنخرّجها ونبيّنها؛ ما تحتاج لكل هذا؛ هي بيّنة واضحة، أدلّتها واضحة جدّاً، ما تحتاج إلى مُناظرات، المناظرة هنا معدومة، غير مقبولة أبداً- المُناظرة في الدّين- وكان السّلف رضي الله عنهم يُكثرون من التحذير من مناظرة أهل البدع، ومن مجالستهم، وممّا يُذكر في هذا المَوطن ما ذكره الآجرّي رحمه الله في أوّل كتاب "الشّريعة"[(١)]؛ ذكر هذه القضايا: التّحذير من مجالسة أهل البدع ومن مناظرتِهم؛ قال رحمه الله: "فإن قال قائل: فإن كان رجلٌ قد علّمه الله عز وجل علماً، فجاءه رجُل يسألُه عن مسألة في

(١) (٤٤٩/١).

الدّين؛ يُنازعُه فيها ويُخاصِمه، ترى له أن يُناظر حتّى تثبُت عليه الحجّة، ويردّ عليه قوله؟"

هذا سؤال وُجِّه للآجُرِيّ؛ فأجاب قائلاً: "قيل لَه: هذا الذي نُهينا عنه"، لم يقل: هذا الذي أنهاك عنه؛ الآجرّي عندما يتكلم ويذكر في كتابه "الشريعة"؛ يقرّر عقيدة أهل السنّة والجماعة؛ لا منهجَه هو، فيقول هنا: "هذا الذي نُهينا عن؛ وهو الذي حذّرناه من تقدّم من أئمّة المسلمين" يعني: مثل هذه الصّورة، "فإن قال قائل فماذا نصنع؟ قيل له: إن كان الذي يسألُك مسألتُه مسألة مُسترشِد إلى طريق الحق، لا مُناظرة؛ فأرْشِده بألطف ما يكون من البيان بالعلم من الكتاب والسنّة، وقول الصّحابة، وقول أئمة المسلمين رضي الله عنهم"؛ هذا القسم الأول، فقسّم السّائل إلى قسمين:

القسم الأوّل: شخص سائل مسترشد؛ يعني جاهل يريد أن يتعلّم فقط؛ فهذا تبيّن له الحق بأدلّته؛ قال الله، قال رسول الله ﷺ، قال أصحاب النبي ﷺ، قال أئمة الإسلام كالشّافعي وأحمد، ومالك.... إلخ

ثم قال في القسم الثاني من السائلين: "وإن كان يريد مُناظرتك ومُجادلتك؛ فهذا الذي كَرِه لك العلماء؛ فلا تُناظره، واحذرْه على دينك؛ كما قال من تقدّم من أئمّة المسلمين؛ إن كنت لَهم متّبعاً"، أي: إن كنت تدّعي اتّباع منهج السّلف؛ فهذا هو منهج السّلف.

قال: "فإن قال: فندَعُهم يتكلّمون بالباطل ونسكُت عنهم؟" الشبهات نفسها؛ كلام الشّيطان حين يَنْزَغُ به للنّاس هو واحد؛ نفس الشيء؛ نفس الكلام الذي نسمع به اليوم.

قال: "فإن قال فندَعُهم يتكلّمون بالباطل ونسكت عنهم؟ قيل له: سُكوتُك عنهم، وهِجرتُك لِما تكلّموا به؛ أشدّ عليهم من مناظرتِك لهم؛ كذا قال من تقدّم من السلف الصالح من علماء المسلمين"؛ هذا رد علمائك عليك في هذا القضية.

والإمام أحمد رحمه الله- كما ذكر ذلك ابن بطة العُكبُري عنه[1]-؛ أنه كتب إليه رجل كتاباً يستأذنه فيه أن يضع كتاباً يشرح فيه الرّد على أهل البدع، وأن يحضر مع أهل الكلام فيُناظرهم ويحتجّ عليهم، يعني: يريد أن يُجالس أهل البدع ويُناظرُهم ويتكلّم معهم ويُقيم الحجّة عليهم؛ فكتب إليه أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ , أَحْسَنَ اللَّهُ عَاقِبَتَكَ، وَدَفَعَ عَنْكَ كُلَّ مَكْرُوهٍ وَمَحْذُورٍ، الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ، وَأَدْرَكْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَدْرَكْنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ الْكَلَامَ، وَالْجُلُوسَ مَعَ أَهْلِ الزَّيْغِ، وَإِنَّمَا الْأُمُورُ فِي التَّسْلِيمِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَى مَا كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ لَا فِي الْجُلُوسِ مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالزَّيْغِ لِتَرُدَّ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يُلَبِّسُونَ عَلَيْكَ، وَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ؛ فَالسَّلَامَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي تَرْكِ مُجَالَسَتِهِمْ، وَالْخَوْضِ مَعَهُمْ فِي بِدْعَتِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ؛ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ امْرُؤٌ، وَلْيَصِرْ إِلَى مَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ غَدًا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُقَدِّمُهُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَكُنْ مِمَّنْ يُحْدِثُ أَمْراً، فَإِذَا هُوَ خَرَجَ مِنْهُ؛ أَرَادَ الْحُجَّةَ، فَيَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى الْمُحَالِ فِيهِ، وَطَلَبِ الْحُجَّةِ لِمَا خَرَجَ مِنْهُ بِحَقٍّ أَوْ بِبَاطِلٍ؛ لِيُزَيِّنَ بِهِ بِدْعَتَهُ وَمَا أَحْدَثَ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَكُونَ قَدْ وَضَعَهُ فِي كِتَابٍ قَدْ حُمِلَ عَنْهُ، فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُزَيِّنَ ذَلِكَ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ وَإِنْ وَضَحَ لَهُ الْحَقُّ فِي غَيْرِهِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ لَنَا وَلَكَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ".

---

(١) في "الإبانة الكبرى" (٢/٤٧١).

(بسم الله الرّحمن الرّحيم، أحسن الله عاقبتَك ودفع عنك كلّ مكرُوه ومحذُور، الّذي كنّا نسمعه، وأدركْنا عليه من أدْركنا من سلفنا)، تعلّموا من الإمام أحمد، قبل أن نتعلّم منهم العلم؛ لابد أن نتعلم منهم الأدب؛ هذا الإمام أحمد وهو مَن هو، ومكانتُه في العلم، والإمامة في هذا الدّين، عندما أجاب عزا العلم إلى من قبله؛ إلى سَلفِه، ونحن اليوم الواحد يتعلّم كلمتيْن؛ يقول لك: والله أنا أرى، وفي نظري، والمسألة فيها قولان، وفلان أخطأ، والصّواب معي؛ يُنظّر وكأنّه شيخ الإسلام!

هذا الإمام أحمد؛ هذه طريقته في الجواب؛ قال: (الذي كنّا نسمع وأدْركنا عليه من أدْركْنا من سلفِنا من أهل العلم: أنّهم كانوا يكرهُون الكلام والجُلوس مع أهل الزّيغ)؛ يعني أهل البدع؛ (وإنّما الأمور في التّسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنّة رسول الله)؛ دينُنا دين تسليم، دين انقياد؛ ما هُو دين عقل، وتفكير، واجتهاد، واختراع، وابتكار، وابتداع؛ لا؛ دينُنا دين تسليم، ننظُر ماذا كان عليه سلَفنا؛ ونمشي عليه فقط، ليس أكثر من هذا، نحن ما عملُنا الآن؛ ماذا نفعل؟ نتعلّم ممّا هم علّمونا إيّاه ونُعطيه إليكم فقط؛ ليس أكثر من هذا؛ تجميع للعلم وأداءه، ليس إلّا، الحمد لله كلُّ شيء قد انتهى؛ بُيِّنَ، ووُضِّح، وشُرِح بما فيه الكفاية، وعملنا فقط هو: التّبليغ.

قال الإمام أحمد: (وإنّما الأُمور في التّسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنّة رسول الله، لا في الجلوس مع أهل البدع والزّيغ لِتَرُدّ عليهم)، ما هذه طريقة السّلف؛ (فإنّهم يُلبّسون عليك)؛ هذا معروف: أهل البدع يلف أحدهم ويدور ويكذِب في كلامه؛ فكيف تضبط مثل هذا؟! (وهُم لا يرجِعون)، هذا حال أهل البِدع؛ المُبتدِع عندما يَتشرّب قَلبَه البِدعة؛ إلّا أن يشاء الله سبحانه وتعالى أن ينزِعَها من قلبِه، وهم لا يرجعون إلى الحق؛ هم أصحاب أهواء، نفوسهم مريضة، (فالسّلامة إن شاء الله في

ترك مُجالستِهم، والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم؛ فلْيتّقِ الله امرؤ، ولْيصير إلى ما يعود عليه نفعُه غداً من عملٍ صالح يُقدّمه لِنفسه، ولا يكُن ممّن يُحدث أمراً، فإذا هو خرج منه؛ أراد الحجّة؛ فيحمِل نفسَه على المُحَال فيه، وطلب الحجّة لِما خرج مِنه بحقٍّ أو بباطِل؛ لِيُزيّن به بدعتَه)، يعني في النّهاية عندما يكون قد اخترع قولاً جديداً؛ يريد لَه دليلاً ويبحث له عن دليل، ثمّ يجد لَه شبهة دليل؛ فيبقى يُزيِّنُ به ضَلاله، (وما أحدث، وأشدُّ من ذلك أن يكون قد وَضعه في كتابٍ قد حُمِلَ عنه؛ فهو يريد أن يُزيّن ذلك بالحق والباطل)؛ هذا حال أهل البدع: يضع كتاباً، ثمّ يُحمَل عنه هذا الكتاب ويُنشر، ثمّ يبدأ في هذا الكتاب الذي وضع بدعتَه فيه؛ يزيِّنُه بشيء من الحق والباطل؛ وهذا لا بدّ منه؛ فما من مبتدع إلّا ومعه شيء من الحق والباطل؛ وإلّا كيف يُزيّن بضاعتَه؟ كيف يُمرِّرُها على النّاس؟ لَو كان كلُّ ما عندَه باطلاً؛ لَترَكه النّاس؛ لكنه في بداية كلامه مَعك، إذا أراد أن يصْطادك؛ يُظهر لك أحسن ما عنده، ويُظهر لك الحق بأدلة؛ قال الله، قال رسول الله ﷺ؛ ثمّ بعد ذلك عندما يتمكّن من قلبك؛ يبدأ يُعطيك ويُلقّنُك الباطل الّذي عنده؛ لماذا؟

لأنّك خلاص؛ تكون قد أمَّنْت لَه، واستقرّ في نفسك أنّه من أهل العلم، وأنّه من أهل التّقوى، تبدأ بالأخذ من ضلالاته، وتمكّن في قلبك؛ فمن الذي يُخرجُها بعد ذلك؟ قال: (وإن وضَح لَه الحقّ في غيره)، يعني: حتّى لو تَبيّن له الحقّ في غيره؛ خلاص يُصرُّ على ما هو عليه، "ونسأل الله التوفيق لنا ولك، والسّلام عليكم)؛ هذا كلام الإمام أحمد رحمه الله، وكلام الآجرّي، وكتب الاعتقاد كلّها واحدة عند أهل السنّة؛ افتح الآن "الشّريعة " للآجرّي، "الإبانة" لابن بطّة، "شرح اعتقاد أهل السنِة والجماعة"

لِلالكائي "شرح السنّة" للبغوي، وغيرها من كتب الاعتقاد، كُتب السّلف؛ كلّها كلامُهم فيه واحد،

هذا منهج أهل السنّة؛ كلّه خرج من مشكاة واحدة وطريقتهم واحدة.

ولمّا فتح بعض أهل الضّلال اليوم على أنفسهم باب المناظرة لأهل البدع؛ وجدناهم بعد ذلك غائصين في الضّلالة، وفي البدع، كانوا في البداية يُظهرون السنّة، ويُظهرون الاتباع، ثم بعد ذلك قليلاً قليلاً؛ صاروا يُعلنون البدع والضلال، بعد مناظراتهم لأهل البدع ومُجالساتْ طويلة معهم؛ نسأل الله لنا ولكم السّلامة.

قال المؤلف: (فإنّ استماعك منهم، وإن لم تقبل منهم؛ يقدح الشّك في قلبك) أذكر مرّة أحد المشايخ؛ كان من الأسلوب الذي يعلّمناه ـ هو من مشايخي ـ كان يجلس مع الشّخص ويتكلّم معه ويُبيّن له الحق من الباطل، وأحياناً: الآخر يكون عنده شيء من التّمسّك بقوله، وعدمُ الخُضوع للحق؛ فيُكلّمه الشيخ ويصبر معه، وبعدما ينصرِف أقول للشّيخ: مالَك تُتعب نفسك وأنت ترى منه ما ترى من عدم قبوله للحق؟ فيقول لي: قُل كلمتَك وامضِ؛ فإنّه وإن لم يسمع لك الآن؛ إلا أنها ستبقى في نفسه تدور؛ وهذا كلام صحيح، وهذا الذي ذكره المؤلف هنا، وإن كنت لم تقبل منه أنت؛ لكن أقلّ الأحوال: كَلمتُه تُرمى في قلبِك فتُنتِج شكّاً؛ تتخبّط، تضيع، هذا جهم بن صفوان؛ رأس الجهميّة، ما الذي ضيّعه؟

كان ضعيف العلم، وذهب يُناظر بعض المُلحِدين، وبعد مُناظرتهم: شكّ في دينه، وجلس في بيتِه أربعين يوماً أو ما قارب؛ ثمّ خرج بدينه الجديد الذي هو عليه! نتيجة هذه المُناظرة، أقلّ الأحوال: أنّهم يُوقعُون الشّك في قلبك ممّا أنت فيه؛ (وكفى به قَبولاً) لَو وقع الشّك في قلبك يكْفيك هذا؛ فتهلِك بعد ذلك

قال: (وما كانت زندقة قطّ) الزندقة: النّفاق.

قال: (ولا بدعة، ولا هوًى، ولا ضلالة؛ إلّا من الكلام، والجدال، والمراء، والقِياس)؛ كلّ البدع تنتج من هذه الأمور (وهي أبواب البدعة والشّكوك والزندقة)؛ تفتح عليْك باباً للضلالات.

قال:([١٥٥] فاللهَ اللهَ في نَفْسِكَ، وَعَلَيْكَ بِالآثارِ وَأَصْحابِ الأَثَرِ والتَّقْليدِ؛ فَإِنَّ الدِّينَ إِنَّما هُوَ بِالتَّقْليدِ، يَعْني للنّبي ﷺ وأَصْحابِه رِضوان الله عليهم أجمعين، وَمَنْ قَبْلَنا لَمْ يَدَعونا في لَبْسٍ؛ فَقَلِّدْهُمْ وَاسْتَرِحْ، ولا تُجاوِزْ الأَثَرَ وأَهْلَ الأَثَرِ)

يعني اتق الله في نفسك، واحذر على دينك.

قال: (وعليْك بالآثار وأصحاب الأثر والتّقليد) هذا الواجب عليك أن تسير عليه؛ الزمْهُ؛ يقول لك: الزم الآثار؛ قال الله، قال رسول الله ﷺ، قال أصحاب رسول الله ﷺ، قال سلفنا الصّالح رضي الله عنهم؛ لذلك من أراد أن يبقى على الجادة؛ فلا يقُل بقول إلّا وله فيه إمام؛ إمام من أئمة السنّة قال به؛ هذا من أراد أن يبقى على الطريق.

وعليك بالآثار وأصحابِ الأثر؛ الّذين عُرِفوا باتّباع منهج أهل الحديث؛ كانوا يُسمّوْنَ قديماً: "أهل الحديث"؛ هؤلاء لا يُعمِلون عقولهم عند وجود النّص الشّرعي؛ بل يأخذون ب: قال الله، قال رسول الله ﷺ؛ الرّأي عندهم هذا مُتأخِّر.

(وأصحاب الأثرِ والتّقليد) المقصود بالتّقليد هنا: الاتبّاع الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به: {وَالسّابِقُونَ الأَوّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصارِ وَالذِينَ اتّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ}؛ هذا الذي نحن مأمورون به، {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَه الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً} فنحن مأمُورون بالاتّباع؛ اتّباع منهج السلف الصّالح رضي الله عنهم، فمن اتبّع ولم يخترِع ويبتدِع؛ فقد نجا.

قال: (فإنّ الدّين إنّما هو بالتّقليد)؛ هذا كلام المؤلّف: (فإنّ الدّين إنّما هو بالتّقليد) فقط؛ يعني دين الله سبحانه وتعالى الذي أراد مِنك أن تتّبعه: هو اتِّباع؛ هذا معنى التّقليد هنا؛ أن تتّبع؛ تتّبع الصّحابة، ومن كان على نهجِهم، يعني للنّبي ﷺ وأصحابِه رِضوان الله عليهم أجمعين؛ هذا هو دينُنا.

قال: (ومن قَبْلنا لم يدعونا في لَبسٍ) يعني: لم يتركوا لنا من الدّين شيئاً نحتاجُه إلّا وبيَّنُوه لنا، وشرحُوه لنا، ما ترَكونا نتخبّط، ما تركوا الأمور غامضة تحتاج إلى إيضاح؛ هم قد وضّحوا وبيّنوا وانتهى الأمر.

قال: (فقلِّدْهم واسترِح) اتّبِعهم على دينهم وأرح نفسك، خير لك من أن تضل، وقد قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "اتّبِعوا ولا تَبتدِعوا فقد كُفيتُم"؛ من هنا أخذ المؤلف هذا الكلام: (فقلّدهم واسترِح)؛ اتَّبع ولا تبتدِع فقد كُفِيتَ؛ نفس معنى كلام ابن مسعود.

قال: (ولا تُجاوِز الأثر وأهل الأثر) لا تتجاوز علماء الأثر، لا تتجاوز النّبي ﷺ وأصحابه ومن كان على نهجهم من أئمة الهدى، لا تتجَاوزهم.

انظر الكلام! تقريباً من أوّل ما بدأْنا الكتاب إلى هنا وهو يكرر، ويعيد ويزيد نفس الأمر؛ لأنّه يَرسِم منهجاً؛ الطريق الذي كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك النّاس"؛ كلمة إمام أهل الشّام في زمنه: الأوزاعي رحمه الله: "عليك بآثار من سلف" تمسّك بها؛ "وإن رفضك النّاس"، يقول: النّاس ينظرون

إليّ بنظرة اشمئزاز، ولا أعجبهم، يقولون: مُتطرّف، إرهابي؛ أيّ شيء من هذه الألفاظ؛ لا يهمّك أحد؛ فليقولوا ما شاءوا؛ هذا كلُّه لن يضرّك عند الله سبحانه وتعالى؛ المُهم الذي ينفعك والذي يضرُّك عند ربّك تبارك وتعالى؛ فتكون على الحق فقط؛ قال: (ولا تُجاوِزِ الأثر وأهل الأثر) يعني ابقَ ملازماً لهم.

قال : (**[١٥٦] وَقِفْ عِنْدَ مُتَشابِهِ القُرْآنِ والحَدِيثِ، ولا تَقِسْ شَيْئاً**)

ذكرنا فيما مضى أنّ الأدلّة الشرعية تنقسم إلى قسمَين: أدلّة محكمة، وأدلّة متشابهة؛ قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَأَمّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ اِبْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا الله وَالرّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبّنَا وَمَا يَذّكَّرُ إِلّا أُولُوا الأَلْبَابِ}؛ فالأدلّة الشّرعية تنقسم إلى قسمَين: أدلّة مُحكَمة، وأدلّة مُتشابهة؛ الأدلَّة المُحكمة: هي الأدلّة التي لا تُعطي إلّا معنًى واحداً ما تَشتبِه عليك في دلالتها؛ كقول الله تبارك وتعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اِسْتَوَى} دليل واضح صريح،

قول النّبي ﷺ للجارية :"أين الله"؟ قالت: في السماء ، قال: "أعتقها فإنّها مؤمنة"؛ قول صريح، لا يحتاج إيضاحاً؛ هذا يسمّى دليلاً مُحكماً.

وهناك أدلة متشابهة في الشّرع تعطي أكثر من معنى؛ فيشتبه الأمر عليك فيها؛ فما واجبك عندئذ في هذه الأمور؟

نُعطي أولاً مثالاً على الأدلة المُتشابِهة: قول الله عز وجل: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ}، هذه الآية دليل؛ هذه الآية تحتمل أكثر من معنى في دلالتِها؛ فأنت الآن واجبك أن تأخذ

بالدّليل المُحكم وأن تردّ الدّليل المُتشابه إلى المُحكم؛ وتفهمه بناءً عليه، الآن عندنا الدّليل المحكم أنّ الله سبحانه وتعالى في العُلو؛ عالٍ على خلقه: {الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اِسْتَوَى} وأدلّة كثيرة، قال الذَهبي ـ رحمه الله ـ قُرابة الألف دليل عنده على علوّ الله تبارك وتعالى على خلقِه، إذن عندما يأتِينا دليل مثل هذا: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ} ماذا نفعل به؟

ننظر إلى سياق الآية، ومن خلال سياق الآية ومع وجود الأدلة المُحكمة؛ نفهم أنّ هذه المَعيّة: معيّة السّمع، البصر، الإحاطة؛ هذا المقصود بالمعيّة، وليست معيّة الذّات؛ هذا المقصود بهذه الآية؛ فصارت هذه الآية متشابهة، رددْناها إلى المُحكمة كي تنسجِم معها، ولا تتعارض.

مثال آخر: قال النبي ﷺ:"إنّكم سترَوْن ربّكم يوم القيامة كما ترَوْن هذا القمر لا تُضامُّون في رؤيته"، هل يوجد احتمال في هذا الحديث على أنّنا لن نرى ربنا يوم القيامة؟

لا؛ لا يوجد؛ دلالة واضحة جدّاً على رؤية الله تبارك وتعالى؛ هذا الدليل يسمى: دليلاً مُحكماً.

هل يوجد أدلة متشابهة يستدلّ بها أهل البدع؟

نعم؛ كقول الله تبارك وتعالى لموسى: {إِنَّكَ لَنْ تَرَانِي}؛ هذا الدّليل يحتمل أحد أمرين: إمّا أنّك لن تراني مُطلقاً، أو أنّك لن تراني في الدّنيا؛ احتمل هذا واحتمل هذا.

من أين أتينا بالاحتمال الثّاني؟

لأنّ موسى لمّا طلب الرّؤية؛ طلبها في الدّنيا؛ إذاً صار عندنا احتمال؛ هنا احتمال أنّك لن تراني مُطلقاً؛ لكن لمّا جاء هذا الحديث وهو مُحكم في دلالته؛ يدلّ على رؤية الله يوم القيامة؛ إذاً ماذا نفعل بالدليل الثّاني؛ على أيّ معنى نحمله؟

على معنى: أنّك لن تراني في الدّنيا

وبذلك يكون مُنسجماً متوافقاً مع الدّليل الآخر.

هذا الثّاني احتمل أكثر من معنى؛ فكان مُتشابهاً.

أهل السنة يتمسّكون بالمُحكمات ويجعلونها أصولاً لدينهم ويرُدّون المتشابهات إلَيْها؛ فيفهمُون المُتشابه بناءً على المُحكم، وأما أهل البدع فيعكِسون؛ لأنّ في قلوبهم مرَضاً؛ فيترُك المُحكمات، ويأتي إلى الأشياء التي تُوافق هواه؛ فيتمسّك بها، هؤلاء الذين قال فيهم النّبي ﷺ: "إذا رأيتم الذين يتّبعون المتشابه منه، فأولئك الذين سمّى الله؛ فاحذَرُوهم"، هذا تحذير من النّبي ﷺ من المبتدعة: أصحاب الأهواء؛ فاحذَرُوهم، يُحذّر منهم، الذي يترك الأدلّة المحكمات ويأتي إلى المُتشابهات.

الموسيقى: نسمع اليوم يأتُون يخرُجون علينا في الفضائيّات ويستدلّون بأدلة، ما الدّليل عندهم على جواز الموسيقى؟

يقول: قال النّبي ﷺ لأبي موسى :"لقد أوتِيتَ مِزماراً من مزامِير آل داود"[(١)]، إذاً كان معه مزمار؛ إذاً المزمار جائز؛ آلة موسيقية-يعني مع داود- هذه شبهة على الجواز يُلقونها، ويترُكون حديث النّبي ﷺ:"سيكون في أمّتي أقوام يستحلّون الحِرَ والحرير

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣) عن أبي موسى رضي الله عنه.

والخمر والمعازف"[(١)]؛ دليل واضح على تحريم المعازف؛ يتركون هذا المُحكم ويُعِلُّونه بعلّة واهية، زلّت قدم ابن حزم وأعلّ الحديث بها، وردّ عليه العلماء لا واحد ولا اثنان ولا ثلاثة ولا عشرة، وأبطلوا قوله، يتركون هذا كلّه، ويذهبون إلى ما يُوافق أهواءهم؛ فيعلُّون هذا الحديث ويتمسّكون بالمُتشابه.

أبو موسى الأشعري لمّا قال له النّبي ﷺ هذا الكلام؛ ماذا كان يفعل؟

لم يكن يضرب على الدّف، أو الموسيقى ولا شي؛ إنما كان يقرأ القرآن بصوت حسن؛ فقال له : "أوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود"؛ أي: أوتيت صوتاً حسناً كصوت داود عليه السّلام،

والمزمار في لغة العرب يُطلق على الصّوت الحسن؛ فيتركون هذا ويأخذون بالمعنى الآخر، ما هذا؟ إنه مرض في القلوب، لِذلك من تجِده يستحلّ الموسيقى؛ فاعلم أنّه مريض القلب؛ لأنّه يتّبع المتشابه ويترك المحكمات في هذه.

هذه الأمثلة ربّما يورِد شخص مثلاً على نفسه سؤالاً: لماذا جعل الله تبارك وتعالى الأدلّة منها مُحكمات ومنها مُتشابهات؟ لماذا لم يجعلها كلها محكمات، وانتهَيْنا من هذه النّزاعات، والمشاكل، ووجود هذه البدع، وأهل البدع الذين يخرجون كل يوم بضلالة جديدة؟ نقول لك: لله سبحانه وتعالى حِكم في كل شيء؛ يميزُ بذلك الخبيث من الطّيب، ويتبيَّن بذلك صاحب الهوى الذي يريد أن يتّبع ما يوافق هواه، وصاحب الحق الذي يتّبع الدّليل؛ لأنّ الله يُحبّه ويرضاه؛ يحب الحكم الذي قضى به ويرضاه؛ ولذلك يتّبِعه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٩٠) عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري.

وصاحب الهوى يتّبع ما يُوافق هوى نفسه، لا ما يريد الله سبحانه وتعالى؛ فيتميّز بذلك الخبيث من الطّيّب، ويظهر.

تقول لي: طيّب؛ الله سبحانه وتعالى يَعلَم الخبيث من الطّيّب من دون هذا؟

أقول لك: الله سبحانه وتعالى لا يُحاسب النّاس بعِلمه؛ بل يحاسب النّاس بأفعالهم؛ لِذلك جعل أسباب دخول الجنّة والنّار هي الأعمال، فإذا لم يعمل؛ لا يُحاسبُه الله سبحانه وتعالى على ذلك حتّى يعمَل.

ثم آخر ما يتعلق بهذا الموضوع: كيف تُميّز بين المُحكم والمُتشابه؟

المُحكمات- كما ذكرنا- تدلّ على معنى واحد، أدلّة جمعتْ بين قوّة الإسناد- قوة الثّبوت- ، وقوّة الدّلالة؛ هذه تُسمّى مُحكمات؛ قويّة في ثبوتها؛ في صحتها، وقوية في دلالتها؛ يعني ظهور المعنى المأخوذ منها؛ هذه تُسمّى المحكمات.

نرجع إلى كلام المؤلف؛ يقول: (وقِف عند متشابه القرآن والحديث ولا تقِس شيئاً) يعني خذ بالأدلّة المحكمات، وإياك أن تضيع مع المتشابهات، ما فهمْته منها بناءً على ردّه إلى المحكم؛ فالحمد لله، وما لم تَفهمه؛ فتوقَّف فيه، ولا ترُدّ الأدلّة الواضحة الظّاهرة بمثل هذه الأدلّة المتشابهة.

قال :(**[١٥٧] ولا تَطْلُبْ مِنْ عِنْدِكَ حِيلَةً تَرُدَّ بِها على أَهْلِ البِدَعِ؛ فَإنَّكَ أُمِرْتَ بالسُّكوتِ عَنْهُمْ، ولا تُمَكِّنْهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، أما عَلِمْتَ أنَّ مُحَمَّدَ بنَ سيرين رحمه الله مع فَضْلِهِ؛ لَمْ يُجِبْ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ البِدَعِ في مَسْأَلَةٍ واحِدَةٍ، ولا سَمِعَ مِنْهُ آيَةً مِنْ كتابِ الله عز وجل، فقيل له، فقال: "أَخافُ أَنْ يُحَرِّفَها؛ فَيَقَعَ في قلبي شيءٌ"**)

قال: (ولا تطلب من عندك حيلة ترد بها على أهل البدع) يعني أن تسمع بضلالة؛ تريد أن تردّ على هذه الضّلالة، فتبحث وتفتّش عن ردّ لهذه الضّلالة من عندك؛ باجتهادك، ربّما تذهب لتردّ ضلالة فتردّها بمثلها؛ فلِذلك يُحذّرك المؤلّف من فعلك هذا؛ فقال: (ولا تطلب حيلة من عندك تردّ بها على أهل البدع؛ فإنّك أُمِرت بالسّكوت عنهم) فقط، ابتعد عنهم.

قال: (ولا تمكِّنهم من نفسك) لا تجادلهم، ولا تتكلّم معهم وتصير تبحث عن أدلة لتردّ على باطلِهم؛ دع هذا للعلماء يردّون على كلامهم من غير أن يُجالسوهم؛ فالعلماء عندما ينتشر كلام هؤلاء بين الناس، ويصير له خطورة؛ يردُّون عليهم مباشرةً، أحياناً بعض الكلام لا ينتشِر، يُراسلني بعض الشباب ويأتي بكلام مغمور من شخص مغمور؛ يقول يا شيخ رد على هذا!

أرد على ماذا؟ إنسان ميّت وكلامه ميّت مدفون؛ تُظهره للناس وتنشُره أنت بنفسك؛ لماذا؟! هذا خطأ؛ ما هكذا.

البدعة التي يجب أن تُردَّ: هي التي تنتشر بين النّاس وتصير خطيرة على دينهم؛ عندئذ تردَّها، لكن لا تذهب أنت وتنشر البدعة بالرّد عليها، وهي مغْمورة ميّتة؛ خطأ، هذا التصرُّف غير سليم.

قال: (أما علمت أن محمّد بن سيرين رحمه الله؛ مع فضله) فضله ومكانته في العبادة والزُهد والتّقوى والعلم والرّسوخ في العلم رحمه الله؛ هو أحد أئمّة التّابعين

قال: (مع فضله لم يُجِب رجلاً من أهل البدع في مسألة واحدة، ولا سمِع منه آية من كتاب الله عزّ وجل؛ فَقيل له؛ فقال: "أخَاف أن يُحرّفِها فيَقع في قلبي شيء!) هذا محمّد بن سيرين! إيّاك أن تُحسن الظّن بِنفسك؛ بعلمك أو بتقواك، أبداً؛ قلوب العباد بين

أَصبُعيْن من أصابع الرّحمن يقلّبها كيف يشاء، فاحذَر من أن تُعرِّض دينَك للخطر، هذا محمّد بن سيرين إمامٌ في زمنه، جاءه رجُلان وقالا له: نريد أن نكلّمك في مسألة؛ فقال: ولا كلمة، قالوا: نقرأ عليك آية، قال: ولا آية، قالوا له: يا إمام ما منَعك أن تسمع منهم آية من كتاب الله- قرآن-؟ قال: أخاف أن يحرّفاها فيقع ذلك في قلبي فأَزيغ!

هذا محمد بن سيرين رحمه الله؛ لِذلك أنت من باب أولى أن تُغلق على نفسك هذا الباب؛ باب الشّر، ولا تُعرّض نفسك للخطر.

انظر حديث النّبي ﷺ في الدّجال: "من سمِع منكم به فلْيَنْأ عنه"؛ يهرب، يفر منه؛ "فإنّ الرّجل يأتيه وهو يظنّ أنّ عنده من الإيمان ما عنده"، يعني يمنعه من الوقوع في شبهاته؛ قال :"فيقع في شبهاته" مِمّا معه من شبهات؛ الشبُهات خطيرة، يضيع الرّجل، يأتيه وهو مؤمن، مُعتمد على إيمانه ؛فيضيع، لا تعتمد على هذا، ما تدري والله أحياناً تظن في نفسك ثبوتاً ورسوخاً، تُعرّض نفسك لِفتنة؛ تشعُر بنفسك أنّك تزلْزلْت؛ فاحذَر بارك الله فيك، المسألة لا تحتمل مُقامَرة؛ المسألة دين؛ إمّا جنّة أو نار.

ثمّ قال: ([١٥٨] وإذا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يقولُ: "إنَّا نَحْنُ نُعَظِّمُ اللهَ" إذا سمعَ آثار رسولِ الله ﷺ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ أَثَرَ رسولِ الله ﷺ، وَيَدْفَعَهُ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ؛ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَعَظِّمُ اللهَ ويَنزِّهُهُ إذا سَمِعَ حَديثَ الرُّؤْيَةِ، وَحَديثَ النُّزولِ، وغيره، أَفَلَيْسَ قَدْ رَدَّ أَثَرَ رسولِ الله ﷺ إذا قالَ نحنُ نُعَظِّمُ اللهَ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ مَوْضِعٍ إلى مَوْضِعٍ؟ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ أعْلَمُ باللهِ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَاحْذَرْ هؤلاءِ؛ فَإِنَّ جُمْهورَ النَّاسِ مِنَ السُّوقَةِ وغَيْرِهِمْ على هذا الحالِ، وَحَذِّرِ النَّاسِ مِنْهُمْ)

لا تغتر بدعاوى أهل البدع؛ واحذَر

إذا ذكرت للجَهْمِيِّ آية في كتاب الله فيها إثبات صفة الله؛ يقول لك: لا؛ نحن نعظّمُ الله أن يتّصف بهذه الصّفة! وننزّهُه أن يُشابه المخلوقين؛ فننفي عنه ما أثبت لِنفسه في الكتاب أو في السنّة من أجل أن نُعظّمَه؛ هكذا هي شُبهتهم، يقول: الله في العلو، معناها يشبه الخلق؛ ما يجوز هذا، يحيط به مكان؟ أعوذ بالله؛ لا؛ عظِّم الله سبحانه وتعالى؛ الله ليس في العُلو.

الله سبحانه وتعالى له عينان؟ أعوذ بالله؛ يشبه البشر؟! لا؛ نعظِّم الله سبحانه وتعالى؛ ننفي العينَين عن الله.

طيب: تنفي عنه العينين، تنفي الرحمة، الكرم، ...إلخ من الصّفات! ماذا أبْقيْت؟!

لم يعد هناك شيء؛ لِذلك قال أهل العلم: الجهمِيُّ يعبد عدماً.

ولمّا كان أحد السّلف يتكلم مع أحدهم، فذكر له: لا كذا ولا كذا؛ قال :"أولئك قوم قد أضاعوا ربّهم"؛ هذا هو حال الجهميّة؛ فلا تغترّ بقوله: نحن نعظّم الله فلِذلك ننفي الصفات عنه! هذا ليس من تعظيم الله، لو عظَّمتم الله سبحانه وتعالى؛ لآمنتم بما قال عن نفسه؛ فهو أدرى بِنفسه: ما الّذي يجوز له وما الّذي لا يجوز، وبما أنّه وصف نفسه في الكتاب والسنّة بصفة؛ فيجب عليكم أن تأخذوا بها، وأن تُنزّهوه عن مشابهة المخلوقين، وانتهى الأمر؛ هكذا يكون تعظيم الله سبحانه وتعالى: عظَّمتم الله سبحانه وتعالى، نفَيْتم عنه مماثلة المخلوقين، وفي نفس الوقت: أثبتُّم له ما أثبت لنفسه؛ كما قال الله سبحانه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}؛ هكذا يكون تعظيم الله سبحانه وتعالى.

يقول لك: لا تغترّ بهذا؛ بمن يقول لك: والله أنا أعظِّم الله إذا سمع الأثر عن رسول الله ﷺ، وفي الأثر إثبات صفة لله تبارك وتعالى؛ فينفي الصفة ويرُدّ الأثر من أجل أن يعظّم الله سبحانه وتعالى في زعمِه!

طيّب، من أين لك أنّ هذا تعظيم لله؟!

من عقله! وهذا هو دينُهم: العقل مُقدّم على النّقل، قاعدتهم العظيمة التي هي طاغوت هدموا بها دين الله سبحانه وتعالى.

قال: (فاعلم أنّه جهميّ يريد أن يردّ أثر رسول الله ﷺ) هذه حقيقة قوله؛ (يريد أن يردّ الأثر، ويدفعه بهذه الكلمة، وهو يزعُمُ أنّه يعظّم الله وينزّهُه، إذا سمع حديث الرّؤية)؛ رؤية الله سبحانه وتعالى: " إنّكم ترَوْن ربّكم كما ترَوْن القمر لا تُضامُّون في رؤيتِه"؛ ينفي عن الله الرّؤية التي أثبتَها النّبي ﷺ لربّنا تبارك وتعالى، (وحديث النّزول)؛ نزول الله سبحانه وتعالى، (وغيره).

أعظم صفات خالف فيها أهل البدع أهلَ السنّة والجماعة:

رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

وعلو الله تبارك وتعالى على خلقه؛ فحديث النزول هذا يدلّ على العلو.

والثّالثة: كلام الله تبارك وتعالى؛ إنّ الله يتكلّم كلاماً حقيقياً يليق بعظمته وجلاله.

قال: (أفليْس قد ردّ أثر رسول الله ﷺ إذا قال: إنّا نحن نعظّم الله أن ينزل من مَوضع إلى مَوضع؟) يريد أن يعظّم الله سبحانه وتعالى؛ فنفى عنه ما أثبت لنفسه.

قال: (فقد زعم أنّه أعلَمُ بالله من غيره) زعم أنّه أعلم بالله من الله؛ (فاحَذر هؤلاء؛ فإنّ جمهور النّاس من السُّوقة وغيرهم على هذا الحال؛ وحذِّر النّاس منهم)، ليس فقط أنت تحذرهم؛ بل حذِّر النّاس منهم أيضاً؛ فهؤلاء خطِرٌ على دينك وعلى دين النّاس.

قال: ([١٥٩] وإذا سَألَكَ أَحَدٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ في هذا البابِ، وَهُوَ مُسْتَرْشِدٌ؛ فَكَلِّمْهُ وَأَرْشِدْهُ، وإذا جَاءَكَ يُناظِرُكَ؛ فَاحْذَرْهُ؛ فَإِنَّ في المُناظَرَةِ: المِراءَ، والجِدالُ، والمُغالَبَةُ، والخُصومَةُ، والغَضَبُ، وَقَدْ نُهِيْتَ عَنْ جَميعِ هذا جِدَّاً، وَهُوَ يُزِيلُ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ وَلَمْ يَبْلُغْنا عَنْ أَحَدٍ من فُقهائِنا وعُلمائِنا أَنَّه ناظَرَ أَوْ جَادَلَ أَوْ خَاصَمَ)

قال: (في هذا الباب): يعني فيما نحن فيه من مسائل الأسماء والصّفات، ومسائل الاعتقاد.

قال: (وهْوَ مُسترْشِدٌ) يعني جاء يريد الرّشد، يريد الهداية، يريد معرفة الحقّ من الباطل.

قال: (فكلِّمْه وأرْشِدْه) بيِّن لَه بعلمٍ.

قال: (وإذا جاءك يُناظرُك؛ فاحْذرْه؛ فإنّ في المناظرة: المِراءُ، والجدال، والمُغالبة، والخصومة، والغضب، وقد نُهيتَ عن جميع هذا جدّاً)؛ كل هذا قد نُهينا عنه، والمناظرة فيها كل هذا.

قال: (وهو يزيل عن طريق الحق) يعني: المناظرة تزِلُّك عن طريق الحق.

قال: (ولم يَبلُغنا عن أحد من فُقهائِنا وعُلمائِنا أنّه ناظر أو جادل أو خاصم)؛ هذا منهج السّلف رضي الله عنهم، فدعْنا من بُنيّات الطّريق.

قال: (**قال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ : "الحكيمُ لا يُماري ولا يُداري، وحِكْمَتُهُ يَنْشُرُها إنْ قُبِلَتْ؛ حَمِدَ الله، وإنْ رُدَّتْ؛ حَمِدَ الله"، وجاءَ رَجُلٌ إلى الحَسَنِ؛ فقال: " أنا أُناظِرُكَ فِي الدِّينِ، فقالَ الحسنُ: أَنا عَرَفْتُ ديني، فَإِنْ ضَلَّ دِينُكَ؛ فَاذْهَبْ فَاطْلُبْهُ**)

قال: (الحكيم لا يُماري ولا يداري) لا يجادل؛ جدالاً عقيماً، ولا يداري: لا يداري أهل الباطل؛ بل يُبيّن الحق من الباطل.

قال: (وحِكمتُه ينشرها) ينشرُ علمه، ولا يسكت عنه.

قال: (إن قُبِلت؛ حمِد الله، وإن رُدّت؛ حمد الله) فهو على خير في جميع الأحوال، قبِلتم الحق؛ انتفعتُم، ما قبِلتُم؛ ضررْتُم أنفسكم، هو بالنسبة له: الحمد لله؛ يعلَم الحقّ من الباطل، ويدعو إليه ويمضي، وكلّما تكلّم بكلمة؛ أُجِرَ عليها، وكلّما دعا إلى الحقّ أخذ منه أجراً؛ فالحمد لله هو على خير، يحمد الله سبحانه وتعالى على جميع الأحوال، لا يهمّه من يتّبعه ولا من يقلِب عليه ليس مهماً.

قال: (وجاء رجل إلى الحسن فقال: أنا أُناظِرُك في الدّين) الحسن: هو الحسن البصري.

قال: (فقال الحسن: أنا عرفتُ ديني، فإن ضلّ دينُك؛ فاذهب فاطْلُبْهُ) يعني أنا ديني والحق الذي أنا عليه أعرفه والحمد لله؛ على بيّنة منه، أمّا أنت، إذا ضيّعت دينك؛ فاذهب وابحث عنه؛ هذا المقصود، لماذا أناظرك؟! ما عندي شغل بِمُناظرتِك؛ هكذا كانت أجوبة السّلف رضي الله عنهم.

وكذلك الإمام مالك؛ له ردّ مثل ردّ الإمام الحسن البصري رحمه الله؛ لأنّهم جميعاً يأخذ بعضهم عن بعض، عندما جاءه أحد أهل البدعة، الإمام مالك ماذا قال؟ يسأل: {الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اِسْتَوَى}؛ كيف استوى؟ يريد أن يجادل؛ بدأ، فتح الموضوع، رد

عليه بكلمتين: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسّؤال عنه بدعة، وما أراك إلّا مبتدعاً، أخرجوه عنّي"؛ هكذا يكون ردّ أهل السنّة؛ اليوم لو فعلت هذا؛ يقال عنك: هذا متشدّد!

قال المؤلف: (**واعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ هُوَ التَّقْليدُ؛ والتّقليدُ لِأصحابِ رسولِ الله ﷺ**)

المقصود بالتّقليد: هو الاتّباع: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالذِينَ اِتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرُضُوا عَنْهُ}، فيكُون اتباعك لأصحاب النّبي ﷺ ولمنهجهم، اتّباع منهج السّلف الصّالح واجب؛ وليس أمراً مستحبّاً؛ لأنّ الحقّ لا تصِلُه إلّا عن طريقهم، والجنّة لا تعرف طريقها إلّا من خلالِهم؛ كما قال عليه الصّلاة والسّلام: "ستفترق هذه الأمّة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة؛ قالوا من هي يا رسول الله؟

قال: ما أنا عليه وأصحابي"؛ إذا فتلْزم طريق النّبي ﷺ وطريق أصحابه رضي الله عنهم.

قال المؤلّف- رحمه الله تعالى-:(**وسَمِع رسولُ الله ﷺ قَوْمَاً على بابِ حُجْرَتِهِ؛ يقولُ أَحَدُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كذا؟ ويقولُ الآخرُ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كذا؟ فَخَرَجَ مُغْضَباً؛ فقال: "أَبِهذا أَمَرْتُكُمْ؟ أمْ بِهذا بُعِثْتُ إليكمْ؟ أَنْ تَضْرِبوا كِتابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؟!"[١] فَنَهاهُمْ عَنِ الجِدالِ**)

---

(١) أخرجه أحمد(٦٨٤٥) وابن ماجه(٨٥)، وأخرج مسلم(٢٦٦٦) عن عبد الله بن عمرو؛ قال:" هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ".

هذا الكلام تتمّة لِما تقدّم في مسألة المُناظرة والمجادلة في دين الله؛ وقدْ فصّلْنا القول فيها سابقاً.

وهذا الحديث: خرج النّبي ﷺ على باب حُجرته، ووجد رجالاً يقول أحدهم: يقول الله كذا وكذا؛ فيُعارضه الآخر بآية ثانية، يردّ بها الآية التي ذكرها الأوّل؛ فضربُوا كتاب الله بعضه بِبعض، فغضب النّبي ﷺ من هذا الفعل وقال: "أَبِهذا أمرتُكم؟! أم بهذا بُعِثتُ إليكم؟! يعني أن تضرِبوا كتاب الله بعضه ببعض" كلّ منكم يأتي بآية يستدلّ بها على مُرادِهِ؛ فأنكر عليهم النّبي ﷺ ونهاهم عن الجدال؛ لأنّ الجدال يؤدّي إلى مفاسد ذكرناها فيما تقدّم، وذكرنا التّفصيل في مسألة المُناظرة.

قال المؤلّف رحمه الله: (**وكان ابنُ عُمَرٍ رضي الله عنه يَكْرَهُ المُناظَرَةَ، ومالِكُ بنُ أنَسٍ، ومَنْ فَوْقَهُ، ومن دونه؛ إلى يَوْمِنا هذا، وقولُ الله عز وجل أَكْبَرُ مِنْ قَوْلِ الخَلْقِ، قال الله تبارك وتعالى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا}[1].**

وسَألَ رَجُلٌ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه؛ فقال: ما {النَّاشِطَاتِ نَشْطًا}[2]؟ فقال: لَوْ كُنْتَ مَخْلوقاً؛ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ.

وقال النبي ﷺ: "المؤمنُ لا يُماري، ولا أشْفَعُ للمُماري يَوْمَ القِيامَةِ، فَدَعوا المِراءَ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ")

(ابن عمر): الصَّحابي؛ عبد الله بن عمر بن الخطّاب

---

(١) [غافر:٤].

(٢) [النازعات:٢].

قال: (ومالك بن أنس) يعني كان يكرهُ المناظرة أيضاً.

قال: (ومن فَوقه) يعني من سبقَه، (ومن دُونَه) يعني من جاء بعده من السّلف.

قال: (إلى يومنا هذا) والعلماء يكرهون المُناظرة؛ وقول الله عز وجل أكبر من قول الخلق؛ وقد قال الله تبارك وتعالى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلّا الّذِين كَفَرُوا}(١)؛

فاستدلّ المؤلّف بهذه الآية على منع المُناظرة؛ لأنّ المجادلة حقيقةً للباطل ولردّ الحق؛ إنّما يكون من الذين كفروا؛ فقال المؤلّف: وقول الله فوق كل قول، وليس بعده قول؛ لذلك استدلّ بالآية.

ثمّ ذكر أثر عمر رضي الله عنه؛ فقال:

(وسأل رجلٌ عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فقال: {ما النّاشطات نشطاً}؟ فقال: لو كنت محْلُوقاً لضربتُ عُنُقك")

هذا الرجل هو صبيغ بن عِسل وكان يسأل عن المتشابه من القرآن، ولَو كان يسأل للتعلّم؛ لَسأَل عن الحلال والحرام الذي ينفع، لكن هذا ترك الحلال والحرام وذهب يسأل عن المُتشابهات في القرآن؛ فبلغ عمر خبرُه؛ فلمّا جاءه قال له : "لو كنت محْلوقاً لضربت عُنقك"؛ يعني لو كنت قدْ حَلقْتَ رأسك؛ يعني حلقت شعرك تماماً وأَزلْته؛ لضربتُ عُنقك.

لماذا؟ لأنّه دليل على أنه من الخوارج؛ فعندها سيحكم عليه أنّه من الخوارج فيضرب عنقه؛ لأن النّبي ﷺ أخبر أنهم عندما يخرجون؛ سيكون سِيماهم التّحليق، يعني: علامتهم ذلك.

---

(١) [غافر:٤].

فلمّا كان يتتبّع المتشابه ويكون مُحلّقاً إذاً فهو منهم؛ لأنّ الخوارج يتعلّقون بمُتشابه الآيات والأحاديث، ويكفّرون بها النّاس؛ وهذا لمّا كان يتعلّق بالمتشابه ويتكلّم بالمتشابه ويسأل عنه قال له :"لو كنت محلوقاً لضربْت عنقَك"، فيستدل بهذا على أنّ عمر رضي الله عنه كان يأخذ بظاهر حديث النّبي ﷺ في الخوارج: "لئِن أدْركْتهم لأقتلنّهم قتل عاد"، و: "اقتُلوهم أينما وجدْتموهم"؛ كما قال عليه الصّلاة والسّلام.

إذاً هذا يدلّ على جواز قتل الخارجي أينما وُجد؛ لكن ليس من أيّ أحد! يكون معك سلاح فترى خارجياً؛ تذهب وتقتله؛ لا هذا لا يصلح؛ ستُصبح الأمور فوضى، كل واحد يدّعي على الآخر أنّه خارجي؛ فيقتله ويمشي ؛ إنّما يكون هذا الأمر لِوُلاة الأمر، هذا الأمر من النّبي ﷺ لِوُلَاة الأمر؛ لأنّ الخوارج مفسدتهُم عظيمة، ولا يمكن القضاء على هذه المفسدة إلّا بهذه الطريقة التي أرشدَنا إليها النّبي ﷺ، بقتلهم فقط تزول مفسدتهُم، وإذا لم يقْتلوا لا تزول مفسدتهم؛ هذا الذي أرشد إليه النّبي ﷺ.

فقال له عمر هنا: "لو كنت محلوقاً لضربتُ عُنقك" يعني: لاستدلّ بحلق رأسه على أنّه من الخوارج، واكتفى بذلك، وضرب عنقه؛ لكنه لمْ يكن مَحلوقاً.

وهذا الأثر عن عمر أخرجه ابن بطّة(١)، والآجرّي(٢)، واللّالكائي(٣)وفيه هذا اللفظ: "لو كنت مَحلوقا لضربتُ رأسك" وإسناده صحيح، وجاء أيضاً في "فضائل

---

(١) "الإبانة"(٣٢٩).

(٢) "الشريعة"(٢٠٦٤).

(٣) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"(١١٣٦).

الصحابة"[(١)] للإمام أحمد رحمه الله بإسناد صحيح، وهذه الزّيادة: "لو كُنت محلوقاً لضربتُ رأسك"[(٢)]: زيادة صحيحة مَحفوظة

الشّاهد هنا من أثر عمر، وأن هذا الرّجل كان يتتبّع المتشابه من القرآن، وكان يسأل عنه ويتكلّم ويجادل فيه؛ فلذلك ضربه عمر رضي الله عنه بالدِّرة حتى يؤدّبه، حتى سال دمُه

وعندئذ قال: "إن كنتَ أردْتَ تأديبي؛ فقد زال ما كنت أجده في رأسي".

قال: (وقال النّبي ﷺ:"المؤمن لا يماري، ولا أشفع للمُماري يوم القيامة، فدعوا المِراء؛ لقلّة خيره) المماراة: هي المُجادلة والمُخاصمة، وهذا الحديث: حديث ضعيف أخرجه الطّبراني في "الكبير"[(٣)] وغيره وفي سنده راوٍ شديد الضّعف

ولكن يغني عنه حديث النّبي ﷺ: "المراء في القرآن كفر"[(٤)].

قال المؤلف رحمه الله: (**[١٦٠] ولا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَقولَ: فُلانٌ صاحِبُ سُنَّةٍ، حتى يَعْلَمَ مِنْهُ أَنَّهُ قَدِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ خِصالُ السُّنَّةِ؛ لا يُقالُ له صاحِبُ سُنَّةٍ حتى تَجْتَمِعَ فِيهِ السُّنَّةُ كُلُّها**)

هكذا كان السّلف رضي الله عنهم يحكمون على الشّخص بالسُّنَّة، يعني: إذا اجتمعت خصال السنّة في الشّخص؛ إلّا أنّه يرى رأي الخوارج؛ فلا يسمّى سنّيّاً؛ إنما يسمى

---

(١) (٧١٧).

(٢) في جميع المصادر السابقة بلفظ: "لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك".

(٣) (٧٦٥٩).

(٤) أخرجه أحمد (٧٨٤٨)، وأبو داود (٤٦٠٣) وغيرهما.

خارجياً، وإذا اجتمعت فيه خصال السنّة؛ إلّا أنّه يرى رأي المُرجئة؛ فهو مرجئ، وإذا كان يقول بقول القدرية؛ فهذا قدري، يقول بقول الشيعة؛ هذا شيعي؛ وهكذا؛ خصلة واحدة؛ لكنها أصلٌ؛ عندئذ يُحسب المرء على أصحاب تلك الخصلة.

فالمسألة ليست مسألة عدد كما يُدندّن البعض؛ يقول: خالف في كم مسألة! اثنتين؟ ثلاث؟ لا تخرجه من السّلفية إذا خالف في مسألة أو مسألتين.

المسألة ليست مسألة عدد عند أهل السنة، وأما عندهم فالبعدد، هل خالف في مسألة أو أربعة أو خمسة؛ المهم في الموضوع ماهي المسألة؟ صفة المسألة؛ هي قضية نوع المسألة؛ ما هي هذه الخصلة التي خالف فيها؟

الخوارج حذّر منهم النّبي ﷺ، وذكر صفتهم؛ وقال: "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان"، يكفيك هذا كي تحكم على الشّخص بأنّه خارجي.

فلا يُحكم على شخص بأنّه سنّي سلفي حتّى تجتمع فيه السنّة، أمّا إذا قال بقول أهل البدع؛ فهو منهم، لا يُنسَب إلى أهل السُّنَّة؛ على التّفصيل الذي تقدّم معنا في أوّل الكتاب في هذه المسألة.

لكن هنا يؤكّد لنا المؤلّف ما كان عليه السّلف رضي الله عنهم في ذلك؛ أنهم لا يذكرون الرّجل بأنه سنّي صاحب سنّة؛ حتّى تجتمع فيه خصال السنّة كلّها، لا أن تجتمع خصلة وتفترق أخرى.

قال: (**[١٦١] قال عبدُ الله بنُ المبارك رحمه الله: أَصْلُ اثنينِ وَسَبْعينَ هوًى: أَرْبَعَةُ أَهْواءٍ، فَمِنْ هذهِ الأَرْبَعَةِ أَهْواءٍ تَشَعَّبَتِ الاثْنانِ وسَبْعونَ هَوًى: القَدَرِيَّةُ، والمُرْجِئَةُ، والشِّيعَةُ، والخَوارِجُ**).

يعني أصل اثنتين وسبعين بِدعة من البِدع التي ذكرها النّبي ﷺ في قوله: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة؛ قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي"، وفي رواية: قال "الجماعة"؛ هذه الفِرق الاثنتان وسبعون من الفرق المبتدعة، أربعة منها- كما ينسب المؤلف لعبد الله بن مبارك- أربعة منها هي أصول البدع؛ وهي: القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج؛ وبعد ذلك تفرّعت الفرق الأخرى، وقد فصّلنا الكلام في هذا كلّه فيما تقدّم.

قال المؤلّف رحمه الله :(**فَمَنْ قَدَّمَ أبا بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمانَ وعليّاً على جميعِ أصْحابِ رسولِ الله ﷺ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ في الباقِينَ إلّا بِخَيْرٍ، ودعا لَهُمْ؛ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ التَّشَيُّعْ أَوَّلِهِ وآخِرِهِ.**

وَمَنْ قالَ: الإيمانُ: قَوْلٌ وعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الإرْجّاءِ أَوَّلِهِ وآخِرِهِ.

ومن قال: الصَّلاةُ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وفَاجِرٍ، والجِهادُ مَعَ كُلِّ خَلِيفَةٍ، ولَمْ يَرَ الخُروجَ على السُّلْطانِ بِالسَّيْفِ، ودَعا لَهُمْ بِالصَّلاحِ؛ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الخَوارِجِ أَوَّلِهِ وآخِرِهِ

ومن قال: المَقادِيرُ كُلُّها مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ؛ خَيْرُها وشَرُّها، يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ، ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ؛ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ القَدَرِيَّةِ أَوَّلِهِ وآخِرِهِ؛ وَهُوَ صاحِبُ سُنَّةٍ)

قال: (فَمَنْ قَدَّمَ أبا بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمانَ وعليّاً على جميعِ أصْحابِ رسولِ الله ﷺ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ في الباقِينَ إلّا بِخَيْرٍ، ودعا لَهُمْ؛ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ التَّشَيُّعْ أَوَّلِهِ وآخِرِهِ) إذاً فالتّشيّع مبني على الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتقديمه على أبي بكر وعمر، كانوا يُقدِّمون عليّاً على أبي بكر وعمر في الفضل وفي الخلافة أيضاً، فيقولون: علي بن أبي طالب أولى بالخلافة من أبي بكر ومن عمر ومن عثمان.

هؤلاء هُم الشّيعة الغُلاة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وهم درجات؛ فيقول المؤلّف هنا: (من قدَّمَ أبا بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم على جميع أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يتكلّم في الباقين ودعا لهم؛ فقد خرج من التّشيّع أوّله وآخره) فلا بدّ هنا أن تقدّم أبا بكر، وأن تقدم عمر، وأن تقدّم عثمان على علي بن أبي طالب- رضي الله عنهم جميعاً- في الخلافة؛ كي تكون سنّيّاً، وفي الفضل أيضاً: تقدّم أبا بكر، وتقدم عمر، وتقدم عثمان، على علي بن أبي طالب؛ لأنّ الحديث واضح كما مرّ معنا في السّابق: أنّهم كانوا يقولون أفضل هذه الأمّة بعد نبيّها: أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان؛ لكن الإمام ابن تيمية رحمه الله في مسألة التّفضيل بين علي وعثمان خاصّة؛ قال: هذه المسألة لا يضلّلْ بها، ليست من المسائل التي يبدّع بها الشخص؛ لأنه قد حصل بعض الخلاف بين السلف في ذلك؛ أما في مسألة الخلافة؛ فيبدّع ويُضلّل من خالف فيها؛ فإن الصحابة مُتّفقون ومُجمِعون أن عثمان أولى بالخلافة من علي بن أبي طالب، وقد قُدّم في ذلك فلا يجوز مخالفتهم، ومن قدّم علياً على عثمان في الخلافة؛ فقد طعن في خلافة عثمان، وطعن في كلام أصحاب النّبي ﷺ، فلا يكون الشخص بريئاً من التّشيّع؛ حتّى يقدّم هذا التّقديم:

يقدم أبا بكرٍ، وعمر في الخلافة والفضل.

وأما في عثمان رضي الله عنه؛ فالصحيح تقديمه علي في الخلافة وفي الفضل، لكن من خالفنا في الفضل؛ لم نبدِّعه، ولم نضلله؛ لأن بعض السلف قد خالف في هذا: في الفضل بين عثمان وعلي بن أبي طالب- رضي الله عنهم.

ثمّ بعد ذلك: يعرف لبقيّة الصحابة فضلَهم، ويحكم لهم بالإيمان والتقوى والصّلاح، ويحبّهم، ويتولّاهم؛ عندئذ يكون قد برأ من التّشيّع كما قال المؤلّف رحمه الله تعالى.

هذه الخصلة الأولى التي ذكرها، يقول لك: أربعة أهواء التي هي أصول الأهواء، وأنّ بقية الأهواء تفرّعت عنها: التشيّع، والإرجاء، والخروج، والقدر

فيقول لك: كيف تفرّ من التشيّع؟ بِما ذكره لك هنا.

ثم قال: (وَمَنْ قالَ: الإيمانُ: قَوْلٌ وعَمَلٌ، يَزيدُ وَيَنْقُصُ؛ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الإِرْجّاءِ أَوَّلِهِ وآخِرِهِ)

من قال إن الايمان قولٌ وعمل؛ قول باللسان وقول القلب وعمله، وعمل بالجوارح والأركان،

فالقول: قولان، والعمل: عملان:

قول اللسان، وقول القلب؛ وهو التصديق.

وعمل القلب: الحب، والخوف والرّجاء وما شابه، وعمل الجوارح: مثل الصلاة، والصّيام، والحج، والزّكاة وما شابه؛ هذه أعمال الجوارح.

فالإيمان يتكوّن من هذه الأمور؛ هذا هو الدّين بالكامل: قول، واعتقاد، وعمل؛ هذا هو الإيمان؛ وأساسه يتكوّن من اعتقاد وقول وعمل، فلابدّ أن تأتي بأصله: اعتقاد وقول وعمل، ثمّ بعد ذلك يكمل بكمال الإيمان؛ فهو يزيدُ وينقص على حسب الأعمال، كلّما زادت الأعمال، وزاد البر والتّقوى؛ زاد الإيمان، وإذا نقصت الأعمال؛ نقص الإيمان.

والظّاهر والباطن مُتلازمان؛ لا ينفكّان عن بعضهما أبداً، لا يمكن أن تكون مؤمناً في الظاهر وأنت في الباطن لا يوجد عندك شيء، أو أن تكون مؤمناً في الباطن وفي الظاهر لا يوجد شيء! أبداً هما متلازمان ؛ كما قال النّبي ﷺ: "ألا إنّ في الجسد

مُضغة إذا صلحت صلح سائر العمل، وإذا فسدت فسدَ سائر العمل؛ ألا وهي القلب"[١]، فإذا لم يكن هناك أيّ عوامل خارجيّة؛ فالظّاهر والباطن لا بدّ أن يكونا نفس الشيء؛ إذا وُجد إيمان الباطن؛ وُجد إيمان الظاهر، يعني: نتجَت الأعمال ووُجدت، وإذا انتفى الإيمان الباطن؛ انتفت الأعمال؛ فلا يصح أن تقول: الإيمان في القلب! كما نسمع اليوم هذا الكلام؛ تُكلّم الشخص؛ تقول له: اتق الله هذا حرام؛ فيقول : الإيمان في القلب يا شيخ!

لو وُجِدَ الإيمان في القلب؛ لوُجدت تقوى الله سبحانه وتعالى؛ لا يمكن أن يوجد إيمان في القلب وليس هناك أعمال؛ هذا ليس وارداً أصلاً.

فهنا يقول المؤلف: (من قال الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص؛ فقد خرج من الإرجاء أوّله وآخره).

ثم قال: (ومن قال: الصَّلاةُ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وفَاجِرٍ، والجِهادُ مَعَ كُلِّ خَليفَةٍ، ولَمْ يَرَ الخُروجَ على السُّلْطانِ بِالسَّيْفِ، ودَعا لَهُمْ بِالصَّلاحِ؛ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الخَوارِجِ أَوَّلِهِ وآخِرِهِ) أي: يصلّي خلف كلّ برٍّ وفاجر؛ فالخوارج يُكَفِّرون الحُكَّام ولا يصلّون خلفهم ولا يُجاهدون معهم، ويجوّزون الخروج عليهم؛ هذا قول الخوارج.

وعلامتهم الأساسية التي ذكرها النّبي ﷺ؛ فلا يُلبِّسنّ عليكم مُلبِّسٌ كما يلبّسون على بعض الشباب المسكين في سورية؛ هؤلاء الدّواعش يقولون للشباب: نحن ما خرجنا على أحد لماذا تُسموُّننا خوارج؟

---

(١) أخرجه البخاري(٥٢)، ومسلم(١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

فِكرُهم الذي هم عليه: تكفير جميع الحكّام، وتكفير من والاهم ومن تحتهم، تكفير المجتمعات؛ ثمّ يقول لك نحن ما خرجْنا على أحد !

علامتُكُم التي ذكرها لكم النّبي ﷺ: تقتلون أهل الإسلام وتدعون أهل الأوثان؛ بهذا نجادلُهم فقط، سواء خرجوا على شخص أو ما خرجوا على شخص، بِما أنّ هذه العلامة مَوجودة فيكم؛ فهِي كافية، مع أنّهم هم لو وُجدوا تحت حاكم مسلم؛ لكفّروه وخرجوا عليه؛ وهذا من أصولهم؛ وهذا مَوجود في كلامهم أصلاً، لكن مع ذلك نقول لكم: بما أنّ هذه الصّفة موجودة عندكم؛ فهي كافية في الحكم عليكم بهذا الحكم، وأنّكم خوارج، وأنتم تقتّلون في العشائر المسلمة السّنّيّة بالعشرات بل بالمئات من البشر ليل نهار؛ وهذا أمر ظاهر ومنتشر عندكم، ومعلوم.

قال: (ومن قال: المَقادِيرُ كُلُّها مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ؛ خَيْرُها وشَرُّها، يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ، ويَهْدي مَنْ يَشاءُ؛ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ القَدَرِيَّةِ أَوَّلِهِ وآخِرِهِ؛ وَهُوَ صاحِبُ سُنَّةٍ)

المقادير: يعني كل ما يحصُل في هذا الكون هو من الله سبحانه وتعالى؛ قدْ قدّره الله سبحانه وتعالى، ولو لم يشأه الله لَمَا كان.

(يُضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء) من خلقه، يُضلُّ من يشاء منهم عن الطّريق المستقيم، ويهْدي من يشاء إلى الصّراط المستقيم.

(فقد خرج من قول القدريَّة؛ أوّله وآخره، وهو صاحب سنّة)

فهنا يكون قد ذكر لك علامة المُفارَقة مع الشيعة، ثمّ ذكر لك علامة المفارقة مع المُرجئة، ثمّ مع الخوارج، ثم ذكر علامة المُفارقة مع القدريّة؛ بهذا يكون قد بيّن لك أهم الأصول التي إذا خالفْت فيها أولئك القوم؛ خرجْت من أن تكون من جماعتِهم.

قال ـ رحمه الله ـ :(**[١٦٢] وبِدْعَةٌ ظَهَرَتْ هِيَ كُفْرٌ باللهِ العَظيمِ، وَمَنْ قالَ بها؛ فَهُوَ كافِرٌ باللهِ لا شَكَّ فيهِ، من يؤمن بالرَّجْعَةِ، ويقولُ: علي بن أبي طالب رضي الله عنه حَيٌّ وَسَيَرْجِعُ قَبْلَ يَوْمِ القِيامَةِ، ومُحَمَّد بن علي، وجعفر بن محمَّد، وموسى بن جعفر، وَيَتَكَلَّمُونَ في الإمامَةِ، وَأَنَّهُمْ يَعْلَمونَ الغَيْبَ؛ فاحْذَرْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ باللهِ العَظيمِ، وَمَنْ قالَ بهذا القَوْلِ**)

الرّجعة عند الشّيعة: أنهم يقولون: الأموات من الأئمة؛ من أهل البيت يرجعون في آخر الزّمان، ويقيمون العدل، ويُخرجون أبا بكر وعمر والصّحابة من قُبورهم ويحرِّقُونهم؛ هذه عقيدتهم، يعتقدون هذا؛ هذه الرّجعة.

ويقولون: علي بن أبي طالب حيّ سيرجع يوم القيامة، ومحمّد بن علي الباقر، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر؛ هؤلاء أحفاد علي بن أبي طالب رضي الله عنهم من الأئمّة الذين يسمُّونهم: الأئمّة الاثنَا عشر المعصومون، الذين يجعلونهم في مقام الأنبياء.

ويتكلّمون في الإمامة، يعني هؤلاء أئمة معصومون عندهم، وأنّهم يعلمُون الغيب

قال: (فاحذرْهم فإنّهم كفّارٌ بالله) يعني الرّافضة.

باختصار: الرّافضة المُوجودون اليوم كلّهم على هذا الاعتقاد الذي ذكره المؤلّف- رحمه الله- وهذا تكفير من المؤلْف للرّافضة؛ وهو الحق: الرّافضة كفّار، سواء أئمتهم أو عوامهم؛ كلّهم واحد؛ فالحجة الآن- الحمد لله- قائمة، ودين الله منتشر في كلّ مكان، من أراد الحق؛ وصل إليه، ومن أعرض؛ فهو الذي جنَى على نفسه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**[١٦٣] قالَ طُعْمة بن عَمرو وسُفيان بن عُيينة رحمهما الله: من وقفَ عند عثمانَ وعليّ؛ فهو شيعيّ لا يُعدَّلْ ولا يُكَلَّمْ ولا يُجَالَسْ، ومن قَدَّم**

عليًا على عثمان رضي الله عنه؛ فهو رافضي؛ قد رفضَ آثار أصحاب رسول الله ﷺ رضيَ الله عنهم، ومن قدَّم الأربعة على جميعهم، وترَّحم على الباقين، وكفَّ عن زَللِهِم؛ فهو على طريقِ الاستقامة والهُدى في هذا الباب) .

كما ذكرنا سابقًا.

قال: (من وقف عند عثمان وعلي فهو شيعي) أي لم يُقدِّم أحدهما على الآخر في أحقِّية الخلافة؛ هذا على القول الذي ذكره ابن تيمية رحمه الله؛ فيُقال: إنَّ من وقف في عثمان وعلي ولم يقل بأن عثمان كان أحقّ بالخلافة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فهو شيعي، وتنطبق عليه الأوصاف المذكورة: (لا يُعَدَّل) لا يُقال هو عدل؛ بل هو فاجر مُبتدع، (ولا يُكلَّم ولا يُجَالس) يعني يُهْجَر.

أما من ناحية الفضل؛ فكما ذكرنا من قول ابن تيمية في هذه المسألة: أنه لا يُضلّلُ عليها؛ مع أن كلام المؤلّف فيما ذكره؛ مُطلق.

قال: (من قدَّم عليًا على عثمان) رضي الله عنهم؛ يعني جزم؛ فهو رافضي.

فالأوّل: وقف؛ لم يقدِّم عثمان ولا عليا، أما هذا فقدَّم عليّاً على عثمان رضي الله عنه؛ فهو رافضي.

وفرّق المؤلف بينهما؛ فجعل الأول شيعي والثاني رافضيًا؛ قد رفض آثار أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم.

وقد اختُلِفَ في سبب تسمية الرافضة بهذا الاسم، والقول الأقرب للصواب - إن شاء الله- : لأنهم رفضوا زيدَ بن الحسين بن علي بن أبي طالب؛ رفضوه عندما قالوا له ما

رأيكَ في أبي بكرٍ وعمر؟ قال: هما وزيرا جدّي؛ فرفضوه؛ فسُمّوا رافضة، وأما الذين تولَّوْه؛ فسُمّوا زيدية، وهم بعض شيعة اليمن، واليوم شيعة اليمن انقسموا إلى قسمين: الحوثيون هؤلاء رافضة خبثاء، وهناك شيعة آخرون؛ وهم الزيدية، وهؤلاء الزيدية أخف حالاً من الشيعة الرّافضة.

قال: (ومن قدَّم الأربعة على جميعهم) من قدَّم: أبا بكر وعمر وعثمان وعلي على بقيَّة الصَّحابة، (وترَّحَمَّ على الباقين وكفَّ عن زَللهم) فلم يذكرهم إلّا بخير على ما تقدّم من عقيدة أهل السنة في أصحاب رسول الله ﷺ؛ (فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب).

قال : (**[١٦٤] والسُنَّة أنْ تَشْهَدَ أَنَّ العَشْرَةَ الذينَ شَهِدَ لَهُمْ رسولُ الله ﷺ بالجنَّةِ: أنَّهمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ لا شَكَّ فِيه**)

هؤلاء العشرة الذين وردُوا في حديثٍ واحد؛ ذكرهم النبي ﷺ: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير، وسعد وسعيد ، وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف؛ هؤلاء العشرة ذكرهم النبي ﷺ في حديثٍ واحد؛ وإلّا فإن الذين شَهِدَ لهم النبي ﷺ من الصَّحابة بأنهم في الجنَّة أكثر من هذا بكثير؛

ولكن هؤلاء جاءوا في سياق واحد.

قال : (**[١٦٥] ولا تُفْرِدِ بالصَّلاة على أحدٍ الَّا لرسول الله ﷺ وعلى آله فقط**).

يعني لا تَقُل لشخص مُعَين من الناس: صلى الله عليه وسلم؛ إلّا لرسول الله ﷺ، وهذه فيها تفصيل:

الصلاة على غير النّبي ﷺ منفرداً كالصّحابي أو المسلم وحده: الصحيح أنه يجوز؛ لأنّ النّبي ﷺ كان يقول: "اللهم صلّ على أبي أوفى"[1]؛ فهذا يدَّل على جواز الصلاة على الشخصِ المُعَيَّن؛ لكن بشرط: ألا يصير شِعاراً لهم؛ كما هو حال الرّافضة مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فإنهم يخصّونه بالصَّلاة والسلام عليه دون بقيَّة الصَّحابة؛ فصارَ هذا شِعارًا لهم؛ هنا نقول: لا يجوز؛ يحرُم هذا

أما أن تصلي أحياناً وتسلم على بعض الناس دون أن يصبح شِعارا لشيء مُعيَّن؛ فلا بأسَ بذلك إن شاء الله للحديث الذي ذكرناه.

قال: (**[١٦٦] وتَعْلَمَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ رضي الله عنه قُتِلَ مَظْلوماً، وَمَنْ قَتَلَهُ كانَ ظالِماً**) وهذا لا شكّ فيه ؛ وقد ذكرنا هذا فيما تقدّم.

قال: (**[١٦٧] فَمَنْ أَقَرَّ بِما في هذا الكِتابِ، وَآمَنَ بِهِ، واتَّخَذَهُ إماماً، وَلَمْ يَشُكَّ في حَرْفٍ مِنْهُ، وَلَمْ يَجْحَدْ حَرْفَاً واحِداً؛ فَهُوَ صاحِبُ سُنَّةٍ وجَماعَةٍ، كامِلٌ قَدِ اكْتَمَلَتْ فيه الجماعَةُ، وَمَنْ جَحَدَ حَرْفَاً مِمَّا في هذا الكِتابِ، أَوْ شَكَّ في حَرْفٍ مِنْهُ، أَوْ شَكَّ ووَقَفَ؛ فَهُوَ صاحِبُ هوًى**)

(١) أخرجه البخاري(١٤٩٧)، ومسلم(١٠٧٨) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

كلّ ما ذكرناه في هذا الكتاب من مسائل الاعتقاد، من أقرّ به، آمن به، وصدّق وشهد به،(واتخذه إماماً)يسير على هذا المنهج الذي فيه، (ولم يشكّ في حرف منه، ولم يجحد حرفاً واحداً منه) يعني لم يكذب بما فيه؛ (فهو صاحب سنة وجماعة، كامل قد اكتملت فيه الجماعة، ومن جحد حرفا ممّا في هذا الكتاب، أو شكَّ في حرفٍ منه أو شكَّ ووقف فهو صاحب هوى) على التّفصيل الذي قدّمناه كاملاً

قال :(**[١٦٨] وَمَنْ جَحَدَ أَوْ شَكَّ في حَرْفٍ مِنَ القُرْآنِ أَوْ في شيءٍ جَاءَ عَنْ رسولِ الله ﷺ؛ لَقِيَ اللهَ تَعالى مُكَذِّباً؛ فَاتَّقِ اللهَ، واحْذَرْ، وَتَعَاهَدْ إِيمانَكَ**)

من كذّب بحرف من كتاب الله؛ فهو كافر، وقد جاء ذلك عن أكثر من واحد من أصحاب النّبي ﷺ: من كفر بحرف من كتاب الله فقد كفر به كلّه؛ حرف واحد تكذّب به وتقول هذا ليس من كتاب الله؛ فقد كفرت بكتاب الله تبارك وتعالى، وهذا محل إجماع من العلماء، كذلك السنّة الثّابتة عن النّبي ﷺ، تُكذّب بها وتقول هذه ليست ثابتة، وليست بصحيحة، وهي صحيحة وثابتة ومتّفق عليها بين أهل السنّة والجماعة؛ عندئذ تكفر،

أمّا مسألة التأويل؛ فشيءٌ آخر.

قال: (فاتّق الله واحذر وتعاهد إيمانك) يعني دائماً انظر إلى إيمانك، انظر إلى أين وصلت، وارجع إلى الله سبحانه وتعالى.

قال :([١٦٩] وَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ لا تُطِيعَ أَحَدَاً في مَعْصِيَةِ اللهِ، ولا الوالِدَيْنِ والخَلْقَ أَجْمَعين؛ لا طَاعَةَ لِبَشَرٍ في مَعْصِيَةِ اللهِ، ولا يُحِبُّ عَلَيْهِ أَحَداً، واكْرَهْ ذَلِكَ كُلَّهُ للهِ تَبارك وتعالى)

قال النَّبي ﷺ: "لا طاعةَ لِمخلوقٍ في معصية الخالق"(١)، وهذا الحديث صحيح، وكذلك جاء في حديث آخر: " إنَّما الطاعةُ في المعروف"(١)، في حديث الرّجل الذي كان أميراً على قوم، فغضب منهم في أمر ما؛ فأمرهم أن يجمعوا له حطباً فجمعوا له، وأشْعلوا النَّار؛ ثم قال لهم: قعوا في النّار؛ فَهَمَّ بعضهم أن يقع في النّار، والبعض امتنَع؛ قالوا نأتي النّبي ﷺ ونسأله؛ فسألوا النبيّ ﷺ؛ فقال : "لو وقعوا فيها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة؛ إنَّما الطّاعةُ في المعروف"؛ وهذا عام في كلّ أحد، لا يُطاع أحد في معصية الله سبحانه وتعالى، الطَّاعة في كل شيء؛ لله تبارك وتعالى فقط، لا لِغيره؛ لا للوالدين ولا لغيرهما، إذا أمركَ والداك بما يخالف شرعَ الله؛ فلا يجوزُ لكَ أن تُطيعهما، ولكن تقول لهما قولاً طيّباً، وتُصاحبْهما في الدّنيا مَعرُوفاً، وترُدّ ما أمراكَ به بألطف العبارات، وألطف الأساليب معهم؛ لأنّ لهم حقاًّ عليك أمرك الله سبحانه وتعالى بحِفظه.

ولا تحب معصية الله سبحانه وتعالى، واكره صاحبها أيضاً، وأحبّ طاعة الله سبحانه وتعالى، وأحبّ صاحبها؛ لأنّك مؤمن؛ وأوثَق عُرى الإيمان: الحبّ في الله والبغض في الله".

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده"(٣٨٨٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

قال: ([١٧٠] **والإيمانُ بِأَنَّ التَّوْبَةَ فَرِيضَةٌ على العِبادِ؛ أَنْ يَتوبوا إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كَبيرِ المَعاصِي وَصَغيرِها**)

التوبة مأمور بها، ومعنى التّوبة: الرّجوع إلى الله سبحانه وتعالى؛ بتَرك المعصية وترك الذّنب؛ سواء كانت معصية شرك، أو معصية بدعة، أو معصية من غير هذَين؛ فالتّوبة إلى الله سبحانه وتعالى هي الرّجوع إليه بترك المعاصي والذنوب؛ وقد أمرَ الله سبحانه وتعالى بذلك فقال جلَّ في عُلاه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ}[٢]؛ فهذا أمرٌ من الله سبحانه وتعالى بالتوبة؛ فالتّوبة واجبة، وكما ذكرنا: هي الرّجوع إلى الله سبحانه وتعالى بتَرك الذّنب؛ فلا بُدَّ من ترك الذّنب، وأن تُقْلِع عنهُ حتى تكونَ تائباً، وتَعْزِم في نفسكَ على أن لّا تعود إليه، وأن تكون توْبتِك هذه خالصة لله سبحانه وتعالى، لا تريد منها شيئاً من أمور الدّنيا؛ عندئذ تكون مقبولة، ويُشترط أن تكون قبل زمن الغرغرة، وقبل شروق الشمس من مغربها، وانتهاء التوبة؛ التوبة دائمًا مفتوح بابها، مقبولة مِنك إلّا في زمنَيْن:

الزّمن الأوّل وهو خاص بكلّ فرد من النّاس؛ وهو: وقت الغرغرة، يعني قبل الموت؛ قبل خروج الروح بلحظات فقط.

والوقت الثّاني: وهذا في آخر الزّمن عندما تطلع الشَّمس من مغرِبها؛ عندئذ يؤمن الناس ولا ينفع إيمانُهم؛ خلاص؛ انتهى الأمر وانتهى وقت التّوبة عندئذ؛ فيجب أن تكون التّوبة قبل هذين الوقتين؛ حتى تكون مقبولة وبالشّروط التي ذكرناها.

---

(١) أخرجه البخاري(٤٣٤٠)، ومسلم(١٨٤٠) عن علي رضي الله عنه.

(٢) [التحريم:٨].

قال: ([١٧١] ومَنْ لَمْ يَشْهَدْ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسولُ الله ﷺ بالجَنَّةِ؛ فَهُوَ صاحِبُ بِدْعَةٍ وَضَلالَةٍ، شَاكٌّ فِيما قالَ رسولُ الله ﷺ)

لأنه ردَّ أخبار النَّبي ﷺ التي ذكرت بأن هؤلاء الصَّحابة المذكورون آنفاً وغيرهم من الصَّحابة كلّهم من أهل الجنّة، والّذين يكذّبون بهذا: هم الرّافضة وغيرهم ممّن تبِعهم على هذا الاعتقاد؛ يكذّبون أنّ هؤلاء الصّحابة الكِرام من أهل الجنّة، فيقول هنا: من لم يشهد لِمَن شَهِدَ لهم رسول الله بالجنَّة فهو صاحب بدعة مُبتدع ضالٌّ مُضِلٌّ مُكَذِّب بما جاء عن النّبي ﷺ.

قال: ([١٧٢] قالَ مالكٌ بن أنس رحمه الله: مَنْ لَزِمَ السُّنَّةَ، وَسَلِمَ منهُ أصحاب رسول الله ﷺ ثُمَّ ماتَ؛ كانَ مَعَ النَّبِيِّنَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالِحينَ؛ وإنْ كانَ لهُ تقْصيرٌ في العَمَلِ.

وقالَ بِشر بن الحارث - رحمه الله - : السُّنَّةُ هِيَ الإِسْلامُ، والإِسْلامُ هُوَ السُّنَّةُ.

وقال فُضيلُ بْنُ عِياضٍ رحمه الله: إذا رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ فَكَأَنَّما أرى رَجُلاً مِنْ أَصْحابِ رَسولِ الله ﷺ، وإذا رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ البِدَعِ؛ فَكَأَنَّما أَرَى رَجُلاً مِنَ المُنافِقينَ.

وقال يونس بن عُبيدٍ رحمه الله : العَجَبُ مِمَّنْ يَدْعو اليَوْمَ إلى السُّنَّةِ، وَأَعْجَبُ مِنْهُ المُجيبُ إلى السُّنَّةِ)

قال: (سَلِمَ منه أصحاب النّبي ﷺ) يعني أنّه لم يَطعَن في أحدٍ منهم.

قال: (ولَزِمَ السنّة) تمسّك بها وثَبَتَ عليها، ثمَّ مات على ذلك.

قال: (كانَ مع النَّبيين والصِّديقين والشهداء والصَّالحين؛ وإن كانَ لهُ تقصيرٌ في العمل) وإن كان له تقصير في العمل، إذا مات وعقيدتُه سليمة؛ يغفر له، وبالنسبة للتَقصير في العمل؛ فهناك مكفّرات كثيرة؛ عشرة أسباب تكفّر عن الشّخص ذنبه، ولا تجعلُه يُعذّب به؛ من ذلك:

أن يعفو الله سبحانه وتعالى عنه؛ فـ {إنَّ اللّهَ لا يَغْفر أن يُشْرَك به ويغفرُ ما دونَ ذلك لمن يَشاء}؛ كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم.

أيضاً ربّما تكون له حسنات كثيرة؛ فيمحو الله سبحانه وتعالى سيّئاته بما معه من حسنات؛ وغير ذلك أسباب كثيرة جمعها ابن تيمية رحمه الله؛ أسباب مغفرة الذنب؛ المهم يبقى الأمر أسهل: إذا لقيَ الله سبحانه وتعالى بعقيدة سليمة.

قال: (وقالَ بِشر بن الحارث - رحمه الله - : السنّة هي الإسلام والإسلام هو السنّة) وقد تَقدَّمَ معنا في أول الكتاب شرح معنى هذا الكلام؛ ومقصوده بالسُّنة: هدي النبي ﷺ وطريقتُه؛ (هي الإسلام)؛ يعني: الإسلام الصّحيح، والإسلام هو السُّنة.

قال: (وقال فُضيل بن عياض رحمه الله: إذا رأيتُ رجلاً من أهل السُّنة فكأنما أرى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، وإذا رأيتُ رجلا من أهل البدع فكأنما أرى رجلاً من المنافقين) إذا رأى رجلاً من أهل السنة كأنّما رأى رجلاً من أصحاب النبي ﷺ؛ لأنّ السنّي متبع لأصحاب النّبي ﷺ يقول بأقوالِهم، ويعتقد ما يعتقدون، ويفعل ما يفعلون؛ فمن رآه تذكّرهمَّ.

وأمّا المبتدع؛ فهو على نفس طريقة المنافقين في إظهاره الحق، وإظهار الخير؛ وهو في الباطن حقيقةً يحمِل البدع والضّلالات، وكذلك المنافقون يظهرون الإسلام ويظهرون الطّاعة؛ وحقيقة أمرهم في باطنهم كُفَّار؛ لذلك من رأى المُبتدع: تذكَّر المنافق، ومن رأى السُّني؛ تذكَّر الصَّحابة.

قال: (وقال يونس بن عُبيد رحمه الله: العَجَبُ مِمَّن يدعو اليوم إلى السُّنَّة، وأعجبُ منهُ المُجيب إلى السُّنَّة) لقلّة ونُدُور هذا؛ نادرٌ جدّاً، يعني يتعجّب ممّن يدعو اليوم إلى السنّة؛ أنه يوجد داعٍ إلى السنة! هذا أمر عجيب؛ قليل جدّاً؛ نادر كالشّعرة البيضاء في جلد الثّور الأسود، ومن يستجيب لدعوة السنّة ويتّبِعها؛ فهذا أعجب وأعجب؛ فماذا نقول نحن في زماننا؟ فهذا يوسف بن عبيد من عهد أتباع التابعين؛ فكيف نحن في زماننا هذا!؟ والله المستعان.

قال رحمه الله: (**وكانَ ابنُ عونٍ رحمه الله تعالى يقولُ عِنْدَ المَوْتِ: السُّنَّةَ السُّنَّة، وإيَّاكُمْ والبِدَعَ، حتَّى ماتَ.**

وقالَ أحمدُ بنُ حنبل رحمه الله تعالى: ماتَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحابي، فَرُئِيَ في المنامِ؛ فقال: قولوا لأبي عبد الله: عَلَيْكَ بالسُّنَّةِ؛ فإنَّ أوّلَ ما سَأَلَني رَبِّي عزَّ وجل عَنِ السُّنَّةِ.

وقال أبو العالية رحمه الله: مَنْ ماتَ على السُّنَّةِ مَسْتوراً؛ فَهُوَ صِدِّيقٌ، والاعْتِصامُ بالسُّنَّةِ: نَجاةٌ)

(ابن عون): عبد الله بن عون، من اتباع التابعين، رأس من رؤوس أهل السنّة في زمنه.

قال: (السُّنَّة السُّنَّة)؛ ولعلها تكون بالنصب أولى؛ يعني: الزمُوا السنّة، وإيّاكم والبدعة، يعني: واحذروا البدع؛ هذه وصيته في آخر حياته، هذه وصايا السّلف: على هذا الأساس؛ كلّها على هذه الطّريقة:

وجوب لزوم السنة، والحذر من البدع؛ لأنَّ البِدع مُهْلِكة، مُفْسدة لدين الله سبحانه وتعالى، ولِدينِ الشخص.

قال: (وقالَ أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: ماتَ رجلٌ من أصحابي، فَرُئِيَ في المنام فقال: قولوا لأبي عبد الله: عليكَ بالسُّنَّة؛ فإنَّ أوّلَ ما سألني ربّي عزَّ وجل عن السُّنة) السّنّة أمرُها عظيم

قال: (وقال أبو العالية) الرِّياحي رُفيع بن مهران أحد التابعين رحمه الله (من ماتَ على السُّنة مستوراً فهو صِدّيق) مستوراً: يعني لم يقع في شيء من البدع والضلالات؛ فأمرُه مستُور؛ سترَه الله سبحانه وتعالى، لم يفضحْه بالبدع والضّلالات والذّنوب؛ فهو صِدّيق، يعني في منزلة الصِّدّيق، ومنزلة الصديق هذه تأتي بعد منزلة الأنبياء؛ ويحصُل عليْها الشَّخص بالتَّقوى والصّلاح ولزوم السُّنَّة

قال: (والاعتصامُ بالسُّنَّةِ نجاة) من تمسّك بالسُّنَّة نجى عند الله سبحانه وتعالى؛ {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}، حبل الله هو السُّنَّة؛ كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ.

قال (**وقال سُفيان الثَّوري رحمه الله "مَنْ أَصْغَى بِأُذُنه إلى صاحِبِ بِدْعَةٍ؛ خَرَجَ مِنْ عِصْمَةِ اللهِ وَوُكِّل إليها"؛ يعني إلى البدع.**

وقال داود بن أبي هند رحمه الله: أَوْحى اللهُ تباركَ وتعالى إلى موسى بن عمران عليه السّلام : لا تُجَالِسْ أَهْلَ البِدَعِ، فَإِنْ جالَسْتَهُمْ فَحَاكَ في صَدرِكَ شَيْءٌ مِمَّا يَقولونَ؛ أُكْبِبْتَ في نَارِ جَهَنَّمَ.

وقال الفُضيلُ بن عياض رحمه الله :"مَنْ جالسَ صاحِبَ بِدْعَةٍ؛ لَمْ يُعْطَ الحِكْمَةَ.

وقال الفُضيل بن عياض:" لا تَجْلِسْ مَعَ صاحِبِ بِدْعَةٍ؛ فَإِنِّي أَخافُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ.

وقال الفُضيل بن عياض: "مَنْ أَحَبَّ صاحِبَ بِدْعَةٍ؛ أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَهُ، وأَخْرَجَ نُورَ الإِسْلامِ مِنْ قَلْبِهِ".

وقال الفضيلُ بن عياض: "مَنْ جَلَسَ مَعَ صاحِبِ بِدْعَةٍ في طَرِيقٍ؛ فَجُزْ في طَرِيقِ غَيْرِهِ)

قال: (وقال سُفيان الثَّوري رحمه الله "مَنْ أَصْغَى بِأُذُنِهِ إلى صاحِبِ بِدْعَةٍ؛ خَرَجَ مِنْ عِصْمَةِ اللهِ وَوُكِلَ إليها"؛ يعني إلى البدع) يعني ترك الله سبحانه وتعالى حِفظه؛ فيهلِك.

أصغى سمعه: يُعطي سمعه للبِدع والضّلالات؛ فتدخل البدعة إلى قلبه وتمكّن.

وفي هذا: وجوب ترك الاستماع لِأهل البِدع؛ خَشية أن يَضُروك في دينك.

قال: (وقال داوودُ بن أبي هند) هؤلاء كلّهم أئمّة السّلف الّذين ينقل عنهم.

قال: (أوحى الله تباركَ وتعالى إلى موسى بن عمران عليه السّلام: لا تُجالس أهلَ البدع فإن جالستهم فحاكَ في صدرك شيء مِمَّا يقولون؛ أُكْبِبْتَ في نار جهنم) يعني

وقعت في نار جهنم؛ لكن هذا الأثر كذا عن موسى عليه السلام؛ لا يصحَ؛ فلعلّه من الإسرائيليات.

قال: (وقال الفُضيلُ بن عياض رحمه الله: "من جالسَ صاحبَ بِدعة لم يُعْطَ الحِكْمَة") لو أُعطيَ الحكمة ما جلسَ لصاحب بدعة!

قال: (وقال الفُضيل بن عياض:" لا تجلس مع صاحب بِدعة فإنّي أخافُ أن تنزل عليك اللَّعنة") هذا تحذير من مجالسة أصحاب البِدع.

قال: (وقال الفُضيل بن عياض: "من أحبَّ صاحب بِدعة أحبطَ الله عملَه، وأخرَج نور الإسلام من قلبه") نسأل الله العافية

قال:(وقال الفضيلُ بن عياض: "من جلسَ مع صاحب بِدعة في طريقٍ؛ فَجُز في طريق غيره") أي: أنت خالِف الطّريق تماماً ولا تمشِ من جانبهما أصلاً.

انظر إلى شدّةَ تحذيرهم من أهل البدع، وقارن بينهم وبين تفريط المتأخّرين في هذا الباب.

قال المؤلف رحمه الله: (**وقال الفُضيلُ بنُ عياض: "مَنْ عَظَّمَ صاحِبَ بِدْعَةٍ؛ فَقَدْ أَعانَ على هَدْمِ الإِسْلامِ، ومَنْ تَبَسَّمَ في وَجْهِ مُبْتَدِعٍ؛ فَقَدِ اسْتَخَّفَ بما أَنْزَلَ الله عز وجل على محمّد ﷺ ، وَمَنْ زوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ مُبتَدِعٍ؛ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمها، وَمَنْ تَبِعَ جِنَازَةَ مُبْتَدِعٍ؛ لَمْ يَزَلْ في سَخَطِ مشنَ اللهِ حتى يَرْجِعَ".**

وقال الفُضيلُ بن عياض رحمه الله: "مَنْ جَلَسَ مَعَ صاحِبِ بِدْعَةٍ؛ وَرِثَهُ العَمَى".

وقال الفضيل بن عياض: "آكُلُ مع يهوديّ ونصرانيّ، ولا آكل مع مُبتدع، وأحبُّ أن يكون بيني وبين صاحِب بِدعَةٍ حِصْنٌ مِنْ حَديدٍ)

أي والله صحيح؛ فقد أعان على هدم الإسلام؛ لأنّ تعظيم صاحب البدعة: تعظيمٌ لبدعته، ومتى عظّمْت بدعته؛ فقد حاربت السنّة بذلك، وبِدعة على بِدعة؛ تنتهي السُّنَّة، وتظهر البدع؛ يظهر عندك دين جديد

قال:(ومن زوَّجَ كريمته من مُبتدعٍ فقد قطعَ رَحِمها) لأنه ما من ذنبٍ يفعله معها أشدُّ من هذا الذنب؛ أن يزوّجَها لِمُبتدع؛ لأنّها ستأخذ دينها عنه؛ فتصبح مثله.

قال: (ومن تَبِعَ جِنازة مبتدعٍ لم يزل في سخطٍ من الله حتى يرجع.

وقال الفُضيلُ بن عياض رحمه الله: من جلسَ مع صاحب بدعةٍ ورِثهُ العمى.

وقال الفضيل بن عياض: آكُلُ مع يهوديّ ونصرانيّ، ولا آكل مع مُبتدع، وأحبُّ أن يكوَن بيني وبين صاحب بِدعة حصنٌ من حديد) انظر التشديد في هذا الموضوع: يأكل مع اليهودي والنصراني ولا يأكل مع المبتدع؛ المبتدع عندما تأكل معه يُلْقي عليك شبهات؛ فيضيّع عليك دينك، أما اليهوديّ والنصراني؛ فأمره منتهٍ؛ تأمن- إن شاء الله- على نفسك إذا أراد الله ان يُثبّتك.

قال: (**وقال الفُضيل بن عياض: إذا عَلِمَ اللَّهُ من الرّجل أنّه مُبْغِضٌ لصاحبِ بِدعة؛ غفرَ لَهُ وإنْ قَلَّ عَمَلُهُ، ولا يَكُنْ صاحِبُ سُنَّةٍ يُاليِءُ صاحِبَ بِدْعَةٍ الَّا نِفاقاً، ومَنْ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ عَنْ صاحِبِ بِدْعَةٍ؛ ملأ اللهُ قَلْبَهُ إيماناً، ومَنِ انْتَهَرَ صاحِبَ بِدْعَةٍ؛ آمَنَهُ اللّه يومَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، ومنْ أهانَ صاحِبَ بِدْعَةٍ؛ رَفَعَهُ اللّهُ في الجنَّةِ مِائةَ دَرَجَةٍ؛ فلا تَكُنْ صاحِبَ بِدْعَةٍ في اللهِ أبداً .**

انتهى والله أعلم وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمّد)

هذا الأثر الأخير؛ أثر الفضيلُ بن عياض؛ فيه أشياء توقيفيّة ما ينبغي أن تُقال بمجرّد الرّأي؛ تحتاج إلى أدلَّة؛ ولا يوجد، ولكن الآثار في التَّحذير من أهل البِدع ومن مُجالسة أهل البدع كثيرةٌ جداً؛ الثابتة عن السّلف رضي الله عنهم، وكانوا يُشدِّدون في ذلك جداً.

ومع أنّ المُؤلّف رحمه الله تكلم في بداية كتابه على هذا المَوضوع، وفي وسطه تكلَّم عليه؛ إلا أنه مع ذلك: ختم كتابه أيضاً بالكلام على هذا الموضوع؛ لشدة أهمّيّته.

فنسألُ اللَّهَ سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وإيّاكم لطاعته، وأن ينفَعنا بما سمِعنا.

وبهذا نكون قد انتهينا من الكتاب بحمد الله تبارك وتعالى.